موسوعة العلوم الإسلامية

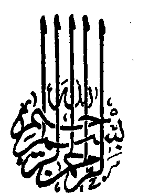
فى مواجهة الحملة على الإسلام

(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) .

(قرآن كريم)

أنور الجندى

دار الاعتصام



مدخـــل إلى البحث

أولا :

ان ابرز عناصر الكتابة فى قضية من القضايا هى سلامة القصد وحســن الوجهة والقدرة على اكتساب ثقة القارىء الذكى العارف بأبعاد المخطط ، الذى لا يخــدع . فاذا اســتوفت الكتابة هــذه الوجهه واستطاع الــكاتب ان يكون صادقا امينا لا مطمع له الا اداء الأمانة التى أؤتمن عليها لهــذه الأمة ولخيرها وللوصول بها الى المرفأ الأمين ، فقد ربح البيع وتحقق الهدف .

أما اذا كانت الأغــراض متخفيـــة وراء الكلمـــات ، والأهواء بارزة فى ثنـــايا الكلام ، ليدل على ان الغاية ليســت هى الوصــول الى الحق اذا ظهر ، او قبوله اذا تبين ولكن الغــاية هى المراوغة والتضليل واثارة الشبهة حول النور الطالع والشمس المشرقة ، هل رايت مسلما يشكك فى دينه ويثير الشبهات حول عقيدته وينكر الحقائق الواضــحة كفلق الصــبح ، الا فليعلم هؤلاء ان المغــالطة لا تجدى فقد شبت الأجيال الجديدة عن الطوق فلم يعد يخدعها اسم لامع ولا صحيفة كبرى، كما ان الاســتعلاء وادعاء الحكمة والحــديث الى الناس من برج عاجى أو من منطلق الخبرة والحكمة لا يزيد صــاحب القول الا مهــانة وازدراء فى نظر قارئه كما ان البضــاعة المزجاه التى طالمــا رددها المستشرقون وكشفت الحقائق زيفها لم تعد تصلح لأن تقدم عن طريق اسماء عربية لأنها اصبحت من نافلة القول لا تثير الا السخرية والاحساس بالغثيان . ان على الذين يريدون مهاجمة الاسلام أو النيل منه او انتقاصه ان يتعبوا أنفســهم فى البحث عن شبهات جديدة غير تلك التى لاكتها السنة ورددتها الاقلام، انني أشعر بالرثاء لهؤلاء الدين يسخر بهم اقل مثقف مســلم ، لأن قدرة هؤلاء الأقزام غامــان المستشرقين على الخداع اصبحت داهية واهنة .

❋ ❋ ❋

ثانيــا :

هذه الحملة التى يطرحها التغريبيون والعلمانيون والمــاركسيون من خــلال مخطط فى الجــدل والمغالطة والإخفاء والاظهار والتلاعب بالألفــاظ ، هذا الأسلوب الذى لا يعرفه الاســلام الواضح الصريح الذى يواجــه الامور فى ضوء النهــار وفى اسلوب الصدق والسماحة ودون مواربه او لف أو دوران ، او تلبيس للأمور او سخرية بالقيم او استهانة بالمقدرات الاساسية .

هذه اللعبة التى أتقنها دعاة الفكر الغربى لايعرفها الاسلام الواضح المضىء الذى يقول للحق حقا وللباطل باطلا دون مواربه .

ان الهدف هو بلبلة الأذهان واثارة الشبهات وخلق جو من التضـــارب والاضطراب وذلك هدف اساسى متعمد يرمى الى الحرب النفسية وقد تضاعفت هذه المحاولات فى هذه المرحلة بالذات بعد ان اتسع نطاق الصحوة الاســـلامية وزحفت قواها لتحتـــل الأماكن التى كان التغريب يملأها برجاله خصوم كل فكر سليم حر وكل هدف كريم قوى .

* * *

ثالثــا :

ان هذا الهجوم ليس أمرا عشوائيا وانما هو امر مخطط وموجه الى غايات غريبة عن عقــائدنا وتراثنا ومقدساتنا .

يقول حسن احمد امين : ان الاجتهاد يجب ان تفتح ابوابه وانا اقول له واسأله : ومتى اغلق باب الاجتهاد . ان باب الاجتهاد لم يغلق وما زال مفتوحا ولكن ليس لـــكل من هب ودب ، انه باب مفتوح لمن يتمتع باهلية الاجتهاد التى تقوم على اساس من العلم بالكتــاب والسنة ودراســـة لآيات واحاديث الأحكام ومعرفة ما قاله المفسرون وما قالهشراح الأحاديث والاستيعاب لمــا ادلى به الفقهاء والمجتهدون فى هذه المجالات .

وكذلك بمصطلح الحديث ، كما لابد للمجتهد من ان يكون حافظا للقرآن الــكريم كله وان يكون عالما بالمسائل التى انعقد عليها اجماع العلمــاء فى شتى الأزمنة عالمـــا بلسان العرب ، عالما بدلالة الألفاظ وان تثبت له القدرة على تفسير ما ورد فى كتاب الله وسنة رســـوله ، قادرا على اســـتنباط الأحكام استنباطا قويا منطقيا ، عارفا بالناســـخ والمنسوخ ، بحيث لا يخفى عليه شىء من هذا ، كما لابد ان يكون عالما باصول الفقه ومقاصد الشريعة وان يكون معايشا للناس عارفا بعاداتهم كما لابد من ان يكون كذلك من اهل التقوى والورع والغيرة على دين الله وهذا مهم .

كيف يمكن ان يقال انك مفكر اسلامى بينما انت تنادى بتعطيل كتاب الله وسنة رسوله ، وانت تعرض العقل على الخروج على خالقـــه بحجة ان عصيان الله عقل ، وكيف يقال انك مفكر اسلامى وانت تهاجم وتجرح المنادين بالاسلام ، ولا تفكر فى دعوتهم الى تطبيق الشريعة التى هى من وحى الله لتنظم حياة خلقه ، وانت تتهم المنادين بشرع الله بانهم خونة وعملاء لدولة اجنبية .

* * *

رابعا : اننا لكى يفهم بعضنا البعضيجب انتفق على المصطلحات واهمها مصـــطلح (الدين ، والوحى ، والغيب) ، فما هو الدين الذى يتحدثعنه فؤاد زكريا ، فرج فوده ، زكى نجيب محمود ، حسين احمد امين . ان سر الاختلاف بيننا وبينهم انهم يفهمون هـــذه المصطلحات من خـــلال الفـــكر الفـــربى ويفسروها من معين تصـــوراته وجولته الطويلة مع الدين الذى عبر الى اوربا من الشرق وحمل معه مفاهيم مختلفة ، ليست بالطبع هى مفاهيم الدين المنزل .

* * *

وما هو مفهوم الموروث والوافد ، وما هـو مفهوم القديم والجديد ، وما هو مفهوم الحـداثة والتغريب ، وما هى الهـوية التى يصـدر عنها المسلمون .

* * *

خامسا : ان الكتاب المتصدرون لا يوخذ منهم الا اذا كانوا موضع ثقة امتهم ، أما الذين يكتبون فى دائرة وضع خاص او منصب خاص ، او لهم عقيدة مرتبطة بايديولوجية اخرى غير الاسلام فيجب أن يقراهم بحذر ولا ناخذ منهم كل شئ .

انهم يحاولون ان يجروا شوطا مع شعارات الصحوة او مع مفاهيم الاسلام ثم يخدعون الناس فى منتصف الطريق .

* * *

سادسا : ان مدارسنا وجامعاتنا تغفل تماما عن تدريس الثقـافة الاسلامية بجوانبهـا الثلاث (العقدية والسياسية والاقتصادية) وما تزال تجرى على منـاهج التعليم التى وضـعها النفوذ الاستعمارى ، القائمة على انفصال الدين عن الدولة ، وما تزال كتابات الصحافة والثقافة تنمى هذا المفهوم فى عقول الشباب المتعلمين وتحاول اقنـاع المسلمين بان الاسلام مجرد عبادة وقربى وصـلاة وصيام فحسب .

كذلك فان هذه المناهج ما تزال تحمل فى طياتها التناقض بين مفاهيم العلم العلمانية وبين مفهوم الاسلام وخاصة فيما يتعلق بقضية الخلق ، والايمان بالله .

* * *

سابعا : ان البؤرة الصديدية (الشيوعية ـ الماركسية ـ اليسارية) التى تسـيطر الآن على بعض وسائل الأعلام وخاصة الصـحافة ما تزال تعطى طابعا بشرعية الكلمات المضللة والمتهـافتة التى تخدع النـاس وهى تتجه اساسا الى تحقيق غايات اساسية :

اولا : الهجوم على الاسلام من خلال الهجوم على الأزهر والعلماء .

ثانيا : الهجـوم على الاتجـاه الاسلامى فى الاقتصاد .

ثالثا : محاولة فرض مفاهيمهم من خلال مسرحيات ومسلسلات تعرض فى المسرح والتليفزيون .

وهى تحاول أن تصور عالم الدين بصورة منتوجهه مفـاهيم الاسـلام لصالح الاشـتراكية او العلمانية ومهاجمة الشباب المسلم بتصويره بصورة الولد العاق الذى يعق والديه .

ولا ريب ان الماركسيين اليوم يمسكون بزمام الحملة على الاسلام والشريعة الاسـلامية فقد اندفعوا فى قوة وحقد شديدين للحملة على الاسلام والتشـكيك فيه ، فهم يرون أن الاسـلام يزحف ليكتسح مواقعهم سلما .

* * *

ثامنا : المنهج الربانى الذى اضاء هذا الكوكب منذ اربع عشر قرنا هو الذى تتركز الحملة عليه ، وعندما تتضاعف محاولات التركيز من مختلف القوى فى وقت واحـد من أجل الحملة على الاسـلام ، نحس نحن المسـلمون بصدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وبصدق الدعوة الى الله وتؤمن ايمانا فوق ايماننا باننا على الحق (وقالوا هـذا ما وعدنا الله ورسوله) .

واذا كانت هذه الحملة ما زالت مثاره ومستمر ه ويوقد لها اعداء الاسلام النار عاما بعد عام ويوما بعد يوم دون ان تزلزل شعره واحدة من رأس اى مسلم فان ذلك ليؤكد لنا عظمة هذه الرسالة وكانها الطود الأشم ، والجبل الراسخ .

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) وان هذه الموجة من ضرب جدران الاسلام بالمعاول فى العصر الحديث هى اشد قوة من تلك الموجة التى واجهها المسلمون فى القرن الثـالث عند ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية ، فقد انطلقت اليوم من خلال امة تمر بمحلة الضعف والتخلف بعـد جولة طويلة تزيد على الف عام من اقتحام آفاق اوربا وآسـيا وافريقيا تحمل النور والهدى والحضارة للبشرية جميعا ، تعطى ولاتاخذ تبنى ولا تهدم ، تضىء القلوب والنفوس والعقول بزاد الهى ربانى لا تتوقف عن العطاء .

* * *

تاسعا : كان من اخطر ما ترتب على الغـاء الخلافة فى تركيـا (الدولة الاسـلامية الجامعة) الحامية للمسلمين والعرب لمدى اربع قرون كاملة ،محاولات كمال اتاتورك من اجل بناء الدولة اللائكية (العلمانية) فى العالم الاسلامى وهى التجربة التى باءت بالفشل تماما وتجنبها الدول الاسلامية بعد تركيا حتى لا تقع فى ذلك المنزلق الذى سقطت فيه تركيا وقد كتب (جب) يقول ان العرب لن يقعوا فى تجربة تركيا وقال (توينبى) ان تركيا دخلت عالم الغرب من باب الخدم فلم تقدم للعـالم الأوربى اى اضافة للحضارة او العلوم .

ولقد كانت محاولات (على عبد الرازق) لادخال هذه الفكرة قد تكشفت حين عرف ان كتـابه منقول من نص لمستشرق يهودى هو (مرجليوث) وان الدعوة الى ان الاسلام دين عبادى وانه لم يكن دين حكم قد تكشف فسادها تماما وعاش الشيخ على عبد الرازق بقية عمره فى عزلة عن النـاس ، وفى ندم شديد .

واذا كان بعض الكتاب من العلمانيين والماركسيين قد اعتبر كتـاب على عبد الرازق منطلقـا العلمانية فقد واجه الفكر الاسلامى كله ذلك بقوة ودحض فساده وزيفه واكد ان الاسـلام نظام حكم وتصدى للرد على على عبد الرازق اقطاب بارعون فى الفقه والفكر والتاريخ : الطاهر بن عاشـور ومحمـد لطفى جمعـة وفريد وجـدى والخضر حسـين وضياء الدين الريس وكانت الاسـلامية التى انطلقـت عـلى اثر سـقوط الخـلافة بمثـابة الدعامة الـكبرى لقضـية الاسـلام دين ودولة وهى التى قادها الامام حسن البنـا .واتصل بها ابو الاعلى المودودى وعبد القادر عودة ومصطفى السباعى وابو الحسن الندوى .

وقد انهدم التصور الذى وضعه على عبد الرازق تماما لانه منذ بزوغ فجر الاسلام لم يجرؤ فقيه

مسلم على ان يذيع مثل هذه الدعوى المدعاة التى رتبها ائمة الاستشراق والغزو الفكرى واوقعوا فيها عالما ازهريا من رجال القضاء الشرعى .

ومن العجيب ان قام رجال من اهل القانون الوضعى ليدافعون عن عظمة الشريعة الاسلامية ويدحضو هذه الدعوى المدعاة التى لم تلبث ان وجدت من يحمل لوائها من امثال مصطفى مرعى ووحيد رأفت .

ولكن جيلا جديدا من رجال القانون قاموا يدفعون عن الشريعة الاسلامية الاتهام الباطل ويصدرون احكاما موافقة للقرآن .

* * *

عاشرا : هذه الحملة المركزة على الصحوة الاسلامية انما تريد أن تخلق روح اليأس والقنوط والتشكيك فى صدق الطريق الى الله تبارك وتعالى باثارة شبهات واباطيل لا تثبت امام ضياء منهج الاسلام .

(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متمنوره) . ذلك ان المسلمين لا ييأسون :
(قل لعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) .

ولكن حركة اليقظة الاسلامية — حتى فى اشد ايام سيطرة النفوذالأجنبى حلوكةوظلاما ، لمتمنع هؤلاء الأبرار الذين وجه الله تبارك وتعالى اقلامهم الى الدفاع عن كلمته فشرعوها فكانت حرابا فى عيون الظالمين فلقد كان من أكبر منجزات الدعوة الاسلامية التى حققتها مرحلة اليقظة فى مواجهة تلك الحملات الضارية على الاسلام وشريعته وتاريخه وثقافته ومنهجه ، ذلك الرعيل الأول من القضاة والمستشارين المكرمين الذين حملوا لواء الدفاع عن الشريعة فى دوائر القضاء نفسه وقدموا احكاما اسلامية .

وقد تنامى هذا التيار واستوى على سوقه فراينا احكاما قضائية تلتزم بتطبيق الشريعة وتنادى اولى الأمر بالتدخل لتطبيق احكام الشريعة كما انزلها الله تبارك وتعالى وذلك درءا للاثم الذى يقع على القضاء من جراء اضطرارهم الى الحكم بغير ما انزل الله وفى مقدمة هؤلاء المستشار عبد الحميد غراب (الذى اصدر موسوعة كاملة باحكام اسلامية فى القضايا وكذلك المستشار محمود عبدالحافظ هريدى الذى رفض حكما بجواز التعامل بالربا وقالت المحكمة فى حيثيات الحكم) :

انه لا خلاف على ان الشريعة الاسلامية تعلو وتسمو فوق كل التشريعات الوضعية ولذلك يتعين ان يكون ما دونها من تشريعات متفقا معها ،وكل ما يتعارض معها او يخالفها باطل ..

نعم كسبت الدعوة الاسلامية الى جانب هذا العدد الضخم من المستشارين والقضاة ، المستشار يحيى الرفاعى ، مختار نوح ، اولئك العلماء الباحثين من ابناء الدعوة الاسلامية الذين دحضوا ما روجه حسين احمد امين وفرج فوده وفؤاد زكريا ، ومن قبل توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى وكمال الملاخ ولويس عوض فى مختلف ميادين الفكر الاسلامى .

* * *

الباب الأول
الحملة على القرآن الكريم

١ ـــ الحملة على القرآن (مدخل الى البحث)

٢ ـــ التفسير اليهودى للقرآن

(١) علاقة القرآن بالتوراه

(٢) القرآن الكريم والحفريات

(٣) ما قدمه علمـــاء الغرب

(٤) القرآن وعصر الاعجاز العلمى

الفصل الأول

مدخل إلى البحث

ليس من المبالغة فى شىء أن نقول : ان القرآن الكريم (بوصفه كتاب الله تبارك وتعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والنص الموثق الباقى على الزمان ما بقى الزمان بعد أن أصاب الكتب القديمة كلها التزييف والتحريف بشهادة أهلها) . كان الهدف الأساسى والأكبر للحملة على الاسلام يتركز حول اثارة الشبهات والسموم والشكوك حول القرآن ومحاولة تأويله ، والادعاء من وراء كلمات مضلله اثارة القول ببشرية وتزييف وجهته ومن هنا كانت تلك الحملة الضارية عليه من قوى متعددة : على مدى تاريخ الاسلام وفى العصر الحديث من قوى اليهودية والصهيونية والمسيحية والشيوعية جميعا فى محاولة للنيل من هذا المنار الثابت المستعلى على كل منارات الدنيا فى طموح مردود وهوى ممعود فى سبيل اطفاء نوره وقد ردت كل سهام أعدائه الى صدورهم وبقى القرآن فوق كل الشبهات قائما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد أدرك خصوم الاسلام (أن القرآن الكريم هو سر قوة المسلمين ودافعهم الأساسى الى الجهاد والدوحة التى تفرعت منها أغصان العلوم الاسلامية وانه الكاشف لكل أضاليلهم وأوهامهم) ولذلك فقد كان عليهم أن يسرعوا الى ترجمته الى اللاتينية ثم البحث فى نصوصه عن ثغرات ينفذون منها لاثارة الشبهات حوله ، أولا بالنسبة لقومهم الذين تكشفت لهم فى العصور الحديثة شكوك كثيرة حول قدسية الكتب القديمة .

ولا ريب أن ما كشفه علماء اللاهوت الغربيين حول الكتب المقدسة وتباين النصوص فيها هو باب واسع خطير ، كان لمنهج العلم التجريبى نفسه الأثر فى كشفه ، فى نفس الوقت الذى حقق هذا العلم التجريبى مكانة كبرى لنصوص القرآن التى لم تختلف مع متغيرات العلم ومعطياته ، بل على العكس من ذلك زادت قوة وثباتا بما يؤكد انه من عند الله ، وأن هذه الكتب المقدسة هى من كتابات الأحبار والرهبان .

ومن ناحية أخرى فان القرآن بدأ يأخذ مكانة أكبر قدرا من حيث معجزاته التى تكشفت فى العصر الحديث وخاصة فى العلوم الطبية حيث أكدت هذه العلوم فى معطياتها التى وصلت اليوم الى ما جاء به القرآن الكريم منذ أربعة عشر عاما فى مواقع كثيرة وخاصة فى (خلق الكون ، خلق الانسان) .

وقد كان من أكبر ما دعا الغربيين (خاصة خصوم الاسلام فى مجال الكنيسة واللاهوت أو فى مجال الاستعمار وسياسة السيطرة على الأمة الاسلامية ذات الموارد والطاقة) الى حرب القرآن ما كشفه عن تحولات الديانتين عن مصدرهما الأصيل حيث أشار القرآن الى تحريف الكتب المنزلة فى أكثر من موضع :

- (قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) .
- (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) .
- (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء) .
- (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) .
- (ما اتخذ الله من ولد) .
- (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله اليه وما قتلوه يقينا) الى عشرات من هذه الآيات التى كشفت زيف وجهة أهل الكتاب وتحريفهم للنص الحقيقى المنزل للتوراة والانجيل .

وقد جاء القرآن مصححا لهذه الوقائع، واضعااياها فى موضـــعها الصحيح ، كاشفا عن تحريفـــات الكتب القديمة والمفاهيم اليهودية والمسيحية وخاصة فى مفهوم الرب عند اليهود (رب الجنود) ومفهوم الصلب والتثليث والخطيئة عند النصارى .

كذلك فقد كان من أخطر ما دفع خصوم الاســـلام الى محاربة القرآن ١ ــ كشـــفه عن مختلف تزييفـــات الوثنية القديمة وخاصة عبادة النار والكواكب . ٢ ــ كشفه عن أخطـــاء الفلسفات القديمة وموقفهـــا من الله تبارك وتعـــالى ومن التوحيد والوحى والنبوة والغيب . ٣ ــ لعل أكبر الأخطار التى واجه بها الأديان القديمة والوثنيات تحطيم (فكرة التجسيم) التى لم يستطع أهل الأديان السابقة التخلص منها واستطاعت أن تحتويهم وكان لها دورها الخطير فى تحوير وتأويل حقـــائق الدين المنزل عليهم .

ومن أخطر ما كشفه القرآن الكريم للمسلمين حتى لا يخدعوا بمقوله أهل الكتاب :

أولا : أعلن القـــرآن انه مهيمن على كل الـــكتب السابقة ، مصدقا لها ومصححا لأخطاء الذين تولوها ، واغنى المسلمين عنها بأن قدم لهم مجموع الحقائق الثابتة التى تضمنتها كل الرسالات والصحف (صحف ابراهيم وموسى) والكتب السماوية (الزبور والتوراه والانجيل) ثم زاد عليهـــا عددا من الحقـــائق والوقائع فيما يتعلق بنبوات الأنبياء السابقين لمـــا لم يرد فى كتبهم ولا يعرفوا عنه شيئا .

***

ثانيـــا : حاج القرآن (أهل الكتـــاب) وصحح عقائدهم وسلوكهم ، وصرح بأن النصارى نسوا الكثير مما ذكرهم به نبيهم عيسى عليه السلام (فما نقضـــهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا فاعف عنهم واصفح) .

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ليبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون فيه من الكتاب) .

ثالثـــا : كشف القرآن الكريم فساد بنى اسرائيل وعجزهم عن حمل أمانة الرسالة ولذلك فقد انتزع الملك منهم وسلمه الى بنى اسماعيل وكشـــف القرآن كذلك ما رفعه أهل الكتاب مما ورد فى الكتب القديمة من النص على أن محمـــدا (صلى الله عليه وســـلم) هو خاتم الأنبياء وأن على كل من يؤمن بأى دين وكتاب أن يؤمن بمحمد اذا جاء وان يتبعـــه (النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل) .

***

الفصل الثانى
التبشير اليهودى للقرآن

ان كل كتابات المستشرقين والمبشرين كانت تركز على أمر واحد هو الادعاء ببشرية القرآن وانه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم أو أنه مأخوذ من الكتب السابقة : (الانجيل والتوراة) .

وتكاد تجمع دوائر المعارف الغربية (البريطانية والأمريكية) ودائرة معارف لاروس الفرنسية على هذا المعنى ، وكذلك ما تورده دائرة المعارف الاسلامية التى كتبها مجموعة من متعصبى اليهود والمسيحيين ولا ريب ان التركيز على هذه الفرية : فرية الادعاء بأن القرآن الكريم من كلام محمد هو مفتاح لكل محاولة للادعاء أو الاتهام أو اثارة الشبهات ، وهم يظنون أنهم قادرون بترويج هذه الدعوة ان يهدموا الاسلام ، أو أن يجعلوا الاسلام شبيها بالأديان الأخرى التى لا تملك اليوم كتبا سماوية منزلة ، وأن كتبها التى بين أيدينا هى كتابات بشرية كتبها الرهبان والأحبار أو على الأكثر كتبها حوارى الرسل وفى تصور رجال اللاهوت أنها كتبت بعد عدة قرون وأنه أضيف اليها وحذف منها .

ان الحملة على القرآن تبدأ من الفهم المنحرف ، الموازى على الاقل لفهم الكتب الأخرى دون تقدير لتميز القرآن عنها بأنه النص الموثق الوحيد الباقى الآن على الأرض ، فاذا كان المستشرقون أو كتاب الغرب حسنى النية فانهم عاجزون عن استيعاب الفوارق العميقة من تاريخ القرآن وتاريخ الكتب القديمة وحتى تكون الصورة واضحة تركز على مترجمات القرآن التى قام بها المبشرون والمستشرقون والتى بدأت منذ عام ١١٤٣ الى اللاتينية بهدف واضح (هو اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الاسلام واجتذابهم الى النصرانية) كما قرروا ذلك وقد ادرك رجال اللاهوت النصرانى (ان القرآن هو سرقوه المسلمين وانه الدافع الأساسى الى الجهاد وانه المهدد الحقيقى للفكر السائد الذى خلط بين الدين المنزل والتفسيرات ، وهو الذى اطلع الأجيال الجديدة على الحقائق التى يريدون اخفائها أو كتمانها حتى لا يهتدى النـاس الى طريق الله تبارك وتعالى .

حاولت هذه الترجمات دحض القرآن وتفنيده ، وتشويه محتوياته حتى لقد أكد الباحثون أن الترجمة اللاتينية هى العمدة فى تشويه محتويات القرآن الكريم .

والشبهة الخطيرة هى مقولة ان القرآن من وضع محمد (صلى الله عليه وسلم) وهى شبهه يظاهرها التفسير المادى للفكر والتاريخ فى الغرب حيث لا تزال فكرة الوحى بعيدة عن أذهان الكثيرين .

وقد بذلوا فى ذلك جهدا جبارا لزعزعة الاعتقاد الترجمات وقال بلاشير انها ترجمة فاسدة ولكنهم اتخذوها اساسا للجدل ضد الاسلام ظنا منهم أنهم يستطيعون عن طريقها حجب حقيقة القرآن ومفهوم الاسلام عن أهل الغرب .

وقد بذلوا فى ذلك جهدا حياتها لزعزعة الاعتقاد فى مصدره ونفى الوحى عنه ، وقد وضعوا بدراساتهم للقرآن المنهج الذى ساروا عليه من بعد فى كل كتاباتهم ودعاواهم ، وهو أسلوب التحريف والتدليس والتضليل الذى برز بصورة واسعة فى دائرة المعارف الاسلامية وقد جاءت هذه الترجمة منطلق لحركة الاستشراق ومنهج الاستشراق فى عمومه ولا ريب أن الرعب من انتشار الاسلام والفزع الأكبر من أن يقف الأوربيون على حقيقة النص القرآنى (ولقد ظلت الدوائر القيادية فى أوربا تحرص على ترسيخ تلك الصورة المشوهة للقرآن فى الذهنية الغربية وفى الوجدان الأوربى على مدى الأحقاب وحتى اليوم ، فقد زرعت الحقد المقيت والعداء المستميت لنسف كلام الله :

(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى

الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) واذا كانت الترجمة الأولى الى اللاتينية التى وضعت ١١٤٣ م ما تزال هى المرجع الأول والأساسى للحملة على القرآن فقد اعترف بطرس الموقر (المتوفى عام ١٩٥٦) بأن الدعاية ضد الاسلام ترمى الى محو آثار العقيدة الأولى من نفوس المسلمين (وقد ارتبط هذا العمل بالحروب الصليبية واعتبربطرس الموقر الاسلام هرطقة نصرانية وأن غايته من العمل هو تزويد النصارى بحجج سليمة لتثبيت ايمانهم ، وهى وان كانت ترجمة فاسدة كما اعترف بذلك المستشرق بلاشير فقد اشعرت بخطورة نشر الاسلام عن طريق شيوع الترجمة ولذلك منعت من النشر ولكنها ظلت مرجعا لكل الترجمات التى جاءت بعدها . وقد بلغت المائتين وثلاث وثلاثين وهى ترجمات وصفت بأنها فى حاجة الى تنقيح كبير ومراجعة سواء من ناحية المضمون أو الشكل .

ولقد حاول بعض الباحثين المسلمين فى العقود الأخيرة تقديم ترجمات لها طابع الأصالة لمواجهة ما قدمته الترجمات الاستشراقية والتبشيرية من اخطاء وسموم ولكن ما تزال الغلبة لهذه الترجمات لاتساع نطاق نشرها والترويج لها .

وقد تعددت الترجمات المحرفة ، وكان من أخطرها الترجمة التى قامت بها جماعة القاديانية لخدمة اغراضهم ومعتقداتهم .

* * *

ولقد كان للأحمدية القاديانية فى العقود الأخيرة نشاط واسع فى هذا المجال حيث أوقفوا الأوقاف لهذا الغرض حتى أنهم ترجموا معانى القرآن الى أغلب اللغات الأوربية ، كما ترجموه الى السواحلية لأهمية هذه اللغة التى تستعمل فى شرق ووسط أفريقيا ، وقد امتلأ الميدان بترجمات فاسدة قام بها صليبيون او يهود او قاديانيون أغلبها مترجم عن غير العربية — وهناك ترجمة مأخوذة عن ترجمة ، فالنسخة البلغارية مترجمة عن الألمانية ، والألمانية مترجمة عن الانجليزية والانجليزية عن اللاتينية واللاتينية عن العربية .

وهناك ترجمات صحيحة سبق بها علماء المسلمين فى الهند :

(يوسف على ، وابوالأعلى المودودى ، بالانجليزية وحميد الله بالفرنسية) .

ولكن هناك ترجمات التبشير والاستشراق التى تعمل على طمس معالم الحقائق ، وقد اتخذت ترجمة معانى القرآن وسيلتهم الى تحريف الكلم عن موضعه او لصرف أقليات اسلامية سقطت تحت حكمهم عن النص القرآنى الكريم .

ويقول الدكتور حسن المعايرجى : انه امكن حصر (٤٣٥ ترجمة) فى اللغات الأوربية وحدها ، وما زالت فى تزايد ، ناهيك عن اللغات الآسيوية والأفريقية ، حيث تناهز الترجمات فى اللغات الاسلامية الكبرى : التركية والأردية والفارسية ما يقرب من ١٢٠٠ ترجمة وكان لتراجع اللغة العربية عن الانتشار لمواكبة انتشار الاسلام اثر كبير فى تزايد الحاجة الى تفاسير مترجمة ، ولعل من أخطر هذه المحاولات التى تقوم على المؤامرة ترجمة بكثال اليهودى الانجليزية التى منحها الأزهر الشريف موافقته ، وقام بوضعها المستشرق الصهيونى مردوك بكثال والتى تبين أنها كانت بدافع من الحركة الصهيونية العالمية بغية اهدار المعنى الحقيقى للكلمات العربية بطريقة ملتوية تتمشى مع بعض ما جاء فى التوراه المحرفة ليخدم بها أهدافا أبعد ما تكون عن الحقيقةوالدين وتضر بالمصالح العربية (حسب نص قرار محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة . الذى نشرته جريدة النور (١٠ رمضان ١٤٠٠) .

وقالت المحكمة ان الترجمة ليست فى حقيقتها ترجمة لمعانى القرآن الكريم كما أطلق عليها من قام بها وانما هى ترجمة حرفية لسور القرآن الكريم ومن ثم فقد أضحى من الضرورى ان تكون هذه الترجمة على قدر من الدقة بحيث لا تعطى لآيات القرآن معنى او مدلولا غير الذى قصده الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز . .

ومن هنا الغى القرار ومنع تداول هذه الترجمة لانطوائها على العديد من الأخطاء .

وهكذا تبين أن ترجمة المستشرق اليهودى مردوك بكثال للقرآن الكريم ترجمة محرفة وماهى الا معول لهدم الاسلام بأسلوب جديد ابتكرته الصهيونية العالمية بطريقة لم تحدث على مر تاريخنا الاسلامى الطويل .

يقول الدكتور أبو الفتح شرف الدين : لقد ظل بكثال يحاول منذ الأربعينات الحصول على موافقة الأزهر الشريف على صلاحية ترجمته الحرفية هذه ولكن محاولاته كانت تبوء كل مرة بالفشل وبالاطلاع على الترجمة يتضح لأول وهلة أنها حرفية ذهب بها صاحبها

بعيدا عن منطوقها ومعناها العربى ، حسبما أراد صاحب التنزيل العلى الكبير ، بل نجد انه قد تصرف فى مواضع عدة وبطريقة متعمدة مليئة بالاخطاء المقصودة يلوى بها ذهن القارىء وعقله وخاصة فى البلدان الاسلامية التى لا يتكلم ابناؤها بالعربية ليقربه من بعض الذى أتت به التوراه ، ولم يخجل حينما لجأ الى الاستشهاد فى صلب ترجمته بتلك التوراة الموضوعة بأيديهم ليفسر بعض الآيات الكريمة ليجعل من التوراه مفسرا ومرجعا لنصوص القرآن الكريم الى الحد الذى يكمن معه الوقوع فى الحظر بسبب تلك الترجمة .

* * *

وليست ترجمة بكثال سوى مخطط صهيونى استهدف تحريف القرآن الكريم : كتاب الكتب وآخر ارسال للسماء بغرض رفع شأن اليهود والنيل من الاسلام والمسلمين فلقد كانت الصهيونية تعمد الى طباعة القرآن الكريم وطمس بعض آياته للعمل على تحريفه خاصة الآيات التى تهاجم اليهود ، ولكن الصهيونية هذه المرة قد تعدت ذلك وعمدت الى اكبر عملية تكذيب للقرآن الكريم فى التاريخ الاسلامى الطويل حتى الآن ١ — فنجده يدعى أن (الجن) أو (الجان) الذين آمن بعضهم بالقرآن ، أنهم فئة من مهرة البشر أو الأجانب ويقول انهم من اليهود وقال أن الجان فى اللغة العربية تنطبق فى أغلب الأحيان على الأجانب المهرة وعمد الى تكذيب وجود الجان فى سورة الأحقاف وفى سورة النمل أيضا ، ويقول أيضا عن حشرة النمل بأنها قبيلة عربية وبذلك فهو لا يكذب الآيات التى تتحدث عن الجن فقط وعليه فانه يكذب كل محتويات القرآن الكريم بطريقة نجحت فيها الصهيونية وتغافل قول الله تبارك وتعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله سبحانه (والجان خلقناه من نار السموم) .

٢ — ثم يدافع بكثال فى ترجمته عن اليهود لما أتوه ضد الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ويعمد الى تزوير الحقائق التاريخية اذ من المعروف أنه صلى الله عليه وسلم قد تعرض لبعض أعمال السحر من يهوديات، وأن الله سبحانه وتعالى قد أخبره بذلك حيث تقول الآيات الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم . قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد) .

ويحاول صاحبنا أن يلقى بالتهمة على نساء العرب فى الوقت الذى تحدث فيه كل المفسرون عن اليهودى (لبيد بن عاصم) وبناته اللائى أتين السحر لرسول الله.

٣ — ويحاول بكثال أن يضع التوراه التى وضعها قدامى اليهود فى ترجمته بمثابة المعيار الذى يقاس به مصداقية القرآن الكريم ومفسرا لنصوصه ، وذلك بقصد اعطائها الشرعية وبحيث تكون مكملة له .

وهذه دعوة صريحة للمسلمين بالعودة الى التوراه من أجل تفسير القرآن الكريم .

١ — فهو يحاول أن يفسر آيه (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها (بأنها القدسى المخربه، فى حين أن هذه الكلمات تشير الى رؤيا حزقيال التى لا صلة لها بالمار على القارة الخاوية ولكنها تتحدث عن حلم أحد انبياء اسرائيل (حزقيال) الذين نادوا الى اقامة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

٢ — كما يحاول أن ينسب الآيات فى موضع آخر الى سفر الخروج .

٣ — يحاول بكثال أن يحل كهنة التوراة محل الأنبياء والرسل الذين جاء ذكرهم فى نصوص القرآن الكريم فيقول عن شعيب أنه (جيترو) ويقول عن هود بأن التوراه لم تذكر اسمه وهو بذلك يضرب القرآن بالتوراة ، وجترو هذا الذى أشار اليه بكثال هو ذلك الكاهن الذى يعمل فى المعبد ويوكل اليه أمر الاتصال بالجان الخبيثة للتعرف على أخبار السماء واستراق السمع وهو الأمر الذى برع فيه اليهود .

ومن ذلك يتضح أن (جترو) الذى ورد اسمه فى التوراه ليس هو نبى الله (شعيب) وهناك فرق شاسع بين هذا وذاك .

٤ — خرج بكثال على ما تعارف عليه العالم أجمع من أن القرآن يكتب بالحروف اللاتينية (كوران) ولكنه بكثال قال عنه (سكربيشى) وهذا الاسم يعنى (الاسفار المنزلة) وبذلك نمحى ترديد كلمة القرآن بكل ترجمة بكثال وبذلك يصعب على من يقرأ تلك الترجمة ان يحكم بأنها ترجمة للقرآن الكريم .

٥ — نعود الى مقارنة القرآن بالتوراه فى شأن سورة يوسف وفى شأن أنبياء الله أيوب ، وسليمان .

٦ — يحاول بكثال ربط الاسلام باليهودية ليجعل اليهودية الأم بالاسلام بطريقة مفضوحة وذلك فى مقدمته لسورة البقرة وهى التى تلعن اليهود بقسوة على كفرهم

وعباداتهم اليعليم والأصنام فى صفحتين خصصهما للدفاع عن اليهودية وربطها بالاسلام .

٧ — ترجم كلمة الحشر بكلمة النفى فى آية سورة الحشر « وهو الذى اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » .. الآية ، وذلك ليعطى اليهود احقية استيطانية فى الجزيرة العربية .

٨ — ترجم كلمة المسجد بالجذع وكلمة سبح بترانيم المجد والمسجد الحرام بالمذبح المقدس ، وترجم (تبارك الله احسن الخالقين) بعبادة تبارك الله احسن الآلهة الخالقين وفى ذلك شرك بالله العلى العظيم وتحريف للكلم عن مواضعه .

٩ — ومن المبادىء التى وردت فى التوراة ان اليهود يعاملون الله (سبحانه وتعالى) معاملة الصديق وانه يزور الأرض وأحيانا يتجاوز .

هذه التوراة المحرفة حدود الأدب واللياقة حينما جعلت موسى يتحدث الى الله سبحانه ويلومه لأنه لم يخلص شعب اسرائيل من يد فرعون ، . ا . هـ

* * *

واذا كان قد تبين البعد المسيحى واليهودى للحملة على القرآن فان هناك البعد الشيوعى الماركسى (وهو من أصل يهودى أساسا) وقد تبين على مدى هذا العصر تعاظم تلك الحملة الروسية ضد القرآن الكريم وكان فى مقدمتها كتاب (محى الدنيوف) : (القرآن عقيدته وتعاليمه) الذى يشير الى ان الحملة على الأديان عامة والاسلام خاصة وعلى القرآن على وجه الخصوص ما زالت مسعرة الاوار فى البلاد الروسية (وخاصة بعد الثورة الحمراء ١٩١٧) وخاصة فى الفترات المتقاربة التى جرى فيها الالتقاء بين الشيوعية واليهودية والفاتيكان ، والارتباط الجذرى بينهما جميعا وبين الماسونية .

ويقود الكتاب حملة ضخمة ضد القرآن الكريم والاسلام كله أنتقاما من هذا الدين .

فهم يرون أن هذا الدين هو المعوق لحركة التاريخ وان مهمة الشيوعية هى اساسا القضاء على الدين حتى تندفع حركة التاريخ الى الأمام دون توقف .

وفى عشرات من المناسبات تتحدث كتابات كنسية وعلمانية عن القرآن الكريم وتثير حوله الدعاوى الباطلة .

اولا : حول علاقته بالتوراه (العهد القديم)

ولقد كان لحركة اليقظة الاسلامية أثرها الواضح فى كشف علاقة القرآن بالكتب القديمة . ولقد ظهر فى اواخر القرن الماضى مجموعة من رجال اللاهوت والباحثين موند جراف ، كوهين ، وويلهاوزن) حيث دفعهم حبهم للاستطلاع لدراسة القرآن الكريم بحثا وراء ما يلقى الضوء على العهد القديم الذى كانوا يدرسونه بقصد تفهمه تفهما علميا نقدا وتحليلا ، وفى دراستهم للقرآن الكريم تشبعوا بالمبدأ القرآنى القائل بأن بنى اسرائيل تلاعبوا فى كتابهم المقدس وأنهم حرفوه حاذفين منه ما حذفوا ومضيفين اليه ما أضافوا لطمع غير خلقى فى نفوسهم فزعزع هذا المبدا مانشأو عليه من ايمان بأن التوراه فى نفسها فى كل حرف من حروفها من صنع الله واخذوا عندئذ بدلا من الحيرة فى تفسير النزعات المختلفة التى تتم عليها نصوص التوراة يتبينون مختلف الأيدى وراء هذه النصوص فراحوا يبحثون أصولها وعن الأحوال التاريخية التى ادخلت هذه المواد فى التوراة تحت ظروفها فكانت علوم التوراة النقدية التى عرفها القرن الأخير .

وهذه هى بداية نقد الكتاب المقدس ومنها تفرعت العلوم النقدية جميعا فنشأ علم الآثار القديمة وعلم التاريخ القديم ومنذ أخذ (ويلهاوزن) وعلماء العهد القديم يقيمون النظرية تلو النظرية والتفسير التورانى تلو التفسير ويهدمون ما حققه أسلافهم من قبل تبعا لمكتشفات الآثار التى اخذت تتزايد بشكل عظيم سنة بعد سنة ، وتمشيا مع ما كانت تجلو عنه هذه المكتشفات من حقائق تاريخية ، ومع أن المبدأ القرآنى بقى وأكد مبدأ هذه العلوم كلها فهى جميعا بكل ما حققته من تقدم للفكر الانسانى تعتبر حواشى ما تزال لم تدرس .

« ان الايمان بأصل التوراه الالهى زعزع ، والغى ، وبهذا أكمل القرآن الكريم مفهومه الأصيل الذى كشف به فساد النظريات التى قدمها مفسرو الأديان القديمة وشراحها ، جاء الاثبات العلمى ليكشف النصوص المحرفة ثم جاء علم الآثار يقدم دليله (فاثار فلسطين وراس شمرا وتل الحريرى فى دار الشام ثم اثار العمارنة والفنطية وغيرها فى مصر وأثار بابل وأشور فى شمال العراق وجنوبه كل هذه لها علاقة ماسة بالتوراه والتاريخ اليهودى القديم .

* * *

ثانيــا : القرآن الكريم والحفريات

صدقت الحفريات الحديثة ما جاء فى القرآن الكريم فقد كشف علم الحفريات أن العبادات التى مارسها سكان ما بين النهرين القدماء تدرجت من عبادة النجوم فعبــادة القمر فعبادة الشمس قبل أن تتطرق الى عبادة الأصــنام وفى هذا الأمر اراد سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يسفه أحلام قومه وأن يستدرجهم بالمنطق والحجة بأن ما سبق أن عبدوه الى تلك الساعة لا يستحق أن يعبد فتدرج من البداية ، (فلما جن عليه الليل رأى كوكبــا قال هــذا ربى) لكن أفل الكوكب ثم فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، وأفل القمر أيضا فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال : يا قوم انى برىء ممــا تشركون .

٢ ــ كذلك أورد القرآن الكريم اسم (عاد الأولى) وأن عاد الآخرة هى الاحقاف فلما ذكرها قال (واذكر اخا عاد) أى أن عادا كان اسما مشتركا لحضارتين قديمتين احداهما فى الأحقاف أما عاد الأولى والتى أهلكت بالريح الصرصر ، وكان نبيها هودا فكانت تقطن آرم (آرم ذات العماد) .

وهذا ما عرف أخيرا من الحفريات فى جنوب العراق حيث اكتشف أن المــدينة المدعوه (أور) حاليا كانت تدعى قديما (آرم) وليس (أور) .

وقد اكتشفت هناك قطع حجر كتبت فى الأجيــال اللاحقة عليها باللغات القديمة قصيدة يعنى الشاعر فيها مدينة (آرم) ويصف كيف دمرت الريح الجبارة هياكلها وبيوتها .

٣ ــ كان لقب فرعون يطلــق على حــكام مصر القديمة ، وأن لقب هامان كان يطلق على الرجل الثانى فى الحكم ومعنــاه حامل الأختــام الفرعونية ولكن الأمر اختلف فى قصــة يوسف عليه الســلام حيث أن القرآن الكريم اورد كلمة الملك وليس فرعون واورد اسم العزيز وليس هامان حتى أن يوسف عليه السلام قد تولى منصب العــزيز فى آخر الأمر فلم يعرف أحــد السر فى اختلاف التســمية فى هذه المناصب حتى كشــفت الحفريات أن الهكسوس هم الذين يستعملون لقب الملك والعزيز وان لقب فرعون قد غاب عن مصر فى فترة حكم الهكســوس لها وأن يوسف بدأ دعوته فى ابان حكم الهكسوس .

٤ ــ فى الوثائق التى كشــفت عنها بعثــة الآثار الفرنسية فى مصر ظهر بأن فرعون الذى جرت أحــداث قصته مع موسى عليه الســلام ظهر من فحص خشــبة المومياء أنه مات غرقا بعد أن ارتطم جســده فى قعر النهر مع الأمواج فحدثت له رضوض كثيرة ثم أخرجت الأمواج جثته بعد ذلك (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفت آيه) (عن بحث زياد عمر) .

ومرة أخرى تتحدث الآثار وتؤكد بالدليل المــادى ما ورد فى القرآن الــكريم ــ قال أحمــد نصر الدين فى رسالة من صنعاء : أعلن الأثريون هنا فى اليمن الشمالية انبهارهم الشــديد بدقة وعظمة الوصف القرآنى لهــذه الحضارة التى تفوق كل النصوص المسجلة والمحفورة من خلال الآثار القديمة التى تقع فى أنحاء اليمن كله .

يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

(لقد كان لســبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشــكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضــوا فأرسلنا عليهم ســيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط واثل وشىء من سدر قليل) .

＊ ＊ ＊

يقول الدكتور عبد الحليم نور الدين (رئيس قسم الآثار بجامعة صنعاء) أن هذه الأشياء التى ذكرت فى الآية الــكريمة لا تزال آثارها موجودة حتى الآن وباقية والوصف القرآنى عظيم ودقيق فيما يتعلق بما أصــاب منطقة مأرب وسدها فى وقت يظن أنه من أعوام (٥٥٥ ــ ٥٧٥ قبل الميلاد) مع ملاحظة أن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى عام ٥٧٠ ميلادية . ورغم الانهيارات المتتالية لســد مأرب الا أن الصــورة لا تزال واضحة من خلال آخر ترميم للسد قام به أبرهه الحبشى فى عام ٥٤٢م وقد ورد على نص مسجل ومنقوش بالأحجار القــائمة بجوار السد يراه المشاهد حتى اليوم كان هذا السيل العرم عنيفا من خلال طبقات الطمى المتراكمة التى يصل ارتفاعها الى عشرة أمتار بالاضــافة الى ملاحظة وجود الشجيرات البرية مثل الاثل والخمط والســدر ، بدلا من الفواكه والخيرات الاخرى ثم يستطيع المشاهد أن يرى السد الرئيسى ومجموع من الســدود الأخرى ثم منطقة المعابد ثم سور المدينة وبواباتها وآثار مملــكة بلبيس ، وكانت دولة سبأ من أشد دول بلاد العرب الجنوبية التى حكمت البلاد زهاء تســعة قرون بعد انقضاء دولة معين وسميت باسم مؤسسها الأول عبد شمس سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطــان بن عابر وهو الذى غــزا بابل

وارمينيه وبنى بعض مدن مصر وقنطره طنجه ثم عاد الى اليمن » .

* * *

ثالثا : فتح علماء الغرب الطريق الى أمرين :

الأمر الأول : الاعجاز العلمى والاعجاز الطبى (وقد افردنا له فصلا مستقلا .

الامرا الثانى : تفوق القرآن على الكتب السابقة السابقة .

يقول الدكتور روناليه الين استاذ الأجتماع بجامعة وكلاهوما أن اكبر المــزايا التى يتفوق فيها القرآن على التلمود والعهد الجديد من الكتاب المقدس هو أنه فى أعلى درجات القبول بالنسبة للعقل البشرى ، كما أن كل من يصغ الى رســالة القرآن يتولد فيه الاحســاس بالفهم العلمى القيم لها والوصول الى ما يســعى لتحقيقه بكل سهوله ويسر .

« انى افهم جيدا أسباب نجــاح القرآن الكريم فى اقناع مئات الملايين الى اعتناق الاسلام الذى هو بالتاكيد اكثر تخصصا وملائمة لمعالجة العديد من القضايا الهامة : (مثل حقيقة الله سبحانه وتعــالى) من سائر الأديان التى سبقته أن مسألة القرآن والأسلوب العلمى الذى اتبعه محمد صلى الله عليه وسلم فى تبليغ هذه الرسالة السماوية قد أثرت فيه تأثيرا كبيرا تاركا الانطباع العميق فى نفسه » .

ويقول الدكتور فاندريك نائب رئيس محكمة العدل الدولية انه درس القانون فى جامعة بروكسل وحصــل على الدكتوراه فى القانون الجنائى ثم عمل رئيسا لمحكمة العدل الدولية :

اقتنعت بأن القرآن الكريم كتــاب متفرد ليس من وضع البشر بل هو بحق كتاب الحياة والموت ومنهــاج الســماء للأفراد والجمــاعات ، فيــه كل شيء بدءا من الســلوك الشخصى للانسان الى المنــاهج الاجتماعية والاقتصادية والســياسية الرائعة للانسانية كلهــا .

واســتطيع أن أؤكد عن يقــين اننى ادركت ذاتى الحقيقية حق الأدراك وانا اقرأ القرآن فلقد وجدت فى كل آية فيه فــكرة متكاملة لا يرتقى الى قولهــا بشر ، لهذا جعلت فى نظام حيــاتى اليومية أن اقــرا كل يوم آية واتدبرها وكلما حررت عقلى من شوائبه قوى احساسى بأن هذا القرآن انما جاء من ذات عليا سامية أعلم من كل البشر ، وهى تتحدث للانســان وهى تحترم ذاته واذا استعانت فترشده الى المسلك الصحيح فى حياته . ان أهم مقومات المسلم الصحيح هو الايمــان وفهم القرآن ويعيش حياة اســلامية صحيحة ، يجب على المسلمين جميعا الالتزام بأحكام دينهم فان فيه سعادة الدنيا والفوز بالجنة وحلا لجميع مشكــلاتهم لأن منهج القرآن اعظم المناهج وأيسرها للبشرية .

أن القرآن الكريم علمنى حقيقة أن العقل له حدود وبالتالى فان على الانسان اما أن يؤمن بما جاء فى القرآن وهو غير منكره او لا يؤمن به وفى الحالتين فالانسان حر مختار ، وهذه هى عظمة الاسلام .

بعد كل هذا قوى شعور الايمــان بداخلى وتأملت مسار حياتى وكيف يعيش الانسان وما نهــايته وما هى النتيجة حيث لم تمدنى الحياة المادية بشيء يفيدنى بعــد الموت ، فضاقت نفسى بهذه الحياة وركزت تفكيرى على الهدف الذى يضــمن لى أن تمتد النهاية الســعيدة بعد الموت ولم أجد الا الله وبصدق لم اجد الله الا فى الاسلام فهو من عند الله .

لقد استمد المسلم من روح الاسلام حياته فسار فى خط مســتقيم . كل شيء عنده مرتبط بالســماء فعاش حياته بقوة الايمان مدركا أن قدره بيد الله الخالق الأعظم ، وهذا فى تصورى سر قوة المسلم وهو سر قوة كلمة (ان شاء الله) التى يرددها دائما .

كذلك فان تركيز القرآن الــكريم على الســلوك الانسانى يجعله اكثر اتصالا بالنــاس وقد أحسست أن الصلاة التى يؤديها المسلم فى اى مكان بأن المسلم يحيا بهذه الصلاة وكان فى عقلى دائما أن أؤمن بدين يرتضيه الله ، وان يكون فيه الخير واضحا بين الايمــان وعدمه ضمانا للصدق فى الاعتقاد وهذا ما وجدته فى الاسلام .

أما محمد الرسول الأمين فذلك الانســان العظيم الذى لم يعط نفسه اى ميزة برغم التفاف الناس حوله ، وانما اكد على كونه بشر متساويا معهم أمام الله (تبارك وتعالى) فى العبودية ، لقد احترم كل النــاس واحترم ذاته واستحق عن جدارة احترام الجميع » .

* * *

واذا مضينا نستعرض عطاء القرآن فى نفوس علماء الغرب نجد تعمقـا شديدا ، ربما لا يلتفت اليه الباحث المسلم أو العربى ، وانما يصل اليه من قرأ الكتب القديمة اولا وأحس بما ينقصها .

١ ـ يقول (كارادى) أن القرآن عرض لأحد عشر مشكلة هى من المؤمن مشكلات الفلسفة وأعظمها خطرا هما :

١ ـ الالوهية . ٢ ـ الوحدانية . ٣ ـ القدرة المنزهة من الانسان . ٤ ـ مخالفة واجب الوجود لكل ما عداه من الموجودات . ٥ ـ علم الله بجزئيات الكون المجردة واجزائه المتميزة . ٦ ـ استحالة ادراكه بحاسة البصر . ٧ ـ أزلية البارى . ٨ ـ ثباته . ٩ ـ بدء الخلق . ١٠ ـ مصير العالم فى الحياة الأخرى

وقد اشتمل القرآن دون غيره من أى كتاب سماوى أو دينى آخر سابق له منذ آلاف السنين على مشاهد القيامة وكيفية فساد الكون وانتهائه والبعث والحساب ووصف الجنة والنار فى تصور مخالف لأى تصور فى الذهن سابق على نزول الوحى المحمدى .

٢ ـ ويقول فارس الخورى (القانونى المسيحى السورى) أن القرآن اشتمل على اربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الشريعة الاسلامية وبأنها متفقة مع العلم ومطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية .

٣ ـ ويقول الدكتور موريس بوكاى :

القرآن معجزة متجددة ، فان الله سبحانه وتعالى حين قال : انه خلق السموات والأرض فى ستة أيام وأن معنى يوم هنا هو مرحلة وذلك لأن القرآن حدد بعد ذلك (وأن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال (فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اذن : فقد اراد الله (تبارك وتعالى) أن يلفت نظرنا الى أن اليوم عنده مخالف للأيام عندنا ، فهو يوم لا يبدأ بشروق الشمس وينتهى بغروبها ، تلك أيام الدنيا ولكن اليوم عند الله مختلف لا يعرفه الا هو ، فاذا استخدمنا المنطوق البشرى فى التفسير فان ذلك المبدأ يمكن أن يطلق عليه فترة زمنية محددة ، وتحديد الله (تبارك وتعالى) لخلق السموات والأرض ست مراحل : ينطبق على أحدث النظريات التى لا يزال العلم يلهث وراءها فالعلم الحديث يرى أن خلق السموات والأرض فى أربع مراحل ظهر الانسان فى المرحلة الرابعة منها وأن تكوين الاجرام السماوية تم على مرحلتين أما تحديد اليوم بفترة زمنية محدودة أو معينة وليس بيوم من أيام الأرض لم يرد الا فى القرآن .

* * *

واذا كانت ترجمات معانى القرآن التى قام بها المستشرقون قد ظهرت اهدافها والأهواء القائمة ورائها، فقد قيض الله تبارك وتعالى لكتابه من أهل الغرب من هم أصفى نفسا وأعمق ايمانا ، على النحو الذى يظهر فى قوة وعمق فى الترجمة التى قدمها (محمد أسد : ليوبولد فايس) حيث يقول :

لقد هز القرآن الجزيرة العربية هزا ، وجعل من قبائلها التى كانت فى حروب ومنازعات لا تنقطع (أمة واحدة) وفى بضع عشرات من السنين امتدت نظرته العالمية للانسان بعيدا خارج الجزيرة العربية ، وأتيح له أن يخلق أول مجتمع قائم على العقيدة عرفه التاريخ ، وبسبب من حض القرآن اتباعه على ابتغاء المعرفة وتنمية المدارك ، ولد فى اتباعه روح البحث وحب الاستطلاع والتقصى الحر ، وهى الروح التى نتج عنها ذلك العصر الرائع : عصر الاكتشافات العلمية والبحث العلمى اللذين وضعا العالم الاسلامى فى قمة شموخه الحضارى : تلك الحضارة التى احتضنها القرآن ورعاها حتى تغلغلت بطرق متعددة فى عقل أوربا فى القرون الوسطى وكان من ثمراتها احياء الحضارة الغربية على الصورة التى نسميها (عصر النهضة) لقد أصبح القرآن الكريم مع تطور الزمن مسئولا عن ميلاد ما يسمى (عصر العلم) وهو العصر الذى نعيش فى ظله اليوم .

كل ذلك ـ عند التحليل النهائى يرد فضله الى رسالة القرآن والى الأقوام الذين قاموا به ، وهم الذين تأثروا بدعوة القرآن واستمدوا منه الأساس الذى يقيمون عليه قيمهم الأخلاقية ويهتدون بهديه فى نشاطهم الدنيوى

اننا لا نعرف كتابا ـ بما فى ذلك الانجيل نفسه ـ أتيح له أن يقرأه مثل هذا العدد من الناس بنفس القوة وبنفس الاحترام . كذلك فانه لم يوجد كتاب آخر أتيح له أن يقدم لمثل هذا العدد من الناس ـ وعبر مدة زمنية مماثلة ـ جوابا شافيا يماثل جواب القرآن عن السؤال القديم وهو :

ماذا ينبغى على الانسان أن يفعل ليحظى بحياة طيبة فى هذا العالم وبالسعادة فى الحياة الآخرة فى نفس الوقت .

وبغض النظر عن عدد المرات التى اخطأ فيها الأفراد العاديون من المسلمين ادرك الجواب على هذا السؤال ؟ وبعض النظر من القدر الذى يعد به الكثيرون عن فهم روح رسالة القرآن ، فان الحقيقة الثابتة هى انه بالنسبة لمن آمنوا ويؤمنون به ، فان القرآن يمثل المظهر النهائى لنعمة الله التى اسبغها على الانسان ، والحكمة النهائية وقمة الجمال فى التعبير وباختصار فانه (كلمة الله الحقيقية للبشر) وأن موقف المسلمين تجاه القرآن يحير — كمبدأ عام — الغربيين الذين سيرسلون الى مهمة من خلال احدى ترجماته المعاصرة ، ففى الوقت الذى يلمس فيه المؤمن عند قراءة القرآن باللغة العربية ما فيه من روعة وجمال فان القارىء غير المسلم كثير ما يزعم انه يرى فيه نوعا من (الفجاجة) كذلك فان انسجام عناصر النظرة القرآنية الانسانية وارتباطها بحالة الانسان من حيث هى لا تحظى بملاحظته على الاطلاق ومن هنا تأخذ — خطأ — طابع ما يسميه بعض المستشرقين فى أوربا وأمريكا (بالتشويش) وفقدان التناسق . كذلك فان الآيات التى تبدو فى نظر المسلم معبرة عن أروع صور الحكمة قد تبدو للأذن الغربية (سطحية) او خالية من عنصر الايحاء وعلى الرغم من ذلك فانه حتى أشد الخصوم من بين نقاد القرآن لم يجرؤ على انكار الحقيقة ، وهى أن القرآن كان بالنسبة لملايين لا يحصيها العدد من الناس المصدر الأول للالهام بالمعنى الدينى والفكرى لهذه الكلمة ، وان هؤلاء الناس بمجموعهم قد ساهموا مساهمة بارزة فى حقل العلوم الانسانية والحضارة والمنجزات الاجتماعية فكيف اذن يمكن تفسير هذا التناقض . لا يمكن فى الواقع تفسيره باللجوء لنظريات سهلة خالية من العناء من ذلك النوع الذى يميل اليه كثير من مسلمى العصر الحديث ، حين يريحون انفسهم بالقول بأن المترجمين الغربيين يشوهون ما فى القرآن الكريم عن قصد وسابق تصميم ، اذ أنه بالرغم من الحقيقة التى لا يمكن نكرانها ، وهى أنه بين التراجم المعدودة حاليا للقرآن الكريم فى كافة اللغات الأوربية توجد الكثير بما كان الحافز وراءه تعصب حاقد على الاسلام وحماس تبشيرى مضلل ولا سيما بين ما ظهر منها فى العصور السابقة نقول بالرغم من ذلك فانه ممالا نكران له أيضا أن بعض الترجمات الحديثة للقرآن الكريم كانت من عمل علماء متحمسين للحقيقة حاولوا باخلاص وبدون أن تتحكم فيهم دوافع من الغضب المقصود أن يقدموا معانى القرآن العربى فى هذه اللغة الأوربية أو تلك ، كذلك يوجد عدد من الترجمات الحديثة للقرآن الكريم وضعها مسلمون لا يمكن أن يخطر بالبال أن يقدموا على تشويه معانى القرآن الذى هو بالنسبة اليهم كتاب سماوى منزل من عند الله .

على اننا نستطيع القول أنه لا (التراجم الحديثة) التى وضعها مسلمون ولا تلك التى وضعها الأجانب قد استطاعت أن تضع القرآن الكريم فى موضع أقرب لقلوب وعقول أقوام نشأو فى مناخات دينية ونفسية تختلف عن المناخ الاسلامى أو تكشف شيئا ولو قليلا من العمق الحقيقى للقرآن الكريم وما ينطوى عليه من حكمة رفيعه بالغة . ويمكن رد هذه النتيجة — الى حد ما — الى التعصب الواعى أو اللاواعى ضد الاسلام والذى سيطر على التفكير الغربى منذ نشأة الحروب الصليبية وشكل ميراثا خالط الفكر والشعور فى الغرب ، وترك بصماته واضحة على كل موقف ازاء كل ما له صلة بالاسلام ليس فقط بالنسبة لرجل الشارع ولكن وربما بصورة أكثر دهاء — على العلماء المختصين بدراسات يفترض فيها أن تكون موضوعية بين انه حتى هذا العمل النفسى لا يشرح بالقدر الكافى فقدان التقدير للقرآن فى عالم الغرب ، ذلك على الرغم من اهتمام الغربيين المتزايد بكل ما له علاقة بالعالم الاسلامى وهو اهتمام لا يستطيع أن يجحده أحد من الناس .

ومن المحتمل أن يكون من بين الأسباب الرئيسية لعدم توفر التقدير الكافى للقرآن الكريم فى الغرب ، تلك الصفة التى تميز القرآن — جذريا — عن شائر الكتب المقدسة ، هذه الصفة هى تركيزه على اهمية (العقل) باعتباره الطريق الوحيد الذى يفضى الى الايمان وكذلك اصراره على ترابط المجالات الروحيةوالمادية والاجتماعية للنشاط الانسانى ، أى ارتباط عمل الانسان اليومى وسلوكه الدنيوى بحياته الروحية ومصيره ، وهكذا فان عدم تقسيم القرآن للحياة الانسانية الى (روحى ومادى) يجعل من الصعب على الذين نشأوا فى ظل ديانات أخرى تشدد عادة على عنصر خارق للطبيعة وتزعم انه لابد وان يكون موجودا فى كلتجربة دينية أصيلة ، أن يفسروا النظرة (العقلية) التى ينظر بها القرآن لجميع القضايا الدينية ، وبناء على ذلك فان تداخل التعاليم الروحية مع التشريعات العملية للحياة فى القرآن ، يحير العقل الغربى الذى اعتاد على قرن التجربة الدينية بنشوة الانفعال الوجدانى ازاء الأشياء الخفية المستترة بعيدا عن ادراك الحس والعقل ، ولهذا تتولاه الحيرة حين يجد نفسه فجأة فى مواجهة المفهوم القرآنى الذى يتولى مهمة الدليل ، ليس فقط للسعادة الروحية فى الآخرة ، ولكن للسعادة فى الحياة الدنيا بكل مجالاتها المادية والروحية والاجتماعية .

وباختصار فان الغربى لا يستطيع أن يستقبل بسهولة (نظرية القرآن) القائلة بأن الحياة (باعتبارها

هبة من الله تبارك وتعـــالى) هى وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها وأن مشاكل الجســـد والعقل ومشاكل الجنس والاقتصاد ومشاكل الصلاح الفردى والعدالة الاجتماعية هى مشاكل مرتبطة ارتباطا وثيقا مع مساعى الانســـان وآماله فى حياة رضية بعد الموت .

هذا فى تقديرى هو أحد الأسباب الرئيسية الكامنة وراء الموقف السلبى الجاهل الذى يقفه معظم الغربيين تجاه القرآن . وهو أن القرآن نفسه لم يتدم حتى الآن فى اى لغة أوربية بطريقة تجعله مفهومها بوضوح ، ونحن حين ننظر الى القائمة الطويلة من الترجمات ، مبتدئين بالترجمات اللاتينية التى ظهرت فى القرون الوســـطى المتـــأخرة ، ومنتهين بالترجمـــات الموجودة الآن على كل لسان غربى ، نجد صفة مشتركة بين جميع الذين قاموا بهذه الترجمات ــ مسلمين كانوا أو غير مسلمين ــ وهى انهم جميعا قد عرفوا اللغة العربية عن طريق الدراسة الأكاديمية وحدها أى عن طريق الكتب ولم تتجلأى منهم ــ مهما علا كعبه فى الدراسة أن يعرف العربية ويفهمها كما يعرف الانســـان لغته الأصلية ــ أى عن طـــريق الاتصال (بروح) مصطلحاتها وتعابيرها اتصالا ايجابيا يتفاعل مع نفســـه ويسمعها باذن مضـــبوطه على وقع الأنغام الداخلية الكامنة تحت القشرة السماعية للكلمات والجمل ، ذلك أن الكلمات والجمل فى أى لغة ليســـت سوى (رموز) للمعانى المتعارف عليها لاشعوريا وعن طريق التصور بين هؤلاء الذين يعبرون عن تصـــوراتهم الحقيقية بتلك اللغة ، وما لم يكن المترجم قادرا على أن يعيد فى داخل نفســـه تركيب الرموز التصـــورية للغة موضوع البحث ، وبمعنى آخر ما لم يســـمعها (ترن) فى أذنه بطريقة أصيله وطبيعية وفورية ، فان ترجمتـــه ستفوت ــ بقدر قليل أو كثير ــ ادراك المعانى الدخلية للأصل الذى يترجم عنه ، وكلما كان ذلك الأصـــل عميق الغور كلما بعدت الترجمة عن روحه الحقيقية .

ومما لاشك فيه أن بعض مترجمى القرآن الـــكريم الذين أصبحت ترجماتهم فى متناول أيدى الغربيين يمكن اعتبارهم أساتذة بارزين من حيث أنهم أتقنوا دراســـة قواعد النحو فى اللغة العربية وحصلوا على قدر كبير من المعرفة بالأدب العربى ، ولكن مثل هذا التمكن من قواعد اللغة والمعرفة بآدابها لا يكفيـــان وحدهما المترجم عن اللغة العربية (ولا سيما القرآن الكريم) ولا يجعلانه فى غنى عن ذلك (الاتصال الشعورى) بروح اللغة ، وهو الاتصال الذى لايتحقق الا بوســـيلة واحدة فقط ، هو العيش مع لغـــة فى صميمها باستمرار ذلك أن اللغة العربية لغة سامية ، وفى الحقيقة أنها اللغة الســـامية الوحيدة التى بقيت حيه بدون انقطاع لآلاف من السنين ، بل أنها اللغة الوحيدة الحية التى لم يتنـــاولها أى تغيير خلال القرون الأربعة عشر الماضية ، وهذان العاملان لهما صلة قوية بالمسألة التى نبحثهـــا هنا ، اذ ما دامت كل لغة هى مجموعة من الرموز التى تعبر عن الاحســـاس الخاص لشعب ما بقيمه الحيائية ، وعن طريقته الخاصة فى التعبير عن تصوره للحقيقة ، فان من الواضح أن لغة العرب (وهى اللغة السامية التى لم يطرأ عليهـــا أى تغيير لعدة قرون) لابد وأن تختلف اختلافا واسعا عن كل ما اعتـــاد عليه العقـــل الغربى . ان الفـــرق بين الاصطلاحات العربية وأيه اصطلاحات أوربية ليس فقط مســـألة قوالب نحوية وحرفيـــة ، كما أنه لا ينحصر فى الطريقة التى يعبر عنها بالأقطار ولا فى الحقيقة المعروفة عن اللغة العربية ونعنى بها المرونة العجيبة التى تتميز بها قواعدها ، ونظامها الفريد فى الاشـــتقاق الكثير من مصـــادر الأفعال ، ولا حتى تلك الثروة الضـــخمة من المفردات التى تحتويها العربية ، ان الفرق فى الحقيقة فى (روح اللغة) وفى احســـاس أصحابها بالحيـــاة وهو الاحســـاس الذى ينعكس بطبيعة الحـــال على اللغة باعتبارها وسيلة التعبير .

وما دامت لغة القرآن العريقة ، هى اللغـــة التى بلغت نضجها الكامل فى الجزيرة العربية منذ (١٤ قرنا) فانه من الطبيعى أنه لكى يستوعب المرء (روح) هذه اللغة بصورة صحيحة فلابد من أن (يسمع) هذه اللغة وأن (يحس) بها تماما كما سمعها وأحس بها العرب فى الوقت الذى نزل فيه القرآن الكريم ، وأن يفهم المعانى التى أعطوها هم للرموز اللغوية التى اســـتخدموها فى التعبير بهذه اللغة .

اننا نحن المسلمين نؤمن ايمانا قطعيـــا بأن القرآن الكريم هو (كلمة الله) التى ألقاها الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم بلسان بشرى هو لسان الجزيرة العربية، لسان أقوام منحتهم الصحراء بأمادها الفسيحة الواسعة ما تمنح سكانها عادة من صفات الذكاء وسرعة البديهة الفذة ، لسان قوم تتابع الصور الذهنية فى عقولهم بدون عناء ، موجة فى أثر موجة ، وفى تلاحق سريع يقفزون معه أحيـــانا ــ بطريقة اضـــمارية ــ عن بعض الأمور المتصلة بالحديث وكأنها مفهومة من تلقاء نفسها الى حيث ينتهون الى الفـــكرة التى يريدون التعبير عنها . هـــذا الاضمار الذى يعرفه اللغويون العرب (بالانجاز) هو ميزة أصـــيلة ثانية فى اللغة العربية وبالتالى فى عربية القرآن الكريم الى الحد الذى يجعل من المستحيل على المرء أن يفهم أساليبها ومضامينها الداخلية دون أن تتوفر

لديه القدرة على أن يستعيد لنفســه وبطريقة غريزية استيعاب نفس (الأخطار الاضمارية) المتصلة بالموضوع

وهذا كله لا يعنى — بطبيعة الحـال — ان غير العربى لا يسـتطيع مطلقا أن يفهم العربية (بروجهـا الأصيلة) انه يعنى فقط انه لا يستطيع التمكن من اللغة العربية من خلال الدراســة الأكاديمية وحدها ، ولكنه يحتاج ، الى جانب هذه الدراسة الى (احســاس) عزيزى بمعانيها وقد يحدث كثيرا الا يستطاع الحصول على هذا الاحساس بمجرد العيش مع العرب المعاصرين الذين يسكنون المدن ، أو على الرغم من أن كثيرا منهم — ولا سيما المثقفين — ربما يستطيعون تحقيق الاتصال الوجدانى بروح اللغة ، فان من النادر ان تتوفر لديهم القدرة على نقل هذه (الروح) للآخرين وذلك لسبب بسيط هو انهم — بغض النظر عن المستوى الرفيع الذى بلغوه فى دراسة اللغة ، فان اللهجات العامية التى ظلوا يتخاطبون بها عبر قرون من الزمن قد افسدت السنتهم ، وابعدتهم عن العربية الفصحى » .

* * *

وهكذا تخطى القرآن الـكريم مرحلة محاكمته فى الغرب من قبل المستشرقين والمبشرين ورجال اللاهوت والمستعمرين، بأثاره الشبهات والاتهامات حوله واستطاع أن ينتقل فى قوة الى مرحلة العطاء لذوى العقول ونوابغ المفكرين الغربيين الذين استطاعوا أن يتحرروا من ربقة التقليد والتبعية للفكر اللاهوتى بعد أن تكشف اضطرابه وسقوطه فى هوة المتغيرات بالحذف والاضافة وبعد أن تكشف مجافاته لحقائق الكون والفطرة وتعارضـه مع معطيات العلم الحديث نفسها .

* * *

رابعا : القرآن وعصر الاعجاز العلمى .

كان الاعجـاز العلمى والاعجـاز الطبى من اكبر ظواهر عطاء القرآن الكريم فى العقدين : الأخير من القرن الرابع عشر والأول من القرن الخامس عشر الهجرى .

ولقد تفجرت هذه الظاهرة فى عديد من المؤتمرات التى عقدت فى بعض العواصم الاسلامية وحضرها عدد من علماء التجريب والطب الغربيين الذين دخل كثير منهم فى الاسلام ايمانا واقتناعا بأن حقائق العلم الحديث التى اكتشفت القرن الأخير قد وردت فى القرآن منذ أربع عشر قرنا مفصلة وفى عشرات المواضع وأبرزها فى مجال خلق الانسان وأطوار نموه وقد شغل عدد من العلماء المسلمين بهذه الدراسات وفى مقدمتهم الشيخ عبد المجيد الزندانى الذى القى عديدا من المحاضرات فى الجامعـات ودوائر العـلم وقام بعدد من المسـاجلات والمنـاظرات مع المتخصصين فى مجال العلوم المختلفة من المسلمين وغير المسلمين حول مواضيع الاعجاز العلمى فى القرآن وقد اتسعت دائرتها بصورة ملحوظة بانعقـاد المؤتمر الطبى عن الاعجاز العلمى فى الرياض والقاهرة وكراتشى .

وقد ادى هذا الأسلوب الى ايمان كثير من الباحثين من علماء الغرب الذين تأكدت لهم حقيقة الايمان بصحة ما جاء فى القرآن الـكريم عن طريق بحوثهم التجريبية وخبرتهم العلمية .

* * *

وقد تمكن العلماء المسلمون من ابراز آيات الاعجاز فى كثير من المجالات العلمية والكونية مما لفت البـاحثين الى هذا الموضوع واصبحوا يقارنون ويوازنون بين ما جاء به الاسلام وما بين أيديهم من علوم عصرية .

فتحـدثوا عن علوم الأرض — الأجنـة — لحوم الخنزير — الصيام ، قدرة الخالق على ايجاد توازن خاص لمسـتوى الجلكوز فى الدم ، بصمة الاصـبع ، كفاءة عضلات القلب عند المصلين بالمقارنة مع الذين لا يتيمون الصلاة وعن أشياء كثيرة اثبتها القرآن منذ ١٤٠٠ سـنة ولم يعرف الانسان عنها الا قليلا فى عصرنا الحديث وقد دعا هذا الى تكوين أول هيئة تأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ليكون تركيزا جديدا للدعوة الاسلامية فى مجـال العلوم بمختلف انواعهـا وقطع الطريق امام العلمانيين الذين أرادوا عزل الدراسات الاسلامية عن بعثة العلوم ويكون حقا للمسلمين أن يزدادوا ايمـانا على ايمانهم ويكون حقا للبشرية الجائرة بعيدا عن الدين ليصلوا أجيـالهم بدين هو الحق يدعو الى العلم ويكرم العلماء ، وقد تعـالت الدعوة بالتروى والتثبت بحيث لا يعلن للعالم الا ما يتفق مع ما جاء فى القرآن الـكريم والسنة المطهرة على نحو ما تحدث الشيخ بابكر ادريس

* * *

نشر الدكتور كيث مور رئيـس قسـم التشريح بجامعة تورينو بكندا كتابه (عن الاعجاز العلمى فى القرآن) أبدى فيه دهشـته البالغة ازاء التصـور الدقيق الذى وصـف به القرآن مراحل تطور الجنين منذ أربعة عشر قرنا وهو أمر لم يتمكن الخبراء الغربيون من معرفته الا منذ السـنوات القليلة الماضـية : قدمه فى دراسة الى

جامعة الملك عبد العزيز عن اســـهام الاحاديث النبوية الشريعة فى تقريب الفجوة بين الدين والعلم) .

ولكن العجب هو ما قوبلت به هذه الأبحـــاث فى الغرب من حملة ضـــارية شرسة ، ازاء مجمـــوعة من الحقائق التى كشـــف عنها العلم مما أثبته القرآن قبل أربعة عشر قرنا مما هو ليس من قبل النظريات بل هـــو من الحقـــائق العلمية المؤكدة التى مهما تحول العلم أو واجهته المتغيرات فانه لن ينقض هذه الحقائق .

وقد نشرت مجلة الدراسات العربية والاســـلامية عام ١٩٨٥ (التى يصدرها المعهد البابوى) حملة ضارية على الاعجاز العلمى للقرآن الكريم حيث تقول ان الحديث عن الاعجاز العلمى للقرآن بدعة اختلقها دكتور موريس بوكاى وان المســـلمين اعجبتهم هذه البدعة المســـاعدة فطاروا بهاهنا وهناك .

يقول الشيخ محمد الغزالى فى التعليق على هـــذا الخبر : هـــذا كلام باطل فما كتبه موريس بوكاى أواخر السبعينات من هذا القرن لم يأت بجديد يفاجئنا بروعته بل اكد ما كان معروفا لدينا والحديث عن الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم كان شائعا قبل ذلك بنصـــف قرن وقد كان الأستاذ محمد احمد الغمراوى ســـنة ١٩٣٧ يدرس كتابه (سنن الله الكونية) فى الســـنة الأولى من كلية أصول الدين بالقاهرة وما أدرى أكان موريس بوكاى ولد أم لا فكيف يقال انه صاحب (مودة) الاعجاز العلمى .. كذلك فقد صدر كتاب احمد حنفى أواخر الخمسينات قبل بوكاى بزمن طويل .

ويؤكد الشيخ محمد الغزالى ان القرآن وحده من بين الكتب الأخرى هو الذى ينســـب اليه الاعجـــاز . ويتساءل هل وصف اهل دين ما سوى المسلمين كتابهم بانه معجزا ، ان التحـــدى لم يقع الا بالقرآن وحـــده (قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أما الكتب الأخرى فلم ينسب الى نفسها اعجازا علميا ولا بلاغيا ولا نفسيا وعرضت ما بها وكفى ومن ناحية أخرى فان النظريات العلمية لا تفسر بها الآيات القرآنيـــة ذلك ما رآه علمـــاؤنا فان النظريات قبلة للتعبير ولا تعرض القرآن لظنون رجراجة أما الحقائق العلمية فانهـــا اذا وافقت كتابنا كانت تفسيرا حسنا له ، بل كانت تفسيرا عمليا لقوله تعالى :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) .

ويرد الشيخ محمد الغزالى على دعاوى المعهـــد البابوى حين يقول أن التفسير العلمى الذى ظهـــر بين المسلمين هو محاكاه للمحاولة المســـيحية التوفيقية بين التوراة والعـــلم التى وقعت فى القرن التاســـع عشر ، ويقول : ان هذا الادعاء جراه بالغة فليست بين القرآن والعلم فجوة تحاول ردمها ولا مســـافة نبغى تقريبها أو محوها ، انما الفجوة العميقة والمسافة الشاســـعة هى بين العلم وبين التراث الدينى الذى تركه كاتبوا العهد القديم ويستحيل عقلا ونقلا أن تنجح أى محاولة للتوفيق بين الطرفين ذلك أن الخـــلاف بينهما علمى وعقائدى وأخلاقى وتاريخى واكاد اجزام بأن مؤلفى هـــذه الكتاب جمعت بينهم نية مشتركة فى تلطيخ مسيرة الأنبياء ونسبة المناكر اليهم وابراز حقيقة الدين ــ بعد سقوط قادته ــ كالحة رديئة ويشير الشـــيخ الغزالى الى مدى الفارق البعيد بين صور التجسيم التى جاء بها العهـــد القديم والتى جرت مصالحتها مع العلم وبين مفهوم الاسلاللعلم .

واشار الى ما تأخـــذ به الآخرين من تخبط فى فهم الألوهية والنبوة ومعنى الوحى ومعنى التاريخ ، ويكفى أن يقال لمحرر مجلة الفـــاتيكان أن يعلم أن مفكرى أوربا احصوا مئات الأغلاط فى هذه الكتابات ورفضوا نســـبة قداسة ما اليها هل من قداسة النص أن يقال : ان الله صنع قوس قزح عند نزول الأمطار كى يتذكر فلا يترك المطر يهطل حتى لا يحدث فيضـــان آخر فانه ندم على الفيضان القديم (آله ذاهل يحتاج الى منيه) .

ويتساءل الشيخ محمد الغزالى : ترى ماهى محاولات التوفيق بين العلم والتوراه التى بدأت مع القرن التاسع عشر وهل هذه المحاولات هى التى نقلدها نحن المسلمين عندما نتحدث عن اعجاز القرآن ونجعل التفسير العلمى نوعا من التفاسير الخادمة للوحى الأعلى ويؤســـفنا أن محرر صحيفة الفـــاتيكان يهزل وهو يهاجم القرآن وراء نسيج من بيوت العنكبوت .

* * *

وكأنما شاءت الأقدار أن يشار للكتاب الذى افترى عليه المفترون وهو يعرض فى مؤتمر عالمى فى القـــاهرة حضره علماء من نيف وعشرين دولة وقدم فيه نحو ثلاثمائة بحث ورأينا الراسخين فى أهم علوم العصر يستمعون فى وعى الى ما يقـــال فلما رأو الصـــوت الذى انبعث منذ خمسة عشر قرنا يتحدث اليهم حديث خبير بأسرار الحياة عليم بقوى الكون والانسان لانت قلوبهم لذكر الله فمنهم من ذهب الى الأزهر ليعلن اسلامه ومنهم من قرر متابعة الدراسة مع اخوانه وهو مبهور بما أفاد .

الدكتور بريسو أستاذ التشريح يقول : ان تحقيقه لبعض الآيات والأحاديث اشعره بأن القرآن وحى الله الى محمد يقينا فمن اين أتت هذه المعارف التى صدقتها كشوف العصر الحديث ويتساءل الدكتور مارشال جونسون : لماذا لا يكون محمد نبيا ومعه هذا الكتاب المشحون بالنظريات الصائبة الى العالم وقواه وأسراره التى تجلت لنا القرن العشرين .

نقول : هل أحق منه بالنبوة من تقرأ التراث المنسوب اليهم فلا تجد به الا محنة العقل والضمير ودسائس الحقد والجهل .

يقول الدكتور كيث مور أستاذ علم التشريح واحد الخمسة الأوائل من علماء الأجنة وله مؤلف مترجم الى ثمانى لغات : تصنيفنا لأطوار الجنين لم تعرف الا فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرآن وقد اعطيت مراحل التخلق فى بطن الأم أرقاما وحروفا أبجدية لها معنى لها ولكن الدراسات الحديثة المقارنة لعلم الأجنة وللقرآن والسنة أسفرت عن مصطلحات أصلح وانفع تعتمد على الشكل الذى يمر به الجنين شكل النطفه والعلقة والمضغة والعظام وكسوة العظام باللحم ، ثم طور النشأة الأخرى ، وعرض الدكتور صورا تبرز هذه الأطوار وفق ما ذكر القرآن الكريم من خمسة عشر قرنا .

يقول : وبحوث اليوم كثيرة وبحوث الغد أكثر انى احسن الظن بالفطرة الانسانية ما دامت تسترشد بالوحى الالهى وتتحرى مرضاة خالقها .

* * *

وحول الاعجاز العلمى للقرآن الكريم ، اثبت الدكتور التونسى زهير قرامى فى المؤتمر الدولى للاعجاز الطبى محرم ١٤٠٦ — ١٩٨٥ (القاهرة) بأن المكانة الرئيسية لصلاة العصر فى القرآن والسنة ، وان عدم صلاة العصر تعد سببا من أسباب الاصابة بعدة أمراض نفسية وجسدية ومن بين الأمراض التى يكون اهمال صلاة العصر سببا فى حدوثها : ضغط الدم ، عصاب القلب ، السمنة المفرطة ، الغدة الدرقية ، الاجهاض المبكر ، العجز الجنسى ، عسر الحيض ، الصداع النصفى .

قال الدكتور زهير قرامى : ان احد الأسباب التى جعلتنى ادخل فى الاسلام هو معجزة (الصلاة الوسطى) تقدمت عنها بحثا وهى أن صلاة العصر تعالج أمراضا عضوية عويصة وهى الأمراض النفسية الجسدية بدلالات طبية قاطعة .

(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) (والعصر ان الانسان لفى خسر) .

هذا التخصيص لصلاة العصر — ذكرت الصلاة مقرونة بالصبر والقنوت والذكر والخشوع فى أكثر من ٦٠ موضعا فى القرآن الكريم وأشير هنا الى الترابط بين صلاة العصر والساعة البيولوجية للجسم والساعة البيولوجية هى مركز فى المخ أو النواه فوق البصرية ، ونجد أن كثيرا من النشاطات العصبية والفردية تتوافر حسب نظام ثابت فى الزيادة والنقصان وتتكامل فيما بينها حتى يؤدى الجسم وظائفه فى ملامسه التغيرات الخارجية المؤثرة فيه وقد وجد أن هناك هرمونين رئيسيين دورهما احداث التحولات اللازمة لمواجهة حالات الطوارىء وآثارها البيئية والنفسية وان كانت لهما أوقات مختلفة فى الساعة البيولوجية وهى الكورتيزن والأردينالين ينشط فى حالات الحركة والحيوية والانفعال وغيرها ، وتمنع صلاة العصر تلك الأمراض التى تحدث لارتفاع الهرمون حيث تخفضه ، حيث تحدث صلاة العصر حالة استرخائية تنبه (حصان البحر) وهو جزء من المخ وتستطيع صلاة العصر أن تغنى عن ما تستهلكه المستشفيات وهو ما يعادل ٥٠٠ طن من المسكنات للأعصاب سنويا .

كيف واجه القرآن الكريم الفكر البشرى وكشف زيفه .

(ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) (ونزلنا عليك القرآن لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) .

وهكذا تناول القرآن عديدا من القضايا التى كانت مثارة بالنسبة للوثنيين وعبدة الأصنام والرد على الدهريين ، والرد على أهل الكتاب وتعرض لمسائل عديدة كانت مثارة على منابر الجدل والخلاف فحسم الأمر فيها جميعا .

وخاصة ما جاء فى الفلسفة اليونانية وتصور فلاسفة الاغريق للألوهية ، وكذلك تصور بعض الكتب القديمة وخاصة ما يتعلق بانتظار علم الله تبارك وتعالى للجزئيات او ما يتردد من انه سبحانه خلق العالم وأدار له ظهره او ما قيل من انه خلق العالم فى ستة ايام واستراح فى اليوم السابع .

وقد أورد القرآن الكريم ردودا حاسمة على هـذه الشبهات :

ـ ويعلم ما فى السموات والأرض وما تسـقط من ورقه الا يعلمها .

ـ (ولقد خلقنا السموات والأرض فى سـتة أيام ومامسنا من لغوب) أول وقد جاء الاسـلام مهيمنا على الأديان وجاء القرآن مهيمنا على الكتب .

وقد رفع الله تبـارك وتعالى الكتب القديمة بعـد أن عجز أهلها عن المحـافظة عليها ، وجاء القرآن بخير ما كان فيها (ما ننسخ من آية أو ننسـها نأت بخير منها أومثلها) .

وقد أشار القرآن الـكريم الى أن الأديان كلهـا جاءت مقدمات للدين الخاتم وقد أخذ العهد على الأنبياء أن يؤمنوا بالنبى الأمى الذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل . (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنين به ولتنصرنه) الآية كما أشار القرآن الى ظاهرة (تحريف الكتب المنزلة) .

ومحاولة سيطرة الفكر البشرى : الوثنى الاباحى بمفاهيمه عنالمرأة والمجتمع وانبعاثالأساطير والخرافات القديمة .

وقد رد القرآن الكريم كل شبهات الوثنية وفصل ذلك تفصيلا جامعا .

أولا : عبـادة الأوثان وعبـادة القمر والشـمس والكواكب (الم تر أن الله يسـجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشـمس والقمر والنجوم والجبـال والشجر والدواب) الآيه .

ثانيا : الخضوع للقوى الطبيعية وهى من خلق الله تبارك وتعالى وأنها خاضعة للانسان بأمر من الله .

(الم تر أن الله سـخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره) ـ (وهو الذى سخر البحر) .

ثالثا : ركز القرآن الكريم على عبـادة الكواكب حيث كانت قيس تعبد كوكب الشعرى فقال تعالى (وهو رب الشعرى) .

وكانت كنانة تعبد القمر والشمس (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) .

وكانت سبأ تعبد الشمس .

رابعا : كانت بلاد العرب وقت نزول القرآن تعبد ديانات متعـددة . اليهودية والنصرانية والمجوسـية الصابئة والحنيفية وقد ذكر الله هذه الأديات كلهـا فى القرآن ما عدا الحنيفية وفى مواضع كثيرة من سـور : البقرة والحج والمائدة .

* * *

خامسا : اليهود والنصارى (أهل الكتاب) .

رد القرآن على جميع معتقداتهم ومقولاتهم فى أربع مواضع :

١ ـ سورة النساء .

٢ ـ ثلاث مواضع فى سورة المائدة .

٣ ـ كشف القرآن القنـاع عن أخلاقهم بشىء من التفصيل فى سورة التوبة : (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضـاهئون قول الذين كفروا من قبـل) أى أنهم تبنوا مقولات الأمم الوثنية وأن الأمة التى احتفى النصـارى أثرها فى تبنى هذه المقولات هم المصريون القدامى .

وقد كشف القرآن عن غلو النصـارى واليهود فى مقولاتهم :

١ ـ يا أهل الكتـاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله غير الحق .

٢ ـ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسـيح ابن مريم .

٣ ـ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة .

٤ ـ يا عيسى بن مـريم : أأنت قلت للنـاس اتخذونى وأمى الهين من دون الله (الآيه) .

الآية الأولى ترد على الطائفة المثلثة التى تعتقد فى استقلال الأب والابن وروح القدس بالألوهية .

الآية الثـــالثة ترد على النسطوريين والملـــكانيين (الكاثوليك) الذين يزعمون أن الأب آله تام والابن مزدوج من اللاهوت والناسوت ، أما روح القـــدس مهو اقنوم ثالث للألوهية .

والآية التى فيهـــا الوهية مريم ترد على الطوائف التى كانت تعبد مريم مع الاقانيم الثلاثة على انها ام الآله .. وقد اختلفت الطوائف المسيحية حول الأقانيم الثلاثة قبولا لها او لبعضها وآيه (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ، وقالوا آالهتنا خير ام هو) تكشف فساد دعوى النصارى بأن النصرانية كان لهـــا قبول فى بلاد العرب .

٣ ـــ كما رد القرآن الكريم على العقيدة المجوسية وكان المجوس يؤمنون بالهين اثنين ، الشر والخير والنور والظلمة (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انمـــا هو اله واحد) .

(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) .

٤ ـــ الصابئة : وقد نشأت هذه الطائفة فى بابل على عبـــادة الكواكب وعبادة الأرواح ، ثم تسربت الى بابل يهودية بنى اسرائيل ومجوسية الفرس وفلاســـفة اليونان ومســـيحية الروم وكانوا يؤمنون بالله الواحـــد ولكنهم يرون أرواح الكواكب وسائط بين الله وعباده ، كانوا يعبدون الكواكب صباحا حتى مطلع الشمس وفى الظهيرة عندما تزول الشـــمس . قال القرطبى : دينهم مركب من اليهودية والمجوسية (موحدون يعتقدون بتأثير النجوم) وكان دين الصابئة قبل ظهور النصرانية فيهم ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الاســـلام وأصل ديانة الصابئة هى الكلدانية التى تقوم على أساس عبادة الكواكب وقد وردت كلمـــة الصابئين فى القرآن (فى سورة البقرة ، المائدة ، الحج) وأول رسول جاء لهداية الصابئين هو ابراهيم (أور ـــ حران) وقد وردت قصة ابراهيم مع الكواكب فى سورة الأنعام .

(الـــكواكب ـــ الشـــمس ـــ القمـــر) ولم يكن الصابئة ينكرون الله بل يشركون به وكان العرب قـــد نسبوا كل حادثة طبيعية من حوادث العلم الى الكواكب وكانوا يزعمون أنه اذا سقط نجم طلع نجم آخر ، وكانوا يسمونهم الأنواء ، قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل : أصبح من عبـــادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال أمطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب واما من قال امطـــرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب .

٥ ـــ وقد اقسم الله تباركوتعالى بـ (مواقع النجوم) (فلا أقسم بمواقع النجوم) [سورة الواقعة) (الشمس وضحاها والقمر اذا تلاها) (الشمس) (والســـماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) (الطارق) (والنجم اذا هوى) (النجم) (والقمر اذا اتســـق) (الانشـــقاق) (فلا اقسم بالخنس الجـــوار الكنس) (التكوير) .

اقسم الله بهـــذه النجوم والكواكب لأنها تشـــهد بنفسها لوجود الله تبارك وتعالى وصنعته وعبوديتهـــا وخضوعها فهذه الآيات تنكر العقيدة الباطلة .

والفرق بين عباد الكواكب والصابئة : انهم يرون الكواكبآلهة بذاتهـــا والصـــابئون يقرون بالله تـــبارك وتعالى ويرون الكواكب مظاهر له .

وقد حرر القرآن هذه المواقف تماما .

(الم تر ان الله يسجد له من فى السموات والأرض) (الآيه) (ومن آياته الليل والنهـــار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) (السجده) .

(وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى) (لقمان) .

وقد تواترت الآيات القرآنية تذكر تسخير الشمس والقمر ولا سيما فى سور (الرعد ـــ الزمر ـــ العنكبوت، ابراهيم) وهـــذا التـــكرار ينم على ان العـــرب كانوا متهالكين على عبـــادة الشمس والقمر وكان الصـــابئون يعبدون الملائكة والأرواح . (ملخص عن بحث لأحـــد علماء الاسلام) .

***

وأبرز العلاقات بين الكتب السماوية السابقة على القرآن :

أولا : حملت الكتب الســـماوية السابقة للقـــرآن بشارة محمد صلى الله عليهوسلم ودعوتهم الى الايمانبه اذا لقوه (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) . (آل عمران)

ثانيا : ان القرآن جاء مطابقا لما ورد فى الكتب السابقة (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه) .

ثالثا : ظهور الاسلام علامة على اظهاره على الدين كله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وان يكون كتابه القرآن مهيمنا على الكتب كلها (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) المائدة .

* * *

تميز اسلوب القرآن وبروز ذاتيته الخاصة فى جميع مجالات الفكر .

أولا : لقد ناقش القرآن الكريم اهل الكتاب فيما انحرفوا فيه حول العقيدة وما أثاروه من خلافات واساطير ومن أباطيل وترهات . ورد على افتراءات اليهود الذين حاولوا أن يلصقوها بعيسى بن مريم وأمه الطاهرة وحسم التضحية فى مسائل الصلب والتثليث والخطيئة وصحح العقيدة من كل ما يثار حولها من تعدد أو تثليث أو وثنية وقرر حقيقة التوحيد الخالص الذى يدين به المسلمون وبرأ ذات الحق تبارك وتعالى عن الولد والشريك .

ثانيا : قدم القرآن الكريم الأسس العامة للتقدم : فأعلن :

١ — أن التقدم أساس التوجيه القرآنى .

٢ — تحرير الانسان من الخوف .

٣ — قيام العقل البشرى بواجبه ومسئوليته .

٤ — الأخاء الانسانى .

٥ — جماعية التقدم : روحيا وماديا .

٦ — الأصالة والتجدد معا .

٧ — تكامل الثوابت والمتغيرات .

٨ — ترابط الروح والمادة .

ثالثا : الفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الفلسفات .

فقد نزل القرآن الكريم على أسلوب من الكلام لا يضارعه أسلوب قبله ولا بعده من كلام البشر فلا هو شعر ولا سجع ملتزم ولا هو مزاوجه دائرة ولا هو نثر مرسل ارسال الحديث ولا هو خطابه ، وتتنوع طرقه فى الاقناع تنوع طباع المخاطبين به ، فهو اما استدلال على حقائق الأمور بالأمور المشاهدة فى خلق السموات والأرض أو بقياس الغائب على الحاضر أو البرهانات النظرية ولذلك فقد اختلف أسلوب القرآن عن الفلسفة والمنطق السفسطائى ٢ — وعن الأساطير والقصص ٣ — وعن لغة السحر والطلاسم .

* * *

رابعا : قدم القرآن الكريم :

١ — المنهج التجريبى فى مواجهة منهج القياس اليونانى .

٢ — منهج الغيب (الميتافيزيقا) .

٣ — منهج تحرير الانسان من العبودية اليونانية والفارسية .

٤ — منهج بناء الأمم والحضارات وسنن الله فيها .

٥ — منهج التوحيد الخالص .

٦ — منهج المعرفة ذى الجناحين فى مواجهة الانشطارية .

* * *



الباب الثانى

الحملة على الشريعة الإسلامية والسنة

١ ــ مدخل الى البحث

٢ مصطفى مرعى : التشكيك فى اصالة الشريعة

٣ ــ حسين احمد أمين

٤ ــ الشبهات المثارة حول الشريعة

- ١ ــ الحكومة الدينية
- ٢ ــ تطوير الشريعة
- ٣ ــ قصة الحدود
- ٤ ــ الحكم الاسلامى

٥ ــ دحض دعاوى باطلة

٦ ــ تساؤلات اعداء الشريعة

الفصل الأول
مدخل إلى البحث

ان هـذه الحملة المسعورة الموجهة الى الشريعة الاسلامية فى هذه المرحلة من حياة أمتنا هى من علامات الصـحة والوعى ، ذلك أن صـيحة المطالبة بتطبيـق الشريعة الاسلامية هى الآن مطلب قومى بالاضافة الى أنه مطلب اسلامى محض لمصر التى حملت لواء الدعوة الاسـلامية والحضـارة ورائدة الشرق كلـه فى مختلف المجـالات وعلى مدى العصر خلال اربعـة عشر قرنا لا يجوز لهـا أن تتخلف فى أمر هو عـز للوطن وللعرب وللاسلام .

ولما كانت مصر قد خطت فعلا خطوات واسـعة فى مجال تقنين الشريعة الاسلامية وليس من الحق أنهـا تراجعت عن هذا الطريق ، بل هو الطريق الوحيد الذى يؤمن لهـا اقامة المجتمع الكريم القـادر على حمل أمانة العمل والانتاج والذى يحل لهـا كل مشاكل الاقتصـاد والتجارة والتنمية والتعامل الداخلى والخارجى .

ومن ثم فان هذه الحملة المسعورة التى تحفل بهـا الصحف اليوم والتى تحاول أن تشوه نضارة هذا الوجه الكريم والتى تحمل سموم التشكيك والاثارة وتتحدث عن مخاطر موهومه ، انما هى حملة غير صادقة الوجهة فى خدمة هذا الوطن أو الدفاع عنه أو حمايته من الأخطار الخارجية وهى غير راغبة فى أن يمتلك ارادته أو يحقق وجوده القوى القادر على بنـاء الحضارة المتجددة ذات الأصـالة وهى تهـدف الى تعويق الوطـن (المصرى والعربى والاسـلامى) عن الخطوة المرتقبة التى تتطلع اليها البشرية كلها للخروج من المأزق الذى تقاسى منه الحضارة الغربية حين دفعت الانسانية الى هوة الانحلال والتمزق والاغتراب ، هذا الامتداد الاسلامى الذى يقدم للبشرية منهجه الكريم الأصيل من خلال التجربة المصرية : هذه الأمة التى تنبأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهـا تقدم خير أجنـاد الأرض وأنها فى رباط الى يوم القيامة .

واذا كانت قضية (تطبيق الشريعة) هى الورقة الرابحة فى كل تمثيل نيابى فان كل هذه الصيحات المثبطة والمشككة لن تسـتطيع أن تؤثر فى هذا التيار الأصـيل المؤمن بعظمة الشريعة الاسلامية وبسلامة الوجهة الى العمل لتطبيقها وحسن القصد الى التطلع لمجتمع ربانى أصيل .

واذا كانت هناك اقطار اسلامية كثيرة قد بدأت فى تطبيق الشريعة الاسلامية (المملكة العربية السعودية ، والسودان وباكستان وايران) فاننا نعتقد أن مصر بفضل الله قادرة على أن تقدم للعـالم كله الصـورة المثلى والتجربة الثرية وكذلك كانت فى كل مجـالات النهوض والتقدم على مدى العصور .

والمجتمع المصرى الآن مسـتعد تماما ليقبل هـذه الخطوة وليس فى حاجة الى مرحلة اعداد كما يروج بعض المثبطين وأن هناك قدرا كبيرا من الوعى القادر على سد جميع الثغرات التى يتعلل بها البعض ويرونها وسـيلة للتعويق أو التشكيك ولا ريب أن هنـاك اناسا وقوى كثيرة لا يرضـيها هذا الاتجـاه وهى من أجل ذلك تثير الشـبهات ولكن الأمر فى الحقيقـة هو أمر هـذه الأمة والمسئولية الكبرى المعلقة فى رقاب الجميع ايمـانا بأن الاسـلام هو الحل وأن الشريعة الاسلامية هى المخرج الوحيد لمـا يواجه مجتمعاتنا من أزمات وما يرتطم بهـا من معوقات .

وقد تبين أن هـذه الوسائل التى تجرى من أجـل قطع داء الجريمة والفساد لا فاعلية لهـا وأن الوسـيلة الحاسمة الوحيدة هى تنفيذ قانون الله تبارك وتعالى .

ومن البديهيـات أن الأمـر فى تطبيق الشريعـة الاسلامية ليس هو الحدود ، (قطع يد السارق ورجم الزانى) وحدها ولكن هو اعادة بنـاء هذا المجتمع على

كلمة الله ، ليشمل جميع جوانبه وأموره فى قوانين مدنية ، وتجارية ، وعقوبات وكلها متكاملة وانه ليس من الحق أن تقطع يد السارق فى مجتمع لا يتوافر فيه الكفاية ، أو أن الشريعة الاسلامية هى محاولة للعقاب والتعذيب . ان الشريعة الاسلامية ترمى فى حقيقتها الى حماية المجتمع من وقوع الجريمة وليس تنفيذ العقوبة بعد وقوعها ، أنها ترمى الى الحيلولة دون الجراة على حدود الله وأن ذلك كله يجرى فى اطار واسع من الرحمة والسماحة ، أما الذين يهاجمون الشريعة ويتهمونها بالغلط والجهامة فانهم يثيرون الغبار من أجل أهواء وغايات خاصة وليس من أجل حماية هذه الأمة أو سعادتها ، وهى محاولات مضللة لن تصل الى شىء فان الوعى بعظمة الشريعة الاسلامية المبثوث فى النفس المسلمة اليوم قوى وعميق ولن تستطيع هذه المحاولات أن تقضى عليه أو تخلق حوله جوا من الشكوك والأراجيف ، فليكف هؤلاء الموقدون للنار أيديهم وليعلموا أنهم انما يعترضون على أمر يرضى عنه الله تبارك وتعالى ويحقق لهذه الأمة نهجا طيبا مباركا ويفتح للمسلمين عصرا جديدا من امتلاك الارادة واقامة المجتمع الربانى والانطلاق الى بناء الحضارة الاسلامية المتجددة .

(مايو — يوليو ١٩٨٥)

* * *

(٢)

استأنف الكتاب التغريبيون جولة أخرى هذه الأيام ليشنوا حملة ضارية على الشريعة الاسلامية تحت ستار حرية الصحافة ، ويحمل لواء هذه الحملة الصحف القومية ويقودها المشرفون عليها وأهمها : الأهرام وروزاليوسف والمصور وهى تتسم بالحقد والرعونة والتشفى والكراهية الشديدة للاسلام .

جاءت هذه الحملة بعد أن وجه رئيس مجلس الشعب مسألة قوانين الشريعة التى جرى اعدادها سبع سنوات كاملة وجهه الاغراق والتمييع بدعوى أنه لم تكن هناك قوانين وانما كانت دراسات وبالرغم من أن أعضاء مجلس الشعب حملوا معهم الى المجلس صورا من هذه القوانين ، جاء ذلك الموقف بعد تغير الوضع فى السودان حيث بدأت الحملة فى صحف الغرب على الوجهة الاسلامية بدعوى أن تطبيق الشريعة فى السودان هو الذى عجل بالقحط والفساد وانهيار الوضع وهو اتهام باطل وظالم . وقد جردت أقلام كثيرة سلاحها لمواجهة مطلب تطبيق الشريعة بألوان مختلفة من ردود الفعل الحاقدة التى يبدو أنها تحمل وجهة نظر الماركسيين والعلمانيين والماسون والتغريبيين جميعا كأنما وجهت اليهم دعوة من خصوم الاسلام فى الغرب لتحقيق هذا الهدف فى الوقت الذى لا يملك فيه أصحاب الدعوة الاسلامية منابر موازية تمكنهم من الرد واقرار الحق ، وبالرغم من أن البارزين على الساحة من العلماء الذين يتحركون ضمن وضع معين والذين لا يستطيعون حرية الحركة ولا يملكون القدرة للدخول فى هذه المعركة مع منظرين ماركسيين مدربين على الجدل والقفز على الحبال والتنقل بين المواضيع واثارة الشبهات دون أى تقدير للمنهج العلمى فى البحث .

والظاهرة العجيبة أن الذين يحملون لواء هذه المعركة هم اما ماركسيون أو علمانيون لم يدرسوا الاسلام دراسة صحيحة ولم يفهموه الا فى اطار رفضهم له

فهم فى الأغلب يحاولون أن يصوروا الاسلام على أنه دين لاهوتى ، لا صلة له بقضايا المجتمع والسياسة ويذهب بعضهم الى دعاوى باطلة يعتمدون فيها على نصوص من كتب الأدب أو كتب الشعوبية كالقول بأن الحجاب ليس من الاسلام ، أو من يستطيعون حول تفسير النصوص بالتشكيك فى الصلة بين الشريعة والفقه ، ومنهم من يحاول أن يفسر تاريخ الخلفاء والاسلام وفق نظرية التفسير المادى للتاريخ فتتصور ان الحياة الاجتماعية ليست الا لقمة عيش منهوبه .

ان كل واحد من هؤلاء الكتاب له منطقته فى الثأر من الاسلام .

وأسلوب الجدل الذى يصطنعه هؤلاء هش مخزى مضطرب مراوغ ، كأسلوب الثعالب ، ولكن خير ما يقال فى هذا المطروح كله ، أن الاسلاميين والجماهير العريضة لا تتبله وتنظر اليه فى سخرية واحتقار لأنها تعرف الأهواء الكامنة وراءه وأكثر الحاقدين على الشريعة الاسلامية الذين كانوا مع آن الدعوة فى أول الطريق انهم يندفعون كالطيور الجارحة يضربون بأجنحتهم ويناوشون دون أى تقدير لأمانة الكلمة ومسئولية القلم وكأنما هى محاولة لتصفية أحقاد مع نمو التيار الاسلامى وفى مجال الحديث المثار عن التطرف ، جاءت كلمة الحق على لسان مسئول : ليس فى مصر تطرف ولكن هناك حماس فى الدين « لا أكون مبالغا اذا قلت ليس عندنا فى مصر تطرف ولكن مجرد تحمس فى الدين ، فالتطرف كلمة غوغائية مخطوطة تسىء الى كل المصريين ولكن ما نراه الآن هو من قبيل التحمس فى الدين » .

* * *

ولقد وجدنا خلال هذه الجولات المتوالية من خصوم الاسلام والمفتوح لها أبواب الصحف القومية اقتحاما شديدا من جماعة يدعون الموضوعية والالتزام بالمنهجية والدليل والبرهان .

والواقع أنه قد تأكد من خلال هذا الحصاد الضخم المتوالى خلال هذه السنوات أنه اقتحام لنظام الاسلام فى جراة وعنف ودون رصيد حقيقى من الدراسة والفهم لأولويات الموضوع أو لالتزام مبادىء الحوار وذلك تحقيقا لهدف معروف فى الدعوات المعارضة للاسلام وهى ضرب الاسلام من داخله متى توافرت لها وسائل النشر والأعلام يقصد اثارة الشكوك ومن العجب أن ينضم لهذه الجماعة بعض رجال القانون الذين يدعون على الشريعة الاسلامية دعاوى تكشف عن أنهم لم يقرأو تراءه مستوعبه ، أو أنهم هم معارضون أساسا ، نتيجة عوامل نفسية أو اجتماعية فهم يلتمسون أسبابا للهجوم برأى مسبق وبعض الكتاب يصدر عن عقلية علمانية أساسا نشأت فى كنف مفهوم الدين بمعنى اللاهوت الغربى ويتصور تاريخى لعلاقات الكنيسة برجال العلم والصراع الذى دار بينهما ، ودون القدرة على التفريق بين الدين الغربى (بكل تطوراته التاريخية) وبين الاسلام فهى ترى ان فصل الدين عن الدولة أمرا طبيعيا لأنها لم تقرأ الاسلام ولا تعرف عنه الا أنه دين عبادى (لاهوتى) وترى أن الفصل بين القيم هو أمر طبيعى جريا وراء ايمان الفكر الغربى بالفصل أساسا بين البشرى والالهى وبين الروح والمادة وبين العقل والقلب بينما يقرر الاسلام تكامل هذه القيم لا تعارضها وأن هناك (تلاقى) الأجيال ، العناصر ، لاصراعها .

وأن فكرة صراع الطبقات وصراع الأجيال وصراع العناصر فى الطبيعة هى نظرية مادية ، اعتمد عليها الغرب فى تقرير مفاهيم فكره ولكنه بدأ يتراجع عنها الآن واشد خطرها عليه فصله بين المناهج والتطبيق (هذا الذى أصاب الحضارة الغربية بتلك الأزمة الخطيرة التى تواجها الان) .

❋ ❋ ❋

ولو أنصف هؤلاء لاستوعبوا القضية ونظروا اليها فى حيده ، ولعرفوا الفارق العميق بين دين هاجر الى الغرب وخرج عن طابعه الأساسى ولم يكن الادينا مكملا لليهودية جاء لبنى اسرائيل وبين دين عالمى انسانى جاء للبشرية كلها .

ان من يراجع كتابات المتصدرين للحملة على الاسلام يجد أنهم يتنحمون حمى الاسلام بغير دليل ، وكتاباتهم تؤكد أمرين أساسيين :

الأمر الأول : هو التحامل نتيجة الخلاف فى الراى او نتيجة اعتناق مذاهب وأيدلوجيات وعقائد يدافعون عنها ويخشون من سيطرة الاسلام عليها ، فهم يقتحمون الحمى بغير زاد ولقد تخدع كلماتهم بعض الذين لايفهمون الاسلام حق الفهم .

ثانيا : ان يكون خلافهم ناتجا عن نية حسنة وعن رؤية محايدة ، وهم فى هذا لم يستوعبوا أبعاد القضية التى يدافعون عنها ولذلك فان مرافعتهم ساقطةودعواهم منقوضة . ولقد يخيل الى أحدهم حين يقول عن الدعوة الاسلامية انها (دعوى) انه قد انتصر وأنه قد أسقط الجبل ولكن هذا من ضآلة النفوس ونقص الوعى ، فما كان الاسلام هو الذى يسقط أبدا وما كان أصحاب السخرية بالشريعة الاسلامية هم المنتصرون ، وان بدأ ذلك ظاهرا يوما ما ،أو فترة ما ، تحت حصار القوى المعادية .

❋ ❋ ❋

كيف يحاور فى الاسلام من لا يفهمه ومن لا يعرف ركائزه ولا قيمه الأساسية وكيف يجادل فى الاسلام من يفهم الاسلام كما يفهم الأديان البشرية أو الأيديولوجية فيرى أنه قابل للتطور والتغيير وتعديل الأسس أو يرى أنه يبرر أوضاع المجتمعات الفاسدة والمنحلة .

(ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون ورائهم يوما ثقيلا) وفى عديد من المواضع يتجاهلون الفرق بين مفهوم الدين فى الغرب وبين مفهوم الاسلام ، فالاسلام يحمل مفهوما جامعا بين الروح والمادة تترابط فيه القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويربط بين العلم والدين وليست له خلافات كتلك الخلافات التىقامت بين المسيحية فى الغرب وبين العلم أو بينها وبين الدولة ، ذلك أن فكرة فصل الدين عن الدولة فى الغرب نشأت نتيجة ظهور سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية والاقتصادية وما كان من تأثيرها فى الحكومات المختلفة بل وقيام حكومات رجال الدين (الحكومات الثيوقراطية) التى لم يعرفها الاسلام وهم يتجاهلون تاريخ الاسلام الذى لميشهد أى صراع بين (علماء الدين) وليس رجال الدين ورجال الحكم اذ لم يكن فىالاسلام اصلا طائفة تسمى رجال الدين .

هذا الخلاف فى شأن الدين والدولة .

وهناك اختلاف فى مفهوم العروبة والاسلام ومفهوم القومية العربية . وهناك الخلاف فى مفهوم الديمقراطية الغربية وبين مفهوم الشورى . وهناك الخلاف فى مفهوم الاشتراكية وبين مفهوم العدل الاجتماعى ثم هناك آثار التبعية الغربية فى المجتمع الاسلامى .

وما اصابته القوانين الوضـعية من انحلال خلقى واضطراب فى مجال التعـامل الاقتصادى وفى مجـال العلاقات الاجتماعية (الأسرة والزواج والمرأة) .

وجاء ذلك نتيجة اختفـاء الشريعة الاسـلامية لضوابطها المحكمة وحدودها خاصة فى مجالى الربا والزنا والخمر .

* * *

الحدود فى مواجهة فساد المجتمع .

والربا فى مجال التعامل الاقتصادى .

ولماذا اصرار هؤلاء الكارهون للاسلام على تجاوز هذين الخطرين الشديدين تحت عبارة أن ما لم يطبق من الشريعة لا يتجـاوز الخمسة فى المائة (أى هذه القيمة المغمضة عنها الطرف اذا كانت ستعلق بهذه الأخطار كلها وماذا بقى بعد ذلك) .

كيف كان اثر الخمسة فى المـائة فى المجتمع الذى لا يتوقف فيه عمليات الاغتصاب والاباحة ، المجتمع الذى يقدم أدوات شبة من القصص الجنسية والجريمة ويفتح الباب أمام المطاردة والاغتصاب .

هذه الخمسة فى المائة التى تتمثل فى ذلك الكيـان القوى الذى تحميه القوى القـادرة من ممثلين ومخرجين وفنانين وراقصين ومغنين تحت اسم مبهر خطير هو اسم (الفن) الذى يجب أن يقتحم الباحثون حماه لكشـف اباحيته وفسـاده وآثاره الخطيرة وذلك الدعم المـادى الموجه له باعتباره عاملا من عوامل تثبيت الأنظمة ، ثم هذا الكيـان القوى من الكرة ومشجعيها والأموال التى تغدق عليها .

انهم يغضـــون الطرف عن هاتين القضـيتين الأساسيتين يمرون عليهما مرورا ساخرا ، بينما هما جزء اساسى من صميم التطبيق الاسلامى لاقامة مجتمع كريم.

ان اخطر سؤال هو :

هل تفكر هذه الأمة بمفهوم الاسلام فى حياتها الآن ام انها تفكر بأسلوب مغرب وافد .

فاقامة منهج الاسلام يقتضى التحرر من الأسـلوب الوافد والخـروج من الدائرة المغلقـة ، ومن اسـلوب العلمانيين والماديين فى مقايسة الأمور وفى الحكم عليهـا وفى امور كثيرة وكبيرة وخطيرة تتصل بمصير هذه الأمة فى حياتها وفى نضالها وفى مفهومها للجهاد وللأمر بالمعروف وفى الذود عن الوطـن وفى تحرير الأرض وفى الاعـداد والردع وحماية الثغور ، وفى التوجه النفسى والاجتماعى لتكون على مستوى مسئولية الأمة التى تحمى وجودها وقيمهـا وموازينها أن هـذا التحلل والترف الرخيـص والاندفاع وراء المادة والاغراق فيها ومحاولة الكسب عن اى طريق والايغال فى الكسب الحرام ، وفى الاندفاع وراء الشهوات والرغبات والترف والتحلل ، كل هذا لا يقرب المسلمين من اسلوب الاسلام فى بناء الأمة القوية القادرة على حماية وجودها .

* * *

والسؤال هو لماذا تستخدم الصحافة هؤلاء الكتاب العلمانيون والماركسيون واليساريون وخصوم الاسلام فى شن هذه الحملة المسعورة على الشريعة الاسـلامية فى نفس الوقت الذى لا يملك فيهـا التيار الاسـلامى من القـدرة ما يمكنه من الرد على نفس مسـتوى الصحف القومية وبالرغم من أن الشريعة الاسلامية هى نص من نصوص الدستور يجب الاذعان له .

هذه الحملات تشـكك فى أن الشريعة الاسلامية ستحقق شيئا أو تشـكك فى تطبيق الشريعة نفسها أو تشكك فى النتائج التى ينتظر من هذا التطبيق .

ان الحوار الدائر اليوم كله والذى يجريه خصوم الاسلام يدور فى اطار غربى وبأساليب غربية ومن خلال نظـريات الغرب فى التحليل النفسى والجـدية المنطقية والتفسير المادى للتاريخ .

فهل اصبح هذا الأسـلوب مفروضا على الـفكر الاسلامى والسؤال هو : هل تريد الصحافة أن تقول أن هناك استحالة ازاء تطبيق الشريعة (والحدود بالذات) وقد اغرت بها خصـوم الاسلام الذين سـقط نفوذهم بسقوط الماركسية والناصرية .

ان هذه النماذج بكل مغالطتها واحقادها وتمويهها

جديدة على المجتمع ، جديدة على الفكر الاسلامى فى مراوغاتها وصياحها ومداخلها ومخارجها فى الحوار :

أولا : استغلال المنابر الواسعة العريضة حيث ان الطرف المسلم لا يستطيع أن يجد الفرصة فى الرد أو عرض وجة نظر الاسلام .

وهى خطيئة ممتدة على أيدى توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود من حيث تسمح لهم الصحف بالكتابة والاجتراء على الحقائق والقيم والمقدسات ثم تصل الصحف عشرات بل مئات الردود فلا تسمح الصحف بنشر شىء منها وتسد هذا الباب تماما وهو ليس من حقها قانونا ولا عرفا وما كانت هكذا تدار المعارك الفكرية التى يجب أن يسمح فيها للطرفين بفرص متوازيه .

ثانيا : الاستعلاء والتحدث باسم المجموع من حيث يعرف الجميع أن كل من هؤلاء المتحدثين لا يمثل الا نفسه وهى دعوى باطلة أن يدعى أحدهم انه يمثل جماعة أو وفدا أو هيئة وهو من باب الكذب والتضليل فما يمكن أن تمثل هذه البذور المسمومة التى ظهرها فى بلادنا منهجا له قيمته أو قوته أو له الجراة فى أن يقول « نحن » الا اذا كانت جراة على الحق ، تنتهز فرصة متاحة ربما ارادت بها أن تشفى حقدها فى نفس الوقت الذى ترضى فيه جهة ما .

ثالثا : اصول الحوار .

ان للحوار فى الفكر العالمى اسلوب وقواعد تقوم على تقديم البراهين والأدلة والنصوص الموثقة بالحق ، دون تضليل أو ايهام أو تزييف ، ولكن نبتت نابته جديدة مضللة منذ استشرى الفكر التلمودى والماركسى وأساليب الماسونية يقوم على الجراة فى الحق والادعاء الباطل .

أين أحد هؤلاء أو مجموعهم من تيار الدعوة الاسلامية الذخار الذى يمثل أغلبية هذا الشعب والذى يسرى فى قلوب المسلمين بالايمان حتى يتحدث احدهم عن استخفاف وعن دعوة الى الحوار، هل هو حوار مع المنهج الربانى أم مع تطبيقاته وكيف يفهم هؤلاء منهجا لم يقرأوه واذا رأوه اشاحوا عنه كبرا وصلفا ، وهم أعداء له بالفطرة وهو مهما حمل من الخير والضياء فهو عليهم عمى ومن منطلق حقدهم غامض ومبهم .

انهم يتعاملون مع الاسلام وكأنهم لا يعرفوه ، مع انهم ولدوا فى حجره ، ليس الجهل به بل وليس هناك استعداد لقبوله اذا كان صحيحا بل لابد من ايجاد الثغرات فيه والاستهانة به ، من منطلق حقد لا تعرف له مصدرا .

(أولئك الذين لم يرد الله أن يجعل لهم حظا فى الآخرة) هل من الخير ان تخضع هذه الأمة للشيوعية الماركسية او الراسمالية الغربية فنفرح بذلك ونحس بالطمأنينة أو أنه من الخير لنا ان نفهم تاريخ أمتنا وأمانتها وميراثها الربانى ، وأن نكون من الذين يشرفهم أن يتبعوه أو يرغبوا فى تحقيقه .

واخطر ما هنالك هذه البهلوانية الشديدة القفز امام النصوص وأمام الحقائق ، هل هى طفولة فكر أم مكر شديد أم خبث حاقد .

انهم يحاولون ان يخلقوا فى نفوس الشباب المسلم غصه وتراجعا أمام ايمانه ودعواته ، ويثيرون فى صدره شبهات وشكو ولكنهم لا يتعجبون اذا قلنا لهم ان احدا لا يسمع اليهم لأنهم ليسوا موضع ثقة هذا الشباب .

انهم يهولون من شأن القيم الأساسية لأنهم يعرفون أنها تقطع الطريق على منهاجهم فى التحلل والاباحة والالحاد وملأ الصدور بالشكوك والشبهات وتلك قضيتهم الأولى ودعوتهم التى يحرصون على بثها ، والتى يزعجهم ان يؤمن الشباب الله وينصرف عنهم ولا يثق بهم، وأنه يرفض مناهجهم ويزدرى مذاهبهم ويعرف زيفها ويعرض عن تلك المحاولات التى يثيرونها عن زخرف القول الذى يخدعون به البسطاء والسذج .

ولا تجد محاولاتهم فى تسمية بعض العلمانيين بالفكر الاسلامى الا سخرية وهو كلام مردود عليهم .

* * *

تصنيف خصوم الاسلام :

أولا : اليساريون الماركسيون المهزومون الذين فقدوا نفوذهم بعد نكسة ١٩٦٧ والذين هم الخصوم الأساسيون لقيام مجتمع اسلامى وحرب على الشريعة الاسلامية أساسا .

ثانيا : العلمانيون الخاضعون للنفوذ الغربى والمتطلعون الى السيطرة وأولياء المستعمر والكذابون والمحرفون للنصوص الذين ينكرون الغيب والنبوة

وينكرون عوامل النصر التى تجىء عن غير طريق الوسائط المادية .

ثالثـا : خدام النفوذ الصـهيونى واولياء اختراق مفاهيم الأمة الاسلامية عن طريق علم النفس أو وسـائل الخداع أو تزييف التاريخ .

المؤامـرات :

وتتركز المؤامرات فى التشـكيك فى قدرة الشريعة الاسلامية على تغيير المجتمع واثارة الشبهة فى ان ليس هناك منهج تطبيقى لدى الاسلامية ، ومحاولة نسـبة الأزمات والمتاعب التى مرت بها ايران والسـودان الى تطبيق الشريعة .

والادعاء الباطل بأن الشريعة هى ٥ فى المائة من الدين والباقى من عمل الفقهاء . وأن ما يطبق من القوانين يتفق مع الشريعة بمعدل ٩٥ فى المائة .

* * *

ان ابرز ظاهرة فى حوار العلمـانيين هو « الخلط والتمويه » .

١ ــ فهم دائما يخلطون بين مفهوم الاسلام السنى وبين مفاهيم قد يختلف فى بعض الفروع .

٢ ــ وهم دائما يشيرون الى (تجربة السودان) على أنها تجربة فاشلة دون أن يتصوروا مدى الفوارق العميقة .

٣ ــ وهناك الاتهام الموجه دائما بأن اختفـاء أثر السـنة فى الملبس والزى وغيره هـو عامل من عوامل الانغلاق على الذات مما يحول دون التطور أو التغير أو تقبـل حركة المجتمع بينما أن هـذه الظاهرة لا تمثل الا قطاعا ضئيلا .

٤ ــ محـاولة الايهام بأن تيـار المتحمسـين أو المتطرفين هم الغـالبية الغـالبة ، وكان يجب وضـع التصور الصحيح والتفرقة بين المجموعة الكبرى العريضة المعتدلة والأجنحة التى توجد فى كل التجمعات .

٥ ــ الادعاء دوما بالتخلف والجمود منسـوبا الى الاسلام مع أن مفهوم الاسـلام فيه من المرونة والسعة وتقبل الجديد والانفتـاح على الحـاضر بما يحول دون الجمود والتخلف والاسلام لا يقر تغيير الثوابت والخروج عن الضوابط ويسمح بالحركة داخل اطار الثبات .

وأن علينـا أن نكون على وعى من تلك المحـاولة التى ترمى الى توظيف عدد من الذين يكتبون عن الاسلام فى السخرية والاحراج واثارة الشعور من أجل التشكيك فى ضوء أسلوب من الرصانة الخادعة . أن الذين يدعون أنهم فى صفوف الاسلام ويسـخرون بالفكرة ويحاولون خلق صور من الاحراج والتهكم سـوف يلفظهم الضمير المسلم الصحيح ، لأنه يعرف أنهم خادعون .

وكم من اسـماء لامعة تكتب عن الاسـلام وعن معجزات العلم والطب وتتحدث عن الصحوة الاسلامية والشريعة وهم مضـللون خادعون أنهم يفقدون أسلوب الحورا الاسـلامى ولذلك ظن يثق بهم أحد وسيوضعون فى قوائم المنافقين .

* * *

كذلك فان ظاهرة تكليف عدد من الأسـماء اللامعة التى تدعى العمل فى مجـال الاسلام لاسـتخلاص فكرة مسبقة على النحو الذى تم مرتين : مؤتمر احدى الصحف وفى مؤتمر احدى الأحزاب ، ومن يراجع هذين المؤتمرين يرى ظاهرة المغالطة واضحة ويشاهد المحاولة المستميتة لاثارة روح التشكيك والتشاؤم والتشوية فى طريقة تقديم الأسئلة ، فى المسـائل المثارة ، والمسائل المتجـاهلة ، التعليقـات المسـمومة من العلمـانيين الذين يديرون الجلسات .

* * *

الفصل الثانى

مصطفى مرعى
التشكيك فى أصالة الشريعة الإسلامية

● فى غمـــرة الانطلاقة الطيبـــة التى شـــاهدتها الصحوة الاسلامية فى مطالع القرن الخامس عشر جاءت شبهات الأستاذ مصطفى مرعى (شيخ المحامين) معارضة لكل الحقائق المعروفة فقد أنكر ان الاســـلام دين ودولة وادعى أن جماعة الاخوان هى التى ابتدعت هذا الشعار ثم ذهب الى ابعد من ذلك فأنكر الجـــانب التشريعى فى الاسلام وقصره على الجانب العقدى والعبادى وقال ان البشرية حره فى النظم الاجتماعيـــة التى تقيم عليهـــا مجتمعاتها واتهم جميع العاملين فى حقل المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية بأنهم يسعون الى أغراض شخصية وسخر من النص الدستورى (الشريعة الاســـلامى هى المصـــدر الرئيسى للتشريع) وحاول أن يحتمى بنـــص لمحكمة النقض بالابقاء على القوانين المخالفة للشريعة ، وقال ان ما قدمة الاسلام الى شأن الحكم ليس بملزم وان نظم الحكم تركت للنـــاس لأنها أمور تتعلق بمتغـــيرات الزمان والمكان وســـخر من عقوبة السرقة ، ودعا الى الأخذ بغيرها مما طورة العالم ، وادعى انهلا توجد فى الاســـلام عقوبة للاختلاس وآثار الشـــبهه حول الرحم والجلد فى قضية حد الزنا .

وقد تنـــاول عدد من علماء الاسلام وأعلامه هـــذه الشبهات بالرد والتنفيد .

❊ ❊ ❊

١ ـــ المستشار عبد العزيز هندى

ان الدعوة الى تطبيق الشريعة ليست وليدة ظرف طارىء وأنه قصد به الى محاولة التقرب الى الجماهير ذلك بأن الثابت بيقين هو أن مصر ظلت أكثر من الف عام تطبق الشريعـــة وحدها بحـــكم انتمائها الى الاســـلام وما توجبه قيمها ومصالحها الوطنية وتراثها العريق وظل الأمر كذلك حتى نهاية القرن الماضى تقريبـــا حين تزايد النفوذ الأجنبى الذى يســـتهدف القضاء على اســـتقلال البلاد وافقادها ذاتيتها وصرفها عن أمر ربها .

وتحت عباءة هذا النفوذ الأجنبى بدأ دخول القوانين الأجنبية الى مصر حين انشئت المحاكم المختلطة ووضعت مجموعات القوانين التى تطبق أمامها وقد استمدت بصفة أساسية من القانون الفرنسى ، وكان ذلك بداية لاستمرار مجموعات كاملة من القوانين الأساسية كالقانون المدنى وقانون العقوبات من مصدر أجنبى لا يتصل بانتماء البلاد الاسلامية ولا بذاتها الثقافية والوطنية ، وبدأ تطبيق هذه القوانين فى مصر منذ عام ١٨٨٣ أثر احتلال الانجليز لمصر مواكبا لجحافله المســـتعمرة وقد كان هـــذا الأستعمار القانونى مصدر ايلام نفسى للمصريين جميعا حاولوا رفع نيره عن كاهلهم فطالبوا بالغاء المحاكم المختلفة أولا ثم بدأ التفكير الجدى فى الأصول الحقيقية للمجتمع المصرى الذى ينبغى أن يعكسها القانون الذى يحمى مصـــالح المجتمع فجاء دستور مصر ١٩٧١ مترجما لارادة الشعب فى تحديد المصدر الرئيسى للتشريع وتلاه التعديل الدستورى الأخير سنة ١٩٨٠ ينص على ان مبادىء الشريعة الاسلامية هى المصـــدر الرئيسى للتشريع ولم يكن هـــــذا النص الدستورى منشئا لحقيقة أجتماعية وانما جاء كاشفا لها ذلك أن مصر دولة اسلامية عريقة بحكم الواقع والاسلام دين الدولة وفقا لكافة دساتير مصر المتعاقبة ومن المجافاة للحق والمنطق أن يكون هناك دولة اسلامية بغير قانون اســـلامى ونحمد الله فقد انزاحت الى غير رجعـــة تلك الظروف التى كانت تكبل ارادة مصر الحرة فى التعبير عن ذاتيتها التشريعية .

ولا يخفى على الباحث المنصف أن التشريع الجنائى الاســـلامى قد تعرض قبـــل غيره من القوانين الأجنبية للقواعـــد والنظريات التى درجت قوانين العقوبات على

ادراجها فى القسم العام منها فقد تطرق الفقه الاسلامى على اساس من أحكام القرآن والسنة والاجتهاد الفقهى الى مسائل فى نطاق القانون وتطبيقه فى الزمان والمكان ، وكذلك أركان الجـرائم وشروط المسئولية الجنـائية والاشتراك فى الجريمة وأسباب الاباحة كما عرض كذلك لأحكام عديدة فى موضوعات العقوبة واجراءات الحـكم بهـا .

* * *

وهو ما قررته المؤتمرات العلمية العالمية العديدة وهو ما حدا بالـكثير من المفكرين الأجانب الى الاشادة بالاسلام وما جاء به من تشريعات ناجحة فى علاج أمراض المجتمعات ومن المقرر أن درجة نجاح الشريعة انما يقاس بمدى فاعليتها فى علاج أدواء المجتمع .

ولنا أن نتساءل هل افادت هذه القوانين المستوردة من الخارج فى علاج أمراض المجتمعات التى استوردناها منها ، أم أن الجريمة تزداد معـدلاتها الرهيبة يوما بعد يوم وأن سياسة تدليل المجرمين قد انعكست اثارها على المجتمعات التى انصرفت عن تطبيق شرائع الله فأذاقهـا الله لبـاس الجوع والخوف رغم ثرائهم المـادى وترفهم الثقافى جزاء ما كانوا يعملون .

وهل أصبح المجتمع الحـاضر — شرقا وغربا — مجتمعا فاضلا فى هذه التشريعـات الأجنبية حتى تحذوا حذوها ونعلن تمسكنا بها وعدم الرغبة فى تغييرها أم أنه لا يحلو لنا الا استيراد مخلفات غيرنا .

٢ — أما القول بأن الاجماع فى الشريعة لا يعدو أن يكون رأى فقهاء لهم تلاميذ ، فان علينا أن نبدأ من حيث انتهى فقهـاؤنا الأجلاء — قدامى ومحـدثون — لتظـل مسيرتنا العلمية متتابعة الخطوات على هدى من كتـاب الله وسنة رسوله الثابتة والله جل جلاله يقول فى كتابه الكريم (وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) .

٣ — أما القول بأن القرآن جامع لكل شىء فى الدين أما ما عدا ذلك من أمور الدنيا فهو متغير غير ثابت — هذا القول هـو مقولة غير صحيحة ، فكل ما ورد فى القرآن الكريم والسـنة الشريفة القطعية الدلالة والثبوت من أوامر أو نواه هى من صحيح التشريع الاسلامى الواجبة الاتباع فكل من عند الله ولا تبديل لكلمات الله .

٤ — أما بالنسبة للجرائم التى لم يرد لها ذكر فى القرآن والسـنة — وهى الجرائم التعزيرية فأما هـذه فمتروك أمر تقدير العقوبة فيها للحكام على نطاق أصول مقررة للتجريم والعقاب بما لا يخالف شرع الله أو يجاوزه ولا خلاف ثمة بشأنها .

أما عن السرقة فى المال العام — وما تخوفه البعض من أن يحكم بقطع يد السارق فى السرقة العادية ولايحكم بالقطع فى سرقة مليون جنيه من المال العام فانى أطمئن الجميع الى أنه قد اخذ الحكم على مذهب مالك فنصـت صراحة فى المـادة ٨٧ من المشروع المقدم : يطبق حـد السرقة على من سرق مالا ممـلوكا للدولة ، أو لاحـدى الهيئات — أو المؤسسات العامة أو الشركات أو المنشآت اذا كانت الدولة أو احدى الهيئات تسـاهم فى مالهـا بنصيب متى اكتملت باقى الشروط المبينة فى (المادة ٨٥) وهى باقى الشروط الواجب توافرها فى جريمـة السرقة الجبرية .

٤ — ما قيل عن عقوبة الزانى المحصن بالرجم وانها كانت خاصـة بتطبيق الشريعة اليهـودية على المرأة اليهودية الزانية فانه أن صح ما قال بالنسـبة لتطبيق عقوبة الرجم على المرأة اليهودية الزانية تطبيقا للشريعة اليهودية فان الثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين واجماع المسـلمين : ان النبى صلى الله عليه وسلم أقام حد الرجم على ماعز والغامدية وكلاهما مسلم وكان الدليل اقرارهما الصريح وقد أخذت اللجنة بهذا الرأى ولم تعتد بما ذهب اليه بعض الخوارج وبعض الشيعة وبعض المعتزلة من أنه لا عقوبة فى الزنا غير الجلد استثناء من اللجنة الى أن السـنة الصحيحة ثبت فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قد أقر بالرجم بالنسبة للزانى المحصن ، ونفذ ذلك فى حضـوره وكان ذلك بعد نزول سورة النور فكان حدا تشريعيـا وتحديدا لهذه العقوبة واستمر ذلك من بعده .

٥ — بالنسبة لنظام الحكم فى الاسلام :

ما دام الأمر لم يرد فيـه نص قاطع آمر أو مانع — كان محل الاجتهاد بشروطه وفى نطاق أن يرد الأمر فيه الى الله (تبارك وتعالى) والى الرسـول (صلى الله عليه وسلم) فقد ترك فينا عليه الصلاة والسـلام من بعده ما لو اتبعناه فلن نضل أبدا : كتاب الله وسـنته صلى الله عليه وسلم . (ا . هـ)

* * *

٢ ـــ عمـــر التلمسانى

آثار الأستاذ مصطفى مرعى قضية هامة حين ذكر ان الاخوان المسلمين هم أول من أقحم الدين فى السياسة لأنهم قالوا : ان الاسلام ليس عقيدة فحسب وانما هو عقيدة وشريعة وقال : ان هناك رأيا يرى أصحابه أن الاسلام عقيدة فقط وان ما جاء به من شريعة ، شـــأنه شأن غيره من الشرائع يتغير بتغيير الزمان والمكان .

ولاننا نعرف من سيادتة الخبرة القانونية الدقيقة والاطلاع الواسع فاننا نســـأل اذا كان الله جلت قدرته أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : وشـــاورهم فى الأمر ، وقوله تعالى (ان الحكم الا لله) .

ولقد قرأنا لسادتنا المفسرين أن المقصـــود بالحكم هو تنفيذ العدالة بين العباد (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعـــدل) وهل الحكم وتوابعه ومســـتلزماته الأساســـــية شئون النــــاس أجمعين من الذى يعقد المعاهدات الا الحاكم « وجاهدوا فى الله حق جهـــاده » من يتولى قيادة الجيوش (ان الله اشترى من المؤمنين انفســـهم واموالهم بأن لهم الجنة يقـــاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) .

من الذى يعين القضاة ليحكموا بين الناس بالعدل هذا الذى يسمونه سياسة ونسميه نحن دينا ، اذا قلنا للحـــاكم لا تجعل الدولة والرعية يتعاملون بالربا واذا قلنا هذا الحاكم فهل نحن متدخلون فى سياسة المالية أم نحن نكاد نطبق شرع الله فى المسلمين (واحل الله البيع وحرم الربا) وما اظنك الا اخاذا بكتاب الله واعيذك من غير ذلك لأنك مسلم .

* * *

أنه لشرف كبير للاخوان المسلمين أن يرى الأستاذ أنهم هم أول من أقحم الدين فى السياسة وان كنا لاندعى هذا الشرف أو نبتدع هذا القول ، أسوق اليك حديثـــا واحدا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قل لى بعد ذلك : أهو من صميم السياســـة كما تفهمونها أم أنه اقحام للدين فى السياسة : يقول صلى الله عليه وسلم (ان ابتغى الوالى الريبة فى الرعية فقد افسدها) هل ترى أن هذا اقحام للدين فى السياسة أم تراه معى شريعة الله تنظم العلاقة بين الحـــاكم والمحكوم لتستقيم الأمور على أمر سواء . أترى فى هذا اقحام من رسول الله صلى الله عليه وسلم للدين فى السياســـة ، أم ترى أن هذه طبيعة هذا الدين الشامل المنظم لكل جوانب الحياة وهل يمكن أن يتصور انسان أن هذا الدين الذى لم يفرط فى شىء ، أترى أن هذا الرب العظيم يبحث فى شرعه عن كل شىء الا الحكم أو السياسة ، ألم تقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يخطها بصيحة الا لم يجد رائحة الجنـــة) . وكيف يحيط الوالى رعيته بالنصيحة ان لم ينصـــحهم ويأمرهم باتباع شريعة الله . الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاحكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله اجران واذا حكم فاجتهـــد ثم أخطأ فله أجر . وفيم يخطىء الحـــاكم المسلم أو يصيب، أليس فى ادارة شئون الرعية وفقكتاب الله وسنة رســـوله صلى الله عليه وسلم ، الم يرســـل رســـول الله صلى الله عليه وســـلم رسله الى الملوك والرؤساء ليدخـــلوا فى دين الله وما يترتب على ذلك من الغاء تشريعات وضعية لتحل محلها تشريعات ربانية ، أاذا طالبنا حاكما بمعاقبة الجائرين وحثثناه على الرفق بالرعية ونهيناه عن ادخال المشقة عليهم نكون قد خلطنا بين الدين والسياسة خلطا لا تقرونه ، أليس من حق كل مواطن أن يطلب من حاكمه ما يراه حقـــا له عنده لأنه مسئول عنه .

ما هى السياسة فى عرفكم غير هذا ، ان الاخوان المسلمين لم يكونوا مبتدعين ولكن ملتزمين ، انهم يقتدون برسولهم صلى الله عليه وسلم كحـــاكم ورئيس لدولة ، هل محاربة أبى بكر الصديق لأهل الردة سياسة أ مدينا، هل المعاهدات التى عقدها عمر بن الخطاب مع النصارى فى القدس وحمص وغيرها سياسة أم دينا وما كتبه ابن تيميه فى كتابه (السياسة الشرعية) سياسة أم دينا ، والعز بن عبد السلام يوم الزم حكام مصر بما الزمهم به كان يباشر سياسة أم يطبق دينا وعندما قال الله تبارك وتعالى (وان هذه أمتكم أمة واحدة) استنكارا للقومية وما اليها أكان ذلك سياسة أم دينا .

ليت الاخوان المســـــلمين كانوا أول من قال ان الاسلام دين ودولة ومصحف وسيف ، وعبادة وجهاد ، وحكم وقضاء وتجارة وأخلاق ، ليتنا كنا الأولين فى هـــذا المجال حتى نحظى بأجر من سن سنة طيبة ، فله أجرها وأجر من عمل بها دون أن ينتقص ذلك من أجورهم شيئا .

انى أرجو أن ترجع الى عشرات المؤلفات التى ألفها جهابزة لا نصل الى علمهم فى دين الله عندما أشبعوا هذا الموضوع بحثا ودراسة .

* * *

(٣)

الدكتور عبد المنعم النمر

كانت الشريعة الاسلامية مطبقة فى مصر على مدى تاريخها الاسلامى حتى اواخر القرن الماضى حيث دهمنا الاستعمار بجيوشه وفرض علينا قوانينه ، وابعد القوانين الشرعية — ما عدا الأحوال الشخصية — ولم تفتأ الأمة بعد ذلك تعمل على جلاء جيوش المستعمر وقوانينه ، لكن القوة كانت فوق الحق ، فظلت الجيوش كما ظلت القوانين المحتلة ثم رحلت وبقيت القوانين التى تعود عليها رجال القانون برغم ما فى بعض موادها من معارضة صارخة للشريعة وخروج على عاداتنا وتقاليدنا الأصيلة .

وخلال ذلك الوقت الذى مضى لم يفتر علماء الدين والشعب معهم عن مطالبة المسئولين بتطبيق الشريعة حتى صار هذا مطلبا عاما شاملا للشعب بجميع أجياله الشباب والشيوخ ان من الطبيعى والبديهى أن تكون القوانين منسجمة مع الدستور ومسايرة له وما دام الدستور قد نص على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع فمن الضرورى أن تكون القوانين كلها متمشية مع الشريعة غير مختلفة معها ، لا يقف فى وجه ذلك كلام لهذا أو لذاك والذى قام عليه العمل لتطبيق الشريعة هو تمهيد لتغيير القانون القائم بقانون مقترح أو بالدقة تغيير لبعض مواده التى لا تتمشى مع الشريعة بمواد تتفق معها والقائمون بالعمل والاشراف عليه هم من رجال القانون الدستورى وغيره ويدركون تماما طريقة اصدار قانون مكان قانون ، واتخذوا لذلك الخطوات اللازمة لهذا التغيير بما عليه الدستور والقانون دون خروج عليهما ، وكلنا يدرك أن دواعى التغيير قائمة وملحة واولها ضرورة اتفاق القوانين مع الدستور وكثيرا ما نرى بعض رجال القانون يطعنون فى قوانين بأنها مخالفة للدستور ، والدولة لم تبطل العمل بالقوانين المخالفة للدستور فجأة وعقب اقرار هذه العادة للتغيير وتركت القوانين المخالفة تعمل حتى يقع التغيير بشكل دستورى ، وقد مرت سنوات عدة على اصدار هذه المادة ولا تزال القوانين المخالفة للشريعة مخالفة صارخة نافذة كقانون هتك العرض مثلا . ولا أظن الأستاذ مصطفى مرعى ينكر أن الدواعى لتغيير قانون هتك العرض وأمثاله قائمة وملحه .

ان التغيير فى القوانين انصب اصلا على المواد المخالفة للشريعة المتنافية مع وضعنا وتقاليدنا ولو كان معمولا بها عند غيرنا فى بلاد غير اسلامية ، أما غير ذلك من المواد التى لم يوجد فيها مخالفة للشريعة بل وجد أن الشريعة تتحملها بنظرياتها وقواعدها العامة وتحقق المصلحة فانها لم تتغير . غاية الأمر أن اللجان عملت على ايجاد الرابطة بينهما وبين الشريعة ومراحتها وحرصت على النص على ذلك قدر المستطاع فى مذكراتها التوضيحية ليرجع اليها القضاة والمحامون واذا حصل تغيير ففى بعض الألفاظ التى لا تمس الجوهر .

ولكن الأستاذ مصطفى مرعى يقول أنه يعارض فى مبدأ وجود المادة التى تقول : ان الشريعة هى المصدر الرئيسى وله رايه ولا شك ولكن لابد أن يحترم ويخضع لراى الشعب وممثليه وللاغلبية شرعيتهم وهم الذينيرون مصلحة الأمة فى الالتزام بشريعتها وهى متسعة الصدر لكل اصلاح يراد تحقيقه فالمصلحة العامة وتحقيقها هى الهدف الأصيل للشريعة .

وقد ضرب لنا رسول الله وصحابته من الخلفاء من الشعب ايضا مثلا فى التطبيق نحن ملزمون به من حيث المبدأ وان كنا غير ملزمين به من حيث الشكل فلكل عصر ما يناسبه من اشكال التطبيق ويظل المبدأ الاسلامى والشورى هو المهم فلا تحكم الأمة براى فرد واحد وعقل واحد لأن ذلك مخالف للمبدأ القرآنى المنصوص عليه والمأمور به وهو الشورى .

* * *

(٤)

دكتور عبد العظيم المطعنى

لا ياشيخ المحامين .

أول ما استوقفنا فى حواره أن يتهم جميع الذين ينادون بتطبيق الشريعة الاسلامية ، انهم يسعون الى أغراض شخصية وهذا ظلم من شيخ المحامين الذى أمضى عمره فى البحث عن العدالة والمطالبة بها لمستحقيها فهذا التعميم فى الحكم لا يوافقه عليه منصف ، بل ان اكثر من ينادون بتطبيق الشريعة أناس مجردون من الهوى لايرون فى المناصب مغنما ولا فى الشهرة كسبا ، وانما يريدون ارضاء ربهم وانقاذ أمتهم من محن تطحنها طحنا لأنها لجأت فى علاج امراضها الى غير طبيب والتمست الخلاص من غير جهته أكثرهم لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا لأنهم يعلمون ان العاقبة للمتقين .

واذا كان رجل له وزن فى ميدان العدالة يرسل التهم هكذا بلا ضابط فممن ترجى العدالة اذن .

اوجه سؤال الى شيخ المحامين بأن الدستور قد نص على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، وكانت اجابة الشيخ بأن نص الدستور هنا لا يعنى أننا نلغى تشريعاتنا القائمة ، هذا رايه وقد استشهد عليه بقرار الجمعية العمومية لمحكمة النقض ، الذى يقول : ان مجموعة القوانين المدنية القائمة لا غبار عليها ومن الخير أن تبقى كما هى بعد أن الفها الناس واذا كان فيها ما يتعارض مع الشريعة الاسلامية فلتراجع المواضع التى يقع فيها هذا التعارض .

فهل يا ترى هذا النص مما يؤيد رايه .

ان من له ادنى صلة بمرامى الكلام وفقه النصوص يقول لشيخ المحامين : لا ليس فى كلام محكمة النقض ما يؤيد رايك لان محكمة النقض اشترطت لبقاء هذه القوانين عدم تعارضها مع الشريعة الاسلامية وقسمها قسمين : ١ — قوانين لا تخالف الشريعة وهذه تبقى ولا تلغى . ٢ — قوانين تخالف الشريعة وهذه تراجع بما يزيل خلافها للشريعة ومن هنا فان محكمة النقض لا ترى رايه وكيف يغيب عنه ذلك وهو محام ضليع ويحسن فهم النصوص ويستخرج منطوقها ومفهومها .

● كذلك فقد أبدى سخطه على المادة المعدلة فى الدستور : « وهى (الشريعة هى المصدر الرئيسى للتشريع » لأنها تسد المنافذ أمام المشرع ثم فصل فصلا تعسفيا بين ما أسماه الدين الاسلامى والتشريع الاسلامى فقال : واحب أن انوه هنا أن هناك فارقا كبيرا بين الدين الاسلامى والشريعة الاسلامية لأن ما جاء فى القرآن والسنة خاصا بالدين الاسلامى هو من قبيل الأحكام التى لا تتغير بتغيير الزمان والمكان أما ما جاء فى القرآن والحديث من نصوص تشريعية لا علاقة لها بالدين فهذه تتغير بتغيير الزمان والمكان) .

أنه يقصد بالدين الاسلامى العبادات من صلاة وصيام وحج الخ . ويقصد بالشريعة التوجيهات الاسلامية فى الحكم والسياسة والمعاملات من بيع وشراء واجارة وتجارة الخ .

وأيا كان مراده فان هذه الثنائية فريه منكرة من حيث رتب عليها ما ارتآه ، فلا فرق فى الدين الاسلامى بين أسسه التشريعية وقيمه الدستورية فكلها دين اسلامى ابى الشيخ او رضى . فكل ما جاء فى الاسلام سواء كان فى مجال العبادات والحكم والسياسة والمعاملات والعقوبات كلها صالحة لكل زمان ولكل مكان فليس فيها ما يتناوله التغيير فالواجب فى الاسلام واجب ما كانت الحياة والحلال حلال والحرام حرام ولكن شيخ المحامين يريد ان يعزل الاسلام عن مجال الحياة ويقصره على دور العبادة والخلوات والمحاريب وهو بذلك يشبه من يقص جناح الطائر ليلحقه بالدواب والزواحف .

ان الاسلام عقيدة وشريعة ودين ودولة وليست هذه مجرد (دعوى) وانما الحقيقة التى تؤيدها مئات البراهين من واقع الاسلام نفسه من حيث قيمه وأصوله وتوجيهاته وتؤيدها حقائق التاريخ يوم قامت دولة الاسلام فغيرت وجه التاريخ واحديث فى مجرى الحياة آثارا خالدة بشهادة الأعداء والخصوم .

● قال شيخ المحامين : ان ما جاء فى غير أحكام الدين ، يعنى فى الشريعة الاسلامية وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالحكم — يعنى السياسة — فليس بلزم أن يكون هو المرجع الوحيد لأنه ليس فى القرآن والسنة شىء يتعلق بشئون الحكم ، الذى يتغير بتغيير الزمان والمكان ولذلك تركها الله للناس والدليل على ذلك حيرة الصحابة عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولو اراد الله نظاما للحكم لجاء ذكره فى القرآن أو جاءت به السنة ولكنه تعالى تركه للناس ليكون لهم حرية الاختيار .

ان دعوى شيخ المحامين من ان الاسلام خلا من شكل نظام الحكم ، واستشهاده باختلاف الصحابة حول خلافة ابى بكر ليس معناه ان منهج الحكم لم يكن معروفا ولكن شيخ المحامين خلط بين منهج الحكم وبين الاجراءات المؤدية اليه وهى طريقة تقليد المناصب ، اذ لا ضير فى الاسلام أن يكون تولى منصب القيادة العليا فيه بالبيعة العامة كما حدث مع أبو بكر أو العهد المشروط برضى جماعة المسلمين كما حدث مع عمر بن الخطاب او الترشيح المحدود الشروط كما حدث فى تولى عثمان رضى الله عنه . ولا يمانع الاسلام فى أى شكل للحكم : ملكى أو رئاسى جمهورى وانما يطالب الاسلام من يتولى القيادة العليا فيه بتنفيذ منهج الله فى الحكم فى كل صغيرة وكبيرة فهو يهتم بالموضوع ولا يهتم بالشكل فكيف يطالب شيخ المحامين بورود نص معين فى القرآن يصرح فيه بأسماء الخلفاء ويجعل ذلك شرطا للتسليم بأن فى الاسلام نظام حكم .

* * *

● ويستطرد شيخ المحامين بعد أن سخر عفا الله عنه من عقوبة السارق ودعا الى الأخذ بغيرها مما طوره العالم ، فيشير الى صعوبة تطبيق الشريعة لكثرة اختلافات الفقهاء فيها ولأنها لم تنص على كل الجرائم كالاختلاس وهذه نغمة مردودة من عدة وجوه :

الأول : أن القوانين الوضعية التى يدعون الى التمسك بها يكثر الاختلاف فيها ولا يستقر على وتيرة واحدة ونحن لا ننكر أن بين الفقهاء المسلمين خلافات ولكن تلك الخلافات ترجع الى أصل واحد هو : مقاصد الاسلام وأصوله التشريعية ، وهى اما خلافات فى فهم النص أو فى مواضع لم يرد فيها نص والفقهاء جميعا متفقون على الاحتكام الى الدستور الاسلامى ، فالقاضى المسلم يوم يجلس للقضاء فى ساحة الحكم بما أنزل الله فانه يمكنه أن يأخذ بأرجح الآراء فى حفظ الحقوق وبأيسرها فى دفع الحرج على أن تقنين الشريعة قد صدرت عنه أعمال مدروسة للتيسير على القاضى وقد قام مجمع البحوث الاسلامية بمراجعتها وتهذيبها ، وللعلماء أعمال أخرى رائعة جدا فى هذا المجال ولا أظن أن شيخ المحامين لا يعرف عنها شيئا أما الاختلاف فى مجال القوانين الوضعية فيرجع الى اختلاف الأصول والفلسفات والمصادر المستقاة منها وهى اختلافات جذرية جوهرية فلماذا يعيب شيخ المحامين على التشريع الاسلامى ما يعتبره مباحا فى غيره .

وحد السرقة الذى سخر منه ، لو قدر تطبيقه لقضى قضاء مبرما على الارهاب الفردى والجماعى (العصابات) الذى أهدر قيمه المال فنحن نعاقب السارق بعقوبات وضعية ، فهل كان لها أثر فى تطهير المجتمع من ذئاب المال .

أما الاختلاس فعقوبته اسلامية معروفة وأن غابت عن شيخ المحامين فهى (أولا) استرداد المال المختلس وثانيا : تأديب المختلس بمبدأ التعزير وهو أحيانا يصل الى حد الاعدام فليس فى الشريعة جريمة وليس لها عقاب يقرره الامام أو الفقهاء (السلطة التشريعية) وليس معنى أن الاسلام لم ينص الا على حدود (السرقة والزنا والقذف والحرابة والشرب وقطع الطريق) أنه لا عقاب فيه لغيرها من الجرائم وانما نص الاسلام على هذه الجرائم الست بتحديد العقوبة ليوفر فى المجتمع الأمن على النسل والعرض والمال والنفس والعقل ، وترك تحديد العقوبة على غيرها بشرط عدم الافراط والتفريط.

● وينكر شيخ المحامين فى حد الزنا : الرجم ويقر الجلد لأن الجلد ورد فى القرآن الحكيم والرجم لم يرد فيه .

فالجلد فى القرآن صراحة هو عقوبة الزانى غير المتزوج من فاعل ومفعول ، أما الرجم فهو عقوبة المتزوجين .

وللتشريع هنا حكمة تشريعية عادلة فالشاب غير المتزوج معذور من ناحية وقد ثاب من ناحية ، فروعى ظرف جريمته فخفف الشارع عقوبته بالجلد مائة ولم يهدر حياته .

أما المتزوج فلا عذر له فروعى ظرف جريمته فشدد عليه العقاب فى هدر الشرع دمه ليطهر المجتمع من هذا الصنف القذر من الناس لصوص الأعراض ومنتهكى الحرمات وهذا الرجم ثبت بالسنة الصحيحة ولكن شيخ المحامين يرد عمل السنة » ا . هـ

***

الفصل الثالث

حسين أحمد أمين
الجرأة فى الهجوم على السنة والشريعة

الجراة فى الهجوم على السنة والشريعة

ردد (حسين احمد أمين) شبهات كثيرة وشكوكا متضاربة فى حملة ضارية يقصد التشكيك فى جميع القيم الأساسية بالتماس نصوص مبتورة ، وأخبـــار ملفقة من كتب القصاصين والرواه وكتاب الأدب والأغانى وغيرها من كتابات الظرفاء والســـاخرين فى محاولة لانتقـــاص الاسلام .

وكان هجوم البــاحث موزعا على نقـــاط عديدة أهمها :

١ ــ ان أحكام السنة ليست ملزمة فى التشريع .

٢ ــ ان اللســـنة كانت قيدا على الاجتهاد وعقبة امام تطور المجتمعات الاسلامية .

٣ ــ ان التمسك بالسنة ورفع أحكامها الى مرتبة الالزام كان هو السبب فى جمود الشريعة .

٤ ــ ادعى أن البخارى اهتم بصحة الســـند مهما كان مضمون المتن .

* * *

قطع يد السارق

الأستاذ السيد الغضبان

حاول بخليط غريب من السخرية وتصيد روايات ضعيفة أو مدسوسة أن يثبت أن قطع يد السارق حـــد لا يصلح للتطبيق فى عالمنا المعاصر ثم يوسع دائرة حكمه على الشريعة الاسلامية بأن علينا أن نأخذ بروح الاسلام لا التزام بأحكام معينة متناثرة .

كقوله : (لقد جاء الاســـلام رحمة الله للعـــالمين وتطور شريعته على تتابع الحقب واختلاف الظروف هو الضـــمان الوحيد لاستمراره الى آخر الزمن) وقد جاء بعبارته ينسف بها نسفا الكثير منالعبادات والتشريعات التى جاء بها الاسلام فلو أننا ســلمنا بهذا المبدأ الخطير الذى يقرره لأسقطنا الصلاة والصيام والحج وغيرها من العبادات ماسماه :

(الأخذ بروح الاســـلام بأحكام معينة متناثرة) . البـــاب مفتوحا بهـــذا المنطق ليقول قائل : لماذا هـــذه الطقوس الغريبة من وضوء وركوع وســجود ما دامت روح الاســـلام وحكمة الصلاة فى اتصـــال الانسان بربه تتحقق بوســـيلة أخرى كالتأمل واخلاص النية وحســـن المعاملة .

واذا كان الهدف أن يجتمع المسلمون ليتعـــارفوا ويتدارسوا أمور دينهم وهم بلباس الاحرام فلماذا لايزيح النـــاس من كل هذا العنـــاء فى السفر المضنى والطواف والصعود على عرفات وتوفر للمسلمين بوسائل الاتصال الحديث تلاقيا أوسع يتدارسون فيه شئونهم .

٢ ــ ويتسع القياس بمنطق (حسين أمين) لنتخذ بديلا جذريا فى طقوس العبـــادات وأساليبها ما دمنـــا سنحقق آخر الأمر روح الاسلام كما يقول .

هذا هو أخطر ما ذهب اليه ، وللمسلمين من هـــذا المنطق موقفا واضحا ، فاذا صح هذا المنطق فى المذاهب

الاقتصادية فانه لا يصلح بالنسبة للأديان التى تتطلب من المؤمنين بها أن تكون ركيزة ايمانهم يقين روحى يفرض بمسلمات غيبية علمها عند الله وحده وقناعة عقلية يتدعم بها هذا اليقين .

والمسلمون كل المسلمين يعرفون القاعدة الشرعية (لا اجتهاد مع النص) فيما ورد فيه نص قاطع لا سبيل للمسلم الا التسليم به بيقين المؤمن والا فليخلع رداء الاسلام ان اراد ويطلب (تطوير النص بما يوافق ما يراه مناسبا لمتطلبات العصر من وجهة نظره وتطوير الشريعة يعتبر مرفوضا تماما ، لأن التطوير يعنى امكانية الحاق تغيير فى الأصل والنص ، والمسلمون المستنيرون يعرفون تمام المعرفة أن الشريعة الاسلامية قادرة بنصوصها القرآنية سواء فى العبادات أو فى التشريعات المختلفة أو الحدود قادرة على أن تقنع كل صاحب منطق سليم فى كل عصر وكل مكان .

٣ — ويرى (حسين أمين) ان الفقهاء ارادوا التحايل على حد السرقة وكان بوسعهم ان يقولوا ان واجب المجتمع الاسلامى فى صورته الجديدة ومن حقه ان يجد عقوبة لجريمة السرقة غير العقوبة التى قصد بها المجتمع البدوى أو الجاهلى .

غير ان الأئمة والفقهاء والمجتهدين لم يكونوا أمناء مع أنفسهم ، لقد استحق هؤلاء الفقهاء ووصفهم بعدم الأمانة لأنهم لم يرو رأيه ويعلنوا أن حد السرقة قد شرع للمجتمع البدوى .

والواقع أن الفقهاء ليس كما صورهم (حسين أمين) وانما هم على هدى ايمانهم العميق وعلمهم الراسخ بأمور الاسلام رأو أن التشريع الذى نزل به (نص قرآنى) انما أراد الله به عموم البشر لا اسكان الجزيرة العربية من البدو وحدهم وقصد به الناس جميعا فى كل زمان ومكان منذ زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

انهم شوامخ وأنت ترميهم فى بساطة بعدم الأمانة مع انفسهم . ان جريمة السرقة تتغير فعلا من مجتمع الى آخر شكلا وأسلوبا ولكنها تبقى جريمة بكل المعايير وفى نظر كل القوانين ، بل هى فى المجتمعات الحديثة اشد خطرا .

انظر الى بلد طبق شريعة الله كيف اختفت أو كادت جريمة السرقة ، كيف يأمن الفرد على نفسه لأن القصاص الماثل أمام المجرمين والمتمثل فى قطع يد السارق يشكل ردعا حاسما ولم يتجاوز عدد الأيدى التى قطعت الا أقل القليل . ويتحدث حسين أمين عن شروط عددها الفقهاء ليجعلوا اقامة حد السرقة أمرا مستحيلا وهى شروط بعضها مأخوذ من روايات مدسوسة على الاسلام وبعضها يسوقه على سبيل السخرية المضحكة ، وهذه هى الجراة فى الادعاء .

ان ما اوردته كتب الفقه من شروط وضعها الفقهاء لدرء حد السرقة ليست مما يؤخذ على الاسلام بل هو مفخرة لهؤلاء العلماء المجتهدين لأنهم وضعوا الضوابط التى تحمى البرىء . وهى معجزة لأن فقهائنا قبل أربعة عشر قرنا صانوا حقوق المتهمين قبل أن يعرف العالم المتحضر معنى صيانة حق المتهم .

ويرى حسين أمين ان الفقهاء اخترعوا عقوبة التعذير هروبا من تطبيق حد السرقة لأنها عقوبة لميذكرها القرآن ولم يعرض لها الحديث الا قليلا ، ونحن نقول له أن السنة الصحيحة متممة للكتاب فاذا ورد التعذير فى الحديث قليلا أو كثيرا فهو تشريع واجب الالتزام فليست العبرة بكثرة أو قلة الأحاديث بل بثبوت صحتها أو ضعفها .

٤ — ويورد حسين امين صورة بشعة يلصقها بالاسلام وهو يتحدث عن طريقة قطع يد السارق .

❋ ❋ ❋

٢ — اثارة الشكوك حول السنة

لا يعجب (حسين احمد أمين) كون الامام الشافعى قد رفع أحكام السنة الى مصاف الأحكام القرآنية واعتبارها مصدرا الهيا فى التشريع وهو مايعرف بحجية السنة والباحث فى بعض اقواله يضف هذا العمل من جانب الشافعى بأنه (حميد) ثم لا يلبث أن يضعه فى خانة (العيب) نظرا للمواقف الوخيمة التى جفتها الأمة الاسلامية من حجية السنة واضطراد هذه الأمة بسبب تباين أجناسها واختلاف حضارتها والحاح مصالحها — الى الخروج على أحكام السنة .. !

نحن ازاء باحث لا يجرؤ على تحميل نفسه مسئولية الزعم بأن السنة كانت قيدا على حرية التشريع ولذا يضع هذه المسئولية فى عنق الشعوب الاسلامية وفقهائها الذين ضاقوا بأحكام السنة — كما يقول — فلجأوا الى

التحايل واختراع الأحاديث ونسبتها الى النبى لتكتسب الصيغة الشرعية ولم يكن هذا الفعل الفاضح بمقصورا على زمن معين وانماهو عمل متواصل تتوارثه الأجيال فكلما جاء جيل جديد ذو احتياجات جديدة اختلق هذا الجيل المزيد من الأحاديث التى تعبر عن هذه الاحتياجات التالية لاحتياجات الجيل السابق .

ماذا يعنى هذا الكلام الذى يفتقر الى السند فى ظل سلسلة من الأكاذيب التشريعية فكل ما لديها من احكام انما مردها الى احاديث مختلفة ومكذوبة والكاتب لا يعبر عن استنكاره لهذا الفعل — اذا صح — بل هو لا يخفى المجابه بهذا الأسلوب ويراه من الوسائل الفعالة التى مكنت الأمة الاسلامية فى نهاية الأمر من تجاوز العقبات والقوانين الصارمة التى يضعها الحكام او الفقهاء فى طريقها .

أيه امة اسلامية تلك التى لا ترى من وسيلة للحياة السعيدة غير الخروج على قيود السنة واختراع الأحاديث للضحك على ذقون العامة وخداعهم بما تتضمنه من صياغة قريبة من صيغة الحديث وتى كانت السنة قيدا على حرية التشريع وهى المصدر الثانى مع القرآن الكريم وماذا سيبقى من مصادر التشريع اذا اهمل المسلمون السنة وتحرروا من احكامها كى يعيشوا سعداء متطورين .

* * *

سيقال : أن القرآن هو المصدر الأساسى للتشريع لأنه لم يتعرض لتبديل أو عبث أو اختلاف مثلما حدث للسنة وهذا القول نصفه حق ونصفه باطل فأما جانب الحق فيتمثل فى ان حجية القرآن هى الشريعة ليس فى حاجة الى دليل فى نظر المسلم والقرآن هو مصدر المصادر لهذه الشريعة وينبوع ينابيعها والمأخذ الذى اشتقت منه اصولها وفروعها واما جانب الباطل فيتمثل فى الزعم بأن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع لأنه ينكر حجية المصدر الثانى وهو السنة .

يقول الامام ابن حزم الظاهرى (كل أبواب الفقه ليس منها باب الا وله أصل فى الكتاب والسنة تعلنه) ولا يختلف عامة المسلمين وخاصتهم على أن السنة هى المفصلة لمجمل القرآن وهى المبينة لما يحتاج الى بيان ، فاذا خرج علينا صاحب راى يدعو الى انكار السنة تلميحا أو تصريحا أو يحاول اثارة الشكوك من حولها فمن واجبنا أن نتصدى له لأنه يهدم الركن الثانى من أركان التشريع الاسلامى تحت ستار الدعوة الى تطوير الشريعة وتحريرها من الجمود .

والدعوة الى انكار حجية السنة ليست جديدة ولعل هذا الانكار هو الذى دفع الامام الشافعى الى التصدى لهذه الدعوة الخبيثة فرفع أحكام السنة الى مصاف الأحكام القرآنية وقد فعل الامام ذلك لأنه ادرك مخاطر انكار السنة على كيان الاسلام فنهض مدافعا ومكافحا حتى لقب بناصر الحديث ، ولقبه تاريخ الفقه ، بل تاريخ الفكر الاسلامى بملتزم السنة لا يحيد عنها ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد أبو زهرة : أما السنة فقد وجد الشافعى من ينكر حجيتها فالتقى بناس ارتكبوا كبر هذا القول ووجد اناسا ينكرون أن تكون مثبتة أحكاما فوق احكام القرآن لأنها تبين ولا تزيد ووجد اناسا أنكروا حجية خبر الآحاد وجد الشافعى هؤلاء وأولئك فكان لابد ان يسوق الأدلة لاثبات أن للسنة حجية فى اثبات الأحكام وبعد أن يسوق أبو زهرة هذه الأدلة بالتفصيل يلقى الضوء على مقاله منكرى السنة فيقول : جملة قولهم أن الكتاب فيه تبيان لكل شىء وأن الكتاب عربى لايحتاج الى بيان غير معرفة اللسان العربى والأسلوب العربى الذى جاء به القرآن وليس وراء بيانه بيان ، وأن الأحاديث المروية يرويها رجال لا يبرءون فى نظر احد من الكذب أو الخطأ او النسيان ، ودراية أمثال هؤلاء الرواة لايصح ان تقترن بالكتاب القطعى فى ثبوته ودلالته ، ولكنكم انتم معاشر الآخذين بالسنة فقد سلمتم أنها ليست فى مقامه حتى تبينه فتكون قاضية بتخصيص أو تقييد أو تفصيل ومن هذا نرى — يقول الشيخ أبو زهرة — أن ذلك الرأى يهدم السنة ولا يعتبرها أصلا من أصول الفقه الاسلامى قط .

* * *

ولقد تصدى الشافعى لفضح آراء هذه النحل وما يترتب عليها من خطر عظيم ، اذ يترتب عليها الاتفهم الصلاة والزكاة والحج وغيرها ، الفرائض المجملة فى القرآن التى تولتها السنة بالبيان الا على القدر اللغوى منها فيفرض من الصلاة فى اليوم ركعتين بزعم ما لم يكن فى كتاب الله فليس على فرضه ، وبهذا تسقط الصلوات والزكوات التى تواتر لدى الكافة فرضها حتى أصبح العلم بها من ضروريات العلم بالدين وقائل ذلك ليس من الاسلام فى شىء .

ونحن نتورع أن نتهم الكاتب فى دينه فمثل هذا الاتهام ليس مطروحا على الساحة للمناقشة .

(الأخبار ١٩٨٤/٣/٣١)

٣ — الامام الشافعى وحجية السنة

أن المسلمين على اختلاف ثقافاتهم وطوائفهم وانتماءاتهم يؤمنون بأن السنة الشريفة هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم والمسلمون يعتبرون قول الرسول وفعله وتقريره حكما شرعيا لا يختلف فى ذلك أحد ، فاذا جاء كاتب ليقول أن أحكام السنة ليست ملزمة فى التشريع ، فمن حقنا أن نناقش دعواه ونمحض أسانيده ، حتى ننتهى واياه الى وجه الحق ، أما اذا قال ان السنة كانت قيدا على التشريع وعقبة على امام تطور المجتمعات الاسلامية فان المناقشة تكون الزم ويكون عليه أن يقدم الدليل على صحة دعواه فاذا لم يفعل وجب علينا أن نقول كلمة الحق والانصاف فى هذه القضية التى تتصل بالدعامة الثانية من دعائم الدين .

ولقد نشر حسين أحمد أمين سلسلة من الملاحظات حول الشريعة الاسلامية دعا فيها الى تخليص العقل من القيود حتى يتمكن المسلمون من مواكبة العصر وهو يرى أن اغلاق باب الاجتهاد أدى الى جمود الشريعة عند قوالب معينة صنعها السلف الصالح من الائمة المجتهدين لعصرهم ، وهذا كلام فيه نظر ولكن اشد ما فى هذا الكلام مما يستحيل تقبله فهو قوله :

ان التمسك بالسنة ورفع أحكامها الى مرتبة الالزام كان هو السبب فى جمود الشريعة . وينسب الكاتب الى الامام الشافعى مسئولية القيام بهذه المهمة التى كانت الهدف منها فى الأصل معالجة ظاهرة الاختلاف فى الأحكام ولكنها تحولت الى قيد على حرية التشريع .

* * *

فماذا فعل الامام الشافعى

يقول الباحث : جاء الشافعى فانكر على أبى حنيفة امعانه فى التعقل وشدة اعتماده على أعمال الفكر والرأى الشخصى والاستحسان كما انكر على الامام مالك تأكيده لحق المسلمين فى استبعاد بعض الأحكام التى استنها الرسول متى نشأت اعتبارات فقهية عجيبة أو كان ثمة نص قرآنى يقضى بغيرها وكان أن دفع الشافعى أحكام السنة الى مصاف الأحكام القرآنية وذهب الى أن السنة شأن القرآن — مصدرا الهيا وذهب الى ضرورة جمع اقوال النبى والروايات عن افعاله من أجل اتخاذها مصدرا ثانيا للشريعة .

بل وذهب الى أبعد من ذلك حسين وافق قول الشيبانى بجواز أن تنسخ أحكام السنة أحكام القرآن ، ثم يمضى الكاتب فينعى على الامام الشافعى دعوته الى حجية السنة . أى ان يكون لها الزام كالزام القرآن ، ويرى أن هذا الموقف أدى الى عواقب وخيمة على أمة المسلمين الذين فاق أمامهم نطاق الرأى كمصدر للتشريع وسلب الشعوب حريتها فى تشريع ما يناسبها مما دفع العلماء الى التحايل على المصدر الثانى الجديد (أى السنة) عن طريق اختراع أحاديث يضمنونها آراءهم المسايرة للتطور ثم نسبتها الى النبى مختلقين لهـا الأسانيد فى صياغة قريبة من الصياغة المألوفة للحديث ثم يقول : أنه بالرغم من الجهد الذى بذل لتنقية الأحاديث فان هذا الجهد تركز على (التحقق من صحة الاسناد وليس معقولية المتن) ولم يحل ذلك دون قيام حالة من الفوضى الشاملة فى ميدان الحديث .

* * *

هذه القضية المتشعبة التى يطرحها (حسين احمد أمين) باسم الدعوة الى فتح باب الاجتهاد وتحرير الشريعة من الجمود تثير بعض القضايا الفرعية يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا : ان الامام الشافعى كان من أسباب الانغلاق الفقهى والتشريعى وهدم المنهج التحررى الذى سلكه أبو حنيفة ومالك فى مجال استخدام العقل والرأى .

ثانيا : ان الشافعى غالى فى تقدير حجية السنة لدرجة أنه منحها سلطة (الغاء) أحكام القرآن .

ثالثا : أن أحكام السنة كبلت حرية الشعوب فى تشريع ما يناسبها .

رابعا : ان الأئمة المجتهدين — للخروج من الورطة — اختلقوا الأحاديث المكذوبة و (فبركوا) لهـا الأسانيد .

خامسا : ان ميدان الحديث تعرض لفوضى شاملة بالرغم من حملة التنقية التى أهملت التحقق من معقولية الدين .

(باحث مسلم — الفكر الاسلامى — الأخبار ٢٤/٣/٨٤)

* * *

٤ – قضية اختلاق الأحاديث

يطعن (حسين أحمد أمين) حركة الاجتهاد في الاسلام طعنة مسمومة حين ينسب الى الائمة المجتهدين ما هم منها براء وهى جريمة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزعم أنهم صاغوا آرائهم في قالب احاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد لها حتى تلقى قبولا من الأمة ، أو على حد تعبير بعضهم (كنا اذا رأينا رأيا صيرناه حديثا) فاذا الأجيال التالية لاقفال باب الاجتهاد قد صدقت نسبة هذه الأحكام والآراء الى الرسول الخ .

* * *

ويهدف الباحث من وراء هذه الفرضية المزعومة الى التدليل على أن المجتهدين الأوائل كانوا من المرونة الى حد الخروج على قيود السنة وتزييفها كى تستقيم أمور الناس فوضعوا لهم احكاما فقهية في قوالب شرعية.

ولن يناقش القواعد التى قام عليها الاجتهاد في الاسلام والتى من أولى بدهياتها التقيد بأحكام القرآن والسنة ، ولكنا نناقش الفرضية التى طرحها الباحث والتى تتعلق بعملية اختلاق الأحاديث ومن حقنا أن نطالبه بأن يذكر لنا اسم واحد من الأئمة المجتهدين وضع احاديث كاذبة ونسبها الى النبى . ! هل فعل ذلك احمد ابن حنبل أو الشافعى أو ابو حنيفة أم مالك .

وكلهم يعرف قول النبى (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وكلهم أوتوا من الفراسة في فهم الرجال ما جعلهم يتورعون عن قبول روايات لم تتوافر لها عنصر الثقة في الاستادحتى قال مالك : ان هذا العلم (يعنى الحديث) دين فانظروا ممن تأخذون فقد أدركت سبعين ممن يقولون (لا اله الا الله) قال رسول الله عند هذه الأساطين – مشيرا الى اعمدة مسجد الرسول فما أخذت منهم شيئا وأن احدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا الا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن (أى علم الحديث) .

ان العبارة التى ذكرها الباحث على لسان (بعضهم) وقال فيها :

(كنا اذا رأينا رأيا صيرناه حديثا) لم يقلها واحد من الأئمة المجتهدين في أى عصر من عصور الاجتهاد وانما الذى قالها واحد من رءوس الأفك والضلال ونعنى بهم (الرافضة) من غلاة الشيعة ، وكان الشيعة المعتدلون يعرفون هذه الحقيقة ويحذرون من المسلك الوعر الذى سلكه غلاتهم في وضع الحديث .

فقد كان ميدان الحديث مجالا واسعا للوضع والوضاعين ولكن من هم الذين قاموا بهذه الجريمة ، هنا مربط الفرس ، ولو رجع الباحث الى كتاب والده احمد أمين (فجر الاسلام ص ١١١ فسوف يجد قصة عبد الكريم ابن أبى العوجاء الوضاع الذى قال حين أخذ لتضرب عنقه : فقد وضعت لكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها واحلل ، وسيجد صفة هذا الوضاع بأنه كان يخفى اعتناقه للمانوية من الكذابين الوضاعين ، الذين ارادوا الكيد للاسلام وهدمه من الداخل على طريق (فبركة الأحاديث) بعد أن استحال عليهم العبث بالقرآن .

وكيف له أن ينسى الجهود الجبارة التى قام بها علماء الحديث لفضح هذه الحملة المسعورة وصيانة الحديث من عبث المفسدين ودس الدساسين ، فكان من ثمار هذه النهضة المباركة أن استقام أمر الشريعة بتدوين السنة وظهرت علوم الحديث ومن أبرزها علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل لتقويم الرجال الرواه) وتمييز الحديث الصحيح من الحسن والضعيف .

ومع كل ذلك يأبى الباحث الا أن يمضى في حملته المريبة فيعيب على علماء الحديث أنهم ركزوا معظم جهدهم على التأكد من صحة الأسانيد ولو أدى الأمر الى قبول أحاديث تحتوى على خرافات أو تجافى المنطق أو التاريخ الثابت (الأخبار ١٤/٤/١٩٨٣)

٥ – اجتهاد مضلل

يقول حسين احمد أمين ان الاجتهاد تيجب أن تفتح أبوابه وأنا أسأله : ومتى أغلق باب الأجتهاد ، أن باب الاجتهاد لم يغلق وما زال مفتوحا ولكن ليس لكل من هب ودب ، أنه بات مفتوحا لمن يتمتع بأهليةالاجتهاد تلك التى تقوم على أساس من العلم بالكتاب والسنة ودراسة لآيات وأحاديث الأحكام ومعرفة ما قاله المفسرون وما قاله شراح الأحاديث والاستيعاب لما أدلى به الفقهاء والمجتهدون في هذه المجالات . والعلم بمصطلح الحديث كما لابد للمجتهد ان يكون حافظا للقرآن الكريم كله ، وأن يكون عالما بالمسائل التى انعقد عليها اجماع العلماء في شتى الأزمنة عالما بلسان العرب ، عالما بدلالات الألفاظ .

وأن تثبت له القدرة على تفسير ما ورد في كتاب

الله وسنة رسوله قادرين على استنباط الأحكام استنباطا قويا منطقيا عارفا بالناسخ والمنسوخ بحيث لا يخفى عليه شيء من هـذا ، كما لابد أن يكون عالمـا بأصول الفقه ومقاصـد الشريعة وأن يكون معـايشا للنـاس عارفا بعـاداتهم كما لابد من أن يكون كذلك من أهـل التقوى والورع والغيرة على دين الله .

كيف يقال انك مفكر اسلامى وأنت تنادى بتعطيل كتـاب الله وسنة رسـوله ، وأنت تحرض العقل على الخروج على خالقه بحجة ان عصيان الله عقل وكيف وأنت تهاجم وتجرح المنادين بالاسلام وأنت تتهم المنادين بتطبيق شرع الله بأنهم خونة وعملاء .

ما رايك فى الحدود المهدره ، وهب ان رجلا دخل بيته فوجد رجلا مع امراته فهم بقتل الزانى فكانت يد الزانى أسرع فقتل الزوج فان القانون الوضعى يخرج هذا القاتل الزانى بريئا من كلتا التهمتين اما خروجه من تهمة القتل فلأنه كان يدافع عن نفسـه أما خروجه من تهمة الزنى فلأن الوحيـد الذى يملك حق رفع الدعوى على هـذه الزوجة الزانية هو الزوج وقد قتل وليس هذا الحق لأحد غيره .

ارايت انك تدافع عن قانون يهدر المال وهو يعطى الحق للمغتصب ، فمن يبسط يده على ما اغتصبه خمسة عشر عاما على الأكثر يكون مالـكا لهذا الشيء الذى فى حوزته .

تقول ان الاستعمار البريطانى قد ابطل الشريعة الاسـلامية ولم يعترض احد وترى أن السـكوت على عدوان الاسـتعمار البريطانى على شريعة الله دليلا فى نظـرك وحجة فى يدك لتعترض على المطالبين بتطبيـق الشريعـة . وهل يمكن أن يكون الغـاء الاستعمار للشريعة حجة يمكن ان يجنح بها فى وجه المنادين بتطبيق الشريعة وهل يعتبر السكوت على المنكر حجة لمعارضة من ينادى بالمعروف ويستنكر المنكر .

كيف ترمى الامام أبو حنيفة وتقول انه لم يكن من الورعين الأتقياء ، كيف ترمى الامام أحمد بن حنبل بأنه لم يكن من الورعين الأوفياء ، كيف ترمى الامام الشافعى بأنه ليس من الورعين وهو واضع علم أصول الفقه ، كيف ترمى الامام مالك .

كيف تريد أن تكون مجتهدا ومفكرا اسلاميا وأنت تجحد شرع الله وتتساءل فى تهكم كيف تعادل شـهادة بواب لشهادة أمينة السعيد وسهير القلماوى واقول لك أن الله هو الذى شرع والآية واضحة فى القرآن ولا تقبل شـهادة حاسرات الرءوس السافرات ولا تقبل شـهادة المستنكرات لشريعة الله . بلسان المقال ولسـان الحال وتقول انك قرات القرآن كله فلم تجد (كما تزعم) الا ان الحجاب قد فرض على زوجات الرسـول بوصفهن الخاص واقول لك افتح المصحف فى سورة الأحزاب فقد شهدت على نفسك بالجحود أو بالغفلة واقرأ قوله تعالى :

(يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين)

اقرأ جيدا (ونساء المؤمنين) .

كيف تقول أن الحجـاب لم يفرض الا على زوجات الرسول ولم يفرض على نساء الأمة مع أن الله تعـالى يقول :

(يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) ويقول للمؤمنات باطلاق (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمـار غطاء الرأس والجيب فتحة الثوب عند العنق بسـتر العنق والأذنين والقرط حتى لا يبدو من المراة غير وجهها وكفيها (صلاح ابو اسماعيل)

٦ ـ ترديد لفكر المستشرقين العنصريين

عالج حسـين أحمد أمين فـكرة تطبيق الشريعة بأسلوب يثبت استحالة تطبيقها وتنطوى مقـالاته على أخطاء شكلية وموضوعية فهو من ناحية الشكل يتناول موضـوعات جليلة باستخفاف وسـخرية ، الأمر الذى يوحى انه لا يتحلى بروح المسئولية التى ينبغى أن يتوافر لمن يكتبون فى هذا المجال ومن الناحية الموضوعية تخلو كتابته من التوفيق والتجريح وتفتقر الى الأمانة العلمية والدقة ، كما انه يخـالف ـ دائما ـ ما اسـتقر عليه الجمهور طمعا فى لفت الانتباه .

ويبدو الكاتب ضيق الصدر بمثالية السلف الصالح دائم البحث عن أخطاء يلحقها بهم حتى ينزلهم من سـماء المثالية الى أرض الواقع . وهكذا كانت نظرية لسـعد ابن أبى وقاص أما خامس الخلفـاء الراشدين عمـر بن عبد العزيز فهو عنده جاهل ويرى أن جهـله بالشئون السياسية كان سـببا فى تدهور أحوال الدولة وفى نفس

الوقت يشيد بالكفاءة الادارية ليزيد بن معاوية السكير العربيد (الذى مات وهو يسابق قردا قيده على حصان) وهو يعتقد أن الحجاج بن يوسف الثقفى كان واحدا من أعظم الاداريين فى العالم (وهذا راى المستشرق الألمانى فلهوزن) وهو راى متهافت من آثار المدرسة الألمانية التى كانت تقدس الدولة ولو كانت ظالمة باغية وهو يرى ان العقل العربى متطرف لا يرى فى الحياة سوى لونين هما الأسود والأبيض بسبب طبيعة الصحراء (نفس راى المستشرقين العنصريين) وهو يرى أن طبيعة العربى تكره كل جديد وهو يدعو الى الاكتفاء بروح الاسلام دون تطبيق حدوده وأحكامه .

انه يبدو كصورة بالالوان الطبيعية لفكر المستشرقين العنصريين وبالتالى فلا جديد فيما يقوله .

(أحمد بهجت)

* * *

٧ ــ دعاوى على الامام البخارى

ليس صحيحا ما ادعاه (حسين امين) على البخارى من انه يعول على الاسناد فقط بل أن البخارى عنى بالاسناد والمتن معا ، وعنى بالنقد النفسى وذلك كرد رواية المبتدع الداعى لبدعته ، وليس ادل على نقد البخارى وغيره من المحدثين للمتن من انهم وضعوا علامات الوضع فى المتن ، مثل مخالفته للعقل السليم او المشاهدة أو الحس ، مع عدم امكان تأويله تأويلا محتملا ، كما ردوا من الأحاديث مايخالف القرآن والسنة المشهورة الصحيحة ، او التاريخ مع تعذر التوفيق وهكذا مما هو مبسوط فى كتب (أصول الحديث) .

هذا بالاضافة الى أن البخارى شرط ان يخرج الحديث المتفق على صحة نقله الى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات الاثبات ويكون اسناده متصلا غير مقطوع وان يكون راويه مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط متصفا بالعدالة والضبط متحفظا سليم الذهن سليم الاعتقاد .

فاشترط فى الاسناد (الاتصال) بنقل العدول الضابطة كما اشترط فى المتن ان يكون خاليا من الشذوذ والعلة واشترط فى المعنعين اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم التدليس .

وليس فى البخارى من الأحاديث ما يوصف بأنه يجافى المنطق او العلم او التاريخ اللهم الا اذا كانت فقط تجافى منطق الجاهلين بالسنة وبمعانيها .

وقد تدارس نقاد الحديث هذا الكتاب حديثا حديثا فشهدوا له بالصحة ، يقول ابو جعفر العقيلى :

لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرضه على على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحى بن معين وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة الا أربعة احاديث قال العقيلى والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة لهذا كله اجمعت الأمة على تلقيه بالقبول واتفق العلماء على أنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى هما الصحيحان للامامين الجليلين : البخارى ومسلم .

وان جميع ما فى صحيح البخارى صحيح ليس فيه ضعف ، وانما كان نقد الناقدين موجها الى بعض أحاديث لم تصل فى صحتها الدرجة العليا التى التزمها الامام البخارى وهما فى الواقع ونفس الأمر صحيحة ولكنه يلتزم فى كتابه بشروط غاية فى الدقة والحيطة .

(أحمد عمر هاشم)

الشبهات المثارة حول الشريعة

اولا : الحكومة الدينية

من اهم الدعاوى التى يرددها العلمانيون والماركسيون القول بأن الاسلام يدعو الى الحكومةالدينية (التى يسمونها فى الغرب الحكومة الثيوقراطية) وحقيقة الأمر أن الاسلام على طوال تاريخه لم يعرف هذا النوع من الحكومات .

فالحكومة الدينية لها مدلول تاريخى كهنوتى وقد كان الدين المسيحى فى الغرب يستغل هذه السلطة أبشع استغلال فالحكومة الدينية الكنيسية مؤسسة تاريخية نهضت على سلطان دينى بينما كانت اغراضها سياسية وهى فى المسيحية واضحة كل الوضوح بينما الاسلام لم يشهد فى فترات تاريخه ما شهدته وما تكبدته المسيحية .

لقد حاولت بعض القوى نقل مجال المعركة الى الاسلام ، ولكن مفهوم الحكومة الاسلامية يختلف اختلافا كبيرا . فالاسلام دين ودولة وأنه من غير الصحيح أن نطلق على الحكومة الاسلامية اسم الحكومة الدينية فالاسلام ــ كما يقول الاستاذ عمر التلمسانى ــ نظام كامل للحياة وهو دين نظام ليس فى نطاق المعاملات

فحسب بل وفى نطاق العبادات كلها ، وقد أجمع فقهاء المسلمين على ضرورة قيام الدولة الاسلامية التى تعكس مبادىء الاسلام وقواعده وخصائصه .

وقد أثيرت مسألة الحكومة الدينية وحكم رجال الدين فى وقتنا الحاضر وأثير الغبار على الاسلام من أعدائه : الملاحدة والشيوعية والماركسيين ودعاة العلمانية والتغريب وقد أراد بعض الكتاب فى تصورهم للحكومة التى تلتزم بنظام الاسلام من منطلق عدائى لنظام الحكم الاسلامى ، أن يلصقوا بالحكومة التى تقوم على أسس اسلامية مساوىء الحكومة الدينية التى عرفتها أوربا فى القرون الوسطى والتى كانت فيها الكنيسة صاحبة سلطة التحليل والتحريم وصاحبة الحق الالهى المطلق فى التحكم والسيطرة على حركة المجتمع .

ان الحكومة الدينية شعار جديد بالتلام لا يجهل أحد اتجاهاتها الفكرية وميولها المذهبية ، شعار لا عهد للاسلام به ولا يعرفه بل وينكره مبنى ومعنى لأن الاسلام لا يعرف فى تعاليمه (رجل دين) وغير رجل دين يتراأى لأصحاب هذا الشعار حال رجال السلطةالبابوية محللون ومحرمون يوم ان كانت صكوك الغفران والحرمان ، وسلطان الكنيسة فى عزل الملوك والأمراء ، هذه الصورة لا وجود لها فى الاسلام على الاطلاق لأن الله تبارك وتعالى ساوى فى الاسلام بين الناس جميعا رجالا ونساء وفى الحقوق والواجبات وبين الحاكم والمحكوم .

ولقد عرف المسلمون هذه الحقيقة وتعاملوا بهذا الميزان فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : (اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا) ويقول للناس (وانما أنا بشر مثلكم) وبهذه الصورة ينتفى تماما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحلل ولا يحرم الا طبقا لما يجيئه من الوحى من رب العالمين .

وعلى هذه الصورة سار الخلفاء الراشدون من بعده لم يدعوا لأنفسهم قداسة ولم يقولوا أن ذواتهم مصونه ولم يختلقوا لأنفسهم مزايا لا تتمتع بها الرعية بل انهم يعترفون صراحة بأنهم ليسوا خير المسلمين .

ان الاسلام فى تاريخه كله لم يعرف شعار الحكومة الدينية فلماذا يصر البعض على الصاق هذا الوصف على كل من يطالب الحكومة بتطبيق شرع الله فى هذا البلد المسلم .

أنه الفزع من ظهور المد الاسلامى ويوم ان نادى الامام حسن البنا بأن امتكم خير امة أخرجت للناس تهدى وتصلح وترشد وتقوم وتقوى كى يستعيدوا مكانتهم فى الأرض ،منذ ذلك الحين وصرخات محمومة واقلام مريبة تشكك فى كل ما هو اسلامى ان الحكومة الدينية تعبير مستحدث لم يرد فى كلام أو مؤلفات أحد من الفقهاء المسلمين الذين عنوا بالحكم ومقوماته ، لم يعرفوا الحكومة الدينية ولكنهم عرفوا الحكومة التى تطبق شرع الله وهو المطلب الذى ينادى به الاخوان المسلمين منذ قيام دعوتهم تأسيسا على ان كل مسلم هو رجل دين فحكومته حكومة اسلاميةلأن أشخاصها مسلمون متدينون .

فالحكومة الاسلامية هي التى تطبق شرع الله غير منقوص ، وليس من حق هذه الحكومة أن تستولى على مال أحد الا فى حدود ما اباح الله لها .

ثانيا : تطوير الشريعة

أثار خصوم الشريعة الاسلامية ما يسمى قضية تطوير الشريعة من منطلق علمانى خالص حيث تحتاج المناهج والأيدلوجيات الى التطوير فهم يرون أن الدين المنزل بالوحى يمكن أن يخضع لهذا الأمر .

والحقيقة أن علاقة الشريعة الاسلامية بفلسفة التطوير بمفهومها الشامل هى علاقة تضاد فقد جاءت الشريعة الاسلامية لتبقى الى الأبد فى حين تصر فلسفة التطور الشامل نبذ كل ما يمت الى الماضى والغاء كل الحقائق الثابتة كما جاء فى المنافستو الشيوعى ١٨٤٨ من هذا يصبح من واجب الفكر الاسلامى أن يناقش هذه الفلسفة بوصفها قلب الهجوم على الدين بعامة وعلى الاسلام بخاصة — يقول الدكتور احمد عبد الرحمن : وليس الهدف من المناقشة رفض كل تطور وانما تحديد الدائرة المشروعة لها وهذا التحديد يستحق العناء بحق لأنه كفيل باسقاط دعاوى عديدة حول اصلاح الدين ، تجديد الدين ، تعديل الشريعة ، تطوير القصة وقد كشف لنا المنهج الاسلامى عن طابقين :

الأول : التشريع وجوهره العدل (خذ ثمرة جهدك وتحمل تبعة أخطائك) .

الثانى : الأخلاق : وجوهره الايثار وشعاره (اعط غيرك من ثمرة جهدك) من عمل صالحا فلنفسه ، لاتزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان الا ما سعى .

يقول ابن القيم : ان الأصل فى العقود كلها انما

هو العدل الذى بعثت به الرسل (ليقوم الناس بالقسط) والشارع جل شأنه نهى عن الربا لما فيه من الظلم وعن الميسر لما فيه من الظلم وكلاهما اكل لأموال الناس بالباطل وكل معاملة نهى عنها الاسلام فهى ظلم واغتصاب لثمرة جهود اخرى وكل معاملة اجازها فهو عدل : هـذا هو المبدأ الذى يراد تطويره لكى يوائق الفلسفة النسبية .

ثم (الايثار) كيف يمكن تطويره فالاسلام يقدم فلسفة اجتماعية متكاملة وضعت لاقامة حياة انسانية كريمة ، فضلا عن حقوق الشيوخ والمعدمين وجميع الفئات التى لا تستطيع أن تعمل بتوجيه على الحاكم المسلم ان يأخذ لهم حقوقهم ، اذا لم يبادروا الى تقديمها عن طواعيه ورضا ولا يقف الاسلام عند حدود الزكاة بل بمديد بقوة الى مزيد من الفضل والعطاء ، الى حيث البذل مع الخصاصة أو العطاء مع الحاجة .

هذا هو المبدأ المطلوب تطويره بغية افساح المجال للأخلاق النفعية الفردية الأنانية التى تسود اليوم المجتمعات الأوربية .

وهكذا نرى كما يقول الدكتور احمد عبد الرحمن ان صيحة تطوير الشريعة ترمى الى تغيير الأخلاقيات وتطوير العقائد والغاء الثوابت وهى ليست بالفلسفة الحديثة أو المعاصرة فقد كانت تمثل باب الفلسفة السوفسطائية التى ظهرت قبل سقراط والتى أنكرت وجود الحقيقة العلمية كما انكرت القيم الخلقية الثابتة الدائمة المطلقة .

* * *

ومعنى ذلك أن كل شىء ينبغى أن يتغير بل يجب أن يغير تبعا لتغيير القوى الحاكمة والمؤثرة فى المجتمع والنظم والتشريعات ليست استثناء من هذه القاعدة فالتغيير والتبديل والالغاء والتطور يقع عليها .

ثم ماتت الفلسفة السوفسطائية النسبية وأقيمت على أنقاضها مذاهب أخرى ، شيدها سقراط وافلاطون وارسطو تعترف بثبات الحقائق العلمية والقيم الأخلاقية .

وفى العصر الحديث بعثت الفلسفة النسبية فى ثوب جديد على يد تشارلس داروين (١٨٨٢) وتحت اسم جديد وفى مجال جديد هو علم الحياة أو البيولوجيا .

قال داروين : ان الانسان شكل متطور عن القرده والقرده شكل متطور عن حيوانات ادنى ، وهذه بدورها شكل متطور عن كائنات أدنى منها ويتسلسل التطور حتى ينتهى الى ادنى اشكال الحياة على الاطلاق .

وتصور الناهضون للحقائق الثابتة والقيم المطلقة كما توهم اعداء الدين بين الغرب والشرق أن نظرية التطور هذه هى السلاح الذرى الذى يمكن أن يبيد أعدائهم ويفتح الباب على مصراعيه لفلسفتهم النسبية التى تنادى بتطور كل شىء وتدين بالعداء والمقت كل ثابت وللدين على وجه الخصوص واذا كان العلم يقول : ان كل شىء يجب أن يتغير ويتطور فان على الدين أن يستجيب لنداء العلم : هذه الاستجابة تبدأ بتعطيل الأجزاء البالية (فى نظرهم) من الدين وهى التشريع والأخلاق واحلال التشريع الوضعى والأخلاق والوضعية محلها ، واذا اقتنع المتدينون بهذه الخطوة الأولية تيسر اقناعهم بالنتيجة النهائية وهى نبذ الايمان بالله وبالكتب السماوية .

وقد انتشرت فلسفة التطور بالطابع الحماسى الانفعالى ولكن الفلسفة النسبية فى الأخلاق وفلسفة نيتشه احد مذاهبها لم تلق رواجا كبيرا لدى فلاسفة الأخلاق وقد أرسى (عمانويل كانت) ١٨٠٢ قواعد الأخلاق الثابتة المطلقة ، قبل ظهور داروين ورفض فكرة نسبية القيم وتطورها رفضا مطلقا ، فالأخلاق عند (كانت) لا يمكن أن تلزم أحدا الا اذا كانت مبادئها ثابتة لا تتغير وانتهت الفلسفة الأخلاقية الأوربية المعاصرة الى الرفض القاطع للنسبية واكدت على ثبات القيم مثل الحقائق الرياضية فى ثباتها ورسوخها .

أما فى الشرق الاسلامى فقد شكلت فلسفة التطور تيارا قويا استمد الطاقة من فلسفة داروين وفلسفة اوجست كونت الوضعية المنطقية والفلسفة الماركسية وحركة الاستشراق المعادية للاسلام ، وفى الوقت نفسه ادار انصار التطور ظهورهم لكل المذاهب الأوربية التى تقول بثبات الأخلاق واطلاقها وثبات القيم الانسانية الأساسية وثبات التشريع تبعا لذلك وتجاهلوها تجاهلا تاما . ولقد كان واضحا منذ البداية وحتى اليوم أن انصار التطور فى الشرق الاسلامى لا هدف لهم سوى احلال الأفكار والنظم والعلم والتشريعات الأوربية محل الأفكار والنظم والقيم والتشريعات الاسلامية ، وقد ادركوا أن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق الا اذا نجحوا فى اقناع الناس بأن التطور الذى جاء به داروين مبدأ كونى شامل وليس خاصا بعلم الحياة وأنه (ديانة) وليس مجرد نظرية ظنية بل حقيقة تجريبية عملية وعلى هذا يجب أن يخضع له الفكر والاعتقاد والتشريع والأخلاق وأن يطبق على كل علم وادب وفن بما فى ذلك تفسير

القرآن وعلوم الحديث فيؤخذ من كل شيء ويترك بميزان التطور الكونى الشامل ومع ذلك فان أنصـار التطور لم يذكروا حيوانا واحدا تحـول من نوع الى نوع بفضـل الانجاب الطبيعى ، لم ير الناس اى تطور من أى نوع كان فى الأحياء الموجودة على ظهر البسـيطة من آلاف السنين . والسؤال (كيف ظهر الانسـان عقب ظهور القرده) لا يزال يتردد حائرا على السنة العلماء .

وبالرغم من كل هذه الحقائق اندفع نفر من ادبائنا وكتابنا اندفاعا حماسيا الى تبنى فلسفة التطور الشامل وجرى فى اثرهم عدد من علماء الدين استهوته العبـارة السهلة التى تقول : ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان، وجرت اقلام عديدة بعبارات مثلها أو قريب منها ، فقال قائل : ان الاسلام دين لين يستطيع ان يوفق بين روحه وبين كل مظهر من مظاهر الحياة وأن تجد فى نصوصـه ما يسـاير الأطوار المختلفة التى تتخطـاها البشرية فى عصورها المختلفة . وقال القائلون أيضا : أنه من الممكن ان نوفق بين الاسلام وبين حضارة الغرب وثقـافته على خلاف الأصول والنصـوص على اساس أن التطور هو روح الشريعة الاسلامية ومن هؤلاء : ضـياء كول الب (تركى) السيد سـيد احمد خان (هندى) اسماعيل مظهر (مصرى) .

والغالبية الساحقة من اساتذة الفلسفة وعلمـاء الاجتماع بل ان جميع من اعتنقوا الفلسفة الشيوعية التى اعلنت الغاء الدين وكل الحقائق الثابتة مع الغـاء الملكية الفردية فى المانفستو الشيوعى ١٨٤٨ .

لكن الحقيقة لم تعدم من يعرفها ويتبناها ويدافع ؟ عنهـا .

وقف فى المواجهة جمـال الدين الأفغانى ، محمـد رضـا آل العلامة الأصفهانى ، الدكتور بشارة رازل ، ابراهيم الحورانى وغيرهم من النصارى والمسلمين وكانت معارك شرسة لا تزال نفعها عاليا فى حياتنا الثقـافية ويحاول أنصار التطور اشعالها من جديد كلما الحت الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية وتفسح لهم مجالا .

* * *

(٢)

ويتحدث الدكتور يوسـف القرضاوى عن مفهوم تطـور الشريعة وكيـف بدأ وما هى حكمـة أتاتورك وحكومته فى الغـاء الأحكام الشرعيـة حتى فى الزواج والطـلاق والميراث . ويقول : أنهـا تدور حول محور اساسى هو أن القوانين الشرعية أساسها الدين والدين ثابت لا يتغير وعـدم التغير فيـه ضرورة من ضروراته وليس الأمر كذلك بالنسبة للحياة فهى معرضة لتحولات مستمرة ، ولهذا يجب أن يبقى الدين (وجدانيـا) أى علاقة بين ضمير الانسـان وربه لا صلة له بالحيـاة والمجتمع والدولة وأن تكون نظم الحياة مسـتلهمة من معطياتها فى التحول والتطور وليست قائمة على أسس دينية جامدة تحول دون ترقى الأمة وتطورها وتمشـيا مع مقتضيات المدنية المعاصرة .

* * *

فهل هذا التبرير صحيح من جهة نظر العقل والعلم المحض : نقول لا ومنطق العقل والواقع يؤيدنا .

لقـد افترض التقرير ان احكام الدين كلهـا ثابتة لا مجـال فيها لتغير أو تطور بحـال من الأحوال ، كما افترض ان الحياة متغيرة متحولة لا مجال فيها للثبـات بوجه من الوجوه .

وكلا الافتراضين مردود .

(أولا) فليس صحيحا أن كل احـكام الدين ثابتة دائمة وغير قابلة لدخول الاجتهـاد فيها وطروء التغيير عليها فمن أحكام الدين ما يتعلق بالعقائد التى تحدد نظره الدين الى الله (تبارك وتعالى) والكون والحياة والانسان وهذه حقائق ثابتة لا تتغير .

ومنها ما يتعلق بشعائر العبادات الرئيسـية التى تحدد صلة الانسان العملية بربه وهى التى تعتبر اركان الاسلام ومبانيه العظام وهذه فى أسسها العامة ثابتة ، وان كان الاجتهاد يدخل عليها فى كثير من التفاصيل ومنها ما يتعلق بالقيم الخلقية ترغيبـا فى الفضائل وترهيبا من الرذائل وهذه تتميز بالثبات أيضا فى مجموعها .

وهذه الثلاثة لا يحتاج الناس الى تغييرها بل الى ثباتها واستقرارها لتسـتقر معها الحياة وتطمئن العقول والقلوب .

ففى أمر نظم الحيـاة الاجتماعية مثل نظام الأسرة والمواريث ونحوها ونظام المعاملات والمبادلات المـالية ونظام الجرائم والعقوبات والأنظمة الدستورية والادارية والدوليـة ونحوها وهى التى يفصـل احكامها الفقـه

الاســلامى بمختلف مدارســه ومذاهبه . وهــذه ذات مستويين :

١ ــ مستوى يمثل الثبات والدوام .

وهو ما يتعلق بالأســس والمبادىء والأحكام التى لها صــفة العموم وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة التى لا يختلف فيها الأفهــام ، ولا تتعدد الاجتهادات ولا يؤثر فيها تغيير الزمان والمكان والحال .

٢ ــ ومستوى يمثل المرونة والتغير وهو ما يتعلق بتفصيل الأحكام فى شئون الحياة المختلفة وخصــوصا ما يتصل منها بالكيفيات والاجراءات ونحوها وهذه قلما تأتى فيها نصوص قطعية بل اما أن تكون فيهــا نصوص محتملة او تكون متروكة للاجتهاد رحمة من الله تبــارك وتعالى من غير نسيان وهناك من النــاس من يتوجس خيفة من المناداة بالرجوع الى الفكر الاسلامى واتخــاذه اساسا تشريعيا وقضائيا .

ومصدر الارتياب والتوجس هو الأساس الربانى والصــفة الدينية للفقه الاســلامى فمن المتفق عليه أن المصدرين الأساسيين لهذا الفقه هما كتاب الله وســنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى أن يتسـم هذا الفقه بالثبات او الجمود وأن تقف العقول البشرية امامه موقف التسليم والاتباع لا وقفة الابتكار والأبدال اذ لا مكان للعقل امام الوحى ولا مجال للاجتهــاد فى مورد النص وهــذا ما يجعل اســباب المرونة وقابلية التطور معدومة أو ضعيفة .

٣ ــ مجال الثبات والتطور فى الفقه

والعارفون يعلمون تمام العلم ان من يقول هــذا الكلام لا علم له بالفقه الاسلامى وخصائصه ومميزاته التى هى ثمرة لخصائص الاسلام نفسه فان من ابرز هذه الخصائص انه يجمع بين الثبات والمرونة معا فى تناسق محكم وتوازن فريد فلم يحل مع القــائلين بالثبات المطلق الذين جمدوا الحياة والانسان ولم يجنح الى العــاملين بالتغيير المطلق كذلك الذين لم يجعلوا لتيهه ولا لمبدأ ولا لشىء ما ثباتا او خلودا بل كان وســطا عدلا بين هؤلاء وهؤلاء . فالأصــول الكلية ثابتة خالدة ، شأنها شــأن القوانين الكونية التى تمسك السموات والأرض أن تزولا والفروع الجزئية مرنة متغيرة منها قابلية التطور شأن ما فى الكون والحيــاة من متغيرات لازمة لحركة الانســان والحياة .

وفى الفقه منطقة مغلقة لا يدخلها التغير أو التطور هى منطقة الأحكام القطعية وهــذه هى التى تحفظ على الأمة وحدتها الفكرية والســلوكية ومنطقة مفتوحة هى منطقة الأحكام الظنية ثبوتا ودلالة ، وهى معظم أحكام الفقه . وهى مجــال الاجتهاد ومنها ينطلق الفــكر الى الحركة والتطور والتجديد .

يوسف القرضاوى

ثالثا : قضية الحدود

آثار خصوم الاسلام قضية الحدود واحدثوا حولها غبارا كثيفا وجدلا شديدا ، من حيث هى المخافةالخطيرة التى ترتعد لها فرائص الظالمين الذين يخــافون تطبيق شريعة الاســلام ونسوا أن الحــدود جزء صــغير من الشريعة وقد احاطها الشارع بضوابط شديدة وهى لم توضــع لتكون عقوبة على عمل بقدر ما وضــعت لتكون زاجرا عن الوقوع فى الخطأ .

وليست الشريعة الاسلامية هى الحدود وليســت الحدود هى لب الشريعة ولكن الحدود وسائل لحمــاية المجتمع من التحلل والفساد ، والشريعة الاسلامية هى النظام الذى يقوم عليه المجتمع الاسلامىلحماية شخصية الفرد وتكوينه على أنه جزء من المجتمع يعمل للســعى والكسب فى حدود الحلال الذى أحله الله تبارك وتعــالى ولكل من الذكر والأنثى مهمته الخاصــة التى حددها له النظام الاسلامى ومن شأن هذا النظام ان يتيح الفرصة المتكافئة للجميع بحيث لا يظلم احــد وعن طريق الزكاة (لا الصدقة) يقوم التوازن بين الأغنيــاء والفقراء وأن يأخــذ من الأغنياء حقــا (وليس صدقة) ليوزع على الفقراء فاذا استوى المجتمع وتوازن وتحققت فيه العدالة اصبح قابلا لتطبيق احكام الله والعقوبة لمن يتجاوز سواء فى الزنا أو السرقة أو الفساد الاجتماعى .

ومن هنا فانه يصبح من الضرورى أن يبدأ المجتمع خطوته الى اعداد وجوده الحقيقى الذى يســتقبل فيه منهج الله .

ولابد من اعداد عدة أمور :

أولا : رد المراة الى مسئوليتها الحقيقية فى حماية الأسرة وبناء الأجيــال (ايمانا بأن الدعوة الى تحريرها كان يراد بها هدم الأسرة وأفساد هذه الأجيال) .

ثانيا : تحرير وسائل التسلية والاعلام من التدنيم

المسلسلات والأفلام والمسرحيات التى تثير الغرائز أو تدعو الى الفساد الخلقى أو تحرض على الجريمة وسد الطريق على الاغراء والاباحة .

ثالثا : اقرار نظام الزكاة والغاء نظام الربا تطهيرا للمجتمع وتحريرا له من الفساد ومن الطبقات التى تحصل على المال عن طريق الحرام والتى تفسد المجتمع بانفاقه فى الفساد وسد الطريق الى الكسب الحرام والغنى الفاحش .

رابعا : فتح ابواب التيسير للشباب للزواج عن طريق تقديم المساكن اللازمة وتخفيض المهور وتيسير وسائل الحلال وتشجيع الجنسين على الزواج بالميزات الحق .

خامسا : تحريم السرقة من اموال الشعب واداء حق الله الذى هو حق المجتمع فيما سوى الزكاة بما يمكن الدولة من الموارد اللازمة لها واقامة حدود الله على أساس كفاية المجتمع .

ومعنى هذا أن النظام الاسلامى والشريعة الاسلامية ليست هى قطع يد السارق أو رجم الزانى ولكن هذه الحدود التى هى بمثابة وسائل الردع التى تحول دون وقوع الجريمة وليس عقابا عليها : أن تطبيق النظام الاسلامى من شأنه أن يحل جميع مشاكل بلاد المسلمين ويحميها من الاستدانة واستنزاف الموارد ويحميها من روح التحلل واللذات والاستعلاء والخطف والكسب والكلام . وهذا كله ينتهى تماما اذا ما طبق النظام الاسلامى .

ويقول المستشار الدكتور جمال الدين محمود : ان الحدود الاسلامية ليست من الأمور العينية ولا يختلف فى بحثها ودراستها عن السياسات الوضعية المعروفة فى التحريم والعقاب الا فى جوانب معينة وهذا الاختلاف حين يدرس دراسة جادة يؤكد قدرة المنهج الاسلامى فى السياسة الجنائية على تحقيق العدل والمصلحة الاجتماعية بطريقة أوفى مما تحققه المناهج المطبقة حاليا والتشريع الجنائى الاسلامى ليس هو الحدود — فهى جانب من جوانبه وتنحصر فى عقوبات محددة وضعها الشارع لجرائم معددة مما يمس بالدرجة الأولى من الأفراد فى المجتمع على أنفسهم وأموالهم واعراضهم ، وهى جرائم الاعتداء على النفس أو ما دونها (القصاص) وجرائم السرقة والحرابه والزنا والقذف وشرب الخمر ، أما بقية الجرائم التى تحدث فى المجتمع وتخل بمصالحه أو مصالح الأفراد فيه فهى فى النظر الاسلامى تقبل كل سياسة جنائية ملائمة بحسب الزمان والمكان بحيث تؤدى الى تقليل الظاهرة الاجرامية الى أقصى حد وعودة الجانى معا الى المجتمع بعد عقابه .

ولا شك أن جانب الحدود — بما فى ذلك القصاص — ليس أكبر الجوانب فى أى مجتمع حديث بل تكون الجرائم الأخرى — على اختلافها وهى التى تدخل فى الفقه الاسلامى تحت باب التعازير — أكبر جانب من قوانين العقوبات فى البلاد المختلفة والعقوبة فى هذا الجانب ليست محددة شرعا ووسائل اثباتها ليست مقيدة ، وهذا هو الخلاف الأساسى بين جرائم الحدود والقصاص وبين جرائم التعذير .

ولا شك أن عقوبة قطع اليد فى جريمة السرقة هى عقوبة جسيمة وقد جعلها القرآن الكريم (نكالا من الله) ولكنها ليست عقوبة اعتيادية لجريمة السرقة العادية كما يظن الكثيرون فهى عقوبة خاصة بجريمة سرقة معينة تقع فى مجتمع اسلامى وقد وضع لها علماء المسلمين شروطا لقيامها وقيودا فى وسيلة اثباتها لا يكاد يوجد لها نظير فى تاريخ الشرائع الدينية والوضعية قديما وحديثا فتخرج عن نطاق هذه الجريمة السرقات التى تقل قيمتها عن حد معين وأنواع لا حصر لها من السرقات التى تحدث فى أماكن عامة أو بين الأقارب المحارم أو المترددين على المكان (كالضيف والخادم) .

كما يخرج منها أيضا كل جريمة سرقة تحوطها شبهه .

وقد أحاط الفقه الاسلامى تطبيق هذه العقوبة الجسيمة بقيود شديدة حتى أجاز الفقهاء للمجنى عليه أن يتنازل عن المال المسروق ولو ظاهريا — للجانى أو يكذب الجانى فى اقراره بالسرقة وبلغ من مسارعة علماء المسلمين فى اسقاط حد السرقة لمجرد الشبهة — ولو كانت نظرية — أنهم أجازوا (التحيل) لاسقاط الحد أخذا بالنصوص الشرعية وجمعا بينها وبين روح العدل والتسامح فى الشريعة .

ومن ناحية أخرى ينبغى الا يغيب عنا ما فعله عمر بن الخطاب حين امتنع عن اقامة حد السرقة فى عام المجاعة (الرمادة) فالحاجة الى ضروريات الحياة مثل السكن والغذاء والعلاج . شبهة تسقط الحد وشيوع الحاجة الى هذه الضروريات فى مجتمع اسلامى — يحملنا على التفكير فى ضرورة الوفاء بهذه الحاجات على المستوى

العام حتى تكون اقامة حد السرقة وفق ضوابط الشرع وتبقى العقوبة التعزيرية المقررة فى القانون وسيلة عادية لمواجهة جرائم السرقة العادية اذ أن قانون العقوبات لا يشترط فى توقيع العقوبة القيود والشروط التى تتطلبها اقامة حد السرقة . وتبدو عقوبة القصاص — سواء كانت الاعدام للقاتل عمدا أو القصاص بنفس الفعل من الجانى فيما هو أقل من القتل — من أكثر العقوبات عدلا كما ارتأى ذلك بحق العالم الانجليزى (بنتام) وقد نالت هذه العقوبة العادلة اهتماما شديدا من علماء المسلمين فوضعوا شروط وأوصاف الاعتداء الذى يجوز أن توقع فيه عقوبة القصاص فينبغى أن يكون التماثل بين الاعتداء وبين العقوبة مؤكدا واى احتمال للتجاوز فى العقوبة أو لعدم امكان المماثلة الكاملة بينهما يجعل القصاص — كعقوبة — مستبعدا وتبقى (الدية) وهى عقوبة مالية — هى خيارا دائما للمجنى عليه او ورثته بدل عقوبة القصاص ، ومن يتتبع القيود والشروط التى وضعها فقهاء المسلمين ولا سيما فى المذهب الحنفى — للجرائم التى تستحق عقوبة القصاص تبين له أن الغالبية العظمى من صور الاعتداء على الأشخاص تخرج من نطاق عقوبة القصاص ولا يكاد يتبقى منها سوى قطع اطراف شخص كالأيدى أو الأرجل او افقاده حاسة من الحواس كالسمع والبصر عمدا واشترط العلماء أن يستعان بأهل الخبرة قبل الاقدام على تنفيذ العقوبة حتى لا يكون هناك تجاوز ولو كان محتملا او مظنونا فحسب .

والأمر فى هاتين العقوبتين — قطع اليد والقصاص — مبناه سياسة جنائية خاصة يقوم على وضع عقوبة بدنية جسيمة تكفى لارهاب من يفكر فى ارتكاب جريمتى السرقة او الاعتداء على حرمة بدن الانسان وقد أحيطت العقوبتان بقيود وشروط تجعل من النادر تطبيقهما .

فالهدف هو الردع المسبق والأثر النفسى المترتب على اعلان العقوبة تجنبا لشيوع الجريمة فى المجتمع وتلافيا لاحساس الملايين بالخوف من وقوعها عليهم فضلا عن تقليل الانفاق الهائل على محاربتها دون فائدة تذكر كما هو مشاهد فى كثير من المجتمعات المتقدمة ماديا ومن الخطأ أن تناقش قصة تطبيق الحدود فى نطاق الجدل الفقهى فحسب بل ستبقى قبل مناقشتها دراسة الظاهرة الاجرامية فى مصر وتطورها فى ظل السياسة الجنائية الحالية بما فى ذلك دراسة معدلات الجريمة سنويا فيما يتعلق بجرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال والنظر فى تكاليف الدفاع الاجتماعى ضدها على المستويين العام والورثى بما يشمل اعداد المحكوم عليهم واعمارهم واثر تلك العقوبات عليهم وعلى أسرهم والاصلاح الذى تحقق نتيجة هذه العقوبات ونسبة العدد الى الجريمة .

ومن شأن هذا أن يوضح مايمكن أن يقدمه التشريع الاسلامى من تصحيح وترشيد لبعض جوانب السياسة الجنائية الحالية .. ا . هـ .

***

رابعـا : الحكم الاسلامى

فى كتابات الدكتور عمارة والدكتور خلف الله

عرض المستشار سالم البهنساوى لكتابات الدكتور عمارة (الاسلام والسلطة الدينية) ولخص رايه فى الحكم الاسلامى فى عدة نقاط :

١ ـ اذا قلنا ان السلطة لله كانت دينا روحيا ومن ثم كانت سلطة دينية وكان متوليها حاكما بالحق الالهى المقدس ونائبا عن الله .

٢ ـ ان السلطة التى يزعم أربابها أن الحاكم فى السياسة والاقتصاد هو الله تحدد بانها تحكم باسم الله ونيابة عنه لا عن الناس .

٣ ـ ان آيات الحكم فى القرآن والسنة النبوية تعنى القضاء والفصل بين الخصومات وليس نظام الحكم أو السياسة .

يقول المستشار البهنساوى : أن معالجة الدكتور عمارة فى أمر الحكم الاسلامى ومن قبله : خالد محمد خالد (من هنا نبدأ ـ ١٩٥٠) أوردا قول اليهود الذين اسقطوا الخلافة الاسلامية بين كمال اتاتورك وحزبه الماسونى وهى الاقوال التى تبناها الشيخ على عبدالرازق فى كتابه (الاسلام واصول الحكم) .

قال خالد محمد خالد عام ١٩٨٢ ـ لعل أول خطأ تغشى منهجى كان تأثرى الشديد بما قرات عن الحكومات الدينية التى قامت فى اوربا وما ابتكروا من وسائل التعذيب التى لا تخطر للشيطان نفسه ، والاسلام حتى فى فترات استغلاله من بعض الخلفاء لم يمنح اياهم سلطة بابوية كهنوتية ، ولكن محمد عمارة ومن قبله محمد خلف الله يصران على حمل هذه الرسالة التى قال عنها صاحبها انها رسالة الشيطان حيث يزعمان ان الحكم الاسلامى هو حكومة دينية مثل حكومة الكهنوت فى أوربا واذا جاز للرجلين أن يحملا ما يريدان من الفكر اليهودى أو العلمانى أو غير ذلك ، ولكن ليس لهما ان يزعما أن الحكم الاسلامى هو حكم الكهنوت وليس لهما أن يظهروا انفسهما فى هذه المقالات بمظهر المدافع عن الاسلام وأن يظهرا من خالف هذا الخلط والتخبط فى مظهر المتطرف الذى يسىء الى الاسلام ويضر المسلمين .

* * *

(٢) تظاهر خلف الله بالدفاع عن الاسلام

قال خلف الله فى كتاب اصدره مركز دراسات الوحدة العربية باسم (القومية العربية والاسلام) ١٩٨١

١ ـ قال خلف الله تعقيبا على من يربط القومية العربية بالاسلام : ان هذا يؤدى الى أن يتنازل أصحاب القومية العربية عن استقلالهم عن الاسلام وهذا الأمر لا يمكن التنازل عنه والا أضاع القوميون الجزء الاكبر والهام من مقومات القومية . وهى اللغة والتاريخ وهذا القول يفيد حتمية استقلال القومية العربية عن الاسلام فلا يلزم أصحابها بأخلاقه وتشريعه وأحكامه .

٢ ـ وقال كما يطلب فهم للربط بين الاسلام والقومية العربية أن يتنازلوا عن العلمانية وهو الأمر الذى لا يمكن أن تتخلى عنه القومية العربية .

ويقول خلف الله : أن ممارسة الحياة على أساس من العلمانية (أى اللادينية) يمنح المجتمع حرية وانطلاقا فى تحقيق الصالح العام على أساس من الحضارة العلمية أكبر مما يمنحه الاسلام .

(٣) يقول الدكتور عمارة فى كتابه (الاسلام والوحدة الوطنية) ١٩٧٩ :

١ ـ أن اليهود والنصارى فى الجنة بموجب أحكام القرآن (فى زعمه وفهمه) ويرى أن الفارق بين المسلمين واليهود كالفارق بين العاملين بالكتاب والسنة والمبتدعة .

وقد تجرأ ونسب الى الطبرى والقرطبى وغيرهما مما يظن انه يؤيد رأيه بعد أن نقل شطرا من كلام المفسرين وحذف الباقى .

ومن يراجع فصل السنة المفترى عليها ، يقول :

لهذا فليس غريبـــا أن يزعم أن آيات الحـــكم فى القرآن الذى نحن بصدد الحديث عنها قد أجمع أئمة المســـلمين وعلماء تفسير القرآن على انها نزلت فى أهل الكتاب وفى اليهود على وجه التحديد .

ولا جدال فى أن قول الله تعالى :

(فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم) الى قوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراه فيها حكم الله) قد نزلت فى يهـــود ارتكبوا جريمة الزنا ثم تآمروا على سؤال النبى صلى الله عليه وسلم على عقوبة ذلك لأنهم كانوا قد بدلوا حكم التوراة ووضـــعوا حكما آخر للزنا فنزلت هذه الآيات :

ولكن ليس صحيحا أن باقى هـــذه الآيات خاص باليهود :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)
وقوله تعـــالى : **(وأنزلنا اليك الكتـــاب بالحق مصدقا لمـــا بين يديه من الكتـــاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)** وقوله عز وجل : **(أفحكم الجـــاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)** .

ان كل صبى من صبيان العلمـــاء يدرك ان الآيات تعنى أن القرآن مهيمن على الكتب السابقة وانه قد نزل للحكم به سواء فيما بين المسلمين أو على اليهود وغيرهم أن تحاكموا الى حكم المسلمين أو كانوا من رعايا الدولة الاسلامية ، والقاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٣) انحرافات عمـــارة

أهم انحرافات عمارة هى :

١ ــ غالط فخلط بين التشريع الاسلامى الذى هو من عند الله والســـلطة السياسية التى يتولاها الحكام فزعم أن من ينادى بحاكمية الله يريد حكومة دينية الحاكم فيها معين من عند الله ويحلل ويحرم كما يشاء ولا يملك النـــاس أن يعزلوه أو يحاســـبوه كما كان الحال فى ظل حكومة الكهنوت فى أوربا .

٢ ــ غالـــط فزعم أن مفهوم الحـــاكمية لله تعنى الحكومة الدينية سالفة الذكر وهو يعلم أن الحاكمية فى المفهوم الاسلامى هى التشريع والقضاء وأنه لا كهنوت فى الاسلام .

٣ ــ غالط فزعم أن من ينادى باحتكام النـــاس للاســـلام فى السياسة والاقتصاد انما ينادى بالحكومة الدينية فى أوربا وهو يعلم أن هذه الحكومة لا وجود لها فى التشريع الاسلامى ولا بين المسلمين ويعلم أن العلماء المعاصرين الذين يعنيهم المودودى وسيد قطب قد صرحوا فى كتبهم أن الحاكم يعين من الناس بالاختيار وهم يملكون حق عزله ومحاسبته خلافا لحكومة الكهنوت فى أوربا .

٤ ــ غالط فادعى أن آيات الحـــكم فى القـــرآن والسنة تفيد القضاء والفصل بين الناس فى الخصومات ولا تتضمن السلطة السياسية وهو لا يجهل أمورا منها :

(أ) ان آيات الحكم منها ما يتعلق بالقضاء ومنها ما يتعلق بالتشريع ففى التشريع قال الله تعالى :

(أفحكم الجاهلية يبغون)

ويقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** .

(ب) ان الأحكام الواردة فى القرآن والمخاطب بها الأنبياء لم تنزل عليهم بصـــفتهم قضاة فى غير ســـلطة سياسية أو ضاء فى سلطة جاهلية بل نزلت اليهم بصفتهم حكاما بين الناس فى الدولة التى أقاموها .

قال الله تعالى : **(يا داوود ان جعلنـــاك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى)** .

(ج) ان النبى صلى الله عليه وســـلم قد حكم بين الناس بصفته رئيســا للدولة وصاحب السلطة السياسية وليس بصفته حكما مختارا من نفر أو قبيلة .

قال تعالى : **(انا نزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)** .

وقال لنبيه : **(جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)**

(د) ان السنة النبوية تفصح عن هذه الســـلطة فالنبى عندما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له :

ــ بم تحكم قال بكتـــاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله قال فان لم تجد قال أجتهد برأيى لا الو) فكان معاذ مبعوثا قاضيا من قبل النبى بصفته رئيســـا للدولة التى تضم بين أوطانها اقليم اليمن .

والحديث النبوى يحدد مصادر التشريع والأحكام ولكن من قال أن اليهود بمثابة فرقة من المسلمين لايصعب عليه ان يكمل هذه الرسالة . ا . هـ

***



الفصل الخامس

دحض دعاوى باطلة

١ ــ الادعاء بأن (٩٠ فى المائة) من الشريعة الاسلامية هى عمل عقلى للانسان المسلم ..

٢ ــ الادعاء بأن العلمانية لا تعارض الاسلام .

ان أخطر دعوة ظهرت بعد نكسة ١٩٦٧ قول العلمانيين بأن النهضة فى هذا العصر لاتتم الا بالتخلى عن القيم الأساسية لأمتنا ومجتمعنا ولكن المجتمع الاسلامى رفض مقولتهم ولم يستمع اليهم ، وعلا الصوت الاسلامى على كل الأصوات معلنا أنه لم يعد ثمة طريق للنهضة والتقدم فى عالم الاسلام الا بالتماس مفهوم الاسلام ، وان الأمة الاسلامية انما تبتعث من داخلها بالعودة الى منابعها والتماس أصالتها ، وهذه تجربتها فى كل أزمة مرت بها من أزمات الحصار الخارجى : فى عهود الحروب الصليبية والتتار والفرنجه ، ذلك ان نكسة ١٩٦٧ كانت آخر افرازات التجربة الغربية بشقيها وأشدها خطرا فقد كانت بمثابة نذير بسقوط الشخصية الاسلامية العربية سقوطا نهائيا بعد أن تتابعت النذر منذ أن خدع المسلمين رجال منهم فى موقع عمداء الأدب وأساتذة الأجيال بأن هذا هو الطريق الصحيح الى النهضة ثم توالت اللطمات وتتابعت خطة التغريب الى هزيمة ونكبة ونكسة خلال أقل من نصف قرن .

كان فرض مفاهيم الغرب على أمتنا هو الهدف الكبير الذى يحقق الغاية المثلى : غاية صهر هذه الأمة فى بوتقة الأممية والقضاء جملة على الطابع الاسلامى المميز الذى يفضل بين ثقافة عالمية غربية لها مصادر يونانية ومسيحية ويهودية ، وثقافة انسانية ربانية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية . لقد خدعت الثقافة العالمية المسلمون أكثر من قرن من الزمان ولكنهم تنبهوا الآن الى الخدعة وعادوا الى حقيقة جازمة لاسبيل الى الشك فيها أو خداعهم عنها ، هى أن الاسلام هو منهجهم الحقيقى الذى يحررهم من التبعية ويدفعهم الى التقدم .

وحين يعود المسلمون اليوم الى منابعهم تتحرك القوى ذات الولاء للغرب لتشكك فى كل شىء ، وتثير الشبهات حول الضوء الكاشف مدعية أنه الظلام المبين ، وتنطلق الدعاوى الباطلة .

١ ــ ومن أخطر تلك الدعاوى أن (٩٠ فى المائة) من الشريعة الاسلامية هى من عمل الفقهاء ، انهم يريدون القول بأن الشريعة ليست الا مجموعة من الوصايا يأخذ بها من شاء ، وان الفقه من عمل البشر وتلك أكذوبة مضللة ، ذلك لأن هناك بين الفقه وبين الشريعة رابطة جذرية لا تنفك ، على حد قول الدكتور عجيل العيسمى ، لأن قول الفقيه المجتهد اذا كان كاشفا لمدلول النص وفق قواعد الاستنباط وأصوله بحيث لا يختلف فيه الفقهاء المجتهدون فهو ملزم لانه ليس تشريعا جديدا ولا رأيا من بنات أفكار الفقهاء وانما هو فهم سليم لمراد النص . ومن ثم فهى ملزمة لارتباطها بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، فدور الفقهاء المجتهدين فى ذلك يلحق بها وان شروط القياس المعتبره متحققة فى الفرع تحققها فى الأصل .

ومن هنا فان الاجماع والقياس وهما دليلان مرجعهما الى اعتبار الكتاب والسنة فهما باجماع الأصوليين من الأدلة المعتبرة » .

٢ ــ ومن دعاواهم بأن العلمانية مجال مختلف عن الاسلام لا يصطدم به وهم فى هذا يرون أن الاسلام هو العقيدة وفق مفهوم اللاهوت المسيحى ، والاسلام أكبر من ذلك فهو عقيدة وشريعة ، ومنهج حياة ، ومن هنا فانها تعارض المنهج الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الاسلامى وتتنكر له تماما .

وتقول دائرة المعارف البريطانية فى تعريف العلمانية انها حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ومعنى هذا ان العلمانية ترادف فى تقدير كثير من الباحثين معنى (الدهرية) المعروفة قديما فهى نزعة او نحلة كان اصحابها ينكرون البعث والحياة الآخرة كما حكى عنهم القرآن الكريم .

(ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) وهى بمفهومها هذا تعارض الاسلام فى مواضع اساسية حاسمة :

اولا : انها تنفى الخالقية عن الله تبارك وتعالى فهو عندهم لم يخلق الكون وليس الكون فى حاجة الى افتراض قوة من خارجه تؤثر فيه .

ثانيا : انها تقرر ازلية الطبيعة وابديتها وهى تعتقد قدم الطبيعة اى انها موجودة من الأزل فلم يسبق زمان لم يكن لها وجود وانها تحتوى فى ذاتها على القوى المطلوبة لأحداث جميع صور الوجود فيها فلا شىء فى الطبيعة لا يفسر الطبيعة .

ثالثا : تعتمد العلمانية اوهام نظرية دارون التى تقول ان الانسان قبل صيرورته انسانا قد مر بمراحل حيوانية متعددة منتقلا من طور الى طور .

رابعا : نفى معجزات الرسل والأنبياء ، ورفض اى خرق للقانون الطبيعى وهكذا تكشف العلمانية عن الحادها ومعارضتها للاسلام من كل النواحى .

(٣) من الدعاوى التى يركزون عليها :

ان الغرب هو مركز الدائرة وان العالم الاسلامى هو هامشه وان التاريخ يبدأ بهم (الرومان) وينتهى بهم (الحضارة الأوربية) وان المسلمين مرحلة وان حضارة الغرب هى المنطلق .

وهم لا يكشفون لنا من تراثنا الا ما هو مضطرب ومن مراحل الضعف ويخفون جوانب القوة والعطاء فى مجال العلوم التجريبية والعلوم الانسانية ومحاولة تصور الاسلام على نحو تصور المسيحية من ناحية العلم والحكم فيثيرون اكاذيب الدولة الثيوقراطية ويهاجمون اللغة العربية ويتهمونها بالقصور ، ويفرضون على المسلمين الفصل بين الدين والسياسة ، وينكرون الغيب والوحى والجزاء الأخروى ويدعون قدم العالم وقد عملوا على حجب الشريعة واعلاء القانون الوضعى وفرضوا النظام الربوى على الاقتصاد الاسلامى وفرضوا مفهوم القومية والأقليات فى سبيل تدمير الوحدة الاسلامية وقد اصبحت نظرياتهم القائمة على الفروض حقائق تدرس فى مدارسنا وجامعاتنا على انها « علم » ومن ثم أصبحت العقلية الاسلامية تحاكم اليوم من خلال مفاهيم زائفة مضللة .

فالتحليل النفسى اليهودى يقدم للمسلمين الآن لتصوير مواقفهم مع الغير ، والتحليل السياسى الماركسى يستعمل الآن لخداع العرب والتفسير المادى للتاريخ يستعمل اليوم لمحاكمة اوضاع المسلمين فى صراعهم مع اعدائهم ، وقد تجوهلت المفاهيم الاسلامية الأساسية التى هى فى الحقيقة مصدر تفسير وجودهم وحركتهم ويرجع ذلك كله الى مصدر واحد أساسى فى الحملة الغربية الفكرية والثقافية وهى « كراهية الاسلام » التى تجمع عليها القوى الثلاث الغربية المسيحية والماركسية والصهيونية وكلها ترمى الى ازاحة نمط الحضارة الاسلامية عن النهضة .

وتردد اليوم دعوى حضارة البحر المتوسط مرة اخرى لاحتوائنا مع أمم تختلف عن عقيدتنا وفكرنا ومنهجنا .

وما تزال نظرية القومية تعمل عملها فى تفريق العرب حول محاور مختلفة وقد كان العرب قبل الاسلام قبائل متصارعة ولم يجمعهم على وحدة الفكر والثقافة الا الاسلام وهم اليوم يمرون بنفس التجربة ، لقد دفعتهم القوميات الى الصراع والحقت بعضهم بالغرب وبعضهم بالشرق ولن يردهم الا الاسلام الذى جمع المسلمين دائما فى ساحة الفزع والخوف والمحن والأزمات تحت لواء واحد .

(٤) وتبقى دعوى ان الاسلام لم يكن مطبقا على مدى التاريخ الاسلامى الا فى مراحل حكم الراشدين : وهى اضلوله ماركسية لعينة ، يطلقها من كان من حق الله عليه ان يسجد شكرا لما أولاه ربه من العفو وأخرجه من المحنة وصدق الله العظيم **(انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون)** لقد اعتمد هؤلاء على كتب أعدها المستشرقون وأتباعهم لتزييف التاريخ الاسلامى وحجب ضيائه وتفريغه من قوته ، لخدمة أهداف الغزو ولا ريب ان ما رددته كتب التاريخ عن خلافات الأمراء والملوك انما قصد به ايجاد دليل كاذب على تفسخ المجتمع الاسلامى ،

والواقع ان المجتمع ظل قويا متماسكا عميق الايمان ماعدا بعض افراد من الطبقات العليا ثم ان هذه الخلافات لم تكن بهذه الصورة ، وان الذين رتبوا هذه الخلافات لم يذكروا المسافات الواسعة بينها او الايجـابيات العديدة خلال أربع عشر قـرنا ، أما الشيء الذين تجـاهله هؤلاء المغرضون فهو ماذا حدث بالمقارنة فى مثل هذه الفترة فى دول أوربا من مجازر ودماء وصراع لم يكن كل ما ورد فى كتب تاريخ الاسلام ليمثل قلامة ظفر ازائه .

ما اكثر دعاواهم الباطلة ، ولن ينالوا من الاسلام شيئا ..

* * *

الفصل السادس
تساؤلات أعداد الشريعة الإسلامية وخصومها

انهم يدخلون البحث وكانهم اولياء للفكر ليستطيعوا أن يكسبوا النــاس الى صفهم ليثقوا بهم ثم يقــدمون السموم جرعة بعد جرعة وهم يعرضون دائما لمايسمونه صــور الخلاف والفتن فى تاريخ الاســلام بين الســنة والشيعة والمعتزلة .

الخلافات كلهابين المسلمين خلافات فى داخل اطار الاسلام وهى امر طبيعى ولاخلاف عليه والعبرة بأصول الاسلام بتطبيق المسلمين .

كذلك فهم يحاولون معاملة الشريعة الاســلامية معاملة المناهج البشرية من حيث الكلام عن تطورها ، وعن تغيرها وعن محاولة اخضاعها للمجتمعات نفســها وهو مالاينطبق مع ربانية الشريعة وبشرية المناهجالوضعية .

ان الازمات التى عانت منهــا التجارب التى قامت لاقامة الحكم الاسلامى لمتكن الا من القوى الخارجية التى لاتريد تطبيق الشريعة والتى تســلط اعوانها فى الداخل للافساد والتآمر ووضع العراقيل ومن الطبيعى أن النفوذ الغربى المتســلط من خلال أنظمة المصــارف والمعاملات التجارية والناهب لثروات الامم الاســلامية ، يعارض بشده ويبذل كل ما فى وســعة للحيلولة دون قيام نظام الحكم الاســلامى الذى سوف يقطع يده عن ان تنهب ثروات الأمم هو ومن يتبعه .

وهــذه المؤامرة التى توجه للشريعة الاســلامية اليوم مؤامرة شديدة الخطر متصلة الاواصر قد احكمت حلقــاتها وكأنما قد وكل الى كل تابع مساحة أو قضية بحيث يستطيع التغريب ان يغطى كل القضايا بالدعاوى الباطله .

١ ـــ قضية الحدود ومسألة القطع وفظاعتهــا .

٢ ـــ قضــية أن آيات القرآن فى الحــكم تتعلق بالقضاء لا بالتشريع .

٣ ـــ ضرب الامام الشــافعى بشــده لانه جعــل الحديث فى درجة القرآنحيث أعلن حجية الشريعة .

٤ ـــ مسح الأرضبالسلف الصالح لأن كلمة السلف الصالح مكروهة وكلمة البيعة مرفوضة .

٥ ـــ الادعاء بأن الشريعة الاسلامية لم تطبق على طول تاريخ الاسلام وهى دعوى ادعاها الاسلاميون .

٦ ـــ ان آية (**ومن لم يحــكم بما أنزل الله**) **نزلت** فى اليهود .

٧ ـــ القرآن دستورنا تعبير غير دقيق والقرآن دين ودولة تعبــير مزعج والاسلام عقيــدة وشريعة كلمات لا معنى لهــــا .

كل هذا حاوله أعداء الشريعة الأسلامية ولكنهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى شىء .

ليس صحيحا هذا التبسط فى أمر الفقه الأسلامىلانه من عمل الفقهاء فى محاولة لفصله عن الشريعة الاسلامية فهذه نغمة علمانية يرددها البعض للغض من قدر هــذا التراث الضخم الذى ظل يتنامى على الزمن خلال أربعة عشر قرنا والذى هو مرتبط ارتباطا جذريا مع الشريعة لأنه مستمد منها متصل بها .

ليست القضية الأساسية هى تطبيق قوانين الحدود والمعاملات فحسب فهذه ليست الا مجرد جزئية فى قضيتنا

الكبرى : العودة الى الاسلام — أما القضية الاسلامية الأولى فهى حتميـــة الاســـلام على الفكر والتصـــورات والمعانى والسلوك تطبيق .

لم يعرف الاسلام شعار الحــكومة الدينية وانما يعرف الحكومة الاسلامية فالاسلام دين ودولة ونظام كامل للحياة وقد اجمـــع العلماء المسلمون على ضرورة قيـــام الدولة الاسلامية التى تعكس مبادىء الاسلام وقواعـــده وخصائصــــــه .

ولم يعرف الاسلام مصطلح (رجل دين) على هذه الصورة التى عرفتهـــا أوربا حيث لا وجـــود لهـــا على الاطلاق .

وما يزال الكتاب يصدرون عن مفهوم غربى قوامه التصور التاريخى للعلاقة بين الكنيسة والدولة فى عصور الحكومات الثيوقراطية .

ان تعديل المواد التسع التى تتعارض مع الشريعة فى القـــانون المدنى والعقوبات والجنائى تجعـــل للقانون وجهـــــا اسلاميا .

ذلك أن القـــانون بوضعه الحالى يسقط حـ ق الله والمجتمع فى جريمة الزنا ويسقط العقوبة اذا تنازل أحد الطرفين حيث لا يعتبر المشرع الوضعى هتك العـــرض جريمة متى كان برضا الطرفين .

غير صحيح ما يقال من أن الشريعة لم تكن مطبقة فقد ظلت الشريعة مطبقة حتى وصول حملات الاستعمار ، يشهد بذلك كتاب وصف مصر للعلماء الفرنسيين كما أن الجبرتى أشار الى تطبيق الحد فى عصر محمد على .

ان ما رددته كتب التاريخ عن الخلافات بين الأمراء والملوك قصد به ايجاد دليل كاذب على تفسخ المجتمع الاسلامى فان هذه الخلافات لم تكن بهذه الصورة ثم ان المجتمع نفسه فى مجموعه ظل سليما قويا متماسكا .

ان فكرة تطوير الشريعة فكرة باطلة ومضـــللة ، والقضـــية توحى بالقصور فى فهم الفـــارق الدقيق بين الشريعة والفقه .

فالشريعة هى نصـــوص القرآن الكريم والســـنة النبوية الصحيحة وهى نصوص بلغت كمالهـــا واكتمالها منذ اختـــار الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى والتطوير معناه الانتقال من طور الى طور فلا محل للقول بذلك بالنسبة لهذه النصوص ومصدرها الالهى كما نعلم .

أما القول بتطوير الفقه الاسلامى فهو وارد اذا صح القصد اذ انه عمل انسانى ، وهو مجهود علماء المسلمين لفهم نصوص الشريعة واستنباط الأحكام فيها سواء كانت تتعلق بالجزئيات أو القواعد الكلية التى تتفق مع أهداف هذه النصوص العامة فى القرآن والسنة .

ان الاحتجاج لتوفير حد الكفاية لكل فرد حتى يمكن تطبيق الشريعة الاسلامية ، هذه الحجة هى حجة ضد خصوم الشريعة الاســـلامية ، لأننا يجب علينا أولا ان نضـــع النص بالتشريع ، وبعد ذلك يترك الامر للقاضى الذى يقـــدر كل حالة على حدة ، فالسارق الذى سرق ليدفع عن نفســـه غائلة الجوع لا يخضع للعقاب ولكن الذى سرق لينفق على الغوانى فى ملهى ليلى هل نقول له انك على حد الكفاية فالقضية اذن هى أن القـــاضى الآن ممنوع من ان يقطع فى مثل هذا مع انه يستحق القطع لأن حد الكفاية متوفر له فنحن نرى أن هذه النصوص يجب ان توضع فى التشريع حتى يتمكن القضاة من تطبيقها اذا توافرت شرائطها .

ان دعوى التدرج فى تطبيق التشريع الاســـلامى تخالف كمال الشريعة : **(اليوم أكملت لكم دينكم)** وقد مضى على الشريعة أربعة عشر قرنا فكيف نقول بالتدرج مع أن دساتير العالم تحدد ميعادا لتنفيذها فور اكمالها واعلانها ويسرى حكمها على الكافة دون تدرج ، هـــذا ولم يعرف الاســـلام التدرج فى التشريع الا فى الخمـــر وثبت فى الآخـــر حرمتها بالنص وان القـــول بأن المجتمع الاسلامى فقير هى دعوى مرفوضة ، لأن التشريع جعل ضوابط محددة فى توقيع العقوبة ، فالسارق لا تقطع يده الا بشروط توفر المطعم والمشرب والملبس وان يكون المال محرزا وغير ذلك من شروط اذا تخلف منها شرط ســـقط الحد بالشبهة ووضعت له عقوبة تعزيرية .

● ان دعوى تهيئة المجتمع الاســـلامى هى دعوى مرجئه ومثبطه ، ولا يوجد مجتمع يخلو من الجرائم ، وقد بدات الجريمة منذ قديم الأزل ، ولا يوجد بد من حمـــاية الجريمة بالقـــانون اساسا ، هذا فضلا عن أن الشعور العـــــام مرتبط بالشريعة منذ أن اســـتفتى عن المـــادة الدستورية ١٩٧٠ .

● يرى الكثير من الباحثين للقوانين الاسلامية أن القول بتنقيـــة القوانين الفقهية أو ترقيعهـــا بأحكام من الشريعة الاسلامية هى محاولة فاشلة من الناحية القانونية العملية فانه لايمكن (فرنسة الشريعة) أو (أسلمة القانون الفرنسى) فالاسلام ليس العبادات أو الأخلاقيات لأن هذين الجانبين فى الاسلام ليسا الا وسيلة يقصـــد بها الأصل وهو تطبيق الأحكام العملية فالاسلام كل متكامل لعقائده التى تحدد أهدافا وبأخلاقيـــاته التى تعـــالج سلوكا ، والمجتمع الاسلامى لن تقوم الا بتطبيق المعاملات الاسلامية وهـــذا لن يتحقق الا بقيام الجزاء وان فكرة التدرج فى تطبيق الشريعة فكرة خاطئـــة لاننا بعـــد نزول القرآن

أصبحنا مطالبين بتنفيذ جميع احكام الله) ثم أن الشريعة والمذاهب الفقهية لا تحتاج لدراسة فهى تصلح لكل زمان ومكان وأن الانتظار لاعداد المجتمع مضيعة للوقت ثم انه كيف يعـــد المجتمع ووســائل الأعلام وعلى الأخص التليفزيون مليئة بما يخالف الشريعة الاسلامية .

(عبد المقصود شلتوت)

أن من يريد أن يعرف منزلة الشريعة الاســلامية وانها فوق مستوى العقل البشرى فليوازن بينها وبين القانون الرومانى لأن القانون الرومانى قد استوى على سوقه وبلغ غاية كماله فى عهــد جوستنيان ٥٣٣ بعــد ميلاد المسيح ، وكان فى ذلك الوقت صفوة القوانين الســابقة وبه علاج لعيوبها وســد لخللها من يوم أن انشئت روما ٧٤٤ قبل الميلاد الى ٥٣٣ بعد الميلاد . أن انه ثمرة تجــارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرنا ظهرت فيها الفلسفة اليونانيةوبلغت أوجها وقد استعانوا فىتلك التجارب القانونية بقوانين سولون لاتينا وقوانين ليكورغ لاســيرطه ونظام اليونان بعــامه والمنــاهج النظامية والفلسفة التى فكر فيها الفلاسفة اليونان لبيــان أمثل النظم التى يقوم عليها المجتمع الفاضل .

***

أن القــانون الرومانى هو خلاصة ما وصــل اليه العقل البشرى فى مدى ثلاثة عشر قرنا فى تنظيم الحقوق والواجبات فماذا لووازنا بينه وبينماجاء على لســان محمد صلى الله عليه وسلم النبى الأمى وأنتجت الموازنة أن العدل فيما قال محمد ليس من صــنع البشر وأنه من العليم الحكيم .

وآية ذلك المساواه القانونية ؟ (**يا ايها الناس انا خلقناكم**) الآية حيث حقق الاسلام عقوبة الأرقام بينما يضاعف قانون الرومان عقوبة الضعفاء .

وحيث جعل الدائن يسرق المدين أن عجز عن الوفاء بينما قرر القرآن ان على بيت المــال ان يســدد ديون المديونين اذا عجزوا كليا عن سدادها .

كان الرقحقيقة مقررة ثابتة فقد أقر فلاسفةاليونان نظام الرق واعتبروه عادلا لا ظلم فيه وقرر ارسطو أن الرق نظام الفطرة لأن من الناس ناسا لايمكن ان يعيشوا الا أرقاء وآخرين لا يكونوا الا اجراء فجــاء النبى فقرر مساواة الناس جميعا .

(محمد ابوزهرة

أن كثرة التشريعات والقوانين والتعديلات أن دلت على شىء فانما تدل على عجز الانسان عن أن يضعقاعدة عامة تستطيع أنتصمد مدة طويلة أو تشملأوضاعا كثيرة لذلك فان القاضى يجد العنت الشديد فى تفسير القوانين مما يؤدى الى عدم سرعة الفصل فى القضايا ولاريب أن الرجوع الى الشريعة الاسلامية هو المخرج الوحيد من كثرة القوانين لأن مصدر الشريعة هو الخالق ســبحانه وتعالى الذى يعلم أمور الخلق وما يصلح لهم وما لايصلح ومن هنا فقد جاءت الشريعة الاسلامية بعيدة عن أهواء البشر والحكام .

(محمود هريدى)

أن هناك قوانين ســائدة حتى الآن تشــوه وجه القانون فى مصر مثل القــانون التجارى والبحرى المعمول بهما حتى الآن واللذان صدرا عن صياغة ركيكة غامضة عبارة عن ترجمة عن نصوص صدرت فى فرنسا منذ ثلاثة قرون والغريب أنهذه القوانين قد الغيت فىبلادها وحلت محلها قوانين جديدة تعالج النشاط التجــارى والبحرى معالجة عصرية بفنون الاقتصاد فى هذه البلاد .

(يحيى الرفاعى)

أن كثرة التشريعات وتفرقها وتضــاربها يعود الى غياب الشخصية القانونية فلكل نظام شخصيته ووجهته التى من خلالها يتم التوجه التشريعى العــام الا فى مصر فقــد تحولت فجأة من نظــام ليبرالى مفتوح الى نظــام اشتراكى مغلق وحاولت الحكومات استرضاء الشــعب على حساب المنهج الفــكرى ثم عادت بعد عشرين عاما الى التغريب مرة أخرى بأن فتحت الباب امام تشريعات تختلف من حيث التوجه على سابقها . والتوجه الاسلامى كان كفيلا فى ذاته بحل هذا التضارب المرفوض وذلك أن وحدة المصدر مع وحدة الكيان الفكرى تؤدى الى وحدة الكيان التشريعى وما يتبعه من تناسق فى القوانين .

(مختار نوح)

الباب الثالث
معركة العلمانية فى مواجهة
قاعدة (الإسلام دين ودولة)

أولا : عزل الدين عن الحياة وحبسه فى دائرة العبادات

ثانيا : معركة العلمانية

(١) المواجهة مع آراء فؤاد زكريا (الشيخ الغزالى)

(٢) المواجهة مع آراء فؤاد زكريا (يوسف القرضاوى)

(٣) المواجهة مع آراء فؤاد زكريا (الجولة الثانية)

ثالثا : المواجهة مع وحيد رافت وفرج فوده

رابعا : الحكم بما نزل الله : الرد على فرج فوده

خامسا : الرد على العلمانيين



الفصل الأول

عزل الدين عن الحياة وحبسه في دائرة العبادات

العلمانية : مصطلح غربى يحمل فى طياته اللادينية :

فى الانجليزية : Seenlarism

وفى الفرنسية : Lalgue

ومترجم هذا المصطلح الغربى الذى يعنى اللادينية انما اراد ان يقدم ترجمة مضللة خادعة اذ جعلها يمكن أن تنســـب الى (العلم) اوالى (العالم) ولكن معناها فى المفهـــوم الغربى : عزل الدين عن الحياة والأحكام الى نظريات علمية ونظم وضـــعية وهو من خداع العلمانية فى انه يوحى بالعلم والبحث عن المعرفة .

وقد استخدمت العلمانية لتقديم تفسيرات من صنع البشرلحركة الكون والحياة وموقف الانسان منها وتأثيرها على قيام المجتمعات وتوجيهاتها فى احلال الطبيعة محل القدرة الالهية والقول بالصدفة .

وقد استخدمت كل الانجازات المادية فى حضارة الغرب للتمكين لنزعة العلمانية وما نزال آثار العلمانية واضحة فى المدارس والجامعات فى البلاد الاسلامية واثرها واضح فى عقلية الشباب المسلم وهى طرح شعارات تهدف الى عزل الدين عن الحياة وحبسه فى دائرة العبادات .

ثانيـــا : اخذت أوربا بزعة العلمانية فى مواجهـــة جحود المسيحية وتشدد رجال الكنيسة بعد معركة ممتدة استمرت قرونا ذلك أن المســـيحية التى عبرت الى أوربا هى مسيحية بولس وليست المسيحية الأصلية وقد نتج منها أمرين :

(١) سيطرة الكنيسة على الملل والامراء .

(٢) سيطرة الكنيسة على العلم .

(٣) معناها العلمانى Scular فى جميع التواميس الاوربية وعلى راسها دائرة المعارف البريطانية النظام اللادينى او اللاعقائدى الذى ظهر فى بيئة معنية او زمان معين مع اقوام معينين ويرى كثير من الباحثين ان العلمانية التى نادى بها الغرب استوجبتها أسباب خاصة اهمها : تصور الدين عن استيعاب شئون الحياة وتحجر الكنيسة الذى يتمثل فى وقوفها فى وجة العلوم والمعارف وتحالفها مع السلطة المستبدة ضد الطبقات الضعيفة والفقيرة والمقهورة .

* * *

(بينما أن الاسلام لم يشهد وصفا مشابها لما جرى فى الغرب فالعلم نشـــأ وترعرع وازدهر فى احضـــان الدين (الاسلام) الذى دعا اليه وشجع عليه واعتبره من اعظم العبادات والقربات)

ثالثا : يقرر الباحثون : أن (العلمانية) هى المقابل للكهنوتية الدينية التى عرفتها أوربا الكاثوليكية ، أو هى ثورة على المنهج الكهنوتى أو السلطة الدينية من حيث أن هذا المنهج مخالف للطبيعة وسنة التطور كما انه يضع حجرا على العقل فكانت العلمانية هى رد الفعل الحاد فى معركة الصراع بين العلم والتطور من ناحيـــة وبين اللاهوت الكنسى فى أوربا حيث أمرت العلمانية بطورين :

الاول : فى معركة انهيار التطور مع الكنيسة .

الثانى : حاول فيه دعاة هذه الفكرة وتطورها الى هدم الدين ذاته فى اجتمعـــات الأشتراكية بتخليص هذه المجتمعات من الأقطار الدينية لحساب الشيوعية .

وان الغاية الكبرى للعلمانية ليست مجرد عزل الدين عن المجتمع والفصل بين الدين والدولة ولكنه السعى نحو تخليص الفرد من الأفكار والنزعات الدينية وتخليص المجتمع من المؤسسات الدينية ذاتها .

رابعا : تقول دائرة المعارف البريطانية فى تعريف العلمانية :
انها حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ، هذا ان العلمانية ترادف معنى الدهـرية المعروف قـديما فهى نزعـة أو نحلة كان اصحابها ينكرون البعث والحيـاة الآخرة ويقولون كما حكى عنهم القرآن :

(وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر) ، سورة الجاثية ، يعنى أنه لاحياة بعد الموت

(بينما يوجه الاسلام الناس الى الاهتمام بالآخرة والدنيا معا) :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا .

والاسـلام يرسخ لعقيدة البعث والحياة الآخرة والذى لايؤمن بالبعث كافر عريق فى الكفر .

وهذا التعريف الذى ذكرته دائرة المعارف البريطانية فحواه بلانزاع : رفض الايمان بالله ومابعث به رسله وهى بذلك تناقض الاسلام .

خامسـا : يؤكد تعريف اخر فى (قاموس العالم الجـديد) رفضها للايمان بالله صراحة وبلادنى خفاء حيث يقول .

❊ ❊ ❊

(العلمانية الروح الدنيوية ذو الاتجاهات الدنيوية وغير ذلك وعلى الخصوص نظام من المأوى والتطبيقات يرفض اى شكل من اشكال الايمان والعبادة) وقد جاء رفض الايمان بالله وعبادته صريحا فى هذا التعريف .

ويقول اربرى فى كتابه (الدين فى الشرق الاوسط) ان المـادية العلمـانية والانسـانية والمذهب الطبيعى والوضعية كلها اشكال لادينية واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا ومع ان مظاهرها موجودة فى الشرق الأوسط فانها لم تجد اى صيغة فلسفيه أو ادبية محددة) .

(ومعنى هذا ان الاسلام يختلف عنها بكل وضوح فالاسلام عقيدة وشريعة (ومن لم يحكم بما انزل الله : فان ظاهر القرآن يحـكم عليه بالكفر مرة وبالظلم مرة وبالفسـق ثالثة ، فالايمان بالعقيـدة المنزلة والحكم بالشريعة الموحاة شرطان اسـاسيان فى تحقيق الايمان والعدالة .

سادسا : من أبرز معالم العلمانية الأساسية .

اولا : نفى الخالقية عن الله سبحانة فهو عندهم لم يخلق الكون وليس الكون فى حاجة الى افتراض وجود قوة خارجية تؤثر فيه ، وهـذه هى احدى مراحل نفى الخالقية عن الله تبارك وتعالى عندهم .

ثانيا : ازلية الطبيعة وأبديتها فالعلمـانية تعتقد قدم الطبيعة اى أنها موجودة من الأزل فلم يسبق زمان لم يكن لها وجود والطبيعة — فى اعتقادهم تحتوى فى ذاتها على القوة المطلوبة لاحداث جميع الصـور الموجودة فيها فلاشىء فى الطبيعة لايفسر الطبيعة .

ثالثـا : اصل الانسان : تلقفت العلمانيـة أوهام نظرية دارون ، التى تقول ان الانسـان قبل صيرورته انسـانا مر بمراحل حيوانية متعددة متنقلا من طور الى طور .

رابعا : نفى معجزات الرسـل والأنبياء والتى أيد الله تبارك وتعالى بها رسله وانبياءه . ورفض اى خرق للقانون الطبيعى .

خامسا : نفى الحاكمية عن الله تبارك وتعـالى ، وتعد نظرية العقد الاجتماعى التى قال بها ورسوا ورغم أن جماعة من البشر فرقت بينهم الأديان فعقدوا عقـدا على واحد منهم ، وهذا التصور ينفى الحاكمية عن الله تبارك وتعالى .

❊ ❊ ❊

كانت تجربة تركيا العلمانية تجربة فاشلة مضطربة فقد فرضت العلمانية على تركيا كثمن للتسوية فى الحرب العـالمية الأولى عند انتصار الحلفاء ولانهـاء الخلافة الاسلامية والقصد هو فرض نظام يفصل فيه الاسـلام عن الدولة . والغاء التجمع الاسلامى الذى قرره الاسلام بين العرب والعجم على السـواء ، وقد جاء ذلك كقرار مفروض على المسلمين والعرب بما يسهل للغرب حركة الاسـتغلال الاقتصادى لأنه يفسح الطريق أمام النهب والرشوة والسرقة مع تعطيل الحدود .

وقد جاء هذا بهدف السيطرة على البلاد الاسلامية سواء بمنهج الراسمالية او الشيوعية ، وبتجربة تركيا فتح الباب أمام هذه التجربة .

وكان سعد زغلول فى مصر قد رسم مع كرومر منهج النظام الديمقراطى الغربى الذى يزيح لأول مرة فى المجتمعات العربية والاسلامية النظام الاسلامى ثم جاءت كتابات الشيخ على عبد الرازق فى كتابه (الاسلام ونظام الحكم) مفرغة من كتاب كان قد كتبه المستشرق مرجليوث (١٩٢٦) .

وكان الشيخ على عبد الرازق قد ارسل الى لندن للدراسة فتلقفه المستشرقون العتاة وفى مقدمتهم مرجليوث اليهودى بأن ينقل كتابه عن العربية ويضيف اليه بعض التوابل ثم ينشره باسمه وان هذا العمل سكسبه شهرة عالمية مدوية وقد كان .

وجاء بعد ذلك خالد محمد خالد فسار على نفس الطريق — وان كان قد تراجع من بعد اكثر من ثلاثين سنة ، تراجعا ظاهريا ثم جاء عبد الملك عودة فدعا عام ١٩٥٥ الى ان الطريق أمام العرب هو :

(القومية — العلمانية — الديمقراطية)

ولكن تجربة تركيا الكمالية ظلت فى نظر العرب والمسلمين : مؤامرة خطيرة ولكنها عزلت العرب عن المسلمين واقامت الصراع بينهم وعمقت الخلافات حيث مضت تركيا فى احياء تاريخها القديم السابق للاسلام واتجهت الى الأهتمام بالعاميات واضعاف الفصحى : لغة القرآن ، لعزل المسلمين عن وحدة الفكر واقامةالقوميات على غير اساس الاسلام وعزل تركيا عن العالم الاسلامى والتراث الاسلامى ، بلغتها المكتوبة بالحروف اللاتينية وتكوين اجيالها على الانفصال عن الاسلام والعرب وبذلك تصبح غربية .

وقد سقطت تجربة العلمانية وكشفت عن عجز مفهوم العلمانية فى عالم الاسلام .

* * *

ويرى بعض الباحثين أن العلمانية انتقلت الى مصر ابتداء من (محمد على) حين ارسلت البعثات العلمية لمختلف دول أوربا وحينما استحضر عددا من الأوربيين لكى يساهموا مع مختلف نشاطات الدولة وسار على هذا النهج خلفاء محمد على : عباس وسعيد واسماعيل وعند الاحتلال الانجليزى لمصر فرضت العلمانية على البلادواقصيت الشريعة الاسلامية وحل محلها القانون الوضعى وأبعدت مفاهيم الاسلام فى الانسان والمجتمع والأسرة ، ووضعت العلوم الاجتماعية الغربية بدلا منها وطبق الاقتصاد الغربى الربوى .

وهكذا كان الأمر فى السياسة والفن والأدب والاعلام والصحافة وغيرها ، من نشاطات الدولة ، أما عن التعليم فقد طبقت العلمانية فى التعليم الوطنى بعد الاحتلال البريطانى لمصر ، بعد أن كان تطبيقها قاصرا على مدارس الارساليات قبل الاحتلال ودرس شبابها من ذلك الوقت وحتى الآن علوم انسانية انطلاقا من مفهوم العلمانية لها والقائم على ابعاد المبادىء الاسلامية عن المقررات التعليمية وقيام هذه المقررات على النظرة الوضعية فقط .

ماذا كانت نتيجة هذه التجربة .

يجيب البعض بأن المجتمع اصابه ضرر بالغ من جراء انتقال هذا المفهوم الى مجتمعنا فقد درست العلوم الوضعية فأقيم علم الأجتماع على وجهات نظر (سان سيمون و اميل دوركايم واوجست كونت وماركس) واقيم علم النفس على وجهات نظر (فرويد وباقلوف ويونج) واقيم الاقتصاد على وجهات نظر (ميكافيللى وجون لوك وجان جاك روسو) واقيمت الأخلاق على النسبية المطلقة واقيم القانون على أسس وضعية وأقيم الفن على الانفلات من القيود حتى لو كانت هذه القيود والحدود هى القيم الخلقية ، واقيم التاريخ علىتفسيرات الغرب لله والدين واغفلت النظرة الانسانية والأخلاقية ، بل واكثر من هذا اغفلت الأحكام الالهية الجامعة المانعة الاسلام فى استخدام نتائج العلم .

بل اخذت المفاهيم الدينية الاسلامية المتعلقة بكل شئون الحياة مكانا ثانويا للغاية فى جميع ميادين النشاط البشرى .

وكان انتقال هذه الفكرة لمجتمعاتنا سببا فى تحطيم السد الذى كان يقف فى وجه النفوذ الاستعمارى والاقتصادى (زكريا فايد).

* * *

والواقع أن محاولات فرض العلمانية على مجتمعنا

ظلت قلقة ومرفوضة سواء بالنسبة للقـانون الوضعى وموقفـه من الربا والزنا (ومواد قانون العقـوبات عن جرائم الاغتصاب والزنا وغيرها من كل ما يتعلق بالنظام الاجتماعى والاقتصادى) .

والواقع أنه ليس للعلمـانية مكان فى المجتمعـات الاسـلامية (أولا) لأنه ليس هناك ازدواج للسـلطة يترتب على نظره الاسلام الى الدنيا أو الحياة المـادية على نحو ما تراه الكنيسة ، (ثانيا) وليس هنـاك حكومة الهية فى الاسلام .

ويرفض الاسـلام أساسا (علمانية المجتمع) أو محـاولة فرض عزلة بين الدين وتنظيم أمور المجتمع ، وهذه العزلة مناقضة لطبيعة الاسلام والدعوة اليها انما تمثل ايذانا بخصومه لا مفر منها بين هؤلاء الداعين وبين التيار الاسلامى بروافده كلها (كما يقول كمال أبوالمجد) فالدعوة الى علمانية المجتمع لا تمثل موقفا حيـاديا بين الأديان اذ هى من وجهة مسيحية خالصة تتفق مع قاعدة (اعطـو ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ولكنها تضـع العربى المسلم فى تناقض حاد على قاعدة شمول الاسلام وتنظيمه اوضـح لأمور المجتمع ، وبذلك تكون الدعوة الى العلمانية بهذا المعنى منحازه .

* * *

انها محاولة فرض مبدا أساسى فى المجتمع يتعارض تعارضا جوهريا مع أصل من أصول العقيدة الاسلامية وفى هذا العقد الأول من القرن الخامس عشر نرى الدعوة الى أن تصبح مصر علمانية تتجدد على أقلة بعض الأقلام المسمومة ، وقد أثيرت هذه الدعوة من قبل ولقيت رفضا من الجماهير المسلمة فى مصر ، وقد ارتفعت درجة الوعى فى الشباب المسلم المثقف الى درجة كبيرة أصبحت قادرة على كشف المؤامرات التى تحال والخدع التى تصـنع والمحاولات المضللة التى تساق فى عبارات براقة أو كلمات زائفة ، والواقع أن هناك ايمانا غامرا تتعـالى موجاته يوما بعد يوم بأن الاسلام دين ودولة فلا يمكن فصـل الدين عن الدولة مطلقا لأن الدين يدخل فى كل شـئون الحياة وأى مسـلم قرا شـيئا يسيرا من دينه يعلم أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كان يقود الدولة الاسلامية من المسجد .

* * *

الفصل الثانى
معركة العلمانية

فجر العلمانيون هذه القضية وطرحوا مفاهيمهم فى محاولة لاستقطاب الساحة الاسلامية وعمدوا الى تجاهل النقاط الحساسة التى تكشف خبيئتهم ولكن الاسلاميين كانوا واعـين وكانوا فى نفس الوقت ملتزمين أسـلوب الاسلام الكريم فى الحوار وكان أخطر المقتحمين فى هـذا المجال دكتور فؤاد زكريا وتبعه وحيد رافت وفرج فوده ثم زكى نجيب محمود وتوفيق الحكيم .

* * *

(٢)

١ ــ اكد العلماء أن الاسلام يرفض العلمانية رفضا باتا لأنها ضد عقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا ومبادئنا الدينية كما أن الاسـلام يرفض الحكومة الدينية لأنها تقوم على التعصب والحرية الدينية ابتداع اسـلامى لم يعرف فى غيره من الأديان .

٢ ــ ان مفهوم العلمانية (دولة بلا دين) أو دين بلادولة وان العلمـانية وان لم تكن الحاد فانها تؤدى بصاحبها الى الالحاد .

٣ ــ ان الحوار عن العلمانية فى الصحف كان من جانب العلمـانيين وحدهم أما ردود علماء الأسـلام فلم يسمح لها بالنشر وأصدق دليل أن جريدة الأهرام نشرت راى الدكتور فؤاد زكريا عن العلمانية بينما رفضـت أن تنشر الرد عليه ولهذا كان الحوار من جانب واحد .

٤ ــ أن الأسباب التى ادت الى قيام العلمانية فى الغرب لا وجود لها فى الاسـلام فالدين والعلم فى أوربا أمران متضادان أما الاسلام فانه يدعو الى العلم ويحث عليـه .

٥ ــ ان العلمـانية لا تقبل العقيـدة أسـاسا للانتماء وترفض الأخلاق التى تميز الحضارة الاسلامية .

من أجل ذلك نرفض العلمانية لأنها تجعل الانسان فى تناقض مع نفسه ومع مجتمعه .

* * *

اولا : المواجهة مع آراء الدكتور فؤاد زكريا .

(١) ــ محمد الغزالى

عرفنا من كتاب ربنا وسنة نبينا أن الاسلام عقيدة وشريعة وعبـادات ومعاملات ، ايمـان ونظام ، دين ودولة ، وعرفنا من دراستنا من التطبيقات الواعية التى ورثناها أن الدولة التى يقيمها الاسلام لا توصف بأنهـا علمانية ولا توصف بأنهـا دينية على النحو الذى يفهم النـاس من كلمة دين من الايحـاءات المحيطة بالحكومة الدينية كمـا عرفت فى القرون الوسـطى فى أوربا . ولا توصف الحكومة التى يقيمها الاسلام بأنها علمـانية لماذا لأنها حكومة ليس اهتمامها منصبا على توفير الخبز للناس فقـط بل هى كما تهتـم بتوفـير الخبز للناس فقـط تهتم باقامة الصـلاة ، ليس الحكـومة التى يقيمها الاسـلام حكـومة معنيـة برفع مسـتوى المعيشة للأمة وتوفير انواع من المرفهات تجعل الحيـاة رطبة أو حسنة وينتهى واجب الحكومة ورعايتها عنـد هذا الحد بل تهتم الحكومة فى الاسـلام برسالة روحانية ربانية متسـامية حددها الاسـلام بدقة ووضوح عندما قال :

(الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهـوا عن المنكر ولله عاقبـة الأمور) .

فاذا كانت بعض الدول الآن او اذا كانت الدول الأوربية بشقيها الشيوعى والصليبى ترى أن هدفها الأسمى هو رفع مستوى المعيشة او توفير مقادير كبيرة من المرفهات تجعل حياة الأمة انضر وانعم فأن هذا المعنى يتجاوزه الاسلام لأنه يتجاوز الدنيا الى الآخرة ويتجاوز الروح الى الجسد والجسد الى الروح ويتجاوز عالمنا المادى الى ما يرضى رب الناس الذى أبدع المادة والروح معا وله حقوق لابد ان تؤديها وله معالم لابد أن نتعرف عليها ونقف عندها .

ان الحكومة فى نظر الاسلام حكومة ولاؤها لله وانتماؤها لهذه العقيدة ، وعملها أن تتبين هدايات الله فى المجتمع والدولة ثم تمشى فى ضوء هذه الهدايا التى ترضى ربها وتحقق بذلك سعادتها فى الدنيا والآخرة فهى من هذه الناحية ليست دولة علمانية فان معنى العلمانية (سواء بفتح العين أو كسرها) هذا لا يعنينى وانما يعنينى ان الاسلام يرفض الهدف أو الغاية التى تحددت فى الحضارة الغربية بشقيها الصليبى أو الشيوعى والتى تجعل الأرض الأمل والهدف والغاية فنحن لنا رسالة اخرى نقيمها الى جانب اقامة أبداننا والى جانب اقامة حياتنا المادية . هل نحن أمة تقيم حكومة دينية . هذا موضوع اريد ان أقف عنده وقفة فيها شىء من التأمل ، فان كلمة حكومة دينية كلمة مجرمة ومخيفة ، لأن الحكم الدينى فى التاريخ الذى عرفه حكم كالح ومن حق الانسانية أن تنفر منه لأن الحكم الدينى عرف بأنه حكم متعصب والتعصب استغلاق فى الذهن يجعل الانسان لا يفهم الا نفسه ولا يرى شيئا غيره وهذا التعصب كسيرة حياة له اتجاهات ووصايا يرفضها العقلاء ويرفضها ديننا نفسه .

انني الفت النظر الى ان الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب وهو من هو ، عندما طعن وعرف انه منتقل الى الله (تبارك وتعالى) اخذ يكتب ويسجل وصيته لمن حوله فجاء فى هذه الوصية : أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة :

استغربت وغيرى يستغرب أى رجل دين أو حاكم دين فى التاريخ الخمسة اثر عنه أو عرف أنه أوصى وهو فى آخر مراحل الدنيا وأول مراحل الآخرة بالشىء الذى يعتز عليه ويهتم به ويجتهد له : أوصى بأهل الذمة ، أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة ، هل نجد مثل هذا فى فلسفة من الفلسفات أو دين من الأديان أو فى نظام من الأنظمة ؟ ما عرفنا هذا ، وما عرف هذا ولكن معاملة من لا يدين ديننا بالانصاف والعدل والبر .

هذا شىء يتميز به تاريخيا كما تميز به تراثنا النظرى مما يجعلنى أدعو وأقول : ان الحرية الدينية ابتداع اسلامى فما عرفت الحرية الدينية على هذا النحو الا فى تراثنا نظريا وتطبيقا على الأعم الأغلب فى تاريخنا كله ولايخلو تاريخ من هنات ، ولكن هذا تاريخنا لايعرف له نظير ، ان كلمة : (لكم دينكم ولى دين) ما عرفت الا عندنا (قل لى عملى ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون) ما عرفت الا عندنا ولذلك دولة دينية بمعنى التعصب أو بمعنى الضم تحت الكرامة المادية أو الأدبية على الآخرين لم يعرف فى تاريخنا ولذلك ارفض أن أصف حكومتنا التى يقيمها الاسلام بأنها حكومة دينية وبهذا المعنى يصل الى اذهان الأوربيين والذى نقله الاستعمار الثقافى الى أعداد كبيرة من الغوغاء التى قرأت كثيرا من الكتب ولا تحقيق لها ولا علم وظنت أن الاسلام حينما يقيم دولته الدينية يصنع ما صنعه الذين اقاموا محاكم التعيش فى اسبانيا ، فقد دخلنا أسبانيا وكلكم يعرف كيف دخلناها فعشنا وعاشت الأديان الأخرى بل قيل أنه لولا ظهور الاسلام لفنيت اليهودية ثم استولى الأسبان مرة أخرى على الأرض فما بقى فيها اسلام وقامت الدولة الاسلامية والتفكير عندنا فريضة وعمل العقل عندنا لابد منه لصنع الايمان وديننا هو الدين الذى يقول وما سمعنا فى ديانة أخرى مثل هذا القول : هاتوا برهانكم ، من رب السموات والأرض ، من يفعل كذا وكذا .

(هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)ومع الاسلام الذى نظر الى ملكوته والى اتقانه لهذا الملكوت والى ما أودع فى صفحاته من صور واسرار وعجائب ، فقد ذكر القرآن اكثر من ثلاثمائة آية تحدثت عن العقل الانسانى ووظائفه ووظائف فكره والاستدلال الذى يصل اليه وعلى هذا المنهج قامت حضارة اسلامية ما احب أن اتحدث عنها الآن حديثا موسعا بل سأكتفى بشيئين اقراهما عليكم الآن : نصين فيهما الكفاية وتعرف العصر الذى يعيش فيه المسلمون الآن .

نحن المسلمين من العالم الثالث ، ولكنى سأذكر لكم شيئا يوم كان آباؤكم فى العالم الأول لقد بقيتم العالم الأول نحو الف سنه انفردتم عدة قرون بالأولية ما شرككم فيها احد ربما شارككم بعد ذلك فى الأولية أجناس أخرى لكننا انفردنا بالاولية عدة قرون حوالى الف سنة ، كنا العالم الأول وأمامى الآن كتاب القرآن والمنهج العلمى المعاصر للمستشار عبد الحليم الجندى وسأنقل منه خطابا أرسله ملك انجلترا الى الخليفة هشام : يقول المؤلف : أذكر هنا بيانا بسعة مدى الانتفاع بعلوم الأندلس فى عالم الظلمات الأوربى خطاب صدر الى الخليفة هشام الثالث

الذى حكم بين سنة ١٤١٣ الى ١٤٢٢م فى القرن الحادى عشر الميلاد وفى نصه غنى عن كل تفصيل فى شأن أوربا وأهلها وشأن الأندلس فى علومها هذا نصه :

من جورج الثانى ملك انجلترا وفرنسا الأوربية الى الخليفة هشام الثالث : بعد التعظيم والتوقير سمعنا عن الرقى العظيم الذى يتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم فى بلادكم العامرة فأردنا لبلدنا اقتباس هذه الخصائص لنشر أضواء العلم فى بلادنا التى يحيطها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبى على رأس بعثة بنات الأشراف الانجليز .
(الامضاء خادمكم المطيع : جورج)

وجاء فى الهامش أن هذا الخطاب ورد فى كتاب (العرب عنصر السيادة فى القرون الوسطى للمهندس التركى عبد الرحمن شرف ، وذكر أن هذا الخطاب أرسل معه شمعتين من الذهب الخالص طول كل منهما ذراعان مع ٢٤ قطعة ذهبية من أوانى المائدة) .

هذا أول خطاب ، أما الخطاب الثانى فكان خاصا بالعرض الذى تقدم به جوهان ملك انجلترا الى الخليفة الناصر ووفد السفارة التى بعث به الى البلاط الموحدى سنة ٦٠٨ هـ ١٢١٢ م ولما يمضى على بناء جامع حسان أكثر من بضع سنوات ، ولقد جاءت البعثة تطلب المساعدة العسكرية للموحدين ضد النبلاء ورجال الدين . وسائر الأهالى وكذلك على عرض الملك جوهان ملك انجلترا على الخليفة الناصر أن يعتنق الاسلام هو وسائر أفراد رعيته .

مثل هذه السفارة من الأهمية بمكان ذكرتها المصادر الانجليزية باسهاب وذكرت أعرائها واحدا واحدا ، وما يعنينا هنا هو ما وصلت اليه الحضارة الاسلامية خلال الف سنة ، وكنت أود لو أن الذين يشتغلون بالثقافة المعاصرة بدلا من أن يصيبوا أجيالنا الحاضرة بالقنوط واليأس أو بعقدة النفس ، أن يعرفونا حضارتنا القومية وأثرها على المعرفة العالمية .

أما أن تطعن فى ديننا وتاريخنا وحضارتنا ونظرة العالم كأننا ما عشنا ولا كنا ولا بقينا الا ونحن على هامش الدنيا فهذا كذب كبير وافتراء وتضليل .

ومنذ قرنين فقط أصدر الداى حسن الذى بنى جامع كيتشاو الذى حولته فرنسا الى كنيسة حينما احتلت الجزائر ثم عاد الى مسجد بعد التحرير ، هذا الداى المسلم أرسل اليه واشنطون بعد أن انتصر فى حرب التحرير الأمريكية يتحد اليه عودة وتلطف لكى يسمح بمرور السفن فى البحر المتوسط دون عوائق لأن البحرية الجزائرية كانت تعترض السفن الأجنبية المارة فى البحر المتوسط ، هذا شيء وشيء آخر أنه انتصر على أسبانيا عسكريا وأرغمها على أن ترسل وفدا الى الاستانة يحمل جرتين من الماء الى الخليفة قرأ لشيء معين كتبه فى ذلك الخطاب .

* * *

المهم ان الأمة الاسلامية فى كبوة الآن بالبنا فى كبوة لكن ليس هذا من الاسلام فى شيء بعد كنا سادة العالم دهرا والكبوة التى عرضت لنا كبوة عارضة ويمكن أن نعود الى أمجادنا وبأكثر منها وهذا شيء طبيعى ويتم هذا عندما ندرس أسباب هزائمنا عندما أراها على عجل قسمين : أسباب أصلية يعنى مواريث فاسدة عرضت لنا من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية والفلسفية لنا أغلاط ، هذه الأغلاط يجب أن تدرس ، يدرسها علماء متخصصون يعرفون لماذا وقعت الأزمة فريسة هذه الأخطاء والخطايا والمبتدعات والخرافات الكثيرة التى التصقت بنا من كل ناحية .

وهناك أشياء من الخارج أثرت تأثيرا مباشرا فى كبوة المسلمين ، فالمسلمون الآن يعانون من رافدين كلاهما رافد شر ، موارثينا الباقية التى آلت الينا من أيام الدخن والغش فى ثقافتنا وحضارتنا وعقولنا والاستعمار الذى هجم علينا بأحقاده وأطماعه ونال منا ، هذا الاستعمار كما قال جمال الدين الأفغانى لا يزال يحمل بين أضلاعه قلب بطرس الناسك ، حاقد على الاسلام ، حاقد على الأمة يريد ان يحقر دينها واشتغل بهذا التحقير عدد كبير من المستشرقين ومن المبشرين وعدد أكبر ممن تأثر بهم وأمسك بأذيالهم ، وعاش لا يدرى الا ما يلقيه من خرافاتهم وأهوائهم ، هذا النوع من المثقفين الدخلاء علينا وعلى ديننا وتاريخنا عرضونا لبلاء هائل وأفقد الأمة ثقتها فى دينها وفى نفسها ، وفى تاريخها وفى حضارتها ، وهذا النوع من الناس أريد أن أنظر الى دخلته بانصاف أو بشيء من العدالة التى تعلمتها من الاسلام وهو أنه قد يكون هناك ناس معذورون لانه من دعا الناس الى ذمه ، ذموه بالحق وبالباطل ماذا أنا دعوت الناس الى ذم خرافات كثيرة ، ما أحسنت ابعادها عنى أوردها عن دينى ، ولا تبرئه نفسى منها فهذا اذا أساء البعض الظن بى فهو معذور .

ومن هنا فأنا أنظر الى العلمانيين على أنهم قسمان :

تسم له مقترحات حسنة فى الاصلاح لكنه لا يعرف الشريعة الاسلامية ولا حقيقة الدين الذى ينتمى اليه فهو يظن أن ما يقترحه ليس من الاسلام أو بعيد عن الاسلام أو أن الاسلام قد يضيق به ولو كان واسع الأفق واسع الاطـــلاع ، لأدرك أن ما يقترحه هو دين الاسلام لـــكنه ما فكر ، أو غلبه التيار الثقافى الاستعمارى وجرفه ، فهو مع هذا التيار يقتبس أشياء غير صحيحة ، أو يظنهـــا غير متصلة بالاسلام ، ولو انه أنصف لأصلح دينه ورجا الخير فى كنفه .

هذا نوع من العلمانيين وهناك نوع آخر لا يدرى فعلا اى شىء عن الاسلام ، ولقد تقابلت مع احد هؤلاء وهو من الخليج فقـــال لى هل يجوز أن تكون رئاســة الحاكم ست سنوات أو عشر سنوات قلت له وما المانع من هذا فوجدته لا يعرف لا مصلحة مرسلة ولايدرى شيئا عن أصول الفقه ولم يدرس التاريخ ، وجدت فيه عقلية قبلية فرضها على الاسلام وبعض دراسات فاسدة جعلته يتقوقع فى بعض الأحكام الفقهية وهناك أيضا من تبعوا الخواجات دون أن يعرف الاسلام الا على هذا النحو ، فهؤلاء نقول لهم اقرأوا كثيرا عن ديننا تتكشف لكم حقائق كثيرة وتعلمون ما تجهلون عن الاسلام .

بقى أن أقول لماذا لم تجد العلمانية غير الاســلام (هفية) فكلنـــا يعرف أن المانيـــا مثلا يحكمهـــا الحزب الديمقراطى المســـيحى ، ايطاليا يحكمهـــا الحزب الديمقراطى المســيحى ، فرنسا حكمها اليمينيون ، وهم الآن يطاردون الاشتراكيين ، المحافظين فى انجلترا تاريخ حكمهم معروف ، بل أن ملكة انجلترا هى رئيسة الكنيسة البروتستانية ، فهنـــاك اذا قلت الديمقراطى المسيحى لا حرج ، ولكن لو قلت الديمقراطى الاسلامى هنا يقولون لك اخرس ، مع انهم يتســولون العلمانية من المانيـــا وايطاليا وهم هناك يقولون ديمقراطية مسيحية وهنا لا ، لماذا اليس عندكم الا الاسلام لتحاربوه وتحاولوا محوه أما غيره فيقال ديمقراطية مسيحية وغيرها .

شىء آخر لاسرائيل ، من هو : هل هو فيلسوف أو اديب من الأدباء ، انه نبى من الأنبيـــاء ، فاذا كان الاسرائيليون جعـــلوا نبينا من الأنبيـــاء عنوان دولتهم واقاموا الدولة الدينية فأنا أريد من العلمانيين أن يتعلموا من اسرائيل ، فاليهود الذين يحكمون فلسطين باسم نبى من الأنبياء احتقروا العلمانية ورفضوا الا أن ينضـــووا تحت مظــلة الدين ، مع أنها تغتصـــب الأرض ، وتقتل أصحابها وتسميهم ارهابيين ، كذلك الرجل المســـيحى بوتا فى جنوب افريقيا يقول أنا مســـيحى ويعتبر الزنوج ارهابيين وهو قاتلهم ، فأصبحنا نحن المســـلمين وزنوج افريقيا المحكوم علينا بالبعد عن الدين وعن الفكر ونتهم بالارهاب .

اننى أوصى الأجيال الناشئة بأن تعلن كل من يحتقر لهـــا دينها وأن تتشـــبث بهذا الدين وأن تعتمد على الله وتمضى فى الطريق وستنتصر يوما .

* * *

ان الذين يتحـــدثون عن العلمـــانية ويريدون أن يعلنوها على الاسلام يكذبون على الاسلام وعلى أنفسهم وعلى الحقيقة وهم لا يعرفون الاسلام ولا يعرفون الأمة العربية ولا يعرفون الأمم الأخرى ، وأبدأ بشرح الوضع كما أراه فى عالمنا الآن :

أولا : الأمة العربية : هذه الأمة دخلت التـــاريخ بالاسلام وعرفت به ، فما الذى يجعل أمتنا الآن تتنكر لتراثها ولولى نعمتها وصالح حضارتها .

ويقال لها ابتعدى عن الاسلام فان الاتصـــال بأى سبب آخر ، أو الانتماء لأى قافلة أخرى ، احظى لدينـــا ولدى الناس من الانتماء الاسلامى .

من قال هـــذا ، الذى يعرفه علمـــاء الأديان كابن خلدون قال :

لا ملك للعـــرب الا على أساس نبوه وبالتعبـــير الحديث : لا قيام للعرب ولا دولة للعرب الا على أساس دين ، قد يكون للطبيعة اليونانية خصـــائص أخرى لكن الطبيعة العربية لا يمكن أن تقوم لها قائمة أو أن يتحقق لها السيادة الا على أساس الايمان بالله ، وعلى أساس الاسلام ، ويوم يترك العرب الاسلام فســـيستيقظ فى كيانهم الأدبى والخاصرات والمســـافرات والمهاجة وحب الظهور وطلب الرئاسة الى غير ذلك من صفات الجاهلية القديمة .

(لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) بالاسلام محاولة النهوض بالعرب من غير الاسلام لمحاولة أن تسير سيارة بالبنزين والديزل ويأتى لها بفحم .

والأمة العربية مهما حاولنا أن نفلسف لها مبادىء أو عناوين يستحيل أن ننهض بها أبدا .

ان العلمـــانية التى اساسها اطراح الصــــبغة الاسلامية والذوبان فى عالم لا عنوان لنا فيه ولا معلم لنا فيه ، من رضى من اهل الأديان الأخرى بهذا الذى تقول : لماذا يكون العنوان الاسلامى شيئا مزريا او معلقـــا او مفرغا او مخيفا هـــذا بينما بكل بساطة وبدون افتعــال ودون اعتراض يحكم الحزب الديمقراطى المســيحى فى المانيا وايطاليا . هل النزعات المسيحية فى اوربا لاحرج عليها ولا اعتراض امامها فاذا قلت الاسلام برز الاعتراض ومن اهل الاسلام ، من النكرة الذين يشتغلون لحساب القوى المعادية للاسلام ، أما الاسلام فانه أمل هذه الأمة وكيـــانها .

لماذا يقال للمسلمين وحدهم اتركوا دينكم ، هؤلاء الذين طالت السنتهم وكان يجب أن تقطع .

(٢) الدكتور يوسف القرضاوى (الجولة الأولى)

ما هو الاســـلام وما هى العلمانية . الواو تطلق للجمع كما يفيد اللغويون ولا تفيد تضادا ولا غير تضاد . الاسلام والعلمانية : هذا العطف لا يقتضى الا المتغايرات ولا يقتضى التضاد ولا التنـــافر . لابد أن نعرف الأمرين الذين دعينـــا الى الحديث عنهما أو الحوار حولهمـــا ، وليست هى مبارزة أو مواجهة وانما هو نوع من التقارب والتفاهم ونحن نرحب دائما بالحوار . وقد كتب الدكتور فؤاد زكريا فى الأهرام ودعا الى الحوار وأرسل الشيخ محمد الغزالى مقالين الى الأهرام ولم ينشرا . فالحوار اذا كان من جانب من يملكون الحديث فى الصحف الكبرى دون الآخرين ، لا يكون ذلك انصافا ولا عدلا . فهو حوار من جانب واحد ونحن نريد أن يكون الحوار من جانبين وهذا عدل ، لا يعتقد اننا على صواب مع كل شىء ، لأننا بشر حتى لو تحدثنا عن الشريعة نتحدث عنها بصـــفتنا بشرا فكلام الله كله صواب ولكن كلامنا نحن البشر يشـــوبه الصواب والخطأ ، هذه حقيقة . الاسلام معروف : هو الذى بعث الله به خاتم رســـله وانزل به آخر كتبه ، مما يصلح الأنفس ويســـعد البيوت وينظم المجتمعات ، ويهدى البشرية الى التى هى أقوم مصدره كتـــاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وســـلم ، هو الدين الذى امتن الله به على عباده جميعا قال :

(اليوم اكملت لـــكم دينكم واتممت عليـــكم نعمتى ورضيت لكم الاســلام دينا : هذا هو الاسلام .

أما العلمانية وانما سميت بهذا الاسم لأن العـــلم والدين فى أوربا التى نقل عنها هذا المفهوم ، هنا أمران متضادان . هناك الدين والعلم او اليقين والعقـــل ، أو العقيدة والفكر او الحكمة والشريعة ، أمران متضادان فقالوا العلمانية بمعنى الأمر الذى يتصل بالعلم والعقل والتفكير الانسانى ولايستمد من الدين فكان هذا فى جانب والدين والوحى فى جانب آخر ، هذا اصل كلمة العلمانية والالف والنون زائدتان . والعلمانية ليست هى الالحاد كما يظن بعض الناس وانما هى فصل الدين عن الدولة : دين لا دولة له ، أو دولة لا دين لهـــا ، كما عـــبر بعضهم ، لا دين فى السياسة ولا سياســـة فى الدين ، فمعنى العلمـــانية هو عقيدة بلا شريعة ، اى أن التدين مســـموح به كتدين فردى ، لك ان تصلى وأن تصـــوم وتحج ، بل بعض الدول العلمانية تشجع هذه الأمور ، فهى تشـــجع الطرق الصـــوفية ، وانواعا معينـــة من الاحتفالات الدينية ولكن أن يخوض الدين معارك الحياة وان يمسك بزمام المجتمع ، أن يسود ويقود ، وأن يؤثر ويوجه وينظم : هنا تقف العلمانية وتقول لا . فالعلمانية ليس معناها الالحـــاد ولذلك لا يهتم العلمانيون بأنهم ملحدون بل انا نقول ايهـــا الأخوة بصراحة : مصر ليس فيها ملحدون ، وهذا هو اصل ، فهذا البلد متدين بفطرته وتاريخه ، الدين يسرى فى لحمه ودمه وعظمه وعصبه وعروقه من أيام بنـــاة الأهرام الى اليوم فليس هنـــاك اتهام بالالحاد ولا نتحدث عن الالحاد لأنه لا خلاف على أصـــل العقيدة ، فالعلمـــانية هى قبول العقيدة ووقف الشريعة : هذه هى الخلاصة ونقطة الخلاف بيننا هى : هل الاسلام شريعة كما انه عقيدة . الاســـلام عقيدة . اخلاق . تشريع ، ما موقف العلمانية من هذا كله . هم يقبلون الاسلام عقيدة ولكن لا يقبلون أن يكون الاسلام اساس الانتماء . أو اساس الولاء والترابط بل يرفضون ان يكون .

هنـــاك ترابط بين اصحاب العقيدة الوحيدة والله يقول : انما المؤمنون اخوه ، فالعلمانيون يقبلون الأخلاق الاسلامية ولكن يرفضون ايضا انواعا معينة من الأخلاق تعرفون أن الأخلاق نوعان : اخلاق انسانية عامة مثـــل الصدق والأمانة والتعاون والنظافة ولكن هنـــاك أخلاق تتمـــيز بها الحضـــارات عن بعض . مثلا عنـــدنا بعض الأخلاقيات تميزنا عن الحضارة الغربية مثل الأخلاقيات المتعلقة بالجنس والمراة وهى أخلاق منبثقة من عقيدتنـــا وحضارتنا ، هنا يشـــتد الخلاف بيننا وبين العلمانيين ، فهذه الأخلاق تميز الحضارة الاسلامية : حضارة العفاف والاحصان فهم فى هذه الناحية جعلهم الانبهار بالحضارة الغربية والوقوف موقف المقلد والتابع أحيانا وهـــذا قد يكون مقبولا فى وقت من الأوقات يوم كنا فى الحضيض ، وكانت الحضارة الغربية فى القمة ، وكان تراثنا مجهولا ، وكان يعرض عرضا سيئا ، فكان العلمانيون معذورون

فى هذا الوقت الى حد ما ، أما اليوم فأعتقد أنه لم يعد لهم عذر بل يجب أن يقرأو التراث وأن يقرأوا ما تكتبه الأقلام الاسلامية لأننا نلاحظ أن الكتاب من أصحاب الثقافات الغربية لا يقرأون للكتاب الاسلاميين فهم مستعلون بل أن أحدهم كتب يتهكم على الزكاة ويقول أن المجتمع الحديث لا يقوم على الصدقات ويعتبر أن الزكاة نوع من الاحسان الفردى التطوعى الاختيارى ، وأنا كتبت مجلدين عن الزكاة ، من قرأ هذا من اخواننا المثقفين ثقافة مدنية .

العلمانية تقبل العقيدة ولكن لا تقبلها أساسا للانتماء وتقبل الأخلاق ولكنها ترفض الأخلاق التى تميز الحضارة الاسلامية وتقبل العبادات ولكن ليس كل العبادات أيضا ، فنحن عندنا العبادات الكبرى فى الاسلام أربع عبادات : الصلاة والزكاة والصيام والحج فهم يقبلون ثلاثة ويرفضون الرابعة .

والسؤال هنا كيف أنزل الله كتابا للناس وهذا الكتاب هو الهى ونزل للحكم بين الناس : قال تعالى :

(وانزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) فهل يصبح القرآن كتابا غير الهى لأن البشر هم الذين يطبقونه وهم الذى يفهمونه ، هل معنى هذا أن القرآن ليس مبينا مع أن الله وصفه بأنه مبين ، الا يوجد فيه أساسيات وقطعيات على الأقل تمثل الأسس التى لابد منها لتقوم الحياة :

الله أنزل قرآنا منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، والمتشابهات ترد الى المحكمات ، فمن هنا قيل أن البشر هم الذين يفهمون ويطبقون فان هناك مرحلة القطعيات ، الأحكام القطعية التى يقول عنها العلماء هى المعلوم من الدين بالضرورة .

نحن نختلف فى أشياء مهمة : اباحة الزنا وشرب الخمر والحدود واقامة الحياة الاسلامية على أساس من الايمان والخلق والطهارة والاستقامة ومنع الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحقيق العدل الاسلامى والكفالة الاسلامية والشورى الاسلامية ونحن نتمنى أن نتفق على القطعيات فالقول بأن التشريع لا يمكن أن يكون خطأ ، هناك جانب من التشريع هو تشريع الهى وهو القطعيات وحتى المتشابهات فكيف يكون موقفنا من المتشابهات . ان المسلمين لم يدعوا هذا الأمر يعبث به العابثون ، لقد وضع المسلمون علما يعتبر مفخرة من مفاخر التراث الاسلامى يضبط الاستدلال والاستنباط ويضع القواعد وهو العلم المعروف بعلم أصول الفقه . كيف نستنبط فيما لا نص فيه وكيف نستدل بما فيه نص فالأمور لم تترك للأهواء وما ترك فهو رحمة من الله سبحانه وتعالى كما جاء فى الحديث (ان الله حد حدودا فلا تعتدوها ، وفرض فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) .

وموضع الخلاف هو الثلاثة الأول : أما منطقة العفو أو منطقة الفراغ التشريعى وهى الرابعة فتملؤها بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف .

* * *

الدكتور زكريا يتساءل كيف يكون التشريع الهيا والبشر هم الذين يطبقونه ويفهمونه مهما كان البشر — حتى النصوص — البشرية لابد أن يترك فيها أشياء أساسية والدكتور فؤاد زكريا وهو من أساتذة الفلسفة المعروفين الا يستطيع أن يقول أن لأرسطو فلسفة وأفكارا أساسية معروفة عن الكون والسياسة والأخلاق الخ .. مهما اختلف شارحوا أرسطو من ابن رشد ومن بعده ومن قبله فمهما يكن من أخطاء المفسرين والشراح هل ينكر احد لأرسطو فلسفة ذات معالم معينة فى تفسير الكون والحياة والنظر الى الانسان وغيره ، فاذا كان هذا هو البشر ، فهل يعجز رب البشر أن ينزل على الناس كتابا يحدد ما يرضيه منهم وما يسخطه ، هناك شريعة الهية معروفة فى عدد من نواحى الحياة . هذه أمور قطعية : الأمور الخلافية ترد الى الأمور القطعية فالظنى يرد الى القطعى والمتشابه يرد الى المحكم وهكذا

أما بالنسبة للقانون الوضعى أو البشرى فقد قال الدكتور فؤاد زكريا : أن هذا القانون يقنن عادات الناس وأعرافهم ، وهذا صحيح خاصة بالنسبة للقانون الرومانى ، لأن هذا القانون كان يقنن الأعراف والعادات المعمول بها ولذلك هناك خلاف جوهرى وفرق أساسى بين الشريعة والقانون ، فالقانون تقنين ما اعتاده الناس وتعارفوا عليه ، خيرا كان أم شرا ، فضيلة أم رذيلة ، أما الشريعة فانها تحاول أن ترتقى بالناس : الخير تقره والشر ترفضه . ولذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم لما جاء فى المجتمع العربى كان هناك أشياء عرفها المجتمع فلم يغير كل شىء فى المجتمع ، هناك أشياء رفضها وأشياء أقرها فالشريعة جاءت لترتقى بالناس ، فكان هناك شىء اعتاده العرب وهو شرب الخمر وذكروا لها نحو مائتى اسم ، ومن يقرأ أشعار العرب يعرف كيف أولع العرب بالخمر ولكن لو كانت الشريعة مثل القوانين الوضعية كانت أقرت الخمر ، وقننت شربها وكيف تشرب

ومتى ، وانما أراد أن يرتقى بالمجتمع ومن هنا حرم شرب الخمر والغــاه بالتدريج ، وهذا هو المنهج الاســلامى الحكيم فى معاملة النفس البشرية ، انه يأخذها بالتدرج ونحن الآن حينما ننادى بتطبيق الشريعة فى مصر هل نقول اصدروا قانونا يهدم البنوك الربوية فى الصباح ، ابدا ، بل نبحث الأوضاع ونقيم دراسات ونحول هــذه البنوك تدريجيا الى النظام الاسلامى وعندما اخذ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى رد المظالم بعد أن تولى الخلافة قال له ابنه : يا أبى اراك تأخذ الأمور ببطء فماذا تنتظر

قال له يا بنى لا تعجل فان الله تبارك وتعالى ذم الخمر فى آيتين وحرمها فى الثالثة ونحن يا بنى لو حملنــا الناس على الحق جملة لدفعوه جملة .

نحن نقول أن التشريع استقر وأحل الحلال وحرم الحرام وفرضــت الفرائض ، ولــكن فى التطبيق يكون التدرج مطلوبا ، والتدرج ســنة من سنن الله الــكونية والبشرية والتشريعية فنحن نؤمن بالفرق بين الشريعة والقانون ومع هذا فان القانون الوضعى فى مصر والبلاد الاســلامية قانون للأســف لم يقنن ما اعتاده النــاس وتعارفوه ، المفروض يكون القانون صورة المجتمع ولكن القوانين التى تحكمنا ليســت صورة لمجتمعنا لأن هــذه القوانين فى الأصــل قوانين مســتورده من مجتمع غير مجتمعنا له عقائد غير عقائدنا وقيم غير قيمنا ومنطلقات غير منطلقــاتنا . وموازين غير موازيننا ولهذا للأســف كثيرا ما يتعارض القانون الوضعى مع المسلمات الفكرية والأخلاقية والدينية لمجتمعاتنا لأنه قانون غريب ودخيل . .. فلو أنه انبثق فعــلا من حاجة المجتمع لمــا تناقض معها ، بل هى قوانين جاءت الينا بقرارات فوقية حينما دخل الاســتعمار بلاد المسلمين فرض علينــا قوانين من عنــده .

أول مثال لهذا التناقض (الربا) فنحن فى المجتمعات الاســلامية نؤمن بأن الزنا حرام ومنكر وجريمة ولــكن القوانين التى جاءت من بلاد الغرب تقول أن الزنا ما دام بالتراضى فهو ليس جريمة فهو يحرم اذا كان بالاكراه أو اذا كانت البنت صغيرة دون البلوغ أو اذا كان كنوع من الدعارة والمتاجرة به ، أما مجرد الزنا فليس جريمة فى القــانون الوضعى فهل هــذا يعبر عن واقع مجتمعنــا الاسلامى .

فالقــانون المفروض فيه أن يقنن أخلاق النــاس وما تعارفوا عليه فاذا لم يكن نراه قانونا دخيلا ومتصادما مع مشاعر وأخلاق الناس ومعتقداتهم ، حتى فى القانون الذى يتفق مع الشريعة ، هل الأفضل أن يؤخذ القانون بأنه وضعى جاء مع نابليون أو بعد نابليون ، أو أن يؤخذ على أنه شرع الله تبارك وتعــالى ، فرق كبير ، بين أن تستمد الشريعة من الأحكام الالهيــة وبين أن تكون من القوانين الوضــعية ، فحتى لو أن القوانين الوضــعية متفقة وهى فعلا متفقة أكثرها مع الاسلام فهذه القوانين نريد أن تكون من منطلق اسلامى وأن يقول للناس هــذه القوانين التى تحكمهم هى شريعة الله ، هنا نجد الايجاب والقبول والضريبة ضريبة والزكاة ضريبة ، وانما عندما نأخذها على أنها من عند الله ، تجد المسلم يأتيك ويقول لك خذ هذه الزكاة فانى اريد أن أزكى نفسى وأطهر مالى بينما نجد الكثيرون يتهربون من الضرائب فالخــلاف بين دعاة الاسلام ودعاة العلمانية حول هذا .

العقيدة هل تصــلح أساسا للانتمــاء والترابط . العبادات كالزكاة هل تقبل فى المجتمع الحديث وتكملهــا بالضرائب أو لا تقبل .

الأخلاقيــات التى تتميز بها المجتمعــات الاسلامية والحضارة الاسلامية ما موقفنــا منها ، ثم التشريع هل هو من حق الله أو من حق البشر . فموضــع النزاع هو هذا فاننا لا نتهم أحدا بالالحاد ، وان كانت العلمــانية قد تنتهى بصــاحبها الى انكار معــلوم من الدين بالضرورة وهذا كفر والعياذ بالله .

* * *

ثم الأمر الثانى الذى يهمنى هو ما هو المعيار الذى يحتكم اليه الناس ، افرض أن الدكتور فؤاد زكريا قال : ان الاســلام هو الصيام والصلاة والتدين الفردى لله سبحانه وتعالى وقلنا له لا : الاســلام اوسع من ذلك وهو ينكر شمول الاســلام ونحن نقول بشمول الاسلام اذا اختلفت فى هذه القضية او فى غيرها من القضايا لابد أن يكون هنــاك مقياس نتفق عليه فما دمنا نتحدث عن الاســلام والعلمانية ومادمنا نحن مسلمين فلابد أن يكون المعيار هو الاسلام . نحن لاننكر هويتنا الاسلامية وكل منا يقول انا مســلم اوحد الله واؤمن برســوله وبالقرآن . اذن الاحتــكام يكون الى القرآن وصحيح السنة . وهذا مايقوله الله سبحانه وتعالى :

(فان تنــازعتم فى شىء فردوه الى الله ورســوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخــر ذلك خير وأحســن تأويلا) عندما نحتكم : هل الاسلام نظام كامل للحيــاة ام هو دين بالمعنى الغربى لمفهوم الدين ، هو علاقة فقط

فى ضمير الفرد بينه وبين الله فان خرج من ضميره فيكون فى المسجد مثلا ، هذا هو الذى يختلف فيه ، فنحن لا نقبل أن يكون للدين ركن ، والذى انتهى اليه الوضع الحالى الآن : أن فيه شيئا اسمه ركن الدين فى الاذاعة وفى التليفزيون ، وصفحة الدين يوم الجمعة والأحوال الشخصية فى القانون ، والاسلام لايصلح ان يكون مجرد ركن ولا زاوية فالاسلام هو الحياة ، أنه رسالة للانسان كله وللزمن كله وللعالم كله .

هذا الاسلام بشموله : والقرآن يقول :

(ونزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) فالاسلام رسالة شاملة تشمل الانسان من مهده الى لحده منذ ان يولد الى أن يموت ، بل ان هناك احكاما تتعلق بالانسان وهو فى بطن امه واحكاما تتعلق به بعد ان يموت ،فالاسلام يصحب الانسان فى رحلة حياته كلها ، وينظم الحياة من ادب المائدة الى بناء الدوله ، ليس معنى هذا انه قيد الانسان بالتفصيلات فى كلشىء ، لا بل هناك منطقة العفو — ولكن هناك توجيهات أساسية تعلم المسلم حتى فى أهله ، يقول له هذا حلال وهذا حرام ، الخنزير لا تأكله ، الخمر لا تشربها ، سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك وهكذا ، كل هذه توجيهات وتشريعات اسلامية، ، فحصر الاسلام فى صدور الفرد فى المسجد ليس هو الاسلام الذى جاء به محمد صلىالله عليه وسلم فالاسلام له صفة شمولية ليسكما يريد له بعض الناس، اذا كان الاشتراكيون يقولون : لابد أن تشمل الاشتراكية الحياة ولايقبلون من يقول ان الاشتراكية مذهب اقتصادى ، يقولون هى مذهب اجتماعى شامل، لان الحياة نهر واحد متصل بعضه ببعض .

العقل الأوربى كان لابد أن يتحرر عن قيود الكنيسة لينطلق الى الأمام ، فهى أسباب تاريخية ادت الى نشوء العلمانية فى الغرب. هذه الأسباب ليست عندنا هناك كان تسلط الكنيسة ووقوفها فى وجه العلم ووجه التقدم ، وتوفقها مع الاقطاع ضد الفلاحين والطبقات الكادحة ، وتوفقها مع الملوك ضد الشعوب ، وفوقها مع الجمود ضد التفكير والتحرر كان لابد أن تكون هناك علمانية مقابل هذا انما عندما الذى يدعونا لهذا والاسلام يدعو الى العلمية بكل معانى العلمية والعلمية هى العقلية العلمانية التى توازن الأمور وتحكم بالعقل وتخضع التجربة والأمور البرهانية ، فالأمور الحسية تحتاج الى المشاهدة ، هذه هى العقلية الاسلامية والتى قامت عليها الحضارة الاسلامية بالفعل ، وقد ساعد على قيام العلمانية فى الغرب ان التعاليم الدينية عندهم تساعد على الجحود والظلم وعدم الانصاف فالانجيل يقول : (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) أى أن الانجيل قبل قسمة الحياة بين قيصر وبين الله ، وهذا غير مقبول عندنا ، لأنعندنا ، قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد ، فلا يقبل الاسلام الثنائية فى الانسان ولا هذه الازدواجية فى الحياة والصراع بين السلطتين .

* * *

فالانسان وحده ، ليس ثنائيا : الحياة واحدة لذلك اذا كان هذا مبررا لهم فليس عندنا نحن قال تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه) . وقال سبحانه (واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) هذا غير مقبول عندنا فاذا قبل عند مسيحى فلا يقبل عند مسلم ، لأن المسلم لابد له أن يتبع المنهج كاملا ، فلو قلت له : اركن (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) على جنب (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن) اركنها فحينما تقول ذلك لمسلم فانك تنزعه من دينه او تنتزع دينه منه ، وانت بذلك تقيم توترا فى النفس الاسلامية بسبب هذا التناقض بين العقيدة وبين الواقع ، بين ضمير الانسان وما ينبغى أن يكون فى الحياة . وهذا لا يكون من وراءه خير فى الحياة لا للدين ولا للدنيا فلا يقبل منه دين ولا يترك شيئا للحياة ، فالانسان الذى يعيش وهو يشعر أن ما يتم فى مجتمعه ضد عقيدته التى فرضها الله عليه لا يكون انسانا سويا ، ولا يكون صاحب النفس المطمئنة ولايكون الانسان المنتج اقتصاديا ولا يكون الانسان الموالى لمجتمعه ، ووطنه ، لانه يفرض عليه ما لا يقبله فى دين الله ومن أجل هذا كله نحن نرفض العلمانية وننادى بتطبيق شريعة الاسلام لتشمل كل نواحى الحياة .

(٣) الدكتور يوسف القرضاوى (الجولة الثانية)

اى حوار مع العلمانيين يسأل : من أنتم ومن نحن وما هى هويتكم ، لابد من تحديد المواقع والهويات ، أعنى أن يحدد كل من الطرفين المتحاورين أين هو وما هو فلا يسوغ فى منطق أن تجادل فى الفروع من لا يؤمن بأصول ، أو تقنع بالشريعة من ينكر العقيدة ، فالمادى الملحد الذى أنكر الغيبيات) كلها ولا يؤمن بشىء وراء المادة التى يدركها الحس ويعتقد أن (الله) خرافة وأن الأديان كل الأديان أفيون الشعوب ولا يؤمن بأن هناك رسلا أوحى الله اليهم وانزل معهم الكتاب والميزان ليقول

الناس بالقسط ولا أن بعد هذه الحيـــاة الفانية القصيرة حياة أخرى خالدة باقية يجرى فيها الناس بأعمالهم خيرا أو شرا (فمن يعمل مثقـــال ذرة خيرا يره ومن يعمـــل مثقال ذرة شرا يره) .

أقول من لم يؤمن بهذا كله كيف نجادله فى فرض الزكاة أو تحريم الربا أو الخمر أو الميسر أو الزنا واقامة الحدود أو ايجاب الاحتشام على المرأة تحرم التبرج ، بل النهى عن بيع الغرر او صنع التمثيل ، وما دون ذلك أن الذى لا يؤمن بأن محمدا رســـول من الله لا ينطـــق عن الهوى وأن القرآن كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه ، لا يجوز الجدال معه فى تطبيـــق الشريعة لأنه لا يؤمن بالشريعة ولا بكتـــاب الشريعة ، حددوا لنا موقعكم بصراحة أيها الاخوة المحاورون وقولوا لنا من أنتم وما أنتم حتى يكون حوارنا على بصـــيرة . ولا نتناقش فى الجزئيات ونحن لم نتفق على الكليـــات أو نجادل فى الحواشى ونحن مختلفون فى المتن .

اما نحن فموقعنا بحمد الله محدد من جهاته الأربع وهويتنا واضحة بينة كالشمس فى رابعة النهار لا نتنكر لها ولا نلبس اقنعة تخفى حقيقتهـــا ولا تخفض أصواتنا بالاعلان عنها بل نعلنهـــا صريحة مدوية ، اننا مسلمون رضينابالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن منهجا ولسنا مستعدين أن نتنازل عن ديننا لأى سبب ولا بأى بدل ولا لأى احد ان ارتضيناه لأنفسنا وارتضاه الله لنـــا واتم به النعمة علينـــا (اليوم اكملت لـــكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

وكوننا مسلمين يحدد موقفنا العقائدى وهويتنـــا الحضارية والأيدلوجية ولكنه لا يلغى موقعنـــا الجغرافى ولا موقعنا التاريخى .

* * *

موقعنـــا الجغرافى اننا عرب نعيش فى وطن تجمع أهله لغة واحدة وتاريخ واحد ولهم آمال وآلام مشتركة واننـــا مصريون نعيش فى بلد واحد له تاريخ وبين أهله صلات توجب حقوق والتزامات تفيضها المواطنة والجوار ولنا مشكلات تخصـــنا يجب أن نتعاون على حلهـــا . ولاتنافى بين الانتماء الى الاســـلام والانتماء الى شـــعب خاص أو وطن خاص لأنه لا تنافى بين العموم والخصوص

موقعنـــا التاريخى أننـــا نعيش فى أوائل القـــرن الخامس عشر الهجرى وأواخر القرن العشرين الميلادى فى عصر حطم الذرة ووصل الى القمر والى كواكب اخرى ابعد من القمر وصنع لعقله عقلا يصـــنع العجائب وهو (الكمبيوتر) .

وما دمنا مســـلمين فلا يسعنا الا التســـليم لحكم الاسلام فى شئون حياتنا فحقيقة الاسلام أن تسلم قيادك لله ولا تجعل مع أمره أمرا .

وتسليمنا للنص الالهى ليس تسليما اعتبـــاطيا ولا جزافيا ولا شيئا خارجا عن نطاق العقل بل هو ما اقتضته الفطرة وفرضه العقل ذاته فالعقل هو الذى هدانا الى الله سبحانه استدلالا بالصنعة على الصـــانع وقد أثبت العقل المستقل اعظم حقيقتين فى الوجود وهما وجود الله الواحد وصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

وللعقل دور كبير فيما لا نص فيه فلم تشأ ارادة الله أن يقيد عبـــاده بالنصـــوص فى كل شىء بل ترك لهم مساحات رحبه تعمل فيها عقولهم وفق مصالحهم المادية والمعنوية والفردية والجمـــاعية والدنيوية والأخـــروية مهتدين بالنصوص المعصومة وما وضعته من قواعد وما سنته من احكام وما اقامته من موازين .

الاختلاف أنهم يقولوا نحن مسلمون مثلكم ، ولكنا نختلف معـــكم فيما هو الاســـلام ، اسلامنا تجديدى ، عصرى ، متطور متحرك واسلامكم تقليدى ، ثابت جامد

وقـــد نرد عليهم بأن ما ندعـــو اليه هو الاســـلام الصـــحيح وما تزعمونه انما هو افكار مستوردة تلبس لبوس الاسلام واننا ننطلق من الاســـلام عقيدة ومنهاجا وانتم تنطلقون من مسلمات اخرى نحن نرى الاسلام روح وجودنا وجوهر حيـــاتنا وانتم تسمون ذلك (المســـألة الدينية)وهنا نصـــل الى مفترق طريق بيننا وبين دعاة العلمانية الذين يزعمون أن من حقهم أن يفسروا الاسلام من منظورهم الخاص وأن يقدموا فيه ويؤخروا كما يحلو لهم وهنا نرد عليهم دعواهم بحجج ثلاث :

اولا : ليس الاسلام دعوة غامضة ولا مادة هلاميه يفسرها كل من شاء بماشاء ، فالاسلام له أصوله الدينية الثابتة ومصادره الواضحة المحكمة وليس هو كالأديان الأخرى التى يملك رجالها أو المجامع المقدسة لديهـــا أن تضيف اليه أو تحذف منه أو تعدل فيه فهو هو فقد قال الله تعـــالى : (اليوم أكملت لـــكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال رسوله صلى الله عليه وسلم : تركتـــكم على المحجة البيضاء ليلهـــا كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

فما اجمله القرآن من أمور الاسلام بينته السنة النبوية وهى قول النبى وفعله وتقريره واكدته سنة الراشدين المهديين التى اعتبرت موافقتهم فى فهم الاسلام وتطبيقه من السنن الواجب اتباعها لأنهم أقرب الناس الى مدرسة النبوه واحرصهم على تطبيق الاسلام وعلى فهمه .

ثانيا : عندما يختلف العلماء والباحثون فى أمر من الأمور ، أهو من الاسلام أم لا سواء كان من العقائد أو من العبادات أو من الأخلاق أو من المعاملات الا يوجد معيار يحتكم اليه .

بلى : فقد وضع القرآن الكريم لنا المعيار الذى نرجع اليه عند الاختلاف والتنازع وهو ما ذكره بقوله :

(يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) .

وقد اجمع المسلمون فى جميع العصور على أن الرد الى الله تعالى يعنى الرد على كتابه والرد الى الرسول بعد وفاته يعنى الرد الى سنته .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم ما ان اعتصمتم به لن تضلوا بعدى ابدا : كتاب الله وسنة نبيه ، فما كان محكما بينا فى كتاب الله والصحيح الثابت من سنة رسول الله فهو القول الفصل والحكم العدل .

وما لم يوجد فيه نص من محكم اما لعدم وجود نص أصلا أو لوجود نص ظنى الدلالة أو الثبوت أو هما معا فهذا يلزم الرجوع الى القوانين التى وضعها علماؤنا المحققون واثبتها الراسخون لضبط الاستدلال لاسيما عند تعارض الأدلة فى الظاهر وقد وضعوا لذلك علم أصول الفقه وعلم أصول الحديث فضلا عما أصلوه من قواعد فى علوم أخرى مثل علوم القرآن وأصول التفسير وقواعد الفقه وغيرها .

ثالثا : اذا اختلف علماء الاسلام المتخصصون فى دراسته وفقهه والذين عاشوا حياتهم ليتعلمونه ويعلمونه ويدسنون معه بكل ما يعين على حسن فهمه من العلوم الآلهية التى هى آلة الفهم ووسيلة الاستنباط وهى علوم اللغة والنحو والصرف والمعانى والبيان ، اذ اختلف هؤلاء مع دعاة العلمانية الذين لم يعرفوا من الاسلام الا قشورا ربما أخذوها من المستشرقين الذين يحسنون بهم الظن أو المستغربين الذين تتلمذوا عليهم ولعلهم لم يقرأوا كتابا معتبرا فى أصول الفقه أو فى مصطلح الحديث بل هو الفقه أو الحديث نفسه ، اذا حدث ذلك فمن يكون أحق بالصواب من الفريقين : الاسلاميون أم العلمانيون ومع من يسير المسلم وهو مطمئن القلب .

ان الله أمرنا أن نرجع فى كل أمر الى أهله أى الى أهل الاختصاص به والخبرة فيه وفى هذا يقول تعالى :

((فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ..
(سورة النحل)

فهل يدعى العلمانيون انهم أهل الذكر واهل الخبرة بالاسلام وأهل الفتوى لن يختلف فيه من أحكامه الا احسبهم يجرؤون على ذلك برغم ما لهم من اجراءات .

وماذا يكون الموقف اذا جاءنا العلمانيون بآراء اخترعتها أهوائهم أو تعلموها عن أساتذتهم الغربيين وهى آراء لم يقم عليها برهان ولا أنزل الله بها من سلطان وهى آراء لا يخالفهم فيها علماء العصر وحدهم بل هى آراء مخالفة أجمع عليه علماء الأمة فى القديم والحديث فهل يكون لآرائكم هذه اعتبار فى ميدان الاسلام ومنطق الاسلام ؟

* * *

(٣)

يضيق دكتور فؤاد زكريا بعبارتين يغض بهما كلما قرأهما فى كتاب أو سمعهما من محاضر . وهو يزعم أن لهذا تأثيرا عاطفيا على الجماهير يجعلها تمر دون أن تخضع وتتعلق العبارة الأولى بربانية الشريعة ونسبتها الى الله ، الأخرى صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان يقول الكاتب (أنا أشك كثيرا فى أن يكون هناك نص دينى مباشر يجعل المعنى الذى تفهم به هذه العبارة لدى القائلين بها ، واعتقد أن التفكير فى هذه العبارة بشىء من التعمق يكشف فيها عن تناقضين أساسيين) :

الأول : يرجع الى أن الانسان كائن متغير ومن ثم ينبغى أن تكون الأحكام التى تنظم حياته متغيره . وأن تغير الانسان حقيقة أساسية لا يستطيع انسان يحترم عقله وعلمه أن يذكرها وحقيقة التغير هذه تحتم أن تكون القواعد التى يخضع لها متغيرة بدورها .

الثانى : الذى سيصل بالأول اتصالا وثيقا فهو أن

التفسير المباشر لعبارتهم هذه ، وهو التفسير الأكثر تداولا بينهم يعنى الحجر على الانسان والحكم بالجمود الأبدى فالمعنى المباشر لعبارتهم هذه هو أن الله قد وضع للناس فى وقت ما سننا ينبغى عليهم أن يسيروا عليها وفقا لها الى ابد الدهر .

والتناقض هنا يكمن فى ان اصحاب هذا الفهم يؤكدون فى الوقت ذاته أن الله قد استخلف الانسان فى الأرض وكرمه على العالمين فهل يتمشى هذا التكريم والاستخلاف مع تحديد المسار البشرى مقدما . ووضع قواعد تعين على الانسان الا يخرج عنها مهما تغير وتطور وهل يمكن أن يلجأ الأب الحريص على رعاية ابنائه وسلامة نموهم العقلى والنفسى الى وضع قواعد ثابته وأوامر محددة ، لا يحيدون عنها طوال حياتهم ..

هذه شبهة الدكتور فؤاد زكريا .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى : اعتمد الدكتور فؤاد زكريا فى رفضه لصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان على أمرين :

خلاصة الأمر الأول : أن الانسان جوهره التغير فلا تصلح له شريعة جوهرها الثبات .

وهنا أقول للكاتب لقد أخطأت فى القضيتين كليهما فلا الانسان جوهره التغير ولا الشريعة جوهرها الثبات وقبل أن ابين خطأ الكاتب فى دعوته أريد أن ألفت النظر هنا الى حقيقتين كبيرتين :

الأولى : أن منطلق الايمان يرفض رفضا كليا مناقشة ما اثاره الدكتور من دعاوى ، فالمسلم الذى رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وبالقرآن اماما لا يتصور منه أن يناقش مبدأ صلاحية الأحكام التى شرعها له ربه وخالقه ، لهدايته وتوجيهه الى التى هى أقوم ، لأن معنى هذا أن المخلوق يتعالى على الخالق وأن العبد يستدرك على ربه وأنه أعرف بنفسه وبالكون وبالحياة من حوله من صانع الكون وواهب الحياة ، بارىء الانسان .

فالمسلم لا يناقش مجال مبدأ صلاحية الشريعة أو النصوص الالهية للتطبيق والعمل فى كل زمان ومكان ، لأن هذا يعنى مراجعته للاسلام ذاته ، أهو من عند الله أم لا وهذا أمر قد فرغ منه كل من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أيقن بها قلبه ونطق بها لسانه ، انما يناقش المسلم فى بعض الأحكام والجزئيات ، هل هى من عند الله أم لا ، وهل صحت نسبتها الى الله بأن جاءت فى محكم كتابه أو ثبتت على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

واذا ثبت النص أمكن مناقشة ما استنبط منه من حكم ، أهو من القطعيات المجمع عليها أم من الظنيات القابلة للاحتمال والاختلاف .

الحقيقة الأخرى : وهى ما يريد خصوم الاسلام من تشكيك فى المسلمات المعلومة بالضرورة من دين الاسلام ، ان هناك مؤامرة فكرية تريد تذويب الحدود بين القطعيات والظنيات وأن معظم الفتن هى فى تحويل الأمور القاطعة الى أمور محتملة وجعل الأمور المجمع عليها أمورا مختلفا منها وهذا يصدق على تحريم الخمر الذى اجمعت عليه الأمة الاسلامية جيلا بعد جيل وأصبح معلوما من دين الاسلام بالضرورة ، بحيث لا يحتاج الى مناقشة ولا دليل كوجوب الصلاة والزكاة وكحرمة الزنا والربا .

ومن الخطر ان ننقاد غافلين للهدامين الذين يريدون ان يجعلوا كل شىء فى الدين — حتى الأصول والضروريات — محل بحث وجدال وقيل وقال وقد أجمع العلماء على أن من انكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة ولم يكن حديث عهد بالاسلام ولا ناشئا ببادية أو ببلد بعيد عن دار الاسلام ، فانه يكفر بذلك ويمرق من الدين وعلى الامام أن يطلب منه التوبة والاقلاع عن ضلاله والا طبقت عليه أحكام المرتدين .

ولذلك كان الأصل الا اشتغل بالرد على دعاوى الدكتور فؤاد زكريا بالتشكيك فى المسلمات المنطقية عن المسلم ولكنى تنازلت عن موقفى الأصلى واشتغلت بالرد (تبرعا) كما يقول علماء البحث والمناظرة فى تراثنا ، ومن باب (ارخاء العنان للخصم) كما فى قوله تعالى : ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين (الزخرف) وقوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

* * *

اعود للرد على مقولة محامى العلمانية :

ان الانسان متغير والشريعة ثابتة وهو ما قلت انه اخطأ الصواب فيه فى القضيتين معا .

اما الانسان فليس صحيحا أن جوهره التغير ؛

ويؤسفنى أن يصدر هذا من أستاذ فلسفة ، أن من يقول ذلك ينظر الى الانســـان نظرة العوام الذين يكتفون من الأمور بما يطفو على الســطح ، ولا ينفذ بصائرهم الى الأعماق ، وتتركز أعينهم على الأعراض ، ولا يخلصون الى الجوهر .

قد ينظر هؤلاء الى انسان اليوم وقد قرب البعيد وأنطق الحديد وحطم الذرة ووصل الى القمر ، واحدث ثورة فى البيولوجيا وصنع العقل الالكترونى ، ويوازنون بينه وبين الانســـان الذى لم يكن يملك غير رجليه يمشى بهما أو دابة يركبها .

الذى ينظر الى انسان اليوم وانسان الأمس يقول : ما اعظم ما تغير الانســـان ولكن بالرغم من هــذا التغير الهائل الذى حدث فى دنيا الانسان ، هل تغيرت ماهيته هل تبدلت حقيقته ، هل استحال جوهر انســـان العصر الذرى عن جوهر انســـان العصر الحجرى ، اسأل عن جوهر الانسان لا عما يأكله الانسان ، أو عما يستخدمه الانســـان ، لقد تغير بالفعل اكبر التغير مأكل الانســـان وملبسه ومســكنه كما تغيرت معرفته للطبيعة وامكاناته لتسخيرها .

ولكن الواقع ان الانسان فى جوهره وحقيقته بقى هو الانسان منذ عهد أبى البشر آدم الى اليوم ، لم تتبدل فطرته ، ولم تتغير دوافعه الأصـــلية ولم تبطل حاجاته الأساسية التى كانت مكفولة له فى الجنة ، واصبح عليه بعد هبوطه منها أن يسعى لاشباعها . وهى التى اشار اليها القرآن فى قصة آدم (أن لك الاتجوع فيها ولاتعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى) . (سورة طه)

ان انسان القرن العشرين أو ما بعد ذلك لايستغنى من هداية الله المتمثلة فى وصاياه واحكامه التى تضــبط ســيره وتحفظ عليه خصائصــه ، وتحميه من نفســه واهوائها .

سيظل الانسان فى حاجة الى العقيدة التى تعرفه سر وجوده والى العبادات التى تغذى روحه وتصله بربه والى الأخلاق والفضائل التىتزكى نفسه ، وتقوم سلوكه والى الشرائع العملية التى تقيم الموازين القسـط بينه وبين غيره .

وسيظل الانسان وأن صــعد الى القمر أو ارتقى الى المريخ فى حاجــة الى قواعد ربانية تضــبط مسرته وتحكم علاقاته تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، سيظل فى حاجة الى تحريم الربا وتحريم الخمر والميسر وتحريم الزنا والشذوذ وتحريم السرقة والرشــوة واكل أموال الناس بالباطل . سيظل فى حاجة الى رادع يردعه ان هو تعدى حدود الله أو عدا على حقوق الناس .

القصة الثانية : ان الشريعة الاسلامية جوهرها ثابت . وقد أخطأ الدكتور فؤاد زكريا فى هذه المقولة .

فان الاسلام الذى ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية — أودع الله تبارك وتعالى فيه عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور معا ، وهذا من روائع الاعجــاز فى هذا الدين وآية من آيات عمومه وخلوده ، وصلاحيته لكل زمان وكل مكان .

وتستطيع أن تحدد مجال الثبات ومجال المرونة فى شريعة الاسلام ورسالته الخالدة فتقول : أنه الثبــات على الأهداف والغايات والمرونة فى الوسائل والأساليب الثبــات على الأصول والكليــات والمرونة على الفروع والجزئيــات . الثبــات على القيم الدينية والأخلاقيــة والمرونة فى الشئون الدنيوية والعلمية .

وقد يسأل سائل : لماذا كان هذا هو شأن الاسلام لماذا لم يودعه الله المرونة المطلقة أو الثبات المطلق ؟

والجواب ان الاسلام بهذا يتسق مع طبيعة الحياة الانسانية خاصة ومع طبيعة الكون الكبير عامة فقد جاء هذا الدين مسايرا لفطرة الانسان وفطرة الوجود .

أما طبيعة الحياة الانسانية نفســـها ففيها عناصر ثابتة باقية ما بقى الانسان وعناصر مرنة قابلة للتغيير والتطور ، فاذا نظرنا الى الكون من حولنا وجدناه يحوى أشياء ثابتة تمضى الوف السنين والوف الالوف وهى هى، أرض وسماء وجبال وبحار وليل ونهــار وشمس وقمر ونجوم مسخرات بأمر الله ، كل فى فلك يسبحون .

وفيه أيضا عنــاصر جزئية صغيرة ، جزر تنشأ وبحيرات تجف ، وأنهار تحفر وماء يطفى على اليابسة ويبس يزحف على الماء وارض ميتة تحيا ، وصحار تقفر ، وبلاد تعمر وأمصــار تخرب وزرع ينبت وينمــو وآخر يزول .

***

هذا هو شأن الانسان وشأن الكون ، ثبات وتغير فى آن واحد ولكنه ثبات فى الكليــات والجوهر وتغير فى الجزئيات والمظهر .

فاذا كان التطور قانونا فى الكون والحياة فالثبات قانون قائم فيهما كذلك بلا مراء .

واذا كان فى الفلاسفة من قديم من قال بمبدأ الصيرورة والتغير باعتباره القانون الأزلى الذى يسود الكون كله فان فيهم من نادى بعكس ذلك واعتبر الثبات هو الأساس والأصل الكلى العام للكون كله .

والحق ان المبداين كليهما من الثبات والتغير يعملان معا فى الكون والحياة كماهو مشاهد وملموس . فلاعجب ان تاتى شريعة الاسلام ملائمة لفطرة الانسان وفطرة الوجود جامعة بين عنصر الثبات وعنصر المرونة وبهذه المزية يستطيع المجمع المسلم ان يعيش ويستمر ويرتقى ثابتا على أصوله وقيمه وغاياته ، متطورا فى معارفه واساليبه وادواته .

بالثبات يستعصى هذا المجتمع على عوامل الانهيار والفناء او الذوبان فى المجتمعات الأخرى ، أو التفكك الى عدة مجتمعات تتناقض فى الحقيقة ، وان ظلت داخل مجتمع واحد فى الصورة وبالثبات يستقر التشريع وتتبادل الثقة وتبنى المعاملات والعلاقات على دعائم مكيفة واسس واسعة ، لا تعصف بها الأهواء والتقلبات السياسية والاجتماعية ما بين يوم وآخر ، وبالمرونة يستطيع هذا المجتمع أن يكيف نفسه وعلاقاته حسب تغير الزمن ، وتغير أوضاع الحياة دون أن يفقد خصائصه ومقوماته الذاتية .

وان للثبات والمرونة مظاهر ودلائل شتى تجدها فى مصادر الاسلام وشريعته وتاريخه ، يتجلى هذا الثبات فى المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع ، فى كتاب الله وسنة رسوله ، فالقرآن هو الأصل والدستور والسنة هى الشرح النظرى والبيان العملى للقرآن وكلاهما صدر الهى معصوم ولا يسع مسلما ان يعرض عنه .

(قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) .

(انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا) .

وتتجلى المرونة فى المصادر الاجتهادية التى اختلف فقهاء الأمة فى مدى الاحتجاج بها ما بين موسع ومضيق ، ومقل ومكثر ، الاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة واقوال الصحابة وشرع من قبلنا وغير ذلك من مآخذ الاجتهاد وطرائق الاستنباط .

وفى احكام الشريعة نجدها تنقسم الى قسمين بارزين :

قسم يمثل الثبات والخلود وقسم يمثل المرونة والتطور .

نجد الثبات يتمثل فى العقائد الأساسية الخمس : **(من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)** وهى التى ذكرها القرآن فى غير موضع كقوله :

(ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً) .

وفى الأركان العملية الخمسة من الشهادتين واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام وهى التى صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الاسلام بنى عليها .

وفى المحرمات اليقينية من السحر وقتل النفس والزنا واكل الربا واكل مال اليتيم وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات والتولى يوم الزحف والغصب والسرقة والغيبة والنميمة وغيرها مما ثبت بنص قطعى فى القرآن والسنة .

وفى امهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر والوفاء بالعهد والحياء وغيرها من مكارم الأخلاق التى اعتبرها القرآن والسنة من شعب الايمان.

وفى شرائع الاسلام القطعية فى شئون الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص ونحوها من نظم الاسلام التى ثبتت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة .. فهذه الأمور ثابتة تزول الجبال ولا تزول ، نزل بها القرآن وتواترت بها الاحاديث وأجمعت عليها الأمة فليس من حق مجمع من المجاميع ولا من حق مؤتمر من المؤتمرات ولا من حق خليفة من الخلفاء أو رئيس من الرؤساء أن يلغى أو يعطل شيئا لأنها كليات الدين وقواعده واسسه أو كما قال الشاطبى (كلية ابدية) وضيقت عليها الدنيا وبها قامت مصالحها فى الخلق حسبما بين ذلك الاستقراء ، وعلى وفاق ذلك جاءت الشريعة ايضا فذلك الحكم الكلى باق الى أن يرث الله الارض وما عليها ونجد فى فضائل ذلك القسم الآخر الذى يتمثل فيه المرونة ، وهو مايتعلق بجزئيات الأحكام بفروعها العملية وخصوصا فى

مجال السياسة الشرعية يقول الامام ابن القيم في كتابه (اغاثة اللهفان) :

الأحكام نوعان :

نوع لايتغير عن حاله واحـدة مرعيها ولايحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الائمة كوجوب الواجبـات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك فهـذا يتطرق اليه تغير او اجتهـاد يخالف ماوضع عليه .

والنوع الثانى : ما يتميز بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا ، تقـارير التغريرات واخباسـها وصفاتها ، فان الشارع ينوع فيها حسب المصلحة وقد ضرب ابن القيم لذلك عدة امثلة من سنة النبى صلى الله عليه وسـلم وسنة خلفائه الراشدين المهديين من بعده ثم قال :

وهذا باب واسع ، اشتبهت فيه على كثير من الناس الأحكام الثابته اللازمة التى لا تتغير ، بالتعزيزات التابعة للمصالح وجودا وعدما .

والمجال هنا واسع ولا يتسع المقام لاكثر من هذا .

ان المعركة اليوم هى معركة الاسلام الذى يراد له أن يعيش غريبا فى دياره مضـيعا بين أهله محورا على غير حقيقته .

الاسـلام الذى عاهدنا الله الذى لا يخلف وعـده والشعب الذى يصر على أن يحيا حياة اسلامية متكاملة محكومة بشرع الله وسلاحنا هو الكلمة الصادقة والحجة البالغة ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسـنة انه لاذنب لنا فى هزيمـة الدكتور فؤاد زكريا (شـفويا وتحريريا) انه ذنب القضية التى يدافع عنهـا ، أعنى بها قضيـة (العلمانية) فى بلد يؤمن بالاسـلام عقيدة وشريعة واخلاقا وحضارةويراة شرفة فى الدنيا وسعادته فى الآخرة بالاستمساك بحبل الاسلام أنه محام شاطر فى قضية خاسرة المقاييس .

***

الفصل الثالث

المواجهة مع وحيد رأفت وفرج فوده

(١) — الدكتور عبد الصبور مرزوق فى الرد على فرج فودة .

ان هناك اسلاما واحدا فى القرآن والسنة وأنه متعددا يختلف باختلاف كل دولة اسلامية ، كذلك فانه لا ينبغى محاسبة الاسلام كفكر او نظرية او كدين بأوضاع واعمال المسلمين دولا او افرادا فى أوضاعنا المعاصرة .

لماذا لأن المسلمين الموجودين فى عالمنا ليسوا المثال الصحيح او السليم للتطبيق الاسلامى او التطبيق الصحيح كفكر الاسلام سواء فيما يتصل بالمؤسسات او فيما يتصل بالسلوك العام للافراد . او ما يتصل بالمكونات الثقافية للمجتمعات . وعلى هذا الاساس لا ينبغى أن نقول أن الاسلام تعددت أنماطه اسلام مصرى ، اسلام سعودى ، اسلام سودانى الى اخره لان هذه جميعا تطبيقات اجتهادية وتطبيقات شخصية ليست من الاسلام الصحيح ، ولو احتكمنا جميعا فى ظل ظروف علمية موضوعية محايدة ، هل تحتكم الى الواقع المعاصر أم نحتكم الى الاسلام كفكر ، كدين ، كايدلوجية ، كفلسفة ، كمنهج حياة ، كنظام، حضارة الى آخره لا نستطيع ان نحتكم الى الواقع لأن الواقع متغير وانما يجب أن نحتكم الى الفكر .

الفكر فى الاسلام ذو شقين . شق يتصل بالعبادات وهذا جرى فيه التفصيل الدقيق سواء فى الكتاب أو فى السنة وعندما يتحدث الاسلام عن الأمور الدنيوية يتحدث باجمال وهذا فى ذاته ميزة للاسلام انه يحمل ، لكى يعطى للزمن باختلاف الزمان واختلاف المكان فرصة للتغيير وللتطوير فى الأزمنة المختلفة ، بدليل انه عندما يتحدث عن قضية الاعداد العسكرى يقول (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) بالتنكير لا يحدد قوة معينة وانما يترك لفظ القوة يتعدل ويتطور من السلاح الى السيف ، والقنبلة ، الحصان الى الدبابة الى الصاروخ الى آخره.

على هذا الأساس لا نقول اننا أمام عائق : تعدد انماط الاسلام ، هذا العائق متوهم وليس حقيقة لاننا نرفض الاعتراف بأنماط الاسلام ، الحكم على الاسلام هو القرآن والسنة وهما موجودان وليسا قابلين للتبديل أو التحريف أو التغيير لأنهما محفوظان بارادة الله العائق الذى هو قضية الحلال والحرام والصواب والخطأ .

ان التحليل والتحريم محظور شرعا وبصريح القرآن أن يتناوله الأفراد فالذى يحلل ويحرم ويشرع هو الحق تبارك وتعالى وليس لأحد كائنا من كان أن يحل حراما أو يحرم حلالاً .

قضية التكفير مرفوضة الا بحقها . وحقها معروف مثل ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (الا أن تروا كفرا بواحا) يعنى انسانا يعلن كفره بعبارة صريحة او ينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة او يشكك فى ذات الله .

فقضية التكفير ليست من الاسلام على الاطلاق .

وبالنسبة للرأى والرأى الآخر فليس هناك من يحترم الرأى الآخر كما يحترمه الاسلام (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ، الرسول صلى الله عليه وسلم أمر يرفع السيف عمن لا يقاتلون المسلمين .

وعندما نقول اننا نريد دولة اسلامية لا نعنى دولة

دينية ، اى لا نعنى دولة يحكمها مشايخ ، لا واشـــد النـــاس تحمســـا للمطالبة بأســـلمة الدولة وبأن يكون الاسلام هو الحاكم والمســـيطر لا يفكر ابدا فى أن يكون على رأس الدولة شيخ ، الا اذا توفر لهـــذا الشيخ من الأهلية والكفـــاءة والصلاحية لولاية الدولة وقيـــادتها ما يجعله أهلا باجماع كل الناس .

وفى مصر سادها وقت ما : الفكر الماركسى والفكر الرأســـمالى ، سادها وقت ما بالتوجه هناك او هناك ، الا يجوز ، واليس من العدل واليس من المنطـــق فى بلد اغلبيته العظمى من المسلمين يدينون بالاســـلام أن تتاح الفرصة لدين هذه الأغلبية أن يكون حاكما ، أمر ثان فقد اثبتت التطبيقات خارج مصر فى مجال المقـــارنة النظرية والفلسفية أن الاسلام مع الزمن يتطور وسيثمو لصالح الفكر الاسلامى فى مجال الاقتصاد . الآن تتطور الأزمات بين المعسكرين وتكاد تنتهى الى الأخذ بفكر اسلامى . وفى مجال السياسة وفى مجال الحكم عموما دخول كثير من مفكرى العالم الاسلامى يعتبر شهادة لهذا الدين بأنه هو دين الغد واننا عندما نقول اعطوا الفرصة للاسلام اننا لا نريد أن نعود بهذه الأمة الى الخلف ولا نريد ان تصاب برجعية وانما نعطى فرصـــة لفكر متقدم يمكن اختيـــار انظمته فى مجالات مختلفة .

(٢) دكتور جمال الدين محمود

العلمانية لا تمثل فى نظرى لا مذهبا فكريا ولا مبدأ دائما ، وعلينا قبل أن نهتم بتعريفها أن نهتم بأهدافها ولاشك ان الهدف كان منذ بدايته كرد فعل لتفكير العالم المسيحى فى وقت من الأوقات كان هو فصل الدين عن الدولة ، ثم تطور هذ الهدف وتبلور هذا التطور فى الماركسية حين اريد فصل الدين عن المجتمع نفسه .

هناك مرحلتان فى العلمانية من حيث الأهداف :

المرحلة الأولى : فصل الدين عن الدولة (هـــذا مذهب أخذت به بعض الدول الأوربية كفرنسا) .

ان الذى أحدث ضررا حتى فى الدولة غير الاسلامية هو محاولة فصل الدين عن المجتمع وهو ما تولت كبره الماركسية بالذات وكلا الأمرين لا يمكن أن يكون مقبولا فى الاسلام .

وعندما نقول دولة دينية فى الاسلام فلا معنى لذلك الا اختيـــار قانون معين فى هـــذه الدولة ولا شك أن كل مجتمع يختـــار القانون الخـــاص به وأنه من حق كل بلد اسلامى تبعا لأغلبية سكانه ولمصالحه المختلفة والمتنوعة أن يختار التشريعات الاسلامية من حق هذا المجتمع أن يطبق التشريع الملائم له من الناحية النفسية ، الثقافية ، التاريخية .

نحن لا نحاسب فى الاسلام بحسب الممارسات التى تحدث الآن لكننا نعتقد الأمل لما أحاسب الاســـلام على أساس الممارسات القائمة التى يفتقدنا الأمل .

(٢ الرد على الدكتور وحيد رافت

قال الدكتور وحيد رافت :

اننا لم نطبق الشريعة الاسلامية خلافا لمـــا يقال على الأقل منذ خمســـة أو اربع قرون ، صحيح أن الفتح العثمانى ١٥١٤ وكان هناك مجلة الأحكام العدلية لكن لم تأخذ بها وهى قضـــية ومجموعة على طريقة (الكوذر) الأجنبية من الشريعة الاسلامية ولا يوجد فارق كبيرا بين مجلة الأحـــكام العدلية التى هى من صميم الشريعة ، وبين تقنين الشريعة وبين القـــانون المدنى الذى وضعه السنهورى ١٩٤٩ .

لأن الذى وضـــعه مسلم اســـتلهم أحكاما كثيرة ويستلهم احكام الدين واحكام الشريعة .

الاشـــكال الأكبر فى التشريع الحـــالى هو مسألة الحدود وبالفعل هى التى أثارت كثيرا من الضجة وكثيرا من التخوف لأننا استمررنا قرونا طويلة لا نطبق الحدود اطلاقا ، يمكن ليس فقط من خمسمائة سنة يمكن من الف سنة لم نطبق الحدود الشرعية فى مصر بل نطبق قوانين اخرى ســـواء كان فى عهـــد المماليك او فى عهود اخرى وليست الحدود قطع يد السارق أو رجم الزانى أو جلده أو جلد من قذف الى آخر هذه الحدود وهى خمســـة او ستة وهى واردة على سبيل الحصر . فالأخذ بالتدريج واجب فنحن قوم متصـــلون بالعالم الخـــارجى لســـنا منعزلين ، بيننا قوم لا يدينون بديننا وهم من المسيحيين المصريين الأصول قارن فالأخـــذ بأحكام الحدود التى لم يؤخذ بها رغم أن مصر دولة اسلامية منذ زمان طويل ، هذا يحتاج الى شىء كثير من التدرج .

وهنـــاك من يفكر فى الحدود بعقلية القرن الأول من الهجرة وبعقل الجاهلية فيريد تطبيق الحدود بقسوة وبشدة . لسنا ضد الشريعة ، نحن جميعا مع الشريعة

لـكن فيما يتعلق بالحدود فيها شيء من التدرج الواجب ثم لا ننسى ادرءوا الحدود بالشبهات ، التوبة ، التخفف لو طبقت وروح الاسلام السمح لمـا احتج انسان .

الرد على الدكتور وحيد رافت

أولى هذه النقـاط فى الرد : هى مسألة علاقاتنا بالعـالم الخارجى ، فتلك نقطة مستغلة ضد الاسـلام وحده يحاول بها البعض ان يخيف الناس مع ان هنـاك دولة دينية مثل اسرائيل يحكمها الحاخامات وتسير على نظام دينى متزمت ترفع شـعار (اقتلوا العلمـانيين) وهنـاك معارك حدثت فيها جرائم قتل بين المتعصـبين الاسرائيليين والمنادين بالعلمانية فى اسرائيل ، ومع ذلك لم نسمع أن اسرائيل قد فقدت صلتها بالعالم الخارجى أو أنها وصفت بالرجعية والتخلف أو أن التقدم العلمى قد منعه الدين الى آخر ما يقال عن الدين الاسلامى الذى يحاول البعض أن يصوره بأنه عودة الى الوراء .

والاسلام بلا شك اكثر الأديان سماحة واقربها الى العدل المطلق يوم طبق لم يحدث تخلف ولكن تقدمت الأمة الاسلامية علميا وعسـكريا وسياسيا بل واكثر من ذلك فان العالم كله يرى أن الحضارة العربية فى كل الفروع والعلوم قد بنيت على ما اكتشفه وقدمه علماء المسلمين فابن النفيس اكتشف الدورة الدموية وجابر بن حيـان وضع اصول الكيمياء ، وابن سينا والزهراوى وضـعا القواعد التى قام عليها علم الطب والجراحة ، وعبـاس ابن فرناس أول من فكر فى نظرية الطيران فى العالم .

والذى نريد ان نخلص منـه ان اتهام الاسـلام بالرجعية والتخلف اتهـام باطل ولكنه اتهـام يروج له الغرب والشرق معا وهما أساس العلمانية التى نناقشها اليوم ، وبينما نجد أن الدنيا تقوم وتقعد اذا قامت دولة اسلامية بتطبيق الشريعة نجد انهؤلاء أنفسهم ويرحبون باسرائيل القائمة على أساس دينى متعصب مما يدل على أن المسألة ليست موجهة الى فكرة الدين والدولة ، وانما موجهة الى الاسلام بالذات باعتبار أن الاسلام هو القوة الحقيقية للمسلمين .

* * *

مسألة الحدود استغلت فى نشر الخوف والذعر من الاسلام حتى أن الدكتور وحيد رافت يقول أنها لو طبقت بنظرة الف واربعمـائة سنة ماضية فهـذا يخشى على المسلمين انفسـهم ، وهذا قول غير صحيح لأنه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشـدين أى على مدى حوالى ثلاثين سنة لم يزد عدد من طبق عليه حد السرقة عن أربعة ، بينما كل صباح لو استمعت الى نشرة الأخبار لوجدت ان هناك المئات ممن فقدوا أيديهم وارجلهم وشوهوا فى الحرب الدائرة فى لبنـان والعراق وايران وافغانسـتان والفلبين ودول أمريكا اللاتينيـة وافريقيا .

وهنـاك يقتل فى افغانسـتان النساء والأطفـال بالغـازات السامة ولكننا لا نجد من يحتف من الاتحـاد السوفييتى بل رحب به ولكنـا نجد من تخيف من تطبيق الحـدود على أسـاس أنها وحشـية وتخلف فهـل الوحشـية فيما يحدث الآن فى العالم أم الوحشـية فى تطبيق حدود تعطى الأمن والأمان للمجتمع فيأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم .

ان القصد من الحدود هو منع الجريمة وحماية المجتمع ونحن نتمنى ان نطبق بنظرة الف واربعمـائة سنة ماضية لأنه خلال هذا التطبيق طبق حد السرقة على اربع اشخاص خلال ثلاثين سنة .

والذى يحـدث ظلما هو ان كل دعاة العلمـانية ووسائل الأعلام غير الاسلامية تصور الحدود على أنها تقطع يد السـارق الذى يسرق رغيـف وترك من سرق ملايين الجنيهات وهذا غير صحيح بل هو عكس ما يقضى به الاسـلام وهو الضرب على يد السـارق الكبير قبل السارق الصغير . بل أن الطعام لا يسرق فى الاسـلام فالجامع الذى يسرق رغيفا لا يعتبر سارقا فى الاسلام .

(أحمد زين)

* * *

عندما نناقش قضية الحدود : حقيقة سـنجد من الدراسات النفسية الخاصة بالمجرمين والجريمة ، نجد ان الشر يخاف ما يختشى ، نوازع الشر ترتدع ولا توهب لايمكن أن توقف الجريمة بخطب منبرية ، ونادرا مايتحول المجرم الى قديس أو رجل صالح بخطبه منبرية .

اكثر ما يخيف المجرم هو الردع على الأقل سـوف يفـكر عشر مرات قبل أن يقبل على الجريمة والتواريخ مشهورة .

قضية اننا متصلون بالعالم الخارجى ، اثر هـذا الاتصـال ، ان هذا العالم الخـارجى لا يطلب الى ان

استقبله بما يحبه هو ، بدليل أن المسز تاتشر عندما زارت السعودية ارتدت الملابس الطويلة لأنها عارفة انها ستقابل تقاليد البلد التى لا تسمح دون ذلك .

اى سيدة تذهب لتقابل البابا لا يمكن أن تقابله الا وهى لابسة (الجوانتى والكاب والطويل) .

لا أعتقد أن الناس سيفرضون علينا كما اننا لا نفرض على الآخرين أن يستقبلونا بشكل معين .

ان الحدود فى الاسلام ، حقيقة الفقهاء افاضوا فيها افاضة ممتعة وتعتبر شهادة ثراء لهذا الفكر ، فحد السرقة الذى هو اكثر الناس تخلف منه ويتصورون انه سيطبق لا يتم تطبيقه الا بخمسة عشر شرطا ، الامام ابن حزم قال فى بعضها أنه لا يعتبر سارقا من لم يكن لديه طعام يكفيه وبيت يؤويه ، وزوجة ترضيه ودابة تحمله ، ويعتبر هذا الحد الأدنى من الكفاية الذى بعده يعتبر سارقا .

فى هذه الحالة لن أتعامل مع محتاج بل اتعامل مع منحرف مع سارق ، وهذا المنحرف والسارق يجب ان يبتر من المجتمع لأنه علاجه ، كذلك الزانى الذى يزنى وهو محصن — قطعا انسان استنفذ كل فرص اعادة الحكم عليه ، زنى وهو محصن يصبح عنصراً منحرفا ولا يقبل منه اى شىء ، يأخذ علقه وهو حد الجلد ٨٠ جلدة . وحد القذف ، هنا تظهر الصعوبة الحقيقية ، حد القذف هو الذى يتصل بضمان استقرار المجتمع من الناحية النفسية : الذين يحبون أن تشيع الفاحشة تطبق عليه ثلاث عقوبات أدبية ١ — الحد . ٢ — ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، الغيب هويته داخل المجتمع ثم أؤلئك عند الله هم الفاسقون ، اى الناس الذين أهدر وجودهم ولم يعد لهم ادنى وجود

(عبد الصبور مرزوق)

الحدود فى الاسلام من اسلم السياسات الجنائية وسوف يثبت الزمن ذلك ، الاسلام يأخذ فى الجرائم العادية بفكرة الردع المسبق ، ومن حسن الحظ ومن عبقرية الاسلام أن الحدود كلها تتعلق بمصالح الناس وليست بمصالح الحاكم .

أراد الله تبارك وتعالى بالحدود حماية الخلق العاديين جميعا من جرائم السرقة والزنا والقذف وشرب الخمر والجزية ، كلها جرائم موجهة للأفراد .

ان الحدود تهديدية اكثر منها تطبيقية . ليس المطلوب شيوع تطبيقها لكن المطلوب التهديد بها .

ايضا الاسلام اعتنق مبدا العقوبة البدنية وهو خير من العقوبات المقيدة للحرية ، الاسلام حينما اختار هذه العقوبات لم يجعلها قاسية قط ولكنه جعلها قاسية الردع المسبق ووضع لها ضمانات شديدة تجعل تطبيقها عسيرا .

* * *

ولقد تبين أن حد السرقة منه (١١ شبهة) لاسقاط الحد .

وقال العلماء أنه اذا كان لا يجد حاجة لا يقام عليه الحد .

(جمال الدين محمود)

* * *

الفصل الرابع
الحكم بما أنزل الله

الرد على فرج فوده

يقول الدكتور فرج فوده ان آيات القرآن نزلت فى وقائع محددة ، ومنها (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) كانت موجهة الى الكتابيين ، وأن فصل الآيات عن أسباب تنزيلها واطلاقها بصورة عامة أمر منفر ، وهـذا المنطق مرفوض لأن آيات القرآن عامة ، ولو قيدنا القرآن بأسباب التنزيل لقيدنا كلام الله بالزمان والمكان والحدث ، وكلام الله لا يتغير ولا يتبدل ولا يحده زمان ومكان ومن هنا فان محاولة تحديد القرآن بأسباب النزول هى محاولة رفضها كل فقهاء المسلمين لأن العبرة بعموم الآية وليس بخصوص السبب . ولو قيدنا القرآن بأسباب نزوله لم يعد يصلح الآن لأن أسباب النزول قد انتهت ولعل هذا ما يريد ان يصل اليه الدكتور فوده وهو راى خطير لايتمشى مع جلال القرآن وأنه كلام الله المتعبد بتلاوته الى يوم القيامة .

***

وبالنسبة للآية الكريمة (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) الفاسقون ، الكافرون ، هناك خوف شديد وضعه بعض الناس من هذه الآية ولست ادرى لماذا وكأنما نحن نحكم بما لم ينزل الله ، وهـذا غير صحيح لنأخذ المجتمعـات الأوربية والأمريكية التى هى فى نظر الدكتور فوده قمة للتقدم ونبحث ماذا فى هذه المجتمعات أو على الأقل ما هى أسباب تقدمها ، هـذه المجتمعات من قيمها العـامة الصدق ، الأمانة ، اتقـان العمل .

وهذه قيم اجتماعية اخذتها هـذه المجتمعات بعد تجـارب مريرة مرت بها ووجدت أن الحيـاة لا يمكن أن تستقيم بغيرها ، ولقد اعطانا الله هذه القيم مجانا دون أن نمر بهذه التجارب المريرة ، ولكن وجدنا ان هنـاك اناسا يطالبوننا بأن نتركها لأنهـا من أسباب التخلف ، لماذا ، لأن هؤلاء الناس يريدوننا أن نتخلف فعلا ، أن نحكم بمـا لم ينزل الله ، لنصـبح بعيدين عن التقـدم والحضارة وفى هذا تشويه لصورة الاسلام .

وانا اتحدى الدكتور فوده أن يأتينى بقيم اجتماعية صنعت الحضارة وحرمها الله ، حتى نقول أن الحكم بما انزل الله ليس مقصودا به المسلمون .

وتأتى بعد ذلك الأمور التى حاولت هذه المجتمعات ان تحكم فيها بما لم ينزل الله ، الطلاق اباحه الله وقيدته الكنيسـة الكاثوليكية فماذا حدث ، اضطروا اضطرارا منذ سـنوات الى اباحة الطلاق لأن الحيـاة لا يمكن أن تسـتقيم بغير ذلك ، الزنا حرمه الله سبحانه وتعـالى واباحته هـذه المجتمعات بدعوى الحرية ، بل وأباحت مجتمعات أخرى الشـذوذ الجنسى كما فعلت بريطانيـا وفوجئنا بأن هـذه المجتمعات ينتشر فيهـا مرض الايدز الذى يقتل الانسان ولايوجد له دواء ، والآن تصرخ الدنيا كلها من هـذا المرض الذى انتشر فى الدول التى أباحت الزنا والشذوذ ، الخمر حرمها الله وأباحوها ، فماذا تفعل الخمر فى النـاس ، انها الطريق الى الجريمة والقتـل والسلب والنهب ثم بعد ذلك الادمان الذى يورث الجنون، اما بالنسبة للرضـاعة فقد قال الله سبحانه وتعـالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) .

وظهرت الألبان الصناعية التى قيل انها افضل من لبن الأم واستوردنا منها بمئات الملايين من الجنيهات ثم ماذا حدث ، انقلب الوضـع الآن وثبت أن لبن الأم هو أساس صحة ونفسية الطفل .

وهنـاك مؤتمرات تعقد فى أمريكا تكشف معجزة الخالق فى لبن الأم .

***

كيف ينزل خفيفا حتى تتحمله معدة الطفل فى أول الرضاعة ثم تزداد كثافته ثم تقل بعد ذلك ، كل ذلك قاله علماء غير مسلمين .

كل الذى اريد ان اقوله هو ان ما انزل الله هو الخير وهو البركة وهو التقدم واعطنى آية قضية ترى حكم الله فيها لتعرف أنه الخير .

(أحمد زين)

* * *

حول تاريخ الاسلام — فرج فوده

من خلال المناقشــــة اعتقد ان الدكتور فرج فوده درس الاسلام دراسة عميقةواختار اشياء محددة ومعينة لا يمكن أن اقول انه لا تشويه الشبهات ولذلك فهو حين يأتى بالأمثــلة لا يأتى الا بأمثلة شاذة تمت خــلال الف وثلاثمائة سنة ويخفى الأمثلة الجيدة التى هى الغالبة ، فليس الاسلام هو حكم ابى العباس السفاح فلعلك ترد على نفسك حين تقول انه اطلق عليه لقب السفاح .

هل اذا اثبت يا دكتور فوده وارحت المســيحية بأفعـــال راسبوتين الذى كان اكثر من ســفاح وهاتك أعراض ومستولى على الأموال بغير حق ، هل يكون هذا انصافا للمسيحية أم يكون تجنيا عليها بفرد .

ان المثل الذى ضربته تماما كما يأتى انسان ويقول هذه هى المسيحية ويحكى تاريخ راسبوتين فهل هــذا عدل وهل يستطيع ذلك بالنسبة للمسيحية ، طبعا لا ، ولكنك تستطيعه بالنسبة للاسلام مستغلا سماحة الدين فى الاساءة اليه .

أى رجل هذا الذى يستطيع ان يتزوج اربعة آلاف امرأة ، أليس فى هذا مبالغة شديدة ، أليست هذه أشياء مدسوسة ومحرفة هدفها تشويه هذا الدين ، ان معظم ما ذكرته غير صحيح تاريخيـــا . ولكنى ســأفرض أن السـفاح أعدم تســعين شخصا فــكم اعدمت الثورة الفرنســية التى تعتبرها أنت مثلا من أمثــلة الحرية ، وكم أبرياء قيدوا فى المقصلة ليقتلوا بلا محاكمة وكم قتلت الثورة الماركسية فى روسيا وألوف المساجين فى العصور الوسطى الذين كانوا يقتلون فى بريطانيــا اغراقا فى نهر التايمز ، وهتلر الذى كان يضــع اليهود فى الأفران وهم أحيـــاء ، والرومان حين كانوا يلقون بالمســيحيين الى الوحوش المفترسة ويتسلون بالفرجة عليهم والوحوش تنهش لحومهم والتتار والمذابح التى اقاموها واليهود فى مذبحة دير ياسين ، هل ذبحوا تســعين شخصا فقط يا دكتور فوده أم قتلوا المئـــات من الحوامل والنســـاء والأطفال فى مذبحة بلا محاكمة والتكفير والحرق فى أوائل المسيحية كما فعلوا بجان دارك ولعلك تعرف قصــتها والمذابح التى تحدث الآن فى أفغانستان حيث تباد قرى بأكملهـــا ويموت الألوف بالغـــازات الســـامة ، وألوف المسلمين الذين يقتلون فى الحبشة والصومال ، كل هذا يحدث فى العصر الحديث ، هل يحدث لأن هؤلاء الناس مســـلمون يحكمون بما أنزل الله ، أنت تأتى بمثل واحد خلال الف وثلاثمائة سنة وأنا استطيع أن أعطيك مئات الأمثلة خلال عام واحد ، أم أنك تريد أن تلصق بالاسلام ظلما وعدوانا جرائم بين المذابح والقتل .

ألم تسمع عن فتح مكة وكيف أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم حينما اجتمعــت قريش وقال لهم ماذا تظنون انى فاعل بكم قالوا خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

أيمكن أن يحدث هذا فى غير الاسلام ، هؤلاء الذين تآمروا على قتل الرسول وآذوه وأخرجوه من بلده وقتلوا المسلمين ، لم يكن من العدل ان يحكم الرســول بالقتل على مائة منهم أو خمسين أو عشرة ، على الأقل انتقاما لما فعلوه بالمسلمين ، لكنه قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، أتريد سماحة أكثر من ذلك .

أتحدث عن عدل عمر وهو حاكم الجزيرة العربية والعراق وسوريا ولبنان وايران وفلسطين ومصر وكان ينـــام تحت شجرة بلا حراســـة ، أليست هذه نمـــاذج اســلامية تمثل السماحة والعدل وعمر بن عبد العزيز وصــلاح الدين الأيوبى ، وغيرهم مئــات من الحكام المسلمين حكموا بالعدل وانصلحت اثناء حكمهم احوال الرعية وعم الخير .

ان أبا العباس السفاح الذى ضربته مثلا لســوء الحكم فى الاسلام انما يعتبر هاديا بالنسبة للمذابح التى تتم الآنللمسلمين فى العالم ، لمتخاف من أن نحكم بماانزل الله ، وعندما فتح المســلمون الأندلس لم يقيموا مذبحة واحــدة وعندما اســتعاد الأوربيون الأندلس ذبحـــوا المســلمين ، ولكنك لا ترى خلال الف وثلاثمائة سنة الا حكم ابى العباس السفاح لتستشهد به بينما هناك مئات من نماذج الحكم الصالح أغفلتها — أقول عن عمد — لأنك دارس لمنهج الاسلام دراسة وافيه .

(أحمد زين)

* * *

التصور الذى عرضه الدكتور فرج فوده للصحابة هو تصور مجاف للحقيقة كل المجافاه ، عمر بن الخطاب يقتل بمؤامرة ومعروف ابعاد هذه المؤامرة ، فقد ظهرت الشعوبية فى هـذه الفترة وتحول الموقف بالذات فى عهد عمر ، عمر أول شهيد فى الاسلام .

مايقوله الدكتور فرج فوده عن الخلفاء الراشدين : أن فترة الخلفاء الراشدين هى فترة فخر لكل مسلم ، وان مسألة قتل أو اغتيال الخلفاء الثلاثة لا يدين هذه الفترة ، لأن هنـاك أنبياء قتلوا ، أنبياء الله ، ذلك صراع الحق والبـاطل وربما أراد الله تبارك وتعـالى أن يرفع مرتبة الخلفاء الثلاثة الى مرتبة الأنبياء .

كيف حـدث يا دكتور فوده أن الاسـلام فتح امبراطوريتين كبيرتين كانتا اكبر قوة فى ذلك العصر وهما الروم والفرس وفتحهما فى سنوات قليلة بشكل لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، حينئذ تنبه غير المسلمين كما هـو حادث الآن الى خطورة الدين الاسلامى ووجدوا أن قوة المسلمين فى دينهم وتمسكهم به فأرادوا أن يطعنوا هذا الدين لوقفوا هؤلاء المسلمين عند حد وكان اهم ما يطعن به الدين هم الخلفاء الراشدون ، لماذا لأنهم قمة الايمان وقمة التقوى وقمة الزهد ، فلا يمكن اغراؤهم بالمـال ولا بجاه الدنيا ولا بالمناصب .

ولقد بدا تنبه غير المسـلمين الى هذه الحقيقة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه فى هذا العهد تمت فتوحات اسـلامية كثيرة ، وانتشر الاسـلام فى أرجاء الأرض ، ولمـا كان حكام المسلمين رغم ما يحكمونه من مسـاحات شاسعة يرفضـون الحراسـة والاقامة فى القصور ووضع الحجاب والحراس على الأبواب فقد كان اسهل وأيسر وسيلة هى اغتيالهم ، عمر بن الخطاب كان ينـام تحت شجرة ، ويمشى فى الشوارع بين النـاس ويذهب الى الصلاة دون أن يحميه أحـد ، وقيل لعلى ابن أبى طالب الا تخاف الموت قال : ومم أخاف يوم يأتى لا يستطيع احد أن يمنعه ، ويوم لا يأتى لا يستطيع احد أن يجىء به ، وقيل لعثمان ابن عفان ضع حرسا حولك يحمونك قال : والله لا آخذ من بيت المال دينارا لأضع لى حرسا .

هذا كانت شيمة الخلفاء الراشدين وهذا لا يطبق على العصر الحديث ، ولكن الذى أريد أناقوله ان هؤلاء الناس كان أسهل الأشياء هو اغتيالهم ولذلك تم التنفيذ على هـذا الأساس ، من هـذه هى النظرية : خلفـاء بلا حراسة من اسهل الأشياء اغتيالهم ومن أصعب امور الدنيـا أن يجعلهم احد ينحرفون عن المنهج ولذلك كانت المؤامرة بالقتل هى اسهل وسائل التنفيذ .

اما طريقة التنفيذ فكانت أن يدخل المنـافقون فى الاسلام ليهدموه من داخله ، فقد وجدوا أنه منالمستحيل ان يهدم الاسلام من الخارج ومن السهل جدا أن يهدم من داخله فجاءت مجموعة من المنافقين واعتنقوا الاسـلام ظاهرا وهم الذين نفذوا كل هذه الفتن ، عمر بن الخطاب قتله مجوسى بعد أن فتح المسلمون أرض فارس ، وكانت مؤامرة دبرت بأن قاموا بتسميم الخنجر الذى قتل به عمر حتى يكون القتل اكيدا .

وفى عهـد عثمان الذى اثار الفتنة الـكبرى بين المسـلمين هو يهودى اعتنق الاسلام نفـاقا ليهدمه من داخله واستطاع هو وأتباعه أن يفتعلوا الأحداث ويثيروا النـاس بدعوى أنهم مسلمون مخلصون ، فكانت الفتنة التى اودت بحيـاة عثمان وحيـاة على رضى الله عنهما ولو قرات الأحداث جيدا لعرفت أن هذه الفتنة بدأت فى الامصار التى فتحت ولم تبدأ فى المدينة نفسها .

وأن التدبير كان هو تهييج اهل هذه الأمصار ضد الخليفـة بدعاوى وأكاذيب كثيرة واطلاق الاشـاعات الكاذبة حتى تحـدث الفتنة وأراد الله ان يلفتنا فى هـذه الأحداث الى ان اخطر ما يهدم به هـذا الدين هو من داخله من اناس يدعون أنهم مسـلمون ويهدمون الدين الاسلامى تماما كما يحدث الآن .

هذه هى النظرية : هدم الاسـلام من داخله وهى ما زالت قائمة حتى الآن وما زال الاستعمار ينفق ملايين الجنيهـات ليدفع لبعض معتنقى الاسـلام حتى يهدموا الاسـلام من الداخل وهى طريقة نعترف أنهـا نجحت خصوصا فى هذه الأيام التى ضعفت فيها النفوس وباع الناس الآخرة واشتروا الدنيا .

تصورك لحرب الرده بعيد عن الحقيقة تماما وأنت تقصد فيه اظهار الاسلام بأنه دين المذابح والقتل ، وأنا لا اترك على ما قلته من أن قرار أبى بكر الصـديق كان قرارا سياسيا ، بل أؤكد أنه كان قرارا دينيـا مائة فى المائة ، وسأناقشك بمنطق العصر الحديث لأنى أعرف أن كل هدفك هو اظهار الاسـلام كذبا بأنه دين لا يصـلح للعصر الحديث .

فلناخذ اى دولة من دول العـالم واى جيش فيها ماذا يحدث ؟ يقسم افراد الجيش بالطاعة والولاء للوطن

فاذا جرح احدهم قسمه البشرى فى وقت الحرب ورفض ان يحارب فانه يعدم ، ولا يعقل ان فى هذا أى نوع من الوحشية ولكنه باعتراف العالم كله ضرورة لأزمة للحفاظ على سلامة الدولة وأمر مشروع لا يستنكره احد بل ان ذلك يطبق على المدنيين ايضا الذين يخونون أوطانهم ويتنكرون لها بأية صورة من الصور .

لنأت بعد ذلك الى الاسلام . الله سبحانه وتعالى لم يفرض دينه على احد ولكن هذا الدين انزل للبشرية كلها وقال الله سبحانه وتعالى : لا اكراه فى الدين وقال : **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وقال مخاطبا رسوله :**

(افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقال تعالى **(انما عليك البلاغ)** ومن هنا فان الذى يدخل فى عهد ايمانى مع الله باختيار العبد نفسه دون اكراه لابد ان يوفى بالعهد الذى قطعه على نفسه .

والذى حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أن ظهر عدد من ادعياء النبوة ، وارتد عدد من الاسلام وأنكر عدد فريضة الزكاة ولم يقولوا أنهم سيعطونها للفقراء كما ادعيته أنت ولكنهم قالوا عنها أنها جزية تفرض على غير المسلمين .

ولكنك بمنطق العصر الحديث تبيح أن يقتل من ينقض عهده مع الدولة ويرفض الحرب بعد أن أقسم على القتال وتعتبر هذا ويعتبره العالم كله منتهى المدنية فاذا نقض بعض الناس عهدهم مع الله وحكم عليهم بنفس المصير يكون هذا وحشية ما بعدها وحشية .

اترى كيف تستهين بالله الى حد أنك جعلته أقل من القسم على الولاء للوطن فهل هذا يعقل بنفس المنطق الذى يطبق الآن ، من ينقض قسمه مع الوطن ينفذ فيه حكم الاعدام ومن ينقض عهده مع الله سبحانه وتعالى وقد دخل فى الاسلام باختياره تكون نفس العقوبة بالنسبة له نوعا من الوحشية .

اظن انه منطق غير مقبول بلغة العصر .

وكان لابد لأبى بكر بعد ان اقسم هؤلاء الناس على الولاء لله أن يقاتلهم اذا نقضوا العهد ولذلك عندما قال عمر بن الخطاب : القاتل من يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، قال ابوبكر انهم لميتولوها بحقها . أى انهم نقضوها حين أنكروا الزكاة وكان هذا بداية ولو انهم تركوا لأدى ذلك حتما الى انكار باقى اركان الاسلام

ولو أن الاسلام كان قهرا وعن غير ارادة حرة لقلنا ربما قهروا على أن يقولوها ولكن الله لا يقبل الاسلام الا اذا كان نابعا من القلب وبالارادة الحرة والاكراه يسقط العقوبة .

بأى منطق تستنكر حرب الرده وتقول أنه قرار سياسى وهو قرار دينى مائة فى المائة ، وتقول ما كانت دولة الاسلام لتقوم وهى ستظل قائمة الى قيام الساعة

ان احدا لم يطلب منك أن تعتنق الاسلام ، ادرس كيف شئت ، ابحث كيف شئت ، فكر سبعين مرة ، ولكن متى عاهدت الله على الايمان فاعلم انك تعاهد الخالق عز وجل وان هذا العهد ليس هزلا ولكن لابد أن يؤخذ بمنتهى الجدية لأنك تعاهد الله .

والذى غاب عن الدكتور فرج فوده هو حكمة الزكاة وخطورة اقطارها ، الزكاة فى المجتمع الاسلامى اولا هى نوع من علاج الحقد بين الأغنياء والفقراء ، ذلك أن الحقد هنا يزول عندما يوجد هذا التكافل فى المجتمع الذى توحده الزكاة .

والزكاة فى معناها هو أن يتحرك الانسان فى الحياة اكثر من احتياجه أى انه لابد أن يتحرك ليكفى احتياجاته وزيادة لأنه لو تحرك ليكفى احتياجاته فقط ما وجد مال الزكاة ، وتعطيل الزكاة معناه أن الاسلام يدعو لأن يتحرك كل فرد حسب احتياجاته فقط وهذا تشجيع على السكون وعلى عدم الحركة فى المجتمع وقتل لطموح الانسان دينيا على الأقل فى أن ينال بأعمال الدنيا ثواب الآخرة .

ومن هنا فقد جعلها الله تبارك وتعالى ركنا من اركان الاسلام الخمس ليعلم المسلمون انهم مطلوب منهم فى الحياة أن يتحركوا اكثر ليدفعوا الزكاة ويتصدقوا .

اما ما يقوله الدكتور فرج فوده من انه يأتى أناس يقولون أن هؤلاء لا يدفعون الزكاة للدولة فاقتلوهم ، هو اجتهاد لم يطالب به أحد واختراع يراد به تخويف الناس من الاسلام .

(أحمد زين)

— ٣ —

أن عمر هو الرجل الذى وسع رقعة الدولة وهو الذى كان يعبر عن الاسلام التعبير الدقيق فى موقفه كسياسة وفى رايه المستنير وفيما يمكن أن يسمى بالمستقبلين فى قدرته على تحليل الأمور ، وتحليل شيء مستقبلى صرف ، يفهم فى جوهر التشريع وروحه اكثر من تقيده ووقوفه اسيرا أمام النص ، عندما يأتى عمر يقتل بمؤامرة تدبرها الشعوبية ماذا ينتظر ، فى مثل هذه الحالة بما يفعله الحاكم أو الخليفة فى مثل هذه الحالة ،

يعد سيدنا عمر هذا العملاق الضخم واسع الأفق الذى يفهم الاسلام الفهم العميق جاء سيدنا عثمان كنموذج آخر نوعية ثانية ، لا أريد أن أمس سيدنا عثمان أو أنال من شأنه ، حاشا الله تبارك وتعالى .
لقطة أخرى خاصة لسيدنا أبى بكر الصديق والمرتدين :

سيدنا عمر قال له نتركهم الوقت لا يتسع لهذا ولكن سيدنا أبو بكر قال لابد أن نحاربهم ليس لأنهم منعوا حقا ، منعوا الزكاة ، ليست مسألة سياسية ، هم انكروا احقية ولى الأمر فى الحصول على الزكاة وبالتالى انكروا ركنا من أركان الاسلام فليس من أجل المال ، جحدوا أمرا معلوما من الدين بالضرورة .

موضوع اعتقال عدد من الصحابة فى فترة الثلاثين سنة ، كان نتيجة طبيعية لأن الناس كانوا فى ذاك الوقت يطيعون الاسلام بولاء شديد دون اعطاء الأمور الأخرى حقها .

لا تقول أخطأ واحد من الصحابة ولكن تقول اجتهد وكانت له وجهة نظره . ليس الخطأ على الاسلام ولكن الخطأ على الحكم .

(عبد الصبور مرزوق)

* * *

حول الصحابة — فرج فوده

فى مجموعة من الخواطر المتضاربة حاول الدكتور فرج فوده اثارة الشبهات قال الدكتور فرج فوده : أن الصحابة دخلوا الاسلام بقصد الغنى والحصول على الثروات وأن ثرواتهم كانت هائلة .

وقال الدكتور فرج فوده : الاسلام يقر التعذيب للأغراب وطالب الدكتور فرج فوده بعدم تطبيق حد الزنا

وقال أن عمر بن الخطاب عطل حد السرقة فى عام الرماده .

ما قاله الدكتور فرج فوده عن ثروات الصحابة هو مجرد اختراع ، ذلك أن هؤلاء الناس دخلوا الاسلام فى مكة ولم يكن للاسلام دولة وتحملوا من الاضطهاد والتعذيب والقتل أحيانا ما لم يتحمله بشر ، ولو أنهم كانوا طالبى ثروة لانضموا الى الجانب الذى كان يملك الثروة وهم الكفار وليس من المعقول ولا من المقبول أن اذهب لأطلب الثروة مع الذين لا يملكون شيئا وهم مضطهدون من المجتمع الجاهلى ، هذه واحدة .

وعندما هاجر المسلمون من مكة الى المدينة تركوا اموالهم فى مكة ومايملكونه فى مكة حتى أن صهيب الرومى حينما رفض الكفار أن يسمحوا له بالهجرة الا اذا ترك لهم كل أمواله وما يملك أعطاهم الأموال بلا تردد وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصة قال : ربح البيع ، فهل من يريد الثروة يترك أمواله ليهاجر فى سبيل الله أو يتمسك بها ويبقى .

أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان من أثرياء العرب ، والثروة ليست عيبا فى الاسلام بل هى أساس لعمارة الكون ، أبو بكر قبل أن يموت تبرع بكل أمواله وعندما قال له الناس ماذا تركت لأولادك قال تركت لهم الله ورسوله .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان حاكم امبراطورية كبيرة تمتد من الجزيرة العربية الى آخر حدود الفرس والروم كان يحاسب زوجته على الدرهم حرصا على أموال المسلمين ، وعثمان بن عفان جاءته قافلة فى عام مجاعة فانطلق اليه التجار كل يريد أن يحصل على القافلة وظلوا يزيدون حتى وصلوا الى سبعة أمثال الثمن . فرفض أن يبيعها لهم رغم هذا الربح الباهظ وقال : عندى من يعطينى أكثر من ذلك وعثمان ابن عفان جهز جيشا للمسلمين فى غزوة تبوك بكل ما يحتاجه من مؤن وسلاح على حسابه الخاص .

هؤلاء هم الذين يتهمهم الدكتور فوده بأنهم طلاب مال فهل هذه تصرفات طلاب المال ، أما من تقول عنه وهو الزبير بن العوام الذى قلت أنه بالاجماع ثروته ٥٧ مليون درهم فقد جاء فى البخارى وهو أصح كتاب بعد كتاب الله باجماع الأمة فقد مات مدينا وطلب من أولاده أن يبيعوا قطعة أرض صغيرة كان يملكها ليسددوا دينا عنه .

هؤلاء الذين استشهدت بأسمائهم تصدقوا بما يملكونه ولم يبخلوا فى سبيل الله . وقد مات على ابن أبى طالب وكل ثروته ٢٠٠ درهم ومصحف وسيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهون عند يهودى وكان لا يبيت وعنده دينار أو درهم فكيف تفترى على الاسلام وتقول أن الصحابة دخلوا الاسلام ليكنزوا المال : هؤلاء جميعا دخلوا المعارك وكانوا أحرص على الشهادة أكثر من حرصهم على الحياة ، وهذا لا يستقيم مع صاحب المال فكانز المال جبان يريد أن يعيش ويتمتع بماله .

ما قلته من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقر التعذيب فى سبيل الاعتراف وتحدث عن واقعة (الافك) وكيف أن علـى بن أبى طالب اتى بالخـادمة (بريره) وضربها ضربا شـديدا وطلب منها أن تقول الحق فقالت والله لا أعلم الا خـيرا ولم ينكر الرسـول الكريم على (على)هذا الأسلوب ولن نناقشك فى صحة الحـادثة لأنه لا يمكن أن يضرب على بن أبى طالب العالم بتعاليم الدين الخـادمة ضربا مبرحا ، ولكننا نريد منك أن تقول لنـا : أتدعى أن الاسلام يقر التعذيب اسـتنادا على هذه الواقعة التافهة المشكوك فيها .

ان رسول الله لم يقبل التعذيب فى شأن سـهل ابن عمرو الذى كان يحرض على قتل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وقال لعمر : لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا .

هل اذا كان الاسلام يقر مبدأ التعذيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك أسرى بدر وهم من أئمة الكفر دون أن يعذبهم مع انهم الذين جاءوا لقتـله وقتل المسلمين .

وحاطب ابن أبى بلتعه الذى أنقـذ الخطاب لأهل مكة حين أراد عمر أن ينتقم منه وكيف قال له رسول الله انه منأهل بدر المغفور لهم ، أليمكن من الأحرىأن يجلد أو يعذب حاطب ابن أبى بلتعه على خيانته للمسلمين لو أن الاسلام يقر ذلك .

وعندما فتح رسول الله مكة ومكنه الله من الكفـار الذين آذوه وحاربوه وآذوا المسـلمين الم يكن من الممكن أن يأتى رسول الله بمائة من الكفار ليجلدون أمام الناس فى الكعبة عبرة لكفار مكة .

بل عفا عنهم وقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ان الاسـلام يا دكتور فوده يحـافظ على كرامة الانسان وعمر بن الخطاب حينما علم أن ابن عمـرو بن العاص سابق صبيا قبطيا فى مصر فسـبقه الصبى فاذا بابن عمرو بن العاص يضرب الصبى المصرى ويقول له انا ابن الأكرمين ، أحضر عمرو بن العاص وابنه والقبطى المصرى وقال له اضرب ابن الأكـرمين وقال قولتـه المشهورة :

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

ان الاسلام ينهى عن الضرب على الوجه .

نترك هذا كله يا دكتور فوده ونأتى بحادثة نقول ان على ضرب فيها جاريه وان الرسول الكريم أقره على ذلك لنتخذ من هـذه الحادثة غير المـؤكدة بل وغير الصحيحة بالطريقة التى رويتها ، تأتى بهذه الحـادثة وتخرج منها الى أن الاسلام يقر التعذيب ويحترم هدفك ويحذف كل الباقى .

أهـذا هو البحث العلمى ، أهـذه هى الأمانة فى العرض ، أهذا هو الصدق فى الاتهام ، هذا لاتقره ، ماذا تريد أن تقول ، ولكننا نعرف أنك حددت هدفك جيدا وان ما تقوله ليس عن حياد ولكن عن تحيز ضد الاسلام .

أما عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) فهو حديث صحيح للرسول الكريم .

أما ما حدث فى عهد عثمان فقد قلنا أن المنـافقين دخلوا فى الاسلام ليهدموه من الداخل وقاموا بأحداث هذه الفتنة وعلى رأسهم اليهودى عبد الله بن سبأ وغيره من عشرات اليهود استطاعوا أن يوقدوا النار بينالمسلمين. على أنه يادكتور فرج حتى الآن فان كل عهد فيه عبد الله ابنسـبأ يهيج الناس ويثير الفتن وتطلق الاشاعـات الكاذبة .

النظرية الاقتصادية فى الاسلام

قال الدكتور وحيد رأفت أن الاسلام ليس له نظرية اقتصادية .

أنا سأعطى لسيادتك ببساطة شديدة معالم هـذه النظرية الاقتصادية فى الاسلام ومن القرآن :

أولا : فى المعسـكر الحر الاقتصاد الحر يقول لك دعه يعمل دعه يمر شعار آدم سميث ويترتب على هذا أن من حق الانسان أن يجمع المال كما يشاء وينفقه كما يشـاء دون قيد . كانت النتيجـة أن أبيح اسـتعمار الشعوب من أجل الحصول على المال . أبيح الاتجـار بالأعراض ، كل شىء أصبح مبـاحا من أجل أن تحصل على المال : دعه يعمل ، دعه يمر .

أبيح اهدار حقوق العمـال . أصبح صاحب رأس المـال هو كل شىء والعامل لا شىء ، النتيجة ماذا . النتيجة أن التداعيـات أصبح فيه اضـطرابات ظهرت النقابات التقطت الاشتراكية الخيط وقال نعمل خط ثانى مختلف .

فى النظام الحر الملكية خاصـــة والمنفعة خاصة ، هـــذه معالم النظرية فى الغرب ، الشـــيوعيون يقولون المـــلكية عامة والمنفعة عامة ، ليس للأفراد أن يمتلكوا وانما الملكية للدولة كافة وانت كفرد ليس لك من حقك الا أن تأكل وتشرب وبالخبز وحـــده يحيا الانســـان كما يقول الاسلام قال : لا ـــ حصل تداعيـــات فى هذا عند الاشتراكيين ، أولا لم تطبق وهذه حقيقة بل فيه طبقات ما زالت ، طبقيات موجودة فى النظام الإشتراكى .

فى هـــذا المجتمع الاشتراكى أو فى ظـــل الرؤية الاشتراكية جرى اهمال خطير جدا وبالغ الاهمية ، اهمل الدافع الذاتى للانسان ، الدولة كل شىء ، وانا باعمل ، اعمل ، لن اشتغل وحصـــل انه قال لك انه لن يعمل ، عنصر فطرى خلقه الله فى الانسان ، اغفلت خلاص ، لن اعمل ، لن أستغل وحصـــل انه قال لك انه لن يعمل ، لن يشتغل الا بالكرباج ، وكانت النتيجة ان عجز الاتحاد السوفييتى عبر خمس خطط خمســـية متوالية ان يكفى نفســـه من القمح ، وأصبح يســـتورد القمح من أمريكا المعســـكر المعادى ، ومقابل اســـتيراد القمح من أمريكا يصدر الفنيون من اليهود الى اسرائيل لتضرب به الدول العربية ، لمـــا وجدوا هـــذا خطأ رجعوا تانى فى فترة لبيرمان فيلسوف جديد قال لابد أن نعيد الاعتماد بالدافع الذاتى فبدأوا يعطون العامل الزراعى فى كلوخيزات التى هى للاصلاح الزراعى ، قصبة فى قصبة أمام حقله يزرعه زراعة خاصة وجدوا أن الانتاج تحسن ـــ لبيرمان .

ماذا فعل القرآن ، جاء القرآن فى الوســـط قال : الملكية خاصة والمنفعة عامة الملكية هنـــاك عامة وعامة وخاصةوخاصة اما الاسلامقالفقال : ملكية خاصةومنفعة عامة اساسه أولا : الملك الأساسى أو التملك الأساسى لله تبارك وتعالى . (لله مافى السموات ومافى والأرض) (لله ملك السموات والارض) (له ما فى السموات والارض)

***

بالنسبة للمال بالذات و (انفقوا من مال الله الذى اتاكم) بالاضافةالى الله (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

كتاب مقدس يعطى هذه الأصول ويعطيك التوجيه بالنسبة للمال : لابد أن يبقى له دوره يستفيد منها عباد الله ، ملكية خاصة (يسألونك ماذا ينفقون قلالعفو)

والعفو ما زاد عن الحـــاجة ، ما زاد عن حاجتى يعرض علىالمسلمين لينفقوا منهفاذا لم افعل فانا محتكر، وعلى السلطان أن يتدخل لحملى على تمكين عيال الله من مال الله الذى هو أصلا حق له .

الرســـول صلى الله عليه وسلم عندما حدد موقف الاسلام من المال ماذا قال (حدود الملكية) : ليس لك من مالك الا ما اكلـــت فافنيت ، او لبســـت فابليت ، او تصدقت فابقيت .

اذن لك فى الدنيـــا حاجتين اثنتين من الاســـلام الضرورات من غـــير سرف ولا ترف ولذلك ذم القـــرآن المسرفين فى قضية المال وذم النوع الثـــانى ، ودعا الى الخط الوسط .   (عبد الصبور مرزوق)

***

الشيخ الشعراوى فى الرد على فرج فوده ووحيد رافت

لقد بدأت هـــذه الفـــكرة بعدد من الكتـــاب غير المسلمين الذين ارادوا ان ينقلوا فكر الكنيسة الىالمجتمع الاسلامى فى مصر ، فبدأ هؤلاء يكتبون فى وسائل الأعلام مطالبين بشىء اسمه العلمانية ثم تبنى هذه الفـــكرة على جهل بالدينالاسلامى بعضالمسلمين اسما وبدأوا يروجون لها والفكرة فى اساسها ليس لها تعريف محدد الا انها كما يدعون فصل بين الدين والدولة لماذا : لأن الكنيســـة فعلت ذلك ولا شىء أكثر وحتى هذا الفصـــل والوصل ليس له تعريف محدد بل أنه شىء هلامى يعرفه كل منهم كما يريد .

سبب فصل الكنيسة عن الدين ان الكنيسة كانت فى الماضى تكبت كل فكر بشرى ولذلك فقد تصدت للمفكر (كوبرنـــكس) الذى كان أول من قال ان الأرض تدور حول الشمس وكانت الكنيســـة تقول : ان الأرض هى مركز الكون وتنســـج من حولهـــا الأساطير وقصـــص القديسين ثم بعد ذلك تصـــدت لفكر (جليلو) وأجبرته على أن ينكر نظريته الخاصـــة بالكون وكفرت العلمـــاء ووقفت أمام البحث البشرى وكانت تنسج قصصا غريبة عن القديسين الى آخر كان يدور فى القرون الماضـــية ، اى أن الكنيسة وقفت ضد حرية الفكر البشرى فى البحث العلمى وارادت ان تقيده وان تمنعه وانتسيطر بخرافات كثيرة على عقول النـــاس ، حينئذ حدثت الثورة ضـــد سيطرة الكنيسة على الفكر البشرى وانفصـــلت الدولة عن الدين ، ومنذ ذلك الوقت تقدمت أوربا وصارت فيها الحضارة ، فاذا أخذنا العالم الاسلامى نجد أن الوضع عكس ذلك ، تماما فالاسلام قام على حرية الفكر وحرية العقيدة وحينما تمسك المسلمون بدينهم تقدموا علميـــا وعسكريا وفى كل نواحى الحياة واستطاعوا أن يقهروا ويســـيطروا على امبراطورية كبيرة وأن يهـــزموا أكبر قوتين فى عالمهم فى ذلك الوقت ، وكان الفكر الاســـلامى

الذى نقلته أوربا وبنت عليه حضارتها وعندما انفصل المسلمون عن دينهم وبدأوا يقلدون الغرب زالت دولتهم وتفرقوا فى الأرض فأصبحوا شيعا وهانوا على عدوهم. ونحن نرى الآن كيف حال المسلمين مع انهم يملكون من مصادر الثروة والموارد الطبيعية والقوة البشرية مايمكن أن يجعلهم سادة العالم ولكن انصرافهم عن دينهم أورثهم الضعف والخذلان . وهكذا نرى أن الاسلام عكس المسيحية فعندما سيطرت الكنيسة على الدولة ساد التأخر وانتشرت الخرافات وحورب كل اكتشاف علمى جديد وعندما سيطر الاسلام وتمسك به المسلمون وطبقوه التطبيق الصحيح جاء التقدم وجاء الازدهار .

هذه هى الصورة الصحيحة التى يرويها التاريخ . الله سبحانه وتعالى قد وضع فى هذا الدين اسباب القوة والعزة والمنعة ، وجعله يسيطر على حركة الكون كله وليس حركة المسلمين وحدهم .

نأتى بعد ذلك الى القضية الأساسية التى اشتمل عليها هذا الحوار الذى دار القضية كما فهمتها هى خناقة على الحكم لا اكثر ولا اقل ولا تدخل فى الدين فى شىء فدعاة العلمانية يخافون من تطبيق منهج الله ان يؤدى ذلك الى حكم علماء الاسلام أو حكومة من علماء الاسلام وهم يريدون بافكارهم هذه أن يبقوا فى الحكم خارج هذه الدائرة على الأقل انهم طلاب حكم وطلاب دنيا ، يخافون من عدل الله فى الدنيا ويعتقدون انهم سيعيشون فى مأمن حينما يفصلون الحياة الدنيا عن الدين لتحكمها الأهواء .

واقول لهم أن علماء الاسلام يحكمون قلوب الناس لا أجسادهم وأن الدين الاسلامى ليس مطية للوصول الى الحكم ، وكل من يتخذ هذا الدين مطية للوصول الى الحكم فهذا انسان فى قلبه نفاق .

ذلك اننا جميعا كعلماء نسعى ونبذل قصارى جهدنا ليكون الحكم بقواعد الاسلام وهذا هو الفرق ، أن احدا من علماء الاسلام لا يريد أن يحكم هو بقواعد الاسلام ، بل يريد أن يكون الحكم بقواعد الاسلام ويختار الشعب بملء حريته من يحكم فالذين يريدون أن يتخذوا الاسلام مطية ليصلوا هم الى الحكم فى قلوبهم هوى .

والذين يريدون ان يكون حكم الاسلام قائما انما دعواهم لنصرة دين الله .

لقد كان من منهج أدعياء النبوة والدجالين تبديل أحكام الله او ابطالها كوقف الحدود مثلا ، وكان هو هدف كل من ادعى النبوة فى عهد الاسلام منذ مسيلمة الكذاب الى يومنا هذا ، الأساس واحد فقد اباح مسيلمة الكذاب الزنا واباح شرب الخمر واسقط بعض التكاليف وكذلك فعل كل ادعياء النبوة من بعده ، لماذا لأن التكاليف ثقيلة على النفس غير المؤمنة ولذلك فان كل كذاب يحاول أن يجذب الناس باسقاط هذه التكاليف فيلتف حوله ضعاف النفوس الذين يريدون مخرجا من الدين .

ولذلك فان دعاة العلمانية لم يأتوا بجديد ، فى الافتراء على الاسلام ، بل اتخذوا نفس المنهج الذى اتخذه مسيلمة الكذاب وغيره بل واتخذوا نفس المسلك الذى اتخذه كفار قريش الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى :

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله) .

والذين لا ينفصل عن الحياة فى صغيرة أو كبيرة بل يهيمن على حركتها والاسلام هو أن تسلم الله بمراد الله وكيف يمكن ان نفصل الدين عن اى شىء والله سبحانه وتعالى امرنا أن نبدأ كل عمل باسم الله وأن ننهى كل عمل بالحمد لله .

هم يقولون فى العبادات نأخذ وفى غير العبادات نترك وفى هذا هم يحاولون أن يخضعوا مرادات الله لمراداتهم هم أو يخضعوا احكام الله لأحكامهم هم ، وباختصار أن يخضعوا دين الله تبارك وتعالى لأهوائهم الشخصية وهم يقولون عن حد الزنا الذى قرره الله تبارك وتعالى أنه لم يعد صالحا وعن حد السرقة أنه وحشية وكلاهما حكم من احكام الله . فكيف يمكن ان يأتى بشر فيعدل حكما لله سبحانه وتعالى الذى هو خالقه وكيف يمكن أن يأتى الى دين فيقول نأخذ هذا ونترك هذا ومن الذى نصبهم أوصياء على الدين ومن الذى اعطاهم هذه السلطة .

اذن فهدف هذا المذهب هو الطعن فى الدين الاسلامى ولا يمثل اى فكر ولا توجد له اى فلسفة .

ان الذين يقولون أن الزمن قد تغير نقول لهم أن القرآن الكريم يسع كل تغير فى الحياة وفى العلم وفى كل شىء ، وقول الله تعالى (والأرض مددناها) اى بسطناها أخذ بقدر العقول عند التنزيل على اساس أن الأرض مبسوطة أمام الناس ، فلما ثبت أن الأرض كروية كانت الآية الكريمة (والأرض مددناها) هى الدليل الأكيد على كروية الأرض لأنه اذا سافرت فى

الأرض ونزلت أى مكان فيها تراها ممدودة امامك وهـذا لا يتأتى الا اذا كانت الأرض كروية فاذا كانت بأى شكل هندسي آخر لوصلت فيها الى حافة .

والقرآن الـكريم له عطاء لكل جيـل يختلف عن الجيل الذى سـبقه ولا يزال القرآن يعطينـا حتى الآن عطاءات جديدة لم نكن نفهمهـا الا بعد أن تقدم العـلم وكشف الله عن آياته فى الكون .

على أن هناك قيما لا تتبدل ولا تتغير فى الحياة ، فالأمانة قيمة لا تتغير والصدق قيمة لا تتغير وكل هـذه القيم وضعها الله سبحانه وتعالى فى العبـادات وجعلها ازلية لا تتغير ولا تتبدل وهكذا حتى العبـادات لم تجمد ولكنها صالحة لكل زمان ومكان حتى يوم القيامة .

ولعل ابلغ رد على هذه الادعاءات هو أن كبـار المفـكرين فى أوربا امثـال جارودى وغيره قـد اعتنقوا الاسـلام حديثا واعتنقوه عن اقتناع بعد أن درسـوا القرآن والسنة ووجدوا فيها الحل لمشاكل العـالم التى تعيش بلا حل بين النظريات البشرية المتصارعة .

ولو ان الاسـلام قد جمد حقيقة كما يدعى هؤلاء لمـا اعتنقه هؤلاء المفكرون ولوجدوا فيه دينـا جديدا لا يصـلح لهذا العصر خصـوصا انهم قراوه فى كتب واوراق بعيدا عن اى تأثير الا فـكر عقولهم . ولو كان هذا الدين قد جمد وتجاوزه العصر ما اعتنقه هؤلاء وهم قمم فكر فى بلادهم وما دخل الاسـلام كل يوم مئات من الاوربيين والأمريكيين الذين يعيشـون فى دول غـير اسلامية تحيطهم مظاهر الحضارة التى يطلب منا أن ننقل عنها فاذا باصحاب هذه الحضارة هم الذين يريدون أن ينقلوا عنا وهم الذين وجدوا فى هذا الدين ما لم تقدمه لهم حضارتهم بكل ما فيها من تقدم ظاهرى .

انهم يحاولون ان يأتوا باخطاء بشر ثم ينسبونها الى الاسلام ومبادئه ، من الذى ادعى أن الصحابة معصومون حتى تنسب اى خطأ قيل انهم ارتكبوه الى الاسلام ، أن هذه اخطاء بشرية مسئول عنها أصحابها وليس مسئول عنها منهج الاسلام ولكنهم يحاولون أن ينسـبوها الى تعاليم الاسلام ليسـيئوا الى الدين . انهم تركوا تاريخ الاسلام كله بما فيه من عظمة تتحدث عنها كتب التاريخ وبما فيه من عدل تضرب به الأمثـال وجاءوا الى حادثة صغيرة ليشوهوا تاريخ عهد عمر .

والهدف من هذا هو أن تنسـب الأخطاء البشرية لتعاليم الاسلام وأن يقال عندما يخطىء اى مسـلم لقد اخطأ الاسـلام او أن الاسلام تعـاليمه خاطئة ، وتلك طريقة مغرضة لأنه لا يمكن أن تنسـب اخطاء بشر الى تعاليم دين الله التى تحرم مثل هذا الخطأ وتحرمه واقول للدكتور فرج فوده : ان كان رأيك فى الاسلام بهذا السوء فلماذا لا ترتد عنه أم أنك لا تملك الشـجاعة لترتد عن الاسلام ولكنك تملك الجراة لتشوه دين الله بتلك الأحداث المغرضة التى اختيرت بعناية لتنسب الى الاسـلام ما ليس فيه .

قال الدكتور وحيد رافت ان القرآن جاء مبهما وان القرآن لم يبين فى اشياء كثيرة بل جاء فيهـا مبهما مثل قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) .

والواقع ان آية واحدة من القرآن تعطينا مجلدا من الكلمات أنظر الى قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ثم انظر الى التوازن النووى القائم الآن فى العالم ويمنع الحرب فلولا استعداد الاتحاد السوفييتى واسـتعداد الولايات المتحدة ومعرفة كل واحد منهما ان الآخر قد اعد له القوة التى ترهبه وتدمره لقـامت الحرب ولكن الذى منع الحرب هو الاستعداد العسكرى المستمر او توازن القوى كما يطلقون عليه .

النقطة الثـانية : هى مسالة ان القرآن الـكريم والحديث يشمل كل ما يستجد ويتسـاءل الدكتور وحيد رافت عن الطب والفلك ثم يقول انه يضحك عندما يسمع ان كل شيء موجود فى القرآن ونحن نقول له لا تضحك ولـكن ان اردت فاننا نسـتطيع أن نعد ندوة فى الطب الاسلامى وندوة عن الفلك وعن كل فرع من العلوم تريده ويدعى المختصون ونحن مستعدون لمناقشتك ولا احـد خيرا مما ارد به عليك من قول الشيخ محمد عبده حينما ساله احد الناس الله يقول فى كتابه (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) فكم رغيفا يمكن ان يصـنع من جوال الدقيق فقام الشيخ محمد عبده واتصل باحد الخابز فأخبروه عن عدد الأرغفة فقال للرجل أن جوال الدقيق يصـنع كذا رغيفا فنظر اليه الرجل بدهشة وقال هل هذا فى القرآن فرد عليه الشيخ قائلا : نعم : لقد قال الله فى كتـابه العزيز :

(فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) .

عبد الصبور مرزوق

***

الواقع أن السياسة الجنـائية الاسلامية رسمت بعناية شديدة بحيث انهـا توافى . انت تعترض على أن الظروف انا معك ، هل الظروف مع تغيرها تضطرنى

لتطبيق الحد بحيث انه يضر ولا ينفع أبدا . متى تغيرت الظروف واصبح الشاب فعلا غير واحد سكن فانت عندك تطبيق العقوبة التغريرية الا ذا هذا الشاب التى رآه فى الشارع وجاء بأربعة وقال انهم انفرجوا ، حينئذ يستحق الحــد ..

القانون الوضعى للأسف من معايبه الأساسية انه كما يقول علماء القانون ــ سنتكلم فى القانون وليس فى الشريعة ــ يحمى المصلحة الاجتماعية والخلقية . هذه الميزة للشريعة على القانون الوضعى الذى يحمى الوضع الاجتماعى أو المصــلحة الاجتماعية بحيث انه لو ارتضى فرد مع امراه جريمة الزنا تصبح لا جريمة لماذا ، الا انه يقول لك عندما يتعدى فرد على امراة فهذا ســوف يخل بالنظام الاجتماعى لكن عندما يكون الرضا ، خلاص .

نحن كمسلمين نعتقد ولنــا الحق فى هذا ــ وليس هذا فقط ــ هذا مســلك كل الأديان والنظم قبل ذلك . الفاحشة هى الاتصال الحقى غير المشروع من اجل هذا اخطأ القانون الوضعى ابتداء من انه قال : انه ما دام بعد ١٨ سنة يصبح رضا خلاص ، يصــح أنه لم ينظر للناحية الخلقية نهائيا ــ بينما الشــخص الذى اكثر من ١٨ مع الســيدة التى هى أكثر من ١٨ وهم متراضــين لا يكونوا حســين أنهم بيعملوا فاحشــة . هــذا هو الفرنيكتشين الذى جعل الاسلام ضمن اهتماماته القضاء عليه .

نحن الآن عندما نقول حد السرقة مثلا ، انا كقاضى عندما يأتينى واحد ليس لديه سكن وغير واحدة لا أقيم عليه الحد بمقتضى الشريعة ، لما يأتينى واحد مش واجد علاج لزوجته سوف لا أقيم عليه حد السرقة ، لكن أقيم عليه العقوبة التعزيرية . أنا ضد من يقولون ان هــذه عقوبات قاسية ومقصود بها أبدا والله عقوبات الحدود فى نظرى ارحم عند تطبيقهــا ان كل مشكلة لهــا حل ، العقوبا تالتغريرية هى عقوبات لتسعين فى المــائة من الجــرائم ، ليس عنــدى الا الزنا والسرقة والقــذف والحرابه ، الشريعة والله ارحم من القانون العادى .

د. جمال الدين محمود

* * *

الرد على الدكتور فرج فوده :

اننا نرفض حكم رجل الدين

اخطأ الدكتور فرج فوده التعبير حينقال اننا نرفض حكم رجال الدين بالمعنىالذى اوضحناه وكررناه ، انهاذا كان هناك انســان متفقه فى الدين ويختاره الشــعب فى انتخابات حرة حاكما له فليس هناك ما يمنع ذلك ولايقف الدين حالا دون أن يصل الانسان الكفأ فى أى منصب فى الدولة والا لو اتبعنا هذا المنطق الذى يطالب به الدكتور فرج فوده فان علينا أن نطرد كل متدين من أى منصــب يتولاه بدعوى أنه رجل دين ، هكذا يصــبح الدين لعنة على النــاس وهذا ما يريده أو يدعو اليه العلمانيون ، انهم يريدون أن يصبح الدين الاسلامى عارا يتبرأ الناس منه لأنه يخرجهم عن المشاركة فى الحياة العــامة تماما فاذا كان هنــاك رجل متــدين وفى نفس الوقت فقيــه دستورى فلا يتولى منصب رئيس المحكمة الدســتورية لأنه وان يكن هو الأصــلح فان تدينه يمنع توليه هــذا المنصب .

ولقد طبق هذا المبدأ فى عهد ســيطرة الشيوعية على الدولة وكان المرشح لأى منصب مع كفايته لهــذا المنصب يستبعد منه لمجرد أنه رجل متدين ، ولعل هــذا ما يريد الدكتور فرج فوده ولن يكون هذا المجتمع ابدا الا فى الاتحاد السوفييتى وفى الدول الملحدة التى تحــارب الدين والتى أخــذت عنها العلمانية افكارها ، ان هدف الدكتور فوده فى أن يكون الدين شبهة يتبرأ منها الجميع من وراء عباراته التى قالها نقول له ان هذا الغرض لن يتحقق ولكن الدكتور فوده لا يردد فقط بقوله المســتمر حكم العنف والمذابح الا أن يجعل من الدين لعنة بينما دين الله بركة وهذه الدعوى سبق أن رددها الدكتور لويس عوض وأمثاله منالعلمانيين ، الحكم فى الاسلام لمنيختاره الناس ويجتمعون عليه فى انتخابات حرة ولا يقف الدين هنا عقبة ، على العكس فان الانسان المتدين سيرعى الله فى الناس وفى كل قرار يتخذه .

وقد تجاوز الدكتور فرج فوده هذه النقطة وقال :

انه لا يقبل حكم الدين وكأنه يريد أن نترك حكم الله وأن نأخذ حكم الدكتور فوده وهذا فى رأينــا رفض للقرآن والسنة لأن القرآن نزل لنعمل به واحكام الاسلام نزلت لتطبيقها ولا يمكن لأحد أن يقول لنا الا نعمل بأحكام الله لأى سبب من الأسباب والله سبحانه وتعالى يقول : (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرســول) من يريد الدكتور فوده أن يقبل حكمه .

هل تقبل حكم ستالينأو لينين أو خروشوف أو من ، ومن الذى نرجع اليه اذا اختلفنا ان لم يكن الذى وضع لنا المنهج بدون هوى ولا غرض .

ان رفض الدكتور فوده حكم الدين على اطلاقه انما

هو مطالبة بالغاء الدين وكل انسان مسلم يرفض هذا واذا كان دكتور فوده اختار الاسلام دينا فهل اختياره للزينة أو اختياره ليعمل بأحكامه . وما معنى اختياره لأن يكون مسلما ويرفض تطبيق تعاليم الاسلام ، اظن أن هذا منطق مرفوض وأنه يتناقض مع نفسه حين يسمى نفسه مسلما ثم يقول : أنا لا أقبل حكم دين الاسلام أما ما ادعاه الدكتور فرج فوده من الدين الذين يقودون المجتمع الاسلامى هم الذين ينادون بتيار العنف ويدعون الى قلب نظام الحكم يقول اننا سمعنا هذا الكلام يتردد كثيرا منذ فترة من كل من يحاول هدم الدين الاسلامى واثارة الناس على المسلمين فحكاية قلب نظام الحكم هذه اكذوبة ليست فى عقول الا الذين يريدون أن تتخذ الدولة موقف العداء من كل ما هو اسلامى .

* * *

الدكتور فرج فوده يتحدث عن الذين يقودون المجتمع الاسلامى ونحن نقول أن المجتمع الاسلامى تقوده عقول ناضجة ودولة تتخذ من الاسلام شعارا ودينا وأن هناك الملايين من المسلمين الذين يعبدون الله ويذهبون كل يوم الى المساجد وليس بينهم من يفكر فى مسألة قلب نظام الحكم أو التعدى على الدولة . أما تيار العنف الذى يدعيه فهو لا يسرى الا فى عدد محدود جدا فهم الاسلام على غير حقيقته ولكن الدكتور فوده يريد أن يقلب حقيقة الموازين ليقول أن الذين يدعون الى العنف هم قادة المسلمين وهو اول من يعلم أن هذا غير صحيح ولكنها الاستراتيجية التى يتبعها هو وغيره من الكتاب الذين يهاجمون كل فتاة ترتدى الحجاب وكل شاب يصلى وكل عالم ممن يدعو الى الاسلام الصحيح .

« أحمد زين »

* * *

الفصل الخامس
الرد على العلمانيين

كتاب دكتور محمد يحى فى الرد على فرج فوده

ان المغالطة والتضليل هما مدخل الدعوة العلمانية الى طرح افكارها حيث تبدأ أولى مغالطات العلمانية فى الاسلام الذى اشتهرت به والذى يدعى خطأ نسبتها الى العلم الذى أصبح من قوى القرن العشرين الكبرى وهذه الكلمة التى ينطق عادة بكسر العين وسكون حرف اللام هى ترجمة ركيكة ترجمها الشوام للكلمة الأوربية .. .. .. ولها نظائر فى لغات اخرى والنطق الصحيح لهذه الكلمة يكون بفتح العين واللام ووضع الف بعد العين فتكون (العالمانية) لتدل بذلك على معناها وهو النزعة الدنيوية المهتمة بشئون هذا العالم .

وهكذا نرى أننا امام مغالطة مقصودة او غير مقصودة اذن فنحن أمام مصطلح منقول عن البيئة الغربية وليس له نظير فى العربية أو فى الفكر الاسلامى وهو يحمل وراءه ثقل قرون من المفاهيم والممارسات الغربية فى مجال الدين والحياة السياسية والاجتماعية فضلا من أنه يتعلق بدين غير الاسلام .

والكلمة بهذه الصورة تكشف لنا عن ان الدعوة بأسرها تقع فى سياق حركة التغريب والأوربية والاستعمار الثقافى الذى يعانى منه عالم الاسلام منذ أكثر من قرنين من الزمان والتى يعتمد على اسلوب تصوير مفاهيم وأفكار الغرب على أنها مطلقة عامة او انها الحق الذى توصلت اليه البشرية فى تقدمها المضطرد .

والفكرة العلمانية هى احدى دعائم الخطة التى تهدف من خلال الهجوم على الدين وفصله عن شتى نواحى الحياة والمجتمع الى أحداث فراغ عقائدى وفكرى تملأه بعد ذلك فلسفات ونظريات الغرب ورؤاه الحياتية فلا عجب ان تكون العلمانية هى الذراع الأولى للتبشير الصليبى وجناحه السلبى العدو المجهز لضرب الاسلام واخلاء الساحة منه بالفكر وليس بالحديد والنار .

ومن المؤكد أنه لا توجد أى علاقة بين العلمانية وبين العلم والمعرفة فهى لا دينية أو لا اسلامية تتمثل فى أنظار واتجاهات مروجى هذه الفكرة ، حيث تنكر العلمانية ما هو معلوم من الدين بالضرورة مثل وجود الشرع الاسلامى ووجود الحكم به .

وقد طرحت العلمانية من خلال المستشرقين او من خلال أتباعهم وكانت الجامعات والمدارس السائرة فى ركاب المذاهب الغربية هى اول من بشر باللادينية فى الميدان التعليمى حيث فصل الدين عن المناهج وبدات دراسته كمجرد ظاهرة بشرية وضعية وعندما يذكر الدين فى بعض المقررات وفى مجالات الفنون والآداب والباليه والسينما من خلال مضامين ورؤى وضعية بحته لا يفسح أى مجال لتصور دينى ومع هذه التأثيرات والمنقولات سرت اللادينية الى جسد المجتمع ككل تدعمها العادات والممارسات .

ان أول محاولات العلمانية فى ضربها للاسلام تمثلت فى حصار كل القوى والاتجاهات التى تمثل الاسلام تحت مختلف الشعارات فالتيار السياسى تشوه صورته ويوصف تارة بالتعصب وأخرى بالعمالة ، ثم ينعت بالرجعى والسلفى كل ذلك بفضل سيطرة العلمانيين على أجهزة الاعلام ، وقد هوجمت اللغة العربية لغة

القرآن وطرحت العاميات المختلفة بديلا عنها كما طوردت هوادة العادات والسلوكيات والقيم الاسلامية ووضعت بالتخلف امام ممارسات الغرب ثم توسع الهجوم ليصل الى الاسلام نفسه بالتشكيك فى السنة النبوية المطهرة والدعوة الى تأويل القرآن على غير أسس المفسرين وآراء الشريعة وتعديل مفهوم الاجتهاد الفقهى ليتحول الى مجرد مسوغ لادخال المبادىء الغربية بل والعلمانية على الشرع الاسلامى .

فالعلمانية ليست دعوة فكر بل ايدلوجية قمع وقهر لا تتجلى حقيقتها الا بتدبير ظروف طرحها والجهات المساندة لها والأحداث المقترنة بها .

* * *

والعلمانيون يزعمون أنهم حريصون على الاسلام وعلى حمايته من عالم السياسة والمجتمع ، وما يدور فيه من تعليقات وسلوكيات تخل بقداسة الدين وتحط من شأنه وهم بهذه الحجة يبدون اكثر حرصا على الدين .

ويرفع العلمانيون شعار أنهم اذ يريدون الفصل بين الدين والدولة لا يضر بالاسلام . مع العلم بأن هذا الشعار فى حد ذاته اضاعة للاسلام وأصل الشعار الغربى هو فصل الكنيسة وليس الدين عن الدولة . والاسلام دين تجسدت فيه كل الكيانات ففصله عن الدولة يعنى فى الواقع فصله عن الحياة وقتله لأنه دين سياسى اجتماعى .

ان الاسلام يسعى لاقامة مجتمع ايمانى فى كل نشاطاته على تعاليمه وشريعته وليس الى اقامة دار عبادة توصف بالروحية .

ان الهدف الحقيقى للعلمانيين هو ابعاد الاسلام عن مراكز التوجيه والفعل والوجود المؤثر ، اما دعوى العلمانيين عن غياب البرنامج الاسلامى فاننا نسأل العلمانيين انفسهم أين برامجهم وهم يملكون زمام الأمور منذ منتصف القرن الماضى لقد نقلوا النقل المباشر والفج عن مذاهب الغرب ليطبقوها بدون تعديل على البيئات الاسلامية التى يسيطروا عليها ، وقد فشل البرنامج العلمانى فى تقديم أى شىء سوى مقولات حرفية لم يكترثوا حتى بتطويعها ولو ظاهريا للأوضاع المحلية ومع ذلك فقد وجدت برامج اسلامية فى كل الميادين سواء على المستوى النظرى أو العملى ، قدم الاسلام حركات للكفاح العسكرى والسياسى فى الصراع ضد الاستعمار وتصدى مفكروه على طوال القرن للفكر اللادينى والتغريبى وطرحوا فى مقابله الرؤية الاسلامية .

ووجدنا مئات الدراسات التى تتناول اجتهادات اسلامية فى الاقتصاد وشئون المجتمع والحكم والادارة حتى تصل الى ادق التفاصيل ويعمل العلمانيون لطرح موضوع الوحدة الوطنية وهم فى الحقيقة ورثة العلمانيين الغربيين الذين حاربوا المسيحية حربا مركزة وكان هدم معظم اركانها على أيديهم بل انهم انكروا الكتاب المقدس ووصفوه بالأساطير وسخروا من عقائده الرئيسية وشككوا حتى فى وجود مؤسسها .

(دكتور محمد يحى)

* * *

الشيخ صلاح ابو اسماعيل

رايت الدكتور فرج فوده يتحامل على الاسلام دولة بحجة أنه اذا سقط الحكم فى أيدى المطالبين بالشريعة الاسلامية فسيحكمون بما سماه (الحكومة الدينية والحق الالهى) .

ولعله قرأ كثيرا عن الحكومة الثيوقراطية فى الغرب واعتقد أن الدكتور فرج فوده لو قرأ خطبة أبى بكر الصديق لنفى عن الاسلام هذه الغشاوة ، وكانت عندما تولى أمر الخلافة (انى وليت عليكم ولست بخيركم) فهو ينفى أن يكون له مزيه يجرها اليه توليه الحكم فهو بشر مثلهم ثم يقول (فان احسنت فأعينونى) وان اخطأت فقومونى ، فليس هناك حق الهى ادعاه أبو بكر وانما وضح أنه عرضه للاحتمالين على حد سواء ، ثم لم يطالبهم بطاعة عمياء فقال (أطيعونى ما أطعت الله فيكم) لأنه يعلم أن ولى الأمر فى الاسلام يستمد طاعة الرعية له من طاعته شخصيا لله . والاسلام يعيب على الذين يحكمون بالحق الالهى يقول تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

فأبو بكر يوضح أن طاعة الرعية له نابعة من طاعته هو لله (أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم) فليس هناك اذن حق الهى يحكم به ثم يقول : الضعيف عندى قوى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه) فالعدالة المطلقة ما زالت حتى الآن بكل شموخ العدالة تتمثل فى دستور الحكم ، عدالة تتجرد من التحامل على عدو .

ان الرسول رفض شفاعة أسامة بن زيد عندما شفع لامرأة تنتمى الى أسرة كبيرة . وقال أتشفع فى حد

من حدود الله ، انمـــا اهلك من كان قبلكم انه اذا سرق فيهم الشريف (يعنى القـــوى) تركوه واذا سرق فيهم الضعف اقاموا عليه الحد .

ان الحكم بالحق الالهى رفضه الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه عندما مرض مرض الموت فقد استدعى رجلين وصعد المنبر وقال : ايها النـــاس من جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليقتص منه ومن كنت اخذت منـــه مالا فهذا مالى فليأخذ منه .

اذن فقد راى انه بشر وانه نبى وانه يطبق عليـــه شرع الله .

ويعارض دكتور فرج فوده أن يطبق الشريعة ومنها مثلا حد الزنا فانه ان طبق فتحدث عدة مشاكل منها أن تطبيق حد الزنا معناه أن نمنع الرقص الشرقى وهو لايريد أن نمنعه وسوف يمنع الســـفور لأنه مثير للغرائز وهو لا يريد ذلك وسوف يمنع الاختلاط وهو يؤيده وتغلـــق الملاهى والمراقص وهو لا يريد اغلاقها ، اذا كان دكتور فرج فوده لا يريد أن نعاقب زانيـــا أو زانية ولا يريد أن نسد الذرائع المؤدية لهذه الفاحشة ، فاســـمحوا لى أن اقول له . اتريد للبشرية تنحية الاسلام عن مكانه كنظام للدولة وبالطبع ما دمنا سننحى الاسلام فلابد من تنحية اليهودية والمسيحية لأن الأديان السماوية كلها أجمعت على تحريم الزنا .

اذن فالدكتور فرج فوده معارض الاسلام والمسيحية واليهودية ويريد أن يطلـــق للغرائز العنـــان ، اذا كنت ترى هـــذا الراى فهل تراه لعرضك ولأعراض النـــاس اجمعين ، ان قلت اراه لعرضى كما اراه لأعراض الناس فقد اصبحت لا تؤتمن على توجيه المجتمع وان قلت أراه لأعراض الناس ولا أراه لنفسى فتلك انانية تجعلك غير امين على المجتمع لانك اتخذت مذهب الغرب الذى اباح اللواط والزنا تحت اسم الحرية .

* * *

العلمانية ليســـت عقيدة أو ايديولوجية تنظم فكر اتباعها كبديل للاسلام ونظمه ولكنها مجرد فكرة نادى بها الأوربيون فى عصر النهضة لمواجهة استبداد الكنيســـة فى العصـــور الوسطى ، ارادوا بهـــا أن يحجمـــوا دور الكنيسة فى الحياة العامة وذلك بجعل الدين مجرد علاقة بين الانسان وربه ومجرد شعائر ولكن الملحدين المعاصرين استغلوا تلك الفكرة فى حربهم الشعواء ضد الاســـلام وقالوا : نحن نقبل الاسلام دينا ولا نقبله شريعة وبذلك تخـــلو لهم الساحة فيتصـــارع كل مذهب مع الآخر مثل الشيوعية السوفييتية ، والوجودية الأوربية والبرجمانية الأمريكية والصهيونية الاسرائيلية ولكن الملحدين الجدد لن يكتفوا بهذا بعد أن يتحقق لهم عزل الاسلام عن الحياة العامة وســـيعز عليهم أن يتركوه فى المســـاجد ولذلك فسوف يتحولون اليها ليهدموها على اهلها وعلى سبيل المثال توجد منشـــورات ومجلات غير دورية تصـــدرها الخلايا الشيوعية يشرحون فيها لأتباعهم مخططهم الذى يدعو الى العلمانية كمرحلة مبدئية يقضـــون بها — كما يتصورون — على الاسلام الذى يعتبر اكبر مشكلة تواجه الشيوعيين فى العالم وقد اتضح أن العلمانية اليوم ماهى الا واجهة ارتضيتها كافة المذاهب اللا اسلامية والالحادية منهـــا على وجه الخصوص لابعاد الاســـلام عن دوره الحضـــارى فى قيادة المســـلمين ، كخطوة أولى تخـــلو الساحة بعدها لكافة هذه المذاهب المتصارعة فيما بينها والمتحـــدة على أمر واحد مرحلى هو محـــاربة الاسلام والكيد له من خلف ستار العلمانية وهكذا وقف الوضعيون والماركســـيون والوجوديون والبرجمانيون والصهيونيون على الرغم مما بينهم من خلافات فكرية وعقائدية حادة فى معســـكر واحد وسموا انفســـهم بالعلمانيين لكى ينطلى الأمر على السذج من المسلمين واســـتكمالا للخداع فهم لا يهاجمون المعتقدات الاسلامية ذاتها حتى ينعتهم أحـــد بالـــكفر ولكنهم يهاجمـــون شرائعه وحدوده وأخـــلاقه وشـــعائره ، مستخدمين كل الادعاءات المتـــكررة التى اصابها الجمود والمنقولة من اساتذتهم المستشرقين كعدم صـــلاحية الشرائع الاسلامية للتطور ونقضـــها للوحدة الوطنية واحتوائها على الكليات دون التفصيلات .

وبالجملة فان الدعوة العلمانية ما هى الا خليط من الأغاليط الملتوية التى يقف ورائها قوم يكرهون الاسلام اشد الكراهية ويعلمون قبل غيرهم انها لا تحمل أى قدر من المنطق او الموضوعية فكيف نرتضى الاســـلاميون أن يبددوا طاقاتهم فى محاورة هؤلاء واعطائهم فرصة التطاول على علمائنا الأجلاء بحجة الخوف على الجماهير المسلمة من أن تنخـــدع بتلك المفـــاهيم الغربية المتغـــربة التى يلصقونها بالاسلام وهو منها براء ، مع أن هذه الجماهير لم تصل الى درجة السذاجة التى تجعلها تتعلم دينها من هؤلاء .

ليست المقولات العلمانية هى التى تحتاج الى الرد ولكن هى المذاهب الفكرية الالحادية التى ينتمى اليهـــا هؤلاء العلمانيون ونسب كل منهم الى المذهب الذى ينتمى اليه ومعاملته على هذا الأساس .

ونحن بهـــذه الطريقة ندور فى حلقة مفرغة تناقش أفكارهم الزائفة المتعلقة ، وندع افكارهم الحقيقية الملحدة

تنخر فى عقول شبابنا ، هذه هى محاولة العلمانية لتفريغ الاسلام من محتوياته مع العلم بأن الاســـلام دين جامع لايقبل التجزئة . وان محاولة قبول بعضه ورفض البعض الآخر انكار له .

علينا أن نتجـــاوز هذا الصراع الوهمى مع الأفكار العلمـــانية وتكون مســـئوليتنا الحقيقية مهاجمة الفـــكر الماركسى ذاته والفكر الغربى بوجه عام وبكافة مدارسه الوضـــعية والوجودية والبرجمـــانية الى آخر ما ينتجه الغـــرب من مذاهب يتلقفهـــا العرب المبهورون بهـــا فى عبودية كاملة .

(محمد ابراهيم مبروك)

* * *

الباب الرابع
الهجوم على تاريخ الاسلام

١ ــ المدخل الى البحث

٢ ــ كتابات عبد الرحمن الشرقاوى

٣ ــ كتابات حسين احمد امين

٤ ــ ادعاءات نور الدين فرحات

الفصل الأول

مدخل الى البحث

كان من أخطر محاولات الحملة على الاسلام : تلك المعارك المثارة ول تاريخ الاسلام والغض من شانه وانتقاصه وتشويهه وتجاهل جوانبه الخصبة والعامرة بالبطولة والأمجاد والتركيز على روايات مشبوهة ناقصة

ولما كان تاريخ الاسلام هو كوة الضوء ومصدر الضياء الكاشف للشباب المسلم وللأجيال المتوالية ذلك الايمان العميق الذى ملأ شغاف القلوب ودفع أصحابه الى بذل انفسهم رخيصة فى سبيل اعزاز الاسلام وحمايته ونشره ، فقد باعوا أنفسهم لله تبارك وتعالى ايمانا بوعده الحق بالنصر أو الشهادة وبالجزاء الأخروى

وكانت تلك القضية هى الخطر الذى أزعج دوائر الاستشراق طويلا ، كيف انتصر المسلمون بالعدد القليل على العدد الأكبر من أعدائهم وكيف قامت الدولة الاسلامية من حدود الصين الى نهر اللوار فى أمد قصير لم يبلغ ثمانين عاما بينما لم تقم الامبراطورية الرومانية الا فى خلال الف عام ونسوا أن الايمان والتضحية وبذل النفس كان عاملا من العوامل الضخمة القادرة على كسب المعارك ايمانا بقانون السماء .

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) .

ومن هنا فقد ركز خصوم الاسلام على تاريخ الاسلام يبحثون فيه ويحاولون استخراج بعض الأحداث والروايات ظنا منهم أنهم يستطيعون بذلك تعكير هذا البحر الزخار ، واعتمدوا فى ذلك على كتب غير محققة وعلى روايات ملفقة ، وعلى أحاديث مدخولة ، وكلام مختلف من أساسه . وأكاذيب منتقاه .

وقد فتح لهم هذا الباب عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين بكتابه عن الفتنة الكبرى وكتابه (الشيخان) ، وسار فى الطريق عبد الرحمن الشرقاوى ثم حسين أحمد أمين وفرج فوده وكان جرجى زيدان (سواء فى كتابه التمدن الاسلامى أو فى روايات الاسلام) قد قدم لهذه المعركة الكبرى ، ولكن الباحثين ظلوا عمرا طويلا لايتقبلون جرجى زيدان ولا سلامة موسى ولا لويس عوض لأنهم يعلمون وجهتهم وعقيدتهم ، ولكن الخطر كله كان يتركز فيمن يتسمون بأسماء المسلمين .

ويمكن القول أن جرجى زيدان هو أول من حاول تصوير الخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذين يريدون الوصول الى الحكم بأى وسيلة ولو كان على حساب الدين والخلق القويم فكان عمله فى تجريح الصحابة واتهام بعضهم بالحقد وتبرير المؤامرات . وكان هذا هو المنطلق الذى سارت عليه هذه المحاولة حتى اليوم .

الهدف هو تغيير نظرة الشباب المسلم الى زعماء الاسلام وابطاله على نحو يجعلهم يحسون بما يقلل من مكانتهم وتصورهم على أنهم كانوا يتصارعون على المناصب أو المغانم ، وكان المطلوب هو اخفاء هذه المحاولة الخطيرة وراء مظاهر براقة من التصوير الفنى أو العاطفى على النحو الذى ابتدعه جرجى زيدان . وركز عليه طه حسين وطوره عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

ولكن هذا الأمر لم يخف على حراس اليقظة الاسلامية فكشفوه وزيفوه وردوه وكتبوا عنه بما يقرر حقيقة موقف الاسلام الصحيح منه .

وقد حملت هذه الكتابات ادعاءات باطلة منها :

الزعم بأن عمرو بن العاص هو الذى أحرق مكتبة الاسكندرية بأمر من عمر بن الخطاب جريا وراء رواية باطلة لم تؤيد جاءت فى كتاب عبد اللطيف البغدادى وقد أجمعت كل المصادر المعتبرة على كذبها ومنها ما ادعاه على كثير من الصحابة وما ادخله فى قالب قصصى فى رواياته عذراء قريش وفتاة غسان فى حين أنه ليس لها وجود حقيقى ، وهو لم يلتزم بالوقائع التاريخية

الصحيحة فاختلق شخوصا ونسب الى بعض الشخصيات الاسلامية البارزة ما ليس فيها .

وعنـــدما نوقش فى هـــذا أقر فى هلال مايو ١٨٩٩ بخطئه فى هذه الوقائع وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذى وقع فى شبكة الصياد وانتهى ما كتبه فى الهلال وبقيت الروايات يعاد طبعها عاما بعد عام كأنما هى حقيقة .

ولكن جرجى زيدان لم يكتف بالتقول على الاسلام ورجاله فى رواياته وانما كان ذلك شأنه فى كتاب التمدن الاسلامى . فعاب العرب وحكم على بنى أمية بأنهم شر الناس وقال ببشرية القرآن وشك فى مصـــادر العربية الأولى ومدح بنى العباس لأنهم انزلوا العرب منزلة ضعيفة وأثار الشكوك حول البطولات الاسلامية وتعمد اغفـــال الحوادث التاريخية المهمة مع التلاعب بالمصادر .

* * *

الفصل الثانى

كتابات عبد الرحمن الشرقاوى عن تاريخ الإسلام والصحابة

الشيخ محمد الغـزالى

● هنــاك قوم يتخيلون ان الاسلام دين شيوعى ويطوعون النصوص ويفسرون الوقائع لخدمة فلسـفات شريرة وكان الله ارسل رسله ليمهدوا لكارل ماركس .

● التراث بالنسـبة للعرب هو وجودهم الأدبى كله واعداء الله يريدون أن يقطعوا يومنـا عن الأمس الزاهر لتلتحق بقطار يجرى ذات اليمين وذات الشمال .

● فوجئنـا بمن يعوض فى تراثنـا ليحرف الكلم عن مواضعه ويبرز لنا سلفنا الأول اقزاما ملتـاثين لنقتنع بفلسفة اخرى ونستبدل بوحى السماء هوس الأرض .

● ننصح من يتلمسـون العيوب لأشراف الناس ان يسـتحوا ورغم ذلك فان اقدار الرجال لا تهدم بهـذا الافتراء .

● على ابن أبى طالب ليس ضد راس المال اذا ادى ما عليـه من حقوق والا لمـا طالب بأرض (فدك) هو وزوجته وهى بتعبير عصرنا (عزبة كبيرة) .

* * *

الهجوم شديد فى هذه الأيام على تراثنا فأعداء الله يريدون تحويل الهزائم العسكرية للاسلام الى انسحاب عام من كل ميدان بل الى اندحار شامل يقطع يومنا عن الأمس الزاهر ويجعل المسلمين أمما مقطعة محصورة ، تجهل كل قطعـة منبتها ومصيرها وتفقد القـدرة على الحركة الذاتية فلا يبقى امامها الا أن تلتحق بقطار آخر ذات اليمين وذات الشمال ولا يسـتقر ابدا على الصراط المسـتقيم ، كذلك يريد الغزو الثقـافى ، وبهذا يتحرك سماسرته فى الصحف وسائر مجالات الأعلام ولكننـا لهم بالمرصاد سنقاومهم ونهزمهم باذن الله ونستنقذ الاسلام من هذه المآزق المرسومة له .

ونحن نعرف ان امة سـلخت أكثر من اربعة عشر قرنا وهى تحمل رسالة كبيرة لابد ان تكون لهـا سلبيات وايجابيات وهزائم وانتصارات وارى الا نفر من اخطائنا بل نحاسب أنفسنا عليها فذلك أحرى الا نقع فيها ، ان دراستنا للتراث قاصرة بل لعلها جزء من الغيبوبة التى نالت منـا ولا تزال ، وقد كنـا الى أمد قريب نحـارب الاستعمار الثقافى الذى يريد اقتلاعنا من جذورنا ويشدنا الى ملل ونحل لا نعرفها ولا نريد أن نعرفها حتى فوجئنا بمن يغوص فى تراثنا ليحرف الكلم عن مواضعه ويبرز لنا سـلفنا الأول أقزاما ملتـاثين أو سباعا تتهارش على اعراض الدنيا . أن القاصى والدانى يعرف أنبـاء الفتنة الكبرى التى وقعت فى صدر الاسلام ولمـا كانت دراسة المـاضى تقع للعبرة لا للتجريح وللبناء لا للهدم فان ائمة الفقه والتأريخ والتوجيه العام قالوا :

دماء طهر الله ايدينا منها فلا نلوث أفواهنا بها .

وقد حكمت كثرة المسلمين بأن فلانا أصاب وفلانا اخطأ وكان ذلك عن اجتهاد يعرف العيوب وما وراءه عن قصد ، وسيحكم بينهم فى اللقاء الأخير ، ونحن ننظر فى ما حدث ونقرأ قوله تعالى :

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولـكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) .

ولمـا كان الأمر شـديد التعقيد فقد دعـونا الى تقريب الفوارق بين اهل السنة والشيعةوحاولت تجفيف المنابع او تخفيف المنابع التى ترسخ بالحقد ، وتفيد أعداء الاسلام وحدهم واذا بالأسـتاذ عبد الرحمن الشرقاوى ينشر سلسلة تحت عنوان : (على امام المتقين) ينكأ بها الجروح القديمة ويحيى بها الطائفية الهـامدة ويشحن السلسلة بأخطاء واهواء توقظ الفتنة وتشغل المسـلمين المعـاصرين عن مواجهة خصـومهم الى محاكمة الموتى ونسـبة جرائم كاذبة الى رجال ونسـاء أبرياء ، لقـد

ادركت منذ مدة أن الكاتب ميال الى الشيوعية وانه مع نفر من رفقائه الفوا ما سموه باليسار الاسلامى وكان عرض التاريخ الاسلامى من زاوية الفلسفة المادية نصيب الأستاذ الشرقاوى فألف كتابه (محمد رسول الحرية) على أساس أن الاسلام مظهر للصراع بين الطبقات وأن الأصنام تم نصبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية . وقد اعترض الأزهر على تداول الكتاب وكتب مفندا ما جاء به ، ولكن الكتاب بقى لأن رجال الثورة يريدون بقائه ، ومضى السيد الشرقاوى فى طريقه يفسر الوقائع بمعايير الفكر اليسارى ويقرأ كتب التاريخ غير مميز بين حقيقةوشائعة وبين صحيح وموضوع ، وغير مدرك لمكانة الرجال الذين يتحدث عنهم فجاءت مقالاته بعيدة كل البعد عن المنطق العلمى كما جاءت بعيدة الأثر فى الاساءة الى الاسلام والصحابة والى الآمال المرجوة فى الصحوة الاسلامية وجمع الشمل ، وهناك نماذج من المقالات القليلة التى وقعت فى يدى قال : أن عليا رضى الله عليه خطب الناس (انما انا بشر مثلكم فان قلت حقا فصدقونى ، وأن قلت باطلا فردوا على ، انشدكم الله ، اتعلمون أن رسول الله قبض وانا أولى الناس به وبالناس من بعده فقالوا : اللهم نعم ، قال فعدتم عنى وبايعتم ابا بكر فأمسكت ولم أحب أن أشق عصا المسلمين وافرق جماعتهم ثم أن ابا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت ولم أهج الناس ، وقد علمت أنى كنت أولى الناس بالله ورسوله ومقامه فصبرت ، ولما قتل عمر وجعلنى سادس ستة لم أحب أن أفرق بين المسلمين الخ) .

يقول : هذه خطبة مكذوبة على على رضى الله عنه وهى تعنى أمورا هائلة ، تعنى ان الخلفاء الثلاثة كانوا مغتصبين حقا ليس لهم ، وانهم طلاب دنيا وعشاق رئاسة وأن جمهور الصحابة جبن عند مناصرة (على) صاحب الحق المقرر ، وباع كذلك دينه ارضاء لأبى بكر وعمر وعثمان : أى أن نبى الاسلام فشل فى انشاء جيل يصون الأمانات ويؤديها لأصحابها وأن اركان دولة الخلافة كانوا خطافين : هذا هو المحور الذى يدور حوله الكاتب .

ومن اليسير بعد ذلك طعن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وما قيمتهم اذا كان ابو بكر وعمر وعثمان اغتصبوا ما ليس لهم ، وعندى أن الاسلام كله سوف ينهار اذا تقرر أن جمهور الصحابة كان على هذا النحو الهابط الذى أبرزهم به الشرقاوى .

٢ ــ وكذبة اخرى : روى الشرقاوى أن امراة جاءت الى ام المؤمنين عائشة بعد معركة الجمل وسألتها : يا أم المؤمنين : ما تقولين فى امراة قتلت ابنا لها صغيرا ، فأجابت عائشة : وجبت لها النار قالت المراة (وكان لها ولدان قتلا فى المعركة كما يحكى الشرقاوى) فما تقولين يا ام المؤمنين فى امراة قتلت من اولادها المؤمنين الكبار عدة آلاف ، فصرخت عائشة : خذوا بيد عدوة الله ، ثم بكت وتشنجت وغشى عليها . ان ادخال عائشة النار امتداد لتفسير رافض متداول بين أصحابه جاء فيه أن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر هما المراتان اللتان عنتهما الآية الكريمة (واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض ــ الآية) وأن الله أشار الى حال المراتين وعاقبتهما عندما قال فى آخر السورة : ضرب مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط الى قوله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهكذا بعد القضاء على سمعة أبى بكر وعمر ، يقضى على ابنتيهما وهما من أمهات المؤمنين ليتوهم القراء أنهما من اهل النار ، وقال الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى أرض فدك التى طالب بها على وفاطمة بامتلاكها ميراثا عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان فدك ملكها اليهود من بنى النضير من زمن بعيد ، حتى اذا كانت السنة السابعة من الهجرة جاءوا الرسول ودخلوا فى الاسلام طائعين بغير حرب فطلب المسلمون أن تقسم عليهم أرض فدك كغيرها من الغنائم فنزل قوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء .. الآية وهذا كلام ينطوى على فوضى وجهل ، فلو فرضنا زورا أن فدك لبنى النضير وأن بنى النضير اسلموا فلماذا تؤخذ منهم ارضهم ، وهل يعنى ذلك الا أن المسلمين قطاع طريق ، والصحيح أن فدك ليست لبنى النضير وأن بنى النضير لم يسلموا ولم يفكروا يوما فى اسلام وانهم حاولوا قتل النبى عليه الصلاة والسلام عندما كان بينهم فى بعض الشئون التى تفرضها المعاهدة المعقودة معهم ، وكان ذلك فى السنة الثالثة من الهجرة فلما احس غدرهم انسحب وأعلن عليهم الحرب وحاصرهم حتى توقع فى صفوفهم الفزع وأخيرا جلوا عن المدينة ونزلت فيهم سورة الحشر أو سورة بنى النضير وفى هذه السورة يقول الله سبحانه وتعالى فى وصف يهود بنى النضير ، (ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) فكيف يوصف هؤلاء بأنهم أسلموا .

اما (فدك) فتقع فى شمالى المدينة على طريق خيبر وقد كادت العلاقات بين المسلمين واليهود تسوء سنة بعد اخرى وكان اليهود لا يفتأون يكيدون للرسالة الخاتمة ويبيتون الشر للرسول وصحبه فرأى النبى ان يجهز على نفوذهم العسكرى وان يهدم حصون خيبر التى يستندون اليها فسار اليها فى السنة السابعة وتمكن من الاستيلاء عليها وكانت (خيبر) اغنى واقوى مستعمرات اليهود فى الجزيرة العربية فلا عجب اذا استسلمت فدك وتيما ووادى القرى وبذلك زال الخطر اليهودى وتفرغ المسلمون لتأديب الوثنية التى طاعوا لقوا منها الويل .

٣ — وهناك قضية وهب لها الأستاذ الشرقاوى فكره ونشاطه ويريد ان يجر الاسلام اليها جرا دون هواده :

هل للمسلم ان يدخر او يكتنز بعد ان يؤدى الحق المقرر عليه فى ماله ، أم يجب ان يمسك شيئا عنده فوق حاجته . الأستاذ الشرقاوى يؤكد أنه لا يجوز استبقاء شىء لصاحبه فوق نفقته العادية ، وما زاد ينبغى ان يوجهه الى الأمة الاسلامية الممتدة شرقا وغربا ، اى انه ميال الى نظرية (كارل ماركس) لكل حسب حاجته ولكنه يصور الرأى الذى اتاه بأنه فقه الكتاب والسنة وان الرأى الآخر هو مذهب عثمان ومعاوية وكعب الاحبار ، فهل هذا التصور صحيح ، وهل حقا برفض الاسلام ان تكون للأفراد مدخرات شخصية بعد ما أدوا الحق المعلوم ، او بتعبير اصرح : هل حق التملك واهى الأركان على هذا النحو وان مبدا الملكية ليس له عند الله سند او جاهه ؟ الذى تعرفه ويعرفه جمهور المسلمين أن مبدا الملكية له احترامه التام بشروط (١) أن يكون التملك من وجوه الحلال فلا تقبل ملكية عن طريق محرم او مشبوه (٢) أن يؤدى المالك الزكوات المفروضة عليه فى اصناف المال التى يملكها (٣) أن يلبى مطالب الدولة فيما تفرضه من ضرائب او خراج بالتعبير القديم لصيانة المجتمع مدنيا وعسكريا .

* * *

وعيب الأستاذ الشرقاوى وأمثاله انهم يريدون تطويع النصوص لمذهب ردىء وتفسير الوثائق لخدمة فلسفات شرها اضعاف خيرها كأن الله ارسل الرسل ليمهدوا لكارل ماركس .

وهو يحاول ان يجعل على بن ابى طالب ضد رأس المال مهما ادى ما عليه من حقوق ، وهو يحاول ان نجعل عثمان كأجمر الباشوات او اللوردات الذين يشبعون شهواتهم ويلهون المجتمع بفضول أموالهم .

* * *

اكان ابو ذر يحرم الكنز ويتجه الى ما نسميه اليوم الشيوعية على عكس عثمان الذى كان راسماليا مترفها كما يزعم البعض — قال بن تيميه : ان الخلفاء الراشدين وجماهير الصحابة والتابعين على غير ما يقول ابو ذر فالكنز المحرم هو المال الذى لم تؤد حقوقه . وقد قسم الله المواريث فى القرآن الكريم ولا يكون ميراث الا من مال مدخر وفى الحديث لا تذر ورثتك عالة يتكففون الناس) .

حق ان ابا ذر هاجه الترف المقبل والتوسع فى النعيم فتحرك ضد ما رآه من تغير فى سير الجماعة الاسلامية وتغير فى نتائجه وشرع يهاجم اصحابه ففهم الناس من كلامه ما فهموا والرجل فى نظرى لم يتوهم ان الغنى جريمة وان من اخرج حقوق المال يعتبر عدوا للشعب . ويكذب على عثمان من يزعم انه نفاه يرغمه الى هذه الضاحية .

وقال الأستاذ الشرقاوى أن عثمان نفى عليا الى ينبع ولا اعرف من اين جاء بهذا .

* * *

وقد شعرت بعد طول تأمل فى سيرة عثمان — ان الرجل جنى عليه نبته الغريب وحياؤه الشديد ، وايثاره ترك حقوقه عن التعرض لطلبها ممن يطمع فيها .

وتستطيع معرفة هذه النفس الزكية من مسلكه عند واجه الفتية المحيطين به ، قال من صاحب سبل السلام :

صح ان عثمان رضى الله عنه منع عبيده أن يدافعوا عنه وكانوا اربعمائة مسلحين وقال من القى سلاحه فهو حر ، لقد سمع الحديث المعروف (تكون فتن فكن فيها عبد الله المقتول ولا تكن القاتل .

واستطالت السنة السوء فى عثمان .

* * *

وذكر الأستاذ الشرقاوى ولا أدرى لماذا — وصفا لما كان بينه وبين عروسه نائله ، اخلعى كذا ، ثم اخلعى كذا ثم .. على نحو ما تفعله الراقصات اللاتى تتعرى للنظارة فى المسارح الأوربية القذرة فكان المؤرخ الكبير ينظر من ثقب الباب . وكان يثبت بهذا المجون ان عليا سيد المتقين أن عثمان — كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل تستحى منه الملائكة . وقد ظلم حيا وميتا وهو على ايه حال ممن تتناولهم الآية (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بايمان رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

وقد حكى الأستاذ الشرقاوى أمور تنال من مكانة عدد من الصحابة عندما تولوا مناصب كبيرة وهم أبرياء كل البراءة مما قذفوا به .

وننصح أخيرا لمن يلتمسون العيوب لأشراف الناس أن يستحوا وعلى أية حال فان أقدار الرجال لا تهدم بهذا الغباء فلا ابو هريرة ولا أبو موسى ولا سعد ابن أبى وقاص ولا غيرهم افتاتوا على مال الأمة ، أو نالوا منه ما ليس لهم بحق .

وتزكية على ابن ابى طالب لا تتم بشتم هؤلاء الأكابر ولا بغمزهم من بعيد .

ثم أمر ذوبال : أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أمام المتقين ، فى الأولين والآخرين ، ثم يجىء بعده فى الفضل الرجال الذين حملوا معه الرسالة وادوا الأمانة ونشروا الاسلام فى المشارق والمغارب وجعلوا عالميته حقيقة ملموسة وتصدوا بالنفس والنفيس لطواغيت الأرض فكسروا شوكتهم وسحقوا دولتهم ، واعنى بهؤلاء صحابة رسول الله وفى طليعتهم الخلفاء الرشدون ومن بينهم على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين .

وقد حدثت مآس مؤلمة فى جيل الصحابة الى بساطة العرب فى فن السياسة وعدم تقديرهم لمؤامرات عدوهم وثأر المهزومين لأنفسهم اليس مما يثير الدهشة أن تكون المدينة مفتوحة لما هب ودب من المجوس واليهود وأشياع الملل التى اجتاحها الاسلام ، فاذا هم يملكون فى داخلها حرية الكيد والفتك .

واذا الخلفاء الثلاثة بعد أبى بكر يقتلون وكأنهم ذهبوا ضحايا احقاد شخصية أو ثورات محلية ، كيف يقتل مجوسى عمر بهذه السهولة وكيف يزعم كعب الأحبار أنه وجد مقتله فى التوراه . اى توراه : أليس ظاهرا أن المجوس واليهود تظاهروا على ارتكاب جريمتهم فى جو البراءة السائد بين المسلمين .

وكيف قتل سعد بن عبادة زعيم الأنصار قبل أن يقتل عمر ، ثم يشاع أن الجن قتلته ، أى جن .

الم يفكر احد أن الرجل قتل لأحداث وقيعة بين المهاجرين والأنصار وكيف اقتحمت وفود مجلوبة من أقاصى البلاد دار الهجرة ، واصبحت سيرة الشارع الاسلامى وصاحبه السيطرة فيه لتقتل الخليفة الثالث بكل هدوء .

ونحن نراها كتبا جمعت الغث والسمين والخير والشر والحق والباطل وهى كتب تحتاج الى أمناء يستخلصون الحق بالنزاهة والمثابرة والمقارنة .

ونحن نقرر بقوة أن روايات جرجى زيدان وكتابات عبد الرحمن الشرقاوى لا تحكى تاريخا اسلاميا محترما فالأول صليبى ينفث ضغائنه على الاسلام بلون والثانى يسارى يريد جعل الاسلام وتاريخه مصبوغين باللون الأحمر والتفكير المادى ويسوق الأحداث سوقا لخدمة هذا الغرض .

* * *

هل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان صراعا طبقيا كما يقول الأستاذ الشرقاوى ، الأغنياء يدافعون عن وجودهم والفقراء عن حقهم فى الحياة الكريمة وعن احلامهم فى عالم أفضل ، أى أحلام هذه .

وهل صحيح أن موسم الحج كان ليستثمر هؤلاء الأغنياء أموالهم فى البيع والشراء والربا فيربحون ويربحون ، وهذه الأصنام هى التى تمنحهم كل سلطانهم على الأجراء والمعدمين والعبيد وأبناء السبيل .

وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله ، هكذا يقول الشرقاوى فى تصوير الرسالة الاسلامية : صراع بين الغنى والفقر لا وجود له الا فى دماغ المؤلف .

وآية عدم اكتناز الذهب والفضة نزلت بعد اثنين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام أو الحرب التى شنها الاسلام على الوثنية من اول يوم .

حتى الهجرة الى المدينة جعل لها الأستاذ الشرقاوى اسبابا اقتصادية فان المرابين فى المدينة كان ضغطهم أقل والهوان الذى يتعرض له المدينون أخف . تأمل قوله ، هذا مجتمع آخر أكثر تقدما من مجتمع مكة ، هنا علاقات اجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد .

فالمرابى اليهودى لم يكن له الحق فى أخذ امرأة المدين او ابنته لاكراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش ، وأجير الأرض فى المدينة أعلى درجة من عبيد مكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف . . . الخ الخ .

ليس فى هذا الكلام ذره من صدق ، والقول بأن العرب كانوا يسترقون المدين المعسر ويستوفون ديونهم من ارتفاق امرأته وابنته وارغامهما على الزنا كلام مكذوب ، ما كان شائعا لا فى مكة ولا فى المدينة وبالتالى فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلفة .

ان هذا الكلام ليس تشويه تاريخ بل هو تزوير تاريخ وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة ولا فى السير المؤلفة عن صاحب الرسالة ما ينزل مثل هذا الانطباع الغريب عن الجو الذى بدأت فيه تعاليم محمد (. .) كما يصف عبد الرحمن الشرقاوى الاسلام ونبيه وما نزل عليه من وحى ، وأنشأه من وحى ، وما تمخض عنه من حضارة .

محمد الغزالى

* * *

(٢)

الأستاذ الشيخ عبد الله الأنصارى

ان الكتابة فى التاريخ تختلف عن الكتابة فى الأدب فان لها أصولا أخرى مخالفة يعرفها المؤرخون حق المعرفة ويلتزمون بها التزاما كاملا والا سقطت كتاباتهم وخرجت عن نطاق التاريخ الى اى مسمى آخر غيره .

فضبط الرواية والسند مثلا من الأصول المرعية لدى المؤرخ الملتزم ولا يجوز له أن يضفى على المادة العلمية من عند ذاته اى توابل او مقبلات لكى يرغب فى قراءة كتاباته فانه ان فعل ذلك يحيل عمله هذا الى اى فن آخر غير التاريخ .

اننا مثلا لا نستطيع ان نقول عن كتابات جرجى زيدان فيما كتبه من قصص سماها (سلسلة تاريخ الاسلام) بأنها تاريخ أو اسلام ، فالتاريخ والاسلام منها براء لأنه حشاها — جزاه الله بما يستحق — باكاذيب واباطيل وافتراءات ، ودس فيها من السموم ما قصد به أن يقتل أمة بأكملها لهذا أخرجها العدول الحاذقون من رجالات الأمة الاسلامية فى عصرنا الحاضر من نطاق التاريخ فأصبحت لا تعبر الا عن رأى كاتب صليبى موتور حاقد ، لهذا سقطت وخرجت من حيز الكتابات التاريخية وصارت كما مهملا لا يعتد به ، كذلك فان المؤرخ لابد ان يكون ثقة صادقا عادلا فاهما أمينا يدخل للأحداث فيفندها ولا يرجح رأيا على رأى دون سند أو سبب علمى حقيقى يدرك كنهه ويوضحه .

وان كان الكلام فى التاريخ بصفة عامة يعتبر عملا شائكا الا انه فى تاريخ الاسلام يعتبر عملا محفوفا بالمخاطر ، فلا بد من الحرص عند ولوج بابه ولا تزال عبارة الحسن البصرى تقرع فى اذاننا كلما تذاكرنا موضوعا من تاريخ السلف والعبارة هى :

هذه دماء طهر الله منها سيوفنا وأيدينا أفلا نطهر منها السنتنا) عبارة قوية تعبر عن اسس اخلاقية كانت لبنة فى التشريع الذى سار عليه رجالات هذه الأمة منذ فجر تاريخها .

* * *

لقد اطلعت على كثير من كتابات الأستاذ الشرقاوى وتوقعت له من البداية أن ينزلق لأنه غير متخصص فى التاريخ فمثله تماما كمثل العلماء الذين يقرضون الشعر ، خصوصا أن هذه الفترة من تاريخ الاسلام التى تناولها تعتبر من الفترات الشائكة فى الكتابة من جهة ولقلة درايته لأنه غير متخصص فى التاريخ من جهة أخرى .

اننا كمسلمين يجب أن نتأدب أمام مقام النبوة ومشكاتها فالخلفاء الراشدين وصحابة النبى صلى الله عليه وسلم ولم لا نتأدب أمامهم وهم المبشرون بالجنة وفيهم اهل بدر الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، حقيقة انهم جميعا بشر ولكن لهم احترامهم والوازع الدينى ينهانا عن أن نتناولهم بما يعيب أو ينقص من قدرهم وقدوتنا وامامنا صلى الله عليه وسلم يقول : اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، ويقول أيضا : لا تسبوا أصحابى من سب أصحابى فقد سبنى أو غير ذلك من الأحاديث التى تثبت الميثاق الأخلاقى فى تعامل المسلمين عندما يتناولون حادثة من الحوادث أو فترة من التاريخ الاسلامى .

وما من شك فى أن عليا كرم الله وجهه امام هدى يحبــه كل تقى ولــكن هل ترون أن ما قدمه الأســتاذ الشرقاوى تحت عنــوان (على امام المتقــين) جاء فى عماية فتنة واعصار محنة ، بدليل أنه لم يقدمه فى تقــاه ومواقف بطولته وصــدقه منذ نشأته ولم يقدمه أيضا فى فقهه وعلمه وجهاده وحسن بلائه وخشوعه وقنوته ، ثم الا تعتقدون أن فى كتابة مثل هذه الكتابات فى وقتنا الحالى مثارا لايقاظ الفتنة من رقادها .

وبالطبع نحن نبجــل ونحب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه فى موضعه المناســب له ممن سبقه للاســلام وقرابته للنبى صلى الله عليه وســلم فهو ابن عمه (أبى طالب) الذى ناصر الدعوة فى فجر بزوغها وحمى النبى من المشركين ايضــا ، وعلى هو الذى نام عــلى فراش النبى ليلة الهجرة وهو الذى ناصر الدعوة بسيفه وعلمه وكان لأبى بكر وعمر وعثمان نعم الصاحب والخل ــ لهذا وغيره فاننــا نحبه كما يحب الله ان نحبه ، نحن لا ننكر شيئا من ذلك ولكننا ننكر اقتصار الامامة للمتقين ، فان كان للمتقين امام فهو النبى محمد صلى الله عليه وســلم ولا يســتطيع اى مؤمن أن يجرد النبى صــلى الله عليه وسلم من هذه الصفة ، ويضيفها الى احد من الصحابة حتى ولو كان ابا بكر أو عمر او عثمان أو على أو غيرهم رضى الله عنهم أجمعين خصوصا وان القصد كما بدأ من ســياق السرد كان متقصــودا فيه النيل من الآخرين من سابقيه بالذات . هــذه نقطة مهمة كان لابد من اثارتها بدءا لأن الكتاب يقرأ من عنوانه كما يقولون ، وقد كانت عبارات الكاتب فى هذا الموضوع كبراعة استهلال قدمها ليستهدف بالتنقيص من قبله من الخلفــاء رضى الله عنهم اجمعين وهــذا يدركه كل قارىء متأمل اذا أمعن بنظره وذاكرته فيما يقرأ .

أما مايستهدفه الكاتب الشرقاوى من اثارة موضوع يحصل فيه خلاف فى هذه الآونة بين طائفتين أو اكثر من المذاهب الاسلامية فانه جلى ، أنه قصد به اثارة شعور تلك المذاهب وايجــاد بلبلة وتبــاغض ، بين تلك الأمم والمذاهب وهنــا دخل فى الخطر الكبير الذى جاء عنــه التحذير فى بعض الآثار لــكونه أيقظ فتنة نائمة فقد ورد (الفتنة نائمة ولعن الله من أيقظها) فكنا لا نختار للكاتب أن يدخل فى هذا الميدان ولا أن يلقى بنفسه فى تلك المخاطر الجسيمة ولكنه أبى الا أن يسلك السبيل المعوج ويترك الهدى المستقيم للقول بوفاق الخلفاء الراشدين وتعاطفهم وتراحمهم وماذا يفعــل اذا كانت الأهواء والآراء تختلف فيهد الله من يشاء ويضــل من يشــاء والله ولى عباده المتقين .

ولست هنا فى مجال تفنيد المغالطات التى أوردها الأستاذ الشرقاوى ــ غفر الله له ــ فهى للأسف كثيرة اكثر من الصواب وكان بالرجل يرمى الى شىء وراء هذه المغالطات غير العلم فابتعد عن الحقائق فماذا يقصــد بأوصافه التى أتى بها خياله عن ليلة زواج ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه من نائلة ، وهو الذى كانت تستحى منه ملائكة الرحمن ، ومن أين له هــذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التــاريخ وعن الحقيقة واقرب ما يكون الى روايات الجنس ونعوذ بالله من هذا الوصف .

ثم كتاباته عن أم المؤمنين عائشــة وعن الصحابة طلحة والزبير وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين وصــفهم بأوصاف غير المؤمنين وهم المؤمنون حقا ويشهد الله على ذلك بنص القرآن حيث يقول تعالى :

(لقــد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعــونك تحت الشــجرة فعلم ما فى قلوبهم) أقول لحساب من هــذا الهدم ولأى غرض يقف هذا الموقف من هؤلاء الصــحابة رضــوان الله عليهم وما هى الخدمة التى ســيؤديها الأستاذ الشرقاوى للتاريخ وللدين من هذه الكتابات .

* * *

(٣)

الأستاذ عبد المعز عبد الستار

فوجئنا بالكاتب الكبير يتخوض مخاضا موحشــا صعبا ما كنا نحب أن يتورط فيه وما كنــا نحب له أن يتناوله بمثل أسلوبه القصصى السهل خاصة وهو يتناول فيه اشخاصا لهم بلاء وغناء وسبق الى الاسلام والجهاد فى سبيل الله ويصفهم بما لا يليق بأمثالهم فما رفع عليــا من وضع رفاقه وقد قال صلى الله عليه وسلم :

ما مدحنا من هجا الأنصار

كنا ننتظر من الكاتب أن يقدم الينا الامام فى تقــاه ومواقف بطولته لا أن يقدمه لنا فى عماية فتنة واعصار محنة ، لقد كنا ننتظر أن يمسك الأستاذ عن الخوض فى هــذه الفتنة التى كانت الســبب فى الفرقة وانقســام المسلمين شيعا وأحزابا الى يوم الناس هذا ، وهو يعلم أن عماد الدين (الا تفرقوا) والله يقول :

ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم من شيء انما أمرهم الى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يعملون) .

ويعلم اننـــا نمر بمثلها ونعـــانى من اقبح آثارها فما كان أغنانا عن اثارتها وصدورنا تنزف منها دما وألما ، وقديما قرر الفقهـــاء والعلماء والسلف الصالحون ممن ادركوا هذه الفتنة أو جاءوا بعدها وجوب الامساك عن الخوض فيهـــا فان الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ولكل منهم وجهة نظر واجتهـــاد : المخطيء فيه له أجر والمصيب له اجران .

ولقد كنا نتمنى أن يدلو الأستاذ الأديب دور اليهود فى هذه الفتنة التى آثر الخوض فيها وأيضا كنا نتمنى أن ينهج نهج المحدثين واهل الاثر من نقده الأخبـــار وحمله الآثار على مقتضى قوانين الرواية والجرح والتعديل الذى ميز الله به أمة محمد صلى الله عليه وســـلم فلا تقبل من الأخبـــار الا ما رواه عـــدل عن مثله غير متهم بكـــذب ولا هوى .

ولكن الأستاذ اصلحه الله راح يسوق الأخبار ومنها الملفقة وكانها حقائق مسلمة ويبنى عليها اتهامات ويصدر احكاما قاسية وهى اخبار واهيه لا تحل روايتها فضـــلا عن اعتمادها فى تقرير حكم أو توجيه لوم خاصـــة اذا كانت تحمل فى ثناياها دليل بطلانها وكنا نود أن يشـــير الأستاذ الى مرجع واحد من مراجعه التى اعتمد عليهـــا فان كثيرا من أئمـــة المؤرخين قد ينقـــلون الشائعـــات والأخبار التى لا تصدق ولكن بأسانيدها اعتمادا على أن الناس سيبحثون الأسـانيد فيقبلونها أو يرفضونها تبعـــا لمـــا يعلمون أو يتبين لهم عن حال رواتها .

وكنا نتمنى أن يوضح لنا الأستاذ الشرقاوى دور اليهود فى هذه الفتنة وما فعله عبد الله بن سبأ واشياعه والمخدوعون به فهم اسبابها ولدينا مناسبتها وما أشـــبه الليلة بالبارحة ، فان الدور الخبيث الذى يضـــطلع به اليهود اليوم بيننا واســـتطاعوا ان يفتنوا العرب منـــا ويسحروهم ويزينوا لهم قتل انفسهم وتوجيه السلاح الذى فى أيديهم الى صدورهم وهو نفس الدور الذى قام به اليهود قديما وبه قتل عثمان ومن قبله عمرومن بعدهما على وطلحةوالزبير وغيرهم من جلة الصحابة والتابعين بسبب هذه الفتنة والعماية التى أطلقهـــا اليهود للقضاء على الاسلام وأمته ودولته وقوته .

كنا نتمنى أن يفضح هـــذه المؤامرة اليهودية التى اثارت هـــذه الفتنة وازكت نارها ، أم تراه انطلت عليه مؤامراتهم الاخرى وخدعتهم الكبرى فصدقتهم فى أنهم براء منها وأن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية لا وجود لهـــا كما صدقتهم البابا فى براءتهم من ظلم المسيح .

راح الكاتب يقول : (ليس لبنى اسماعيل فضـــل على بنى اســـحق) ونحن نقول : بل لبنى اســـماعيل اليوم فضل على بنى اسحق وللعرب فضل على اليهود بعـــد ما اثبت اليهود ببغيهم وعـــدوانهم أنهم على مدى التـــاريخ وراء كل فتنـــة وســـبب كل محنـــة وانهم كالمشركين (لا يرقبون فى مؤمن الا ولاذمه) .

* * *

(٤)

الدكتور عبد العظيم المطعنى

الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى قد مارس حقه فى الكتابة عن الامام على رضى الله عنه وفى غيره من أعلام الاسلام وفى مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وســـلم وكتـــابته عن صاحب الدعوة كانت قد أثارت زوبعة من السخط فى حينها واسدل الدهر عليها ســـتارا رقيقا الى أن عاد الأســـتاذ الشرقاوى مزق ذلك الســـتار وطيره ادراج الرياح بما كتبه عنه أخيرا .

وما كتبه عن الامام على رضى الله عنه فقد أثار مثل سابقه زوابع من النقد والسخط فى مصر وفى خارج مصر .

وقد تابعت خواطره التى عالج فيها موضوع النقد علاجا لا يحمد عليه كاتب مثله اتخذ من الفكر الاسلامى مادة لقلمهونافذة يطل على القراء منها حينا بعد حين .

وقد تابعت خواطره التى علج فيها موضوع النقد لا مجاملا . وقد دعوته فى رسالة خاصة أن يمسك عن الهمز واللمز وتوسيع الخلاف بينه وبين ناقديه ولكنه عاد اكثر عنفا وثورة .

واعتقد انه افرغ كل ما فى مخيلته من الفاظ ومعان تقذف بهـــا بلا اية ضوابط نحو اربعة من ناقديه ولم يدع للصلح موضعا .

آخر ما كتب الأستاذ الشرقاوى عن صحابى جليل هو على بن ابى طالب ومن اشترك معه فى الأحداث التى وقعت فى خلافتـــه رضى الله عنهم فهـــو اذن يكتب عن

صحابة والصحابة لا يروى عنهم الا صحابى مثلهم او تابعى عاشرهم ويروى عن التابعى ولذلك فان مصـادر الكتابة عن الامام على ورفاقه ومنهج البحث فى سيرتهم مختلف عن المصادر وعن منهج البحث فى التاريخ العام ، ولم يلتزم الأستاذ الشرقاوى بالمنهج بل عمد لـكتب التاريخ وغير التاريخ واستقى منها مادته واخباره فرجع الى كتاب (الأغانى) فاذا وردت منه معلومة وهو كتاب ادب فعلى الباحث أن يقف امامها طويلا ولا يتقبلهـا على علاتها باعتبار أنها وردت فى مصـدر تاريخ قديم ، عليه أن يعرض تلك المعـلومة على قواعد واصـول البحث العلمى الذى تكفل به علم مصـطلح الحديث واصـول الرواية من معرفة حال الرواة وصحة المتن وطرق التحمل ولكن الأسـتاذ الشرقاوى سوى بين المصـادر القديمة لقدمها ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس .

ومن قبل رجع الى الأغانى (أبو ريه) فى نقـده لأبى هريره رضى الله عنه فوقع فيما لا تحمد عقباه وقامت الدنيا عليه ولم تقعد والسبب ضعف المصادر التى اعتمد عليها فى سيره ذلك الصحابى الجليل وعدم فقهه ببعض الأخبـار الصحيحة فولدها ما لم تحتمل وكذلك فعـل الأستاذ الشرقاوى ومن مصادر الشرقاوى كتاب تاريخ الطبرى والطبرى لا يشك احد فى صدقه ولكنه اعترف أن الكتاب لا يخلو من الوقائع المكذوبة والأخبار المنحولة ، واناط المسـئولية على رواة الأخبـار لا عليه هو ولكن الشرقاوى ترك هذا واورد للطبرى مدحا فى كتابه .

والخلاصـة أن المصادر التى رجع اليها الأستاذ الشرقاوى لم تكن كلها كفئـا للموضوع فوقع فى ورطة لم يسـتجب لنصح الناصحين فيها ، ولو ان الأسـتاذ الشرقاوى رجع الى كتـاب (العواصم من القواصم) للقاضى ابن العربى (٥٤٣ هـ) والى كتاب اباطيل يجب ان تمجى من التاريخ الشيخ ابراهيم شعوط لعلم ما فى كتب التاريخ من دسائس اهل الهوى والزيغ ولأدرك ان ليس كل أصفر فى كتب التاريخ ذهبا وانما بعض اصفرها عقارب ذات سم زعاف .

* * *

(٥)

دكتور عبد الصبور شاهين

لقد بدأت تنبعث فى العالم الاسلامى فكرة التفرقة بين السنة والشيعة ، وهى فتنة ينبغى أن تخمد ، لأن العصر قد تجاوز هذه الدعاوى تمـاما فلم يعد يعيش عليها الا اولئك الذين يثيرون شقاقا بين جنـاحى الأمة فالأسلام واحد والرب واحد والدين واحد .

ولقد كان نقد الصحابة وتجريحهم باب دخل منـه المستشرقون لضرب الاسـلام وقد قررت جريدة الأهرام على قرائها هذا الموضوع الذى يمس حياة صحابة رسول الله يقرءونه لمدة حوالى أربعين اسـبوعا متتالية دون انقطاع ، وكتب لهـا الكثيرون يستنكرون هذا المسلك ولكنها مضت فى خطتها ووفرت الحماية لكاتبها الذى يصر على اعادة نشر روايات تاريخيـة دون منهـج علمى من تحقيق او تمحيص ، فى حين يعلم الكاتب أن صنيعه هذا تحديا لمشـاعر المسلمين وتمزيقا لحبهم الذى يكنونه لصحابة رسول الله ، واغراقا للجماعة الاسـلامية فى خلافات مضى زمانها وتجاوزتها القرون وذلك على الرغم من انه ليس مؤرخا ولا مفكرا اسـلاميا ولا فقيها بل هو مجرد (فنـان يعالج مسـائل الادب) فكأنه يتخذ من روايات التاريخ الاسلامى بكل ما فيها من احتمالات وما تضمنته من تيارات واعراض فى وقتها — مادة يصـوغ منها (دراما) او مأساة او ملهـاة ، وربما لاق هـذا بحكايات التاريخ اليونانى أو اللاتينى لأن المجتمعات التى عاشتها قد انقرضت فلم يبق منها سوى هذه البقـايا الأسـطورية فأما التاريخ الاسـلامى فهو قائم نابض بالحياة ممتد فى اعماق كل منا واتخاذ هذا التاريخ مادة روائية على هذا النحو مسلك غير سليم ، وهو قطعـا مما يثير فى نفس الشـباب سـخطا ونزوعا الى الرفض والتطرف والتعصب لمـا ينطوى عليه من اسـتخفاف بتاريخ الأمة ورجالها وتحد لمشاعر الشباب على يد فنان واديب مفتون — كما يقول بالتاريخ الاسلامى وقد توفرت له الفرصـة الكاملة لينشر ما يريد (لا معقب لحكمه) فعكف على وزن الصحابة وتمييز اقتدارهم وتقديم بعضهم على بعض ، خوضا فى أوحال التاريخ بلا دليل .

قال أبو ذرعة : اذا رايت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم بأنه زنديق وذلك لأن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وانما ادى ذلك كله الينا اصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شـهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة .

* * *

وأن نقد الصحابة وتجريحهم هو نفسه الباب الذى ولج فيه المستشرقون وأعداء الاسـلام وواضح اننـا جميعا لا نرضى عن تجريح الصحابة وحتى اذا نقدوا هم انفسهم فاننا لا نتجرأ على أن نأخذ موقف صحابى تجـاه صحابى ، والنقد بمعنى التجريح مرفوض قطعا لأن ذلك — أولا — خروج على ما قرر الله تبارك وتعالى لهم من المكانة والرضوان فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) .

والأستاذ الشرقاوى فنانا وناقدا لا يرضى لعقيدة ما

أن تجرح رموزها فضـلا من أن تكون هذه العقيدة هى الاسلام لأن فى ذلك فتنة وخيمة المرتع والعاقبة .

وموقفنـا اننا نحترم الكل ونحب الكل دون تفرقة (أى الصحابة) دون تمييز ، أما ما يتعلق بمواقف الصحابة واختلافاتهم فيما بينهم فاذا كانت هـذه الاختلافات واقعا تاريخيا فهو يعنى أصحابة ، وقد مرت بعـد وقوعه قرون زادت على اثنى عشر أو ثلاثة عشر قرنا ، فما بالنا نبعث هذه الاختلافات من الأجداث والقبور كأنمـا نحن مغرمون بالانتكاس ، نعيش دائمـا آلام السـابقين مع أن فى عصرنا من الآلام والشـواغل ما يستنفد حياتنا كلها ولا نواجهه ولا نعالجه ، ما شأننا بأن صـحابيا اختلف مع صـحابى ، هم قد اختلفوا لأن طبيعة الحياة تجعل الآراء مختلفة ولكن اختلافهم لم يعق حركة الأمة الاسـلامية . ما هى الاضافة الحقيقيـة للأدب ، للشـعر ، للنثر ، للفن الا أن نبعث صـحيفة صنعها المفسدون فى تاريخ الثقافة الاسلامية ليصموا هذا التاريخ وليغيروا نقاءه وليذهبوا بصفائه : هـذه هى القضية ولقد تنبعث فى العالم الاسلامى فكرة التفرقة بين السنة والشيعة وهى فتنة ينبغى أن تخمد لأن العصر قد تجاوز هذه الدعاوى تماما ، لم يعد يعيش عليهـا الا المتعفنون فكريا ، اولئك الذين يثيرون شقاقا بين جناحى الاسلام ، فالاسلام واحد والرب واحد .

فأنا أتوجه الى من يحاول نشر هذه الصحف التى كتبها أناس مزيفون ، زيفوا السند وزيفوا تحريف الكتاب وحاولوا كل المحـاولات أن يمزقوا ثقافة هـذه الأمة ، أتوجه اليه بالتوسل أن يكف .

* * *

(٦)

الشرقاوى على خطا طه حسين

هذا هو الشىء الذى لم يتحدث عنه الذين ناقشوا الشرقاوى ، اما لعدم المامهم بتاريخ وتطور هذه الفكرة الخبيثة واما رغبة فى القفز على الحقائق .

استطيع أن أقول شيئا لم يتنبه اليه أحد ممن كتبوا عن عبد الرحمن الشرقاوى وكشـفوا خبيئته ، وهو أنه تابع خطا طه حسين تماما فى كتابه على هامش السـيرة والفتنة الكبرى وأن طه حسـين كان يمهد للماركسيين هذا الطريق .

هذا فضلا عن فكرة الفنان الذى يتاح له أن يـ خطوط التـاريخ الحقيقية ، أو صاحب الهـوى الذى يستطيع أن ينقل من كتب التـاريخ ما يشاء فى سـبيل الرأى المعد مسبقا والفكرة التى يهدف اليها .

ومن قبل استطاعت بعض هذه القوى التى تريد أن تمزق وحدة المسلمين أن تخدع بعض الكتـاب الكبار فى سبيل هذه الغاية ، والأستاذ الشرقاوى منذ أن بدأ يكتب فى التاريخ الاسلامى وقد ظهرت غايته وهويته واضحة ، أنه يريد أن يقدم تاريخـا زائفا مكتوبا من وجهـة نظر التفسـير المادى للتاريخ ومحـاولة جعل لقمة العيش والغنى والفقر مقياسا لمواقف التـاريخ الاسلامى الذى انطلق من منطلق أكرم وأعظم من ذلك تماما .

وما كتبه الشـيخ أبو زهرة عن كتـابه (رسول الحرية) وما كتبه العلماء الثلاثة عن رواية الحسـين شهيدا تشهد بأن وجهته ليست خالصة للعلم أو والحق وقد قال العلماء الثلاثة عن رواية الحسين شهيدا : أن كاتب الرواية (عبد الرحمن الشرقاوى) كان حريصـا على تصوير المجتمع الاسلامى بعد وفاة الرسـول صلى الله عليه وسلم بنصف قرن فقط بصورة بشعة ، وكان هـذا المجتمع قد تداعى وتهـاوى وصار مجتمع عربدة وفجور ، ومجتمع شقاق ونفاق ، ومجتمع جبن وضعف ومجتمع خيانة ونكث للعهود ، مع أن المجتمع كان لايزال فيه عدد كبير من صـحابة رسول الله صـلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم باحسان .

أما دراسـته للامام على فقـد تابع مراجع معينة ألقيت اليه أهواءها ولم تكن هى المصادر الحقيقية لكتابة تاريخ الامام ولا تاريخ الاسلام فقد جرى وراء القصص البراق لأنه قصـاص ، واعتمد على المصادر الضـالة المضـلة كالأغانى وغيرها وسـاير خصومه البـاطنية والمجوسـية للشيخين أبى بكر وعمـر وحاول أن يلحق الاساءة بالسيدة عائشـة على هوى بعض الفرق ، بل لقد جاء دفاعاته واضحة الوجهة لتبرئة اليهود مما براهم منه الدكتور طه حسين وخاصة موقفه من بنى النضير .

وليس هذا فحسب ، ولكن كتابته عن صلاح الدين تبدو منها نفس الوجهة فالاستشراق يعلن أن صلاح الدين أخذ أكثر مما يسـتحق ولذلك لابد أن تظهر مسرحيـات تنتقص من قدره وتقلل من دوره .

وقد صدق الشيخ محمد الغزالى حين وصفه بأنه يجمع القمامات من كتب التاريخ .

وربما كان صحيحا ما قيل من ان الفكر الشيوعى الماركسى قد قسم العمل بين اتباعه ، واحد فى ميدان الفلسفة وآخر فى ميدان الفقه والتشريع وواحد فى مجال التاريخ وان هناك ماركسيون يعملون فى المعسكر الآخر لضرب الاسلام لحساب المسيحية والراسمالية .

ان درجة الوعى الاسلامى الآن فى فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية وما يعتقد أن هذه الأسماء تستطيع ان تكسب ثقة قارىء واحد ، من المؤمنين باليقظة الاسلامية ، ولعل هذا هو ما يزعج هؤلاء ومن ورائهم ، بعد ان كشفت خطط التغريب والغزو الثقافى فهم مفضوحون مهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم فلترد اسهمهم الى نحورهم .

وجملة القول ان عبد الرحمن الشرقاوى تابع المخطط الذى وضع لطه حسين حول بشرية الرسول فى كتابه (محمد رسول الحرية) وحول دعواه ببشرية القرآن وكان كتابه هو الحلقة الثانية من (على هامش السيرة) كذلك فقد كان كتابه (على امام المتقين) هو الحلقة الثانية من (الفتنة الكبرى) أنهما نفس الأفكار المسمومة التى اذيعت بواسطة الاستشراق ولخدمة الفكر الباطنى فى الأربعينات تعود بصورة أخرى فى الثمانينات .

ومن عجب انه اختير لذلك كاتب له أسلوب مقذع غاية الاقذاع له قدرة على الهجاء الذى يبلغ غاية العنف .

أنها محاولة لتحطيم الصحوة الاسلامية والقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذى اصبح معبدا ليسلك عليه المسلمون الى اقامة المجتمع الربانى ، أنها محاولات يائسة لافساد الفكر ولتزييف التاريخ ولهدم القيم تحت أسماء اسلامية .

وما زال الأستاذ الشرقاوى يواصل عمله وقد هيئت له كل الفرص والوسائل وما تزال كتاباته عن الفاروق عمر وغيره مليئة بالسموم فى محاولة لوصف هذا الرعيل الأول بالتكالب على الرئاسة والرسول لم يدفن بعد وهذا ليس من اخلاق صفوة الصحابة والمهاجرين ، يقول الأستاذ محمد عبد المنعم رضوان لقد قالت الروايات اشياء كثيرة ولكن العبرة بوجهة الكاتب فان كان مصلحا واجه الموقف بايمان المؤمن الذى لا يريد أن يشيع السوء وما كان يمكن ان ينفجر الأمر على هذا النحو ، ولكن سرعان ما حسم ابى بكر الأمر ، واستسلم الجميع له .

وما يزال حادث السقيفة يثير شبهات الاستشراق والكارهين للاسلام فقد ادعى أحدهم بأن مؤامرة عقدت بين الثلاثة (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) .

ونحن نسأل لماذا الشرقاوى مغرم باظهار الخلاف السياسى بين الصحابة واظهار الفاروق فى صورة المولع بمخالفة كتاب الله وسنة رسوله وهو فى هذا كله يحاول ان يصل الى اقرار فرية سياسية : هى أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى عصرهم فى سياسة الحكم وبالتالى لا يصلح الاسلام لاقامة نظام حكم اسلامى اليوم .

ويصل الى القول بأن الزمن قد تغير منذ وفاة الرسول جودت أحوال واقضية مستحدثة توجب على من يلى أمر المسلمين أن يستنبط لها الأحكام المناسبة والا يقف عند ظاهر نصوص القرآن والسنة بل مواجهة ما تطرحه الحياة الجديدة المتغيرة .

وهذه كلها محاولات مضللة رد عليها علماء الاسلام وكشفوا ما وراءها وهى ترمى الى القول بأن من حق الحاكم والفقيه ان يجتهد فيما ورد فيه نص : فيقول (أن ولى أمر المسلمين يجب عليه ان يستنبط للأقضية المستحدث الأحكام المناسبة والا يقف عند ظاهر نصوص القرآن والسنة بل فليبحث عن علة الحكم وسببه وحكمته ويربط الأحكام بالعلل ليستطيع مواجهة ما تطرحه الحياة المتغيرة الجديدة) وهذا هو رأى الشيعة الباطنية الذين يريدون هدم الاسلام من أساسه اتباعا لدين المجوس .

وجملة القول أن عبد الرحمن الشرقاوى يخضع فى اتجاهه لنظرية لينين : التى تقول ان الهجوم على الاسلام يجب أن يبدأ بتفسير التاريخ الأسلامى تفسيرا ماركسيا .

وقد دأب عبد الرحمن الشرقاوى على مهاجمة الأزهر وعلماء الأزهر منذ أن تصدى له الشيخ عبد الحليم محمود بعد أن الف كتابه المغموس فى السم عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والهدف هو اخضاع الأزهر لمركسية الاسلام وارهاب علماء الدين .

وقد طعن الشيوعيون فى الصحابة وكتاب الوحى وتشويه صورة آل البيت وهاجم الشرقاوى الرقابة الدينية لانها لم توافق على مسرحية الحسين ثائرا ، التى صور الحسين فيها بصورة الشيوعى اللاتينى جيفارا .

واليوم وقد انكشف مخطط الشرقاوى فان القارىء المسلم يقرأ ما يشاء دون أن تخشى عليه الوقوع فى مصائد الشبهات ولن يستطيع الشرقاوى أن يخدع الشباب المسلم بعد الآن .

الفصل الثالث

كتابات حسين أحمد أمين
الإفتراء على السلف الصالح

حمل حسين احمد امين حملة قاسية على السلف الصالح وقال ان المسلمين اتجهوا الى المغالطة فى تعظيم السلف والى المثالية فى تصوير أفراده ، وكان ثمرة ذلك ان بات المسلمون ينظرون الى الخليفة عمر بن عبدالعزيز مثلا على انه من اعظم خلفاء الاسلام لورعه وتقواه وموقفه العادل من العلويين وبنى هاشم فى حين لم تجلب السياسة المالية والادارية لهذا الخليفة غير خراب خزانة الدولة .

قال الأستاذ ...

اشم فى كلامك رائحة مرجليوث اليهودى وتلاميذه .

اما الزعم بأن السياسة المالية والادارية للخليفة عمر بن عبد العزيز جلبت الخراب على الدولة فهذا زعم مردود عليك فالتاريخ يروى لنا أن الأشهر القليلة التى تولى فيها عمر بن عبدالعزيز ازدادت فيها الخيرات وعمت البركات واكتظ بيت المال بالأموال حتى أن الخليفة عمر ، اعتق كل العبيد من هذا المال فقط ، فوجده يفيض فأعطى عطايا لكل الشباب لكى يتزوج ، فتزوج سواد الشباب ومع ذلك عم المال فكان الخليفة عمر يبكى ويتضرع الى الله ألا تكون كثرة المال من غضبه عليه حيث كان المال قليلا فى عهد رسول الله .

يقول الدكتور عمارة نجيب :

لقد حمل مقال الكاتب مخالفات علمية بديهية منها ادعاؤه ان السياسة المالية والادارية للخليفة عمر ابن عبد العزيز (لم تجلب غير خراب الدولة) وكل الوقائع التاريخية تؤكد أن عصر هذا الخليفة على قصره كان اغنى واثرى عصور الدولة الاسلامية حتى لم يجد المسئولون أحدا يستحق أو يرغب فى اخذ مال الزكاة أو الصدقة فكان يخرج من بيت مال المسلمين ويرد اليه دون طمع من احد فيه من الرعية .

وقد ادعى الكاتب ان عمر بن عبد العزيز لم يوافق والى حمص على اعادة بناء حصنها المتهدم مكتفيا — أى عمر بن عبد العزيز برده بقوله : اما بعد فحصنها بالعدل والسلام مع ان الأمر فى اللغة العربية يتم بفعل أمر ويصبح ملزما للمأمور به وهذا ما جاء فى رد الخليفة الى واليه مضافا اليه ضرورة مراعاة العدل عند التنفيذ .

ولكن الكاتب يرى أن هذا الرد يستوجب المؤاخذة البرلمانية فى اى نظام حكم ديمقراطى .

كذلك اغفل الكاتب الصلة بين قوة الجيش الفاتح المهاب — جيش المسلمين — فى عهد السلف وبين ضرورة حسن الادارة ، وعبقرية السياسة واستقرار النفوس وأمن الحياة الاجتماعية وتعاونها ، حينما ادعى رومانسية الكتاب والوعاظ عند عرضهم لسيرة السلف وحيثما حملهم مسئولية وزر التخلف .

وقد أعلن الكاتب عن هويته الجنسية والعقدية بحيث بين كانه لا يقبل أن يكون عربيا لأن العرب عموما ومن وجهة نظره— معروفون باتجاههم الى اتخاذ مواقف عقلية متطرفة من الناس والعالم والأحداث والى النظر الى كل ما يصادفهم وكل من يلقاهم بمنظار لا يرى من الألوان غير الأبيض الناصع أو الأسود القاتم دون الفروق الدقيقة فى الاقطار والألوان والظلال الخ ..

هذا عن الجنس العربى من نص كلامه ، اما عن الهوية العقدية فيكملها فى قوله (وليس ثمة مخرج لنا من هذا التحجيم الذى نعانى منه سوى بالكف عن الحنين الى الماضى ، الى أن يقول : (عندئذ يمكننا أن نتحرر كما تحررت الفتاة فى ختام رواية هنرى جيمس وذلك حين

ادركت حقيقة بسيطة للغاية هى انه ليس هناك ما يحتم عليها أن تكون كأمها) .

وهكذا وبكل بساطة يخرج الكاتب بنفسه ويطالبنا بالخروج على مبـــادىء وقيم الآباء لنتحرر ونتخلص من الحنين الى أمجاد الأسلاف .

ولا اريد أن احمل كلام الـــكاتب اكثر مما يحتمل ، ففى كلامه كفاية مقنعة يدل على اضطراب المفاهيم الى حـــد انه يرى (أن الحرية العامة كتحرر فتـــاة رواية (هنرى جيمس) حين ادركت انه ليس هناك ما يحتم عليها أن تكون كأمها) ما علينا الا ان نتساءل مع كاتبنا الحر ، ما هو تصـــوره للحرية ، اهى حرية الجـــانب الحيوانى ام حرية الجانب العقلى .

ان كان يعنى حرية الجـــانب الحيوانى فالعـــلم التجريبى يؤكد أن تحرير هذا الجانب واطلاق العنان له يؤدى الى المرض والصراع والقلق والتوتر والانتحار فى الوقت الذى يبدو فيه جهـــد العقل فى الجرى وراء اللذة والشهوات وهو ما يهدد التقدم ويجر الى التخلف والهلاك وعندها لابد من نظام يحفظ طاقات الشهوة ويوجههـــا توجيها مستقيما يمنع الكبت والافراط معا .

واذا كانت الحرية للجـــانب العقلى فان العـــلم التجريبى يؤكد ايضا ضرورة ضبط الغرائز ليتحرر العقل تماما فكيف نضبط الغرائز انضباطها بقانون علمى ، او بقانون مرتجل ، أما القـــانون العلمى فيحتاج الى اعتماد على تجارب الأجيال الماضية وأما القانون المرتجل فيعنى الفوضى ، ان عـــلوم المدنية الحديثة كلهـــا قامت على تجارب الآباء والأجداد فكيف نتخلى عن تجـــارب الآباء والأجداد ونبدأ من الصفر ونتقدم .

واتاتورك ماض ليس له من فضل فى التـــاريخ او مكاسب فاى الماضى افضل : تجربة السلف التى رفعت شأن الأمة واقامت حضارة تدين الدنيـــا حتى اليوم ام تجربة أتاتورك المقوضة للخلافة الاسلامية .

ولو اخلص الكاتب نيته ، وتأمل الحقيقة لذاتهـــا لوجـــدان العرب الذين اتهمهـــم واتهم عقليتهم واتهـــم ماضيهم واتهم حاضرهم انمـــا هم امة كغيرها من الأمم يصنعها النظام وبينهما الشرع والقانون .

وبقدر ما تنهض الأمة العـــاملة به وبقدر ما يتميز هذا النظام ويتكامل الشرع والقانون بقدر مايحمل النظام من خلل ويتضـــمن الشرع والقـــانون من نقص ، بقدر ما تتراجع الأمة العاملة به ،وفتاة هنرى جيمس المتمردة وكمـــال اتاتورك المتمرد صـــورتان للدعارة الجنســـية والسياسية فما هو الأمل المتعلق بالســـير على منوالهما غير التراجع والتخلف .

ان نسبية التقدم والنهوض تتفق مع نسبة صلاح القانون والنظام والشرع ونسبة التخلف تتفق مع نســـبة فساد القانون والنظام والشرع المعمول به واذا كان الكاتب يدعونا الى نبذ الماضى ونسيان الأيام المجيدة التى عاشها الصحابة والتابعون فان هذا يعنى أنه يرفض الاستفادة من التجـــارب ويطالب بالتخلى عن المنهج العلمى مع انه يمدح اهل الغرب لالتزامهم بالمنهج العلمى والمنهج العلمى اساسه ملاحظة وتجربة » ا . هـ

* * *

(٢)

لمـــاذا السلف الصالح

يبدو أن لـــكل واحد من دعاة العلمـــانية والغزو الفكرى مهمة محددة فى الهجوم على الاسلام ولقد كانت مهمة حســـين احمد أمين محددة فى الهجـــوم على تاريخ الاسلام والبحث فيه عن الثغرات والروايات المشـــكوك فيها والقضايا التى من شأنها اطفاء نور معجزات التاريخ واحداثه الضـــخمة ، وتزييف وقائعـــه والتركيز على (السلف الصالح) بما ينتقصه فى محاولة خطيرة ترمى الى التقليل من وهج الشخصيات الاسلامية ذات العطاء الكبير وفى مقـــدمتها عمر بن عبد العزيز وصلاح الدين وغيرهم .

وهـــذه قضية واضـــحة وقديمة وقد شغل بهـــا المستشرقون منذ وقت بعيد ، وحاولوا ضرب كل هـــذه المعـــاقل الكبرى فى الجهاد والحرب والســـلم من خلال التفسير المـــادى واطفاء نور الأحداث والدعوة الى هدم الوجدان والعاطفة فى نفوس المسلمين تحت اسم النظرة الرومانسية الى تاريخهم وأبطال ماضـــيهم وكان تركيز الهجوم اساسا على الصحابة والتابعين .

واذا نظـــرنا الى الغرب وجـــدنا اهتماما بالغـــا بالتـــاريخ ومحاولات جادة لاعطائه اكثر من واقعـــة فى سبيل تنمية الأجيال الشابة مؤمنة بأوطانها وعقائدها ، وبغض النظـــر عن كثير من المـــذابح والوقائع الداميـــة

والصراعات التى يحفل بها تاريخ أوربا ، ولكن الأمر يجرى على عكس ذلك حين يتصل الأمر بتاريخ الاسلام فهم يسلطون عليه الشكوك والاتهامات ويغضون النظر عن مواقفه الحاسمة الخالدة ، ويكبرون من شأن العيوب والنواقص التى لا يخلو منها تاريخ أمة .

ولذلك فقد وكل حسين احمد امين نفسه الى هذه الغاية وهى تخريب تاريخ الاسلام باثارة الشبهات حول هؤلاء الأعلام الكرام الذين رفع قدرهم فى نظر المسلمين على مدى العصور ايمانهم وتضحياتهم وجهادهم وذلك باتهام العرب بأنهم منحازون الى عواطفهم كأنما كان المطلوب من العرب أن يحتقروا بطولاتهم وصفحات أمجادهم التى قدم فيها آبائهم أرواحهم خالصة لله ، لا من اجل مغنم فردى ولكن من اجل رفعة الاسلام وهم يرددون مقولات مضللة وكاذبة فى سبيل تفريق الصف وتمزيق وحدة المسلمين بل انه يختلق هذه الخلافات بالحديث عن عرب وعن مسلمين ، فى محاولة لاحياء شخصيات مضطربة موصومة واعطائها مكانة ليست لها أمثال غيلان الدمشقى ودعاة الفكر الباطنى ، ومحاولة تصوير أبى ذر الغفارى بصورة غير صورته الحقيقية .

وذلك فى محاولة لطمس عظمة تاريخ الاسلام وتشويه بطولات سلف صالح الأمة الذين ضحوا وجاهدوا فى وقت نحن أشد ما نكون فى حاجة الى احياء هذه الصور الكريمة وملأ قلوب شباب الاسلام بها واثارة روح الجهاد والايمان والتضحية فى نفوسهم عن طريق تاريخ كريم .

وما تزال قضية الفتنة الكبرى تثار مرة بعد مرة ، من اجل تمزيق وحدة الأمة ، على النحو الذى ابتدعه طه حسين وسار فيه كثير من العلمانيين والماركسيين .

ويعلم حسين احمد امين أن بضاعته هذه بائرة تماما ، وأنها لا سوق لها وانه يقابل بالاحتقار والسخرية من الشباب المسلم الذى يعرف هويته وأحقاده ، ويعرف أننا لسنا فى حاجة الى أن يذكرنا بنصائح أتاتورك الذى يسير على طريقه ويحاول مع جماعته الذين وجهوه أن يجعلوا لهذه الدعوة العلمانية مكانا حين يقول :

(ان الأمة التى تصر على التمسك بأساطير لا أساس لها من الواقع من الضعف ومن المستحيل أن تتقدم) .

ونحن نؤمن بصحة هذا ونؤمن بأننا لانروج لأساطير ضعيفة أو مستحيلة حين تعرض تاريخ الاسلام فى صدقه ونقائه وسماحته ، وأن هذه العبارة مستقاه من كلام الماسون الذى وجهوه لأهل الغرب حيث كانوا يتحدثون عن الأساطير والخرافات المعروفة والتى حاول العلمانيون نبذها ، ولكنا فى مجال الاسلام لا نجد مثل هذا ، بل نجد صفحة نقية صادقة أقامها الاسلام بمنهجه وتاريخه ، ولذلك فقد اخطأ حسين احمد امين الطريق ووضع نفسه فى صف المغربين الحاقدين اعداء الاسلام ولن يستطيع أن يشكل لنفسه قدرا أو مكانا الا اذا عاد الى الاسلام مرة أخرى .

كذلك فنحن حين نتحدث عن تاريخ الاسلام وعظمة الاسلام لا نطالب بالعودة الى صورة هذه الأيام المجيدة فى التطبيق العصرى ، فنحن نعرف فوارق الزمن واختلافات العصور والبيئات ولكنا ندعو الى الفكرة الاسلامية الأساسية التى تستطيع أن تطبق بصورة عصرية دون أن نفقد شيئا ما من أصالتها الحقيقية ، وليس فى مفهومنا الأسلامى ما يدعوا الى التطلع الى الماضى الا بمقدار ما يحقق تطبيق منهج الاسلام نفسه ، ونحن نفهم جيدا ما هو الفرق بين الثوابت والمتغيرات ولن تخدعنا المتغيرات عن الثوابت كما أننا والخلفاء على نفس النسق القديم أن محاولة تشويه صورة السلف الصالح والصحابة والتابعين هى مؤامرة ماكرة خبيثة يراد منها القول بأن الاسلام لا يصلح للتطبيق فى هذا العصر وكذبوا فالاسلام نفسه منهج ربانى واسع الأفق ، والجوانب ، قادر على العمل والعطاء فى كل العصور والبيئات ، يقوم على أسس ثابتة وعلى وسائل متغيرة ومن هنا كانت قدرته على الالتقاء مع كل الأزمنة شريطة أن تلتمس أصوله وحدوده ، وهو يختلف تماما عن الدين الغربى الذى درسوا تجربته مع أهل الغرب والكنيسة ، وان تلك القضايا التى اثارها لا توجد فى أفق الاسلام وسيظل هؤلاء السلف الصالح نجوما مضيئة وكواكب لامعة فى سماء تاريخ الاسلام ما بقى الاسلام لأنهم هؤلاء الأبرار هم الذين هدونا الى هذا النور .

ولا عبرة أبدا باهتمام حسين احمد امين وجماعته بفتنة الزنج والقرامطة والادعاء بأنها دعوة الى العدل كما قال عميدهم القديم ، ولا عبره بالدعوى الظالمة الموجهة الى الدولة العثمانية فقد كشفت حقائق التاريخ عن دورها العظيم فى حماية الاسلام وعن بطولة السلطان عبد الحميد فى الوقوف فى وجه زحف الصهيونية .

أن حسين أحمد امين بحماقته واندفاعه قد شطب اسمه من قوائم العلماء وبحقده ورعونته قد شطب اسمه من قوائم الصادقين ، فقد عرفت كتاباته منذ اليوم الأول بذلك الجفاف المندفع الملىء بالحماقة والعنف وهى من ثم

لا تلقى من القارىء المسلم الواعى اليوم ، الا ازورارا وكراهية واعراضا ولو كانت صادقة مؤمنة لوجدت الطريق الذى يفتح لها القلوب فلماذا يكتب اذا كان يريد أن يقنع الناس بهذا الأسلوب الجاف المظلم الذى تحس فيه هجير الصحراء وتدافع الكلمات .

وهذه النصوص الذى يوردها (حسين أحمد أمين) لا يمكن ان تكون نصوصا درسها والتقطها ، وانما هى نصوص جمعها أذكياء مكره يريدون اذاعتها عن طريق اقلام عربية ومسلمة فانها توحى بقراءة عشرات الكتب وقديما سار على هذا الطريق زملاء لهم عرفت فى كتاباتهم أن النصوص التى استخدموها سلمت اليهم من جهات تريد أن ترفع شأنهم وتذيع اباطيلها وسمومها بأقلام اسلامية مع الأسف .

***

وهذا الهدف يرغب فيه الدخلاء أكثر مما يرغب فيه الأصلاء لأن قطع يد السارق سوف تكون وبالا على الذين ينهبون ثروات المسلمين عن طريق أولياء ضعفاء لا يحصلون الا على الفتات ، فاذا طبقت الشريعة امتنع هؤلاء رهبة من حكم الله ومن ثم فقد هؤلاء تلك الثروة التى يأمنون بوصولها اليهم عن طريق الضعفاء ، وهو يحاول أن يوحى بأن الفقهاء حاولوا عن طريق التأويل وضع قيود على قطع يد السارق ، وذلك فى سياق التأويل المضلل للوقوف فى وجه الثوابت . ولكن حسين أحمد أمين بحماقته لا يعرف الخلفيات ولا الأهداف التى سيق اليها كمخلب قط وهو يظن أنه من المجتهدين المصلحين ونسى حسين أحمد أمين أن (أحمد أمين) والده ترك اسما واضح الدلالة فى مجال خدمة الاستشراق فهو منسوب اليه وقد جاء هو ليواصل هذه الرسالة بتلك الجراة الفاضحة ، لخدمة أهداف النفوذ الأجنبى فى مهاجمة قيم الاسلام ليقفوا فى وجه الصحوة الاسلامية.

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره)

***

الفصل الرابع

ادعاءات الدكتور نور الدين فرحات
الشريعة الإسلامية لم تطبق بعد الراشدين

ان ابرز عناصر الكتابة فى قضية من القضايا هى (سلامة القصد وحسن الوجهة والقدرة على اكتساب ثقة القارىء المسلم (الذى اصبح واعيا لا يخدع الآن بالحيل ذات البريق أو الصحف الضخمة أو الكتب اللامعة) فهو القارىء الذكى العارف بأبعاد المخطط ، فاذا استوفت الكتابة هذه الوجهة واستطاع الكاتب أن يكون صادقا امينا لا مطمع له الا اداء الأمانة التى أؤتمن عليها لهذه الأمة وخيرها والوصول بها الى المرفأ الأمين فقد ربح البيع وتحقق الهدف ، اما اذا كانت الأغراض متخفية وراء الكلمات والاهواء بارزة بحيث يعجز الأداء العلمى المظهر عن اخفائها ، وكان الحقد لا يستطيع الا أن يستعلن فى ثنايا الكلام ، ليدل على أن الغاية ليست هى الوصول الى الحق اذا ظهر ، أو قبوله اذا تبين ، ولكن الغاية هى المراوغة والتضليل واثارة الشبهة حول النور الساطع والشمس المشرقة ، فذلك هو ما يرفضه العقل والقلب معا .

هل رأيت مسلما يشكك فى دينه ويثير الشبهات حول عقيدته ويتنكر للحقائق الواضحة كفلق الصبح ، الا فليعلم هؤلاء أن المغالطة لا تجدى فقد شبت الأجيال الجديدة عن الطوق فلم يعد يخدعها اسم لامع ولاصحيفة كبرى كما أن الاستعلاء وادعاء الحكمة والحديث مع الناس من برج عاجى أو من منطلق الخبرة لا يزيد صاحب القول الا مهانة وازدراء فى نظر قارئه ، فليس هناك فى الحقيقة جديد الا فى الأسماء التى تتداول نفس الشبهات القديمة والسموم الناقعة التى طالما رددها المستشرقون وكشفت الحقائق زيفها والتى لم تعد تصلح لأن تقدم عن طريق أسماء عربية ومسلمة اليوم لأنها أصبحت بضاعة مزجاة ومن نافلة القول وحصاد الهشيم وقبض الريح ولا تثير الا السخرية والاحساس بالغثيان ، أن على الذين يريدون مهاجمة الاسلام أو النيل منه أو انتقاصه أن يتعبوا انفسهم فى البحث عن شبهات جديدة غير تلك التى لاكتها الألسنة ورددتها الأقلام ، اننى أشعر بالرثاء لهؤلاء الذين يسخر بهم أقل مثقف مسلم لأن قدرة هؤلاء الأقزام غلمان المستشرقين على الخداع اصبحت واهية واهنة .

وتدهش حين ترى كاتبا مسلما يحاول أن يؤكد بكل ما لديه من وسائل وأساليب أن الشريعة الاسلامية لم تطبق بعد عصر الراشدين ، ومهما حاول مصححوا المفاهيم أن يردوه فى ذوق وادب ، ويقدمون له الدليل تلو الدليل اذا هو مسرف فى قولته ، مصر عليها ، مصر على باطله ، لا سبيل الى اعادته الى الحق ، وذلك شأنه مع ربه ومع عمله ومع قلمه . .

اولا : مع احمد بهاء الدين

اثار الأستاذ أحمد بهاء الدين فى موضوعه (دفاعا عن الاسلام) عددا من النقاط منها أن الشريعة الاسلامية لم تكن مطبقة (تماما) الا فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين وأيده الدكتور الطيب النجار ، وذكر الأستاذ بهاء انه من (العار) القول بأنها كانت مطبقة يشير بذلك الى الظلم والجهل اللذين سادا قرونا طويلة وتعجب من أمر هؤلاء (المغالطين) الذين يقولون أنها كانت مطبقة حتى جاء الغرب المستعمر .

اولا : المستشار طارق البشرى

ان القول بأن الشريعة الاسلامية لم تطبق الا فى عهد الرسالة والخلافة الراشدة قول يلتقى عنده عدد من وجهات النظر المتعارضة ، فهو قول الغلاة من شباب الحركات الاسلامية الذين لا يقبلون الا الجيل الأول للرسالة ، اى الجيل القرآنى ، وينظرون الى مابعده من أجيال باعتبارها اجيال انتكست بالاسلام والمسلمين ، وهو قول فريق من العلمانيين الداعين الى هجر الشريعة الاسلامية كمصدر لنظام الحياة والمجتمع ويبتغون قطفها من سياق تاريخ المجتمعات الاسلامية العربية وبترها عن تراثهم

ونظمهم ، أو يقصدون بيان أن الشريعة ليست صالحة للتطبيق العملي بدليل أنها لم تطبق .

أتصور أن ثمة غموضا منهجيا يرد لدى هؤلاء جميعا عندما يتعرضون لعهد الرسالة والراشدين ويقارنون بينه وبين التاريخ اللاحق على مدى القرون الثلاثة عشرة ، والفارق النوعي الأساسي أن العهد الأول هو عهد « تشريع » وتأصيل بينما كل العهود التالية عهود (تطبيق) وتجارب تاريخ .

واهمية الفترة الأولى لا تزد من كونها مجرد (تجربة تاريخية) ولكن تزد من قيمتها التشريعية الأصولية وأن مقتضى النظرة الايمانية أن ما نستخلصه من أصول من هذه الفترة انما يتعلق بما يعتبر لدى المسلم نصوصا واحكاما غير تاريخية ، أى أنها ذات صفة دوام وتعلو على نطاق الزمان والمكان ، ومن هنا فان ما يستخلص فى هذه الفترة من أحكام الاسلام انما يصير فى وضع الحاكم للمجتمع والجماعة ولتجارب التاريخ ولا يكون محكوما بهؤلاء .

أما ما بعد ذلك من أزمان وفترات فهى تاريخ ، من التاريخ ، وهى تجارب من التجارب وناسها من الناس فى كل احوالهم وأوضاعهم وموقفهم من النصوص كموقفنا منها فى أى عهد ووضع .

أن ما يتميز به هذه الفترة من نقاء انما يتاتى من كونها تشريعا وأصلا ، وليست تطبيقا ، انها وعاء (النص) والنص دائما (مثال) يستمد مثاليته من ذاته وليس من غيره ، والقول بأن الاسلام لم يطبق بجوهره الا فى هذ ه الفترة فيه نوع مصادرة على المطلوب كالقول بأن التشريع لا يجد كماله التطبيقى الا فى عملية صدوره .

وهنا يرد أصل المسالة المراد مناقشتها وهو أن التشريع دائما مثال ووضع أمثل والتطبيق دائما ناقص ونسبى ومن عمل البشر . وهو قابل للنقد والتغيير وهو خاضع للتجربة التاريخية والاجتماعية .

ونحن عندما نطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية لا نطالب بتسوية (تجربة تاريخية) ماضية على حاضرنا ولكننا نطالب بتسوية الشريعة من حيث هى وضع الهى واحكام أصلية نستقى منها مباشرة .

وتجارب التاريخ فى كل الفترات التالية للرسالة ولما يتعلق بنزولها وأخراج أصولها : هذه التجارب التالية انما تعرض علينا لنسترشد بها بعد الدرس والفحص ونأخذ منها ونترك فى اطار أصول التنزيل الثابتة المستقرة لدينا .

ونحن ندرك أن التطبيق لن يبلغ الكمال قط ، لأنه سيكون من فعل البشر وخاضعا لظروف الزمان والمكان أى خاضع للتاريخ ، والنقص هنا تام وسيقوم ونحن سنظل نتحرك نحو الكمال ونصير الى المثال . وستظل حركتنا واختباراتنا فى ذلك تمثل جهادا واقترابا غير نهائى نحو التحقيق الأمثل لحكم الشريعة المنزلة ، هى سير حثيث نحو المثل دون الوصول التام اليه لأن النقص فى فطرتنا ولأن الظروف متغيرة ومتنوعة والأحوال قلب .

وأن أى نظام فى التطبيق لا يجد التحقيق الأمثل له، حتى هؤلاء المبهورون بنظم الغرب لا يجسرون على القول بأنها نظم شاهدت اكتمال تطبيقها سواء النظم الديمقراطية أو الاشتراكية أو غيرها وأن محاكمةالشريعة الاسلامية بسوق النقص من سوءات التطبيق فى عصر أواخر ، أمر يمكن الرد عليه بمحاكمة النظم الوضعية بتطبيقاتها المختلفة ، وبيان البون الشاسع عن القصور الأمثل لأى منها وبين واقعها الفعلى .

ثم أن هذه المحاكمة تكون أظهر فى نتيجتها اذا نحن نظرنا الى واقع هذه النظم الوضعية فى مجتمعاتنا منذ حلت بها حتى الآن .

ونحن عندما يعتمد نظامنا على الشرعية الاسلامية كأصل له ومصدر ويعتبر الشريعة مصدر الشرعية وأصل الاحتكام انما نختار أمرا نحن مأمورون به دينا ومن جهة أخرى فثمة اقتناع بأن أصول الشريعة الاسلامية تتضمن الأسس الكافلة لأقامة نظام اجتماعى متحضر ومستقل وناهض وعادل . نظام يستقيم بالاجتهاد والتجديد لجلب المصالح ودفع المفاسد فى الأوضاع الاجتماعية المتغيرة ثم هو يفضل النظم الوضعية حتىمن وجهة النظر الواقعية الدنيوية البحته ، باعتباره نظاما مترابط الجوانب العقدية مع الجوانب الاجتماعية مع الجوانب الأخلاقية السلوكية مع القيم الاجتماعية للعدل والرشد والاحسان ويلتئم به الصدع بين القانون والأخلاق وبين القيم الحاكمة للمعاملات وتلك الهاوية فى السلوك وبين ماضينا ومستقبلنا وبكل ذلك يرشح الشعور بالانتماء للجماعة وطنا وعقيدة ونظاما .

هل طبقت الشريعة وما الدليل ؟

أن من ينكرون أن الشريعة طبقت فى أى وقت بعد

عصر الرسالة والراشدين نراهم يتنزلون بالنكران على درجتين :

فيبدأون بالنكران النسبى ان الشريعة لم تطبق كاملة ثم يدرجون الى النكران المطلق وانها لم تطبق أصلا ، وهم يسوقون فى التدليل على ذلك حكايات عن ظلم او حمق او سفك دم ، ولو اتبعنا هذا الأسلوب فى تقويم النظم الوضعية لما بقى منها حجر على حجر سيما تلك التطبيقات التى شاهدتها بلادنا .

فبالنسبة لأصول الشرعية التى يحاكم علىأساسها الحاكم ففى ظنى أنه على مدى القرون السابقة وعلى رغم كل ما عرف من تعدد الحكومات وتجاربها أحيانا فقد ظل الشعور بالانتماء للجماعة السياسية المتصفة بالاسلام قائما .

ولا اظن حاكما لبلد اسلامى فى القرن التاسع عشر لم يستمد من الشريعة اساس قيام حكمه ، صلح هذا الحاكم أم لم يصلح . نتكلم هنا عن اصل الشريعة التى تقوم عليها حكومة الحاكم وليس عن نجاح هذا الحاكم أو ذاك فى احسان تطبيقها فى عهده .

وفى هذه المناسبة تقوم الدولة العثمانية كمثل لسوء الحكم والفساد والجهل والقساوة عندما يختفى ذلك كله تحت راية الشريعة او الحكم الاسلامى ومن ناحية التقديم التاريخى ينبغى ان نلاحظ أن هذه الدولة اتت بعد مرحلة الحروب الصليبية واستمرت اكثر من خمسة قرون ،وكان التهديد الأوربى يحدق بنا من الشرقبحروبه الصليبية ومن الغرب باجتياح الدولة الاسلامية فى الأندلس والشروع فى الهبوط جنوبا فى حركة معاكسة لطارق بن زياد وموسى بن نصير . ثم كان تطويق العالم الاسلامى من الجنوب بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح .

وكانت الدولة العثمانية هى من القيت عليها التبعة التاريخية لوقف هذه الأخطار على مدى القرون الخمسة ، وقد استطاعت أن تتحول بهذه المنطقة من مواقع الدفاع عن الحوزة كما كان بشأن ايام الصليبيين الى مواقع الهجوم المضاد فسقطت القسطنطينية واقتربت جيوش العثمانيين من فيينا مرات كما ساعدت على وقف احتمالات النزول الأوربى من الأندلس الى المغرب والتوجه شرقا على الساحل الأفريقى .

هذه وظيفة تاريخية عميقة الخطر ، لقد تفككت الدولة العثمانية وانهارت مناعتها أمام الضربات الأوربية عبر القرن التاسع عشر ، ولكن ماذا كان سيكون عليه حال اقطارنا هذه لو تقدم الغزو الأوربى عنالقرن التاسع عشر ثلاثة قرون أو اربعة ولننظر الى ماحدث فى الأندلس وماحدث على السواحل الأفريقية الغربية بل الى ماحدث فى الجزائر فى منتصف القرن التاسع عشر لننظر الى ذلك وننعش خيالنا لتصور ما عسى أن كان يحدث لنا دينا سواء الاسلام أو مسيحية الشرق ولغة وحضارة وغيرها

ومن جهة اخرى فان دولة تقوم بهذه المهام التاريخية وتستمر فى الوجود منذ ولدت مع بداية القرن الرابع عشر حتى الفيت فى الخمس الأول من القرن العشرين لابد انها كانت بمعايير عصرها على قدر معتبر من الرشد فى الادارة والتنظيم وضبط الأعمال وذلك لا يتأتى الا أن يكون المجتمع على المستوى الحضارى والعلمى اللائق ولا اظن انه من الانصاف ولا أنه من العلم الحكم عليها بمعايير زمان لاحق عليها ، ولا تعميم الحكم عليها وفقا للصورة التى آلت اليها فى شيخوخة وأىدولة لم تشخ بعد كل هذه القرون الطوال .

ان المطالبة باعادة كتابة تاريخ المسلمين واجبة من وجهين : الأول اننا نعيد كتابة التاريخ على الدوام وحركة التاريخ كأى نشاط فكرى لا يتوقف ومن الخير الا يتوقف، والثانى ان المستشرقين قد اعادوا كتابة تاريخ المسلمين على طريقتم وربطوه برباط التبعية بالتاريخ الأوربى واودعوه من التحيزات الكثير وتتلمذنا نحن على تلك الأعمال وجاريناها بما تضمنت من تقويمات بعضها ظالم متعسف والمطلوب الآن اعادة هذه الاعادة من غير موقع التبعية الفكرية الذى هو حادث .

والتاريخ العثمانى مثال على ذلك فقد جددت نظرتنا لهذا التاريخ مراجع الأوربيين واعتمد فى استخلاص مادته الأساسية على تقارير قناصل الدول الأوربية ووثائق هذه الدول ومذكرات الرحالة الأوربيون وهؤلاء جميعا لم يغفروا لهذه الدولة اسقاطها القسطنطينية وتهديدها أوربا وهم فى القرنالتاسع عشر والعشرين كانوا يعدون مع دولهمالعدة لاسقاطهاوتوزيع أملاكها كمانها تعتمدعلى شكل نظرتنا عن هذه الدولة على ما أثبته دعاة القومية العربية فى ارض الشام فى نهايات القرن الماضى وبدايات هذا القرن .

وهى نظرة كانت تستهدف لدى البعض الانسلاخ من الدولة وهى لا تركز الا على مساوىء الشيخوخة ثم تعمم هذه المساوىء على الماضى كله وتنسب حركة

التتريك للدولة العثمانية رغم أنها حركة طبقهــا رجال الاتحــاد والترقى الذين قاموا بانقــلاب ١٩٠٨ واثاروا النزعة التركيــة واضــطهدوا العرب وصــفوا الدولة العثمانية وليس من العدل نسبة التتريك الى العثمانيين وبعض هؤلاء القوميين كان على اتصــال وثيق بالدوائر الفرنسية والانجليزية كنجيب عازورى. وان اعادة كتابة التاريخ هنا قائمة دعا اليها بشــكل ما الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى (مجلة العربى أبريل ١٩٧٨) ومارسها الدكتور عبد العزيز الشناوى رحمه الله بمؤلفه الضخم ذى الثلاث مجلدات ثم مارسها الدكتور محمد حرب والدكتور عبد اللطيف البحراوى مستندين الى ارشيفات الدولة ووثائقها وتجد فى هــذه الدراسات نظرة جديدة متوازنة امينة نفهم منها الكثير وعندما يذكر أحدنا قوة هذه الدولة فى عهد فتوتها فليس من الأنصاف وصفه بالفاشية وتصوره لمن يصفق للقوة المعتدية الظالمة لأننا نتكلم عن هذه القوة بوصفها قوة حامية حافظة للاسلام وجماعته ولشعوب هذه المنطقة ولغتهم وثقافتهم .

* * *

واذا كان المقصود من ان الشريعة لم تكن وظيفة الاشــارة الى حكومات ســلاطين تلك العهود وانهم لم يكونوا ملتزمون بمــا فرض الله من عدل واحســان فان الشريعة ليست نظام حكم فقط ، والعلاقات القــانونية المستمدة من الشريعة والتى كان الفقه الاسلامى يفرع التفاريع على اصولها ، هــذه العلاقات تعطى كل أنواع الانشطة البشرية فى المجتمع شراء وبيعا وايجارا ورهنا ومضــاربة وهى تنظم المراكز القانونية كافة كالملــكية والارتفاق والانتفاع وغيرها وتنظم وسائل عقاب المجرمين والشذاذ بالحدود والقصاص والتعــازير وتنظم علاقات الأسر ودرجات القــرابة زواجا وطلاقا ونســبا ونبوة وما يترتب عليهــا من آثار كالولاية والميراث والنفقة الى غير ذلك من هــذه الأوضاع والعلاقات غير المتناهية فى تعددها وتنوعها وتغيرها .

والشريعة الاسلامية لم تفرض من عل وانمــا نمت مع شيوع الاسلام بين النــاس وانتشاره فى الاصقاع ، والفقه الاسلامى تراكمت احكامه بالصــلة المباشرة بين الجمهور والفقهاء .

واذا انكرنا وجود الشريعة بعد الراشدين فللمرء أن يسأل أية أحكام كانت تطبق على معاملات النــاس على هــذا الامتداد الجغرافى وغير الأزمان الممتدة ، هل كان هنــاك نظام قانونى آخــر ، فان لم يكن فماذا كان يحدث عندما يبتاع شخص ولو قدحا من شعير أو يفتح نافذة على جاره أو يروى زرعه غير ارض الغير ، واية احكام كانت تطبــق فى الزواج والطلاق والميراث وبأى عقوبة يقضى على من سرق أو قتل أو سب بن ســبيل وهذا نظام الوقت لا تزال حجج ووثائق له موجودة من ايام المماليك من اى شريعة غير فقه الاسلام جاء .

اننا نفزع فعلا من ان تكون الرغبة فى اسقاط الشريعة من الوجود التاريخى للأمة دافعــا للبعض على الاشارة الى ما كان فى هذه الأعصر الخالية من الدعارة والتبرج والاغلال ويســتفيد الى أخبــار وردت فى ابن اياس أو الجبرتى او غيرها ، وباســتخدام هذا المنطلق ان تعدم بعد مائة سنة من تجمع اخبار صفحات الحوادث بالصحف اليومية الآن ويصــور بها المجتمع بأنه غاية من الفوضى والانحلال والشذوذ ، ويقول ان القوانين المتحضرة التى وفدت الى هؤلاء القوم من الغرب لم تطبق ويكون بذلك قد أخطأ خطأ منهجيا فقد عمم حوادث مفردة على مجتمع بأسره ، وجعل الشذوذ المحلى عنه هو القــاعدة واهدر العموم لأنه مسكوت عليه عند تداول الأخبار ثم أنه يكون قد استخلص من وجود الجريمة انتفاء القانون وهو ما لم يقل به احد ، فالتعــاصر بين الجريمة والقــانون قائم على الدوام والتفاخر بين الاخلال بالقــانون والالتزام به قائم ايضــا فى كل عصر وصقع ، ولو انتفت الجريمة لاختفى القانون .

اننا يمكن أن نزعم أنه ما من أصل تشريعى حديث حصل على رضاء الناس فى بلادنا وتحاكموا اليه طواعيه وانتشر بينهم برضاهم مثل ما كان للفقه الاسلامى الآخذ عن الشريعة الاسلامية الذى اندمج مع الأعراف والعادات وترابط معها . ان احكام الشريعة سرت بين النــاس حتى صاروا فى اقصى النجوع والكفور يتحاكمون اليها فى تعاملاتهم ومع بعضهم البعض ويتراضون على الاحتكام اليهــا فى مجالسهم العرفية ، يجرى ذلك كله دون حاجة لحاكم وقضاء واجراءات وسلطات للدولة .

هذه الهيمنة للشريعة الاسلامية لم تكن تجرى فى فراغ فكرى أو فقهى ، فقد كان هناك على الدوام جهود فكرية وفقهية وتعليمية تواكب العمل وتغذيه ورغم كل ما يلاحظ من جمود أو خمود فى حركة التجديد الفكرى فى القرون الســابقة على القرن التاســع عشر الا ان ذلك لا يعنى قط أن كان (عالمنا العربى والاســلامى خرابا يا أبى) .

وأيا كان ما يحمل العثمانيون والمماليك من أوزار،

فهل يجوز لنـــا أن ننسى أنه فى تلك القرون ظهر شـــيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزيه وتلميذه ابن كثير ، كما ظهر ابن الصلاح والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد .

ومع كل ما كان فى هذه العصور من مساوىء فنحن نستبعد أن يظهر أمثال هؤلاء فى ارض يباب خراب والاقرب للمنطق ولطبائع الأشـــياء واحوال العمران ان يظهروا وسط بيئة مؤاتية وحركة حية للفكر والمعرفة سيما وان بعضا من هؤلاء شكل مدرسة فى الفقه لم ينقض تأثيرها عـــبر عديد من الأجيـــال ، ومع جيل ابن تيميـــة ، ظهر شمس الدين زكريا الانصارى ذو الشهرة والمنزلة بين فقهاء الشافعية ، وهو مع محافظته لا يتصور ظهور مثله فى أرض خراب .

وفيما يوصف بقرون الظلام وجدنا الجهد التجميعى الضخم الذى عرف به علماء الحنفية فى الهند بتشجيع من الملك عالمكيرشاه فى القرن السابع عشر ووجدنا علماءكبار ظهروا فى أواخر الدولة العثمانية وقاموا بجهود تجميعية هامة فى فروع الفقه وفى القرن الماضى ظهر ابن عابدين فى دمشق وكتاب المجلة فى استانبول وغيرهم .

* * *

ان من أسباب الخطأ فى تجلية هذه الأمور أن كتاب اليوم قد اعتادوا عند نظرهم الى مثل هذه القضـــايا ان يتجهوا الى انشـــطة الدولة والســـلطة المركزية وذلك يقيسون وجود الشريعة بمقياس وحيد يتعلق بســـلوك الحـــاكم ومدى التزامه بالجادة واخذه نفســـه بالعدل والاحسان .

وهم يضـــمرون بذلك نظرة لا تفـــرق بين المجتمع والدولة ، وهذه النظرة غير دقيقة ، فلم تكن الســـلطة المركزية فى ذلك الزمان بمثل قوتهـــا الآن ولا كانت بمثل هيمنتها الراهنة وسيطرتها على كل مرافق الحياة والبشر وعلى كل معاملات الأفراد .

ولذلك فاننا عند ما نبحث عن الشريعة لا ينبغى أن نفتش عنها فى دواليب الحكام ولكن يجب أن ننشدها فى الأزقة والحوارى والنجوع والدساكر .

واذا كان الحـــاكم قد ابتعد عن التطبيق الأمثـــل للشريعة ، أو انه غالى فى الابتعاد فجار وجاوز الحريات ولم يرع أحكام الشرع ولا حقوق العباد فهل هـــذا يكفى للقول بأن السياســـة كانت بعيـــدة عن الدين ، وهل السياسة تلك للحاكم وحده ، أم أن علينا لتكمل رؤيتهـــا ان تنظر فى الحركات السياسية والشعبية والفكرية التى قامت تكافح جور هـــذا الحـــاكم ، وننظر هل صـــدرت هـــذه الحركات من الوعاء الفســـيح للفـــكر الاســـلامى وفقهه أم أنهـــا صـــدرت من معـــايير للشرعية وأصول للاحتكام ومن نظرة فلســـفية مجافية لحكم الشريعة وأصول الدين ، اننا هنـــا لا نتكلم عن سلطان بذاته او دولة بعينها وانمـــا نتكلم عن مجتمعنا وشعبنا ، عن أمتنا عبر مراحل تاريخية طويلة ممتدة ، ويلزم أن تكون نظرتنا من الاحاطة والشمول بمـــا يتبين معه حقيقة الأوضاع فلا ننظر فقط الى ما يتأيد به الحاكم من شرعية وانما ننظر ايضا الى هذا الوعاء الفســـيح الذى خرجت منه انتقـــادات المعارضة ودعوات الثائرين وأن ننظر الى تلك المدارس والمذاهب الجهة الغفيرة التى قامت بها الحركات السياسية والاجتماعية كما ننظر فيمن انتفضوا يذودون عن أوطانهم ضد الغزو الأوربى على مدى القرن التاسع عشر كعبدالقادر الجزائرى والسنوسى والخطابى والأفغانى وغيرهم .

وعلى ذلك فان انكار وجود الشريعة الاســـلامية لا يكفى سندا للقول بأن الدولة العثمانية كانت ظالمة أو أن المماليك كانوا فاســـدين ، انما يتعين أن ننظـــر فى الحركات السياســـية والفكرية التى ظهرت على عهـــد هؤلاء .

واذا كنا ننظر فى أمر الشريعة الاسلامية ووجودها وفى أمر صلة الدين بالسياسة فهل يمكن أن نتجاهل أو نتغافل عن ظهور الحركة السلفية لمحمد بن عبد الوهاب فى نجد والجزيرة العربية وحركة محمد بن على السنوسى فى صحراء افريقيـــا الكبرى من ليبيا والجزائر ، وحركة محمد أحمد المهدى فى السودان وهى كلها حركات ثورية اسلامية تجديدية كبرى ، كانت كلها فكرا وفقها وسياسة وجمعت الجموع وحشدت الحشود وبمئات القرى ، منذ أواسط القرن الثـــامن عشر فى تلك الأيام التى توصـــف بالانحطاط وظهرت غارة فكرية وعقائدية اسلامية ليس فيها أثر يذكر لرسل الحضارة والمدنية الوافدة من الغرب

١٠٠ . ه .

* * *

الرد على دكتور محمد نور فرحات

وقد أثار الدكتور محمد نور فرحات تعليقات وملاحظات على الحقائق التى قدمها المستشار طارق البشرى فى مواجهة الحملة المضللة حول انكار تطبيق الشريعة الاسلامية بعد عصر الراشدين .

أولا : يرى الدكتور فرحات أنه لا تلازم بين تطبيق نظام قانونى فى الماضى وبين صلاحيته للتطبيق فى زمان آخر . ولذلك فهو يعيب على المتحاورين الحديث عن تطبيق الشريعة فى الماضى كسند للمطالبة بتطبيقها فى الحاضر .

يقول (المستشار البشرى) : الحاصل فى ظنى أن الحوار حول تطبيق الشريعة فى الحاضر قد استطرد الى الحديث عن مدى تطبيقها فى الماضى بسبب أن المعطلين لتطبيقها فى الحاضر استقووا (من قوى) فى موقعهم بهذه الدعوى العجيبة وهى أن الشريعة لم تطبق منذ عهد الراشدين ولم يكن يدور فى خلدى أن يصل الأمر بالمعطلة الى انكار الماضى بهذه الجسارة حتى ووجهت به فى احدى الندوات ولم أتخيل أن يكون لهذا الانكار رواجا حتى وجدته يتكرر على أقلام كتاب وصحفيين وحتى وجدته من بعض دعاوى المتطرفين أيضا .

ومن جهة ثانية فان للمعطلة وجه حجة فى هذا الانكار لأن الزعم بعدم انطباقها بضعة عشر قرنا وعدم انطباقها فى التاريخ كله الا خمسين سنة يجعل الواقع التاريخى فى صفهم ويظهر أن دعاوى المطالبين بها لايخلو من حماقةاوربية اذ كيف يصح فى الأذهان أن يعود للحياة ما لم يصلح للحياة الا نصف قرن من التاريخ كله ، وكيف نعيد ما غبر وانقطع وباد بضعة عشر قرنا ، ثم أن المثبتين الشريعة أنها كانت قائمة على الشرعية فى مجتمعاتنا طوال القرون الماضية وأنها بقيت حتى خلعت خلعا فى القرن التاسع عشر بعد أن دهمنا من الغزوات ما تعرف .

لا شك أن للواقع التاريخى حجته ولا يجوز التهوين من قيمة هذه الحجة اذا كانت فسدت فى أيدى أصحابها ومن جهة أخري فان الواقع التاريخى هو جزء من واقعنا الحاضر من حيث أنه يمثل شعاعا فى وعينا بالتراث الحضارية وبالخصال المميزة لنا كأفة وجماعة سياسية وحضارية ولا يرضينا بطبيعة الحال أن قطع من تراثنا عنصر هو من أقوى وأفعل ما عايشناه فى تاريخنا ، وكان تفاعلنا معه من أزهى ما تبدت منه العبقرية الاسلامية والعربية ، الا وهو الفقه الاسلامى .

* * *

كنت ميزت بين مرحلة التشريع فى زمن الرسالة والراشدين وبين مراحل التطبيق فما يلى ذلك من ازمان، ويعترض الاستاذ المعقب بأن كان فى المرحلة الأولى تطبيق ومنها ما يخضع للتاريخ وأحواله ، فهى لم تكن تشريعا صرفا .

وخلاصة القول ان يقول أن صيغتى التشريع والتطبيق مداخلتان فى الزمان وفى ظروف الأحوال ، وأن فى التشريع تطبيقا وفى التطبيق تشريعا .

وانا أعرف ان التداخل قائم بين الظواهر المختلفة وأن من يطالع ما كتبه يتأكد أن فترة التشريع تضمنت ما لا يعتبر قرآنا ولا سنة من أقوال وأفعال الرسول والصحابة .

* * *

ثانيا : فهمت من حديث الأستاذ المعقب أنهناك من ينكرون دور العقل فى بناء حضارة الاسلام وأن هؤلاء المنكرين لدور العقل يؤكدون على دور الشريعة كأساس لهذه الحضارة ولا أظن أحد حتى من غلاة المحافظين أنكر دور العقل . وأن لفظى المنقول والمعقول يحرمان مجرى الاقتران على السنة الأزهريين من قديم .

كنت أود أن لا يدور الحديث حول أننا نتصور أن تقدم مجتمعنا المعاصر رهن يقطع الأيدى ولا أظن أن الغلاة أنفسهم يقولون بهذه فقط .

وكنت أود ان يدور حوار الأستاذ المعقب مع من يقول أن الشريعة أعم كثيرا من الحدود ومن الربا والحجاب وأنها شرعية عامة وأنها ركن ركين من بناء وتقو مبالنهضة والاستقلال والوحدة دون أنتكون وحدها مدار ذلك كله ، وأنها ركن فى تاريخ وحضارة وركيزة فى هوية وانتماء ومادة فى قوة تماسك الجماعة .

ان دراسة الظروف الأجتماعية والتاريخية لانتشار تطبيق الشريعة ولقوة المجتمعات الاسلامية حينا وضعفا حينا أمر نعترف بأهميته وفائدته ولكن هل يغيب عن البال

اننا لم نبرح مرحلة المطالبة بالاقرار بأصل وجودها وشرعيتها لأن هذا الاقرار نفسه مهم والأصل منكور مهجور لدى الطرف الآخر من الحوار ورغم نص الدستور على اعتبارها مصدر التشريع .

* * *

ولكن هل تصح دعوى الداعي الى تعطيل المطالبة بالاستقلال حتى ندرس اسباب انتكاس احمد عرابي عام ١٨٨٢ ، اقصد أن أقول انه في المسائل الخاصة بالانتماء وبعناصر الوجود الجمعي ، نحن لا نشترط ، الدراسة علينا فرض والاحسان فرض ولكننا نفعل ذلك ونحن ممثلون لواجب الانتماء والهوية باعتبار أن الانتماء والهوية كلا مضروبا علينا بحكم اللزوم ولا نختار بينهما وبين غيرهما . ولا نشترط في انتمائنا الشروط ، واننا اذا استلزمنا الشروط للاعتراف بأصل انتمائنا ، فاننا نكون قد أخضعنا هذا الانتماء للاختيار ، نكون قد ألحقناه بنا بدلا من أن نلتحق نحن به ، نكون قد حكمنا عليه بدل أن نحكم به ، فنحن لا نختار مصريتنا ولا عروبتنا ولا نختار أسس جماعتنا ، وفي الشريعة عنصر انتماء بحسباتها من مقومات الوجود الجمعي سواء بحكم المكون الحضاري والتاريخي لنا عربا ومصريين أو بحكم المكون الديني الايماني لنا كمسلمين .

بعد أن وافق المعقب على وجود الشريعة بعد عهد الراشدين أبدى ميلا للتحفظ على هذه الموافقة . وقد أبدى هذا التحفظ بأسلوب أكثر امعانا في التعبير المنفي .

* * *

واشار الى ملاحظتين (الأولى) : أن خلو سجلات المحكمة الشرعية من ذكر لقضاء الحدود أمر يتفاوت في دلالته المعقول وهو لا يفيد باللزوم انتقاصا من أصل قيام الشريعة ولم يقل أحد في الماضي أو في الحاضر أن مدى تطبيق الشريعة يقاس بعدد من قطعت أيديهم ولا يقاس مدى احترام القانون ونفاذه في بلد بعدد المحكوم عليهم بالحبس والاعدام .

والا كانت الدول الأوربية اقل البلاد احتراما للقانون .

والمعروف أن احكام الحدود في التاريخ الاسلامي كان قليلا وان الأثر الرادع يفوق ما عداه منها حتى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الملاحظة (الثانية) : أن انكار قيام الشريعة كمصدر للشرعية على هذا المدى صنيعة فلا يحتج به علينا ولعل المعقب يقصد أن ثمة من خالف الشريعة من الحكام السابقين .

* * *

ان الحديث عن الدولة العثمانية هو حديث في التاريخ ولا ينبغي أن يثير جدلا سياسا انما هو تاريخ تستخلص منه العبرة وهي التي دافعت عن ديار الاسلام قرونا وأن الفساد المطلق الذي تصور به ما كان يبقيها ستة قرون وأن غالب مصادر التاريخ كانت منحازة ضدها وأن ثمة مؤرخين الآن يعيدون دراستها بمصادر أوسع وبتوازن أدق .

* * *

الباب الخامس

الحملة على إسلامية الثقافة

١ ــ الدكتور محمد احمد خلف الله

٢ ــ الدكتور زكى نجيب محمود

٣ ــ الدكتور فؤاد زكريا

٤ ــ الدكتور لويس عوض

٥ ــ محمود امين العــالم

٦ ــ كمال الملاخ

٧ ــ عبد الرحمن الشرقاوى

٨ ــ الدكتور محمد نور فرحات

٩ ــ ادونيس

١٠ ــ توفيق الحكيم

١١ ــ نجيب محفوظ

الفصل الأول

دحض شبهات الدكتور محمد أحمد خلف الله

عالميـــة الاســـلام

على طـــريق مفهوم القـــومية الغربى المفـــرغ من المضمون الاسلامى ، ما يزال الدكتور محمد احمد خلف‌الله ينفث سمومه ، ويفاخر الدكتور خلف الله بولائه للنظرية الغربية الوافدة التى حملهـــا ساطع الحصرى وميشيل عفلق ، ولا يبالى أن يدعى بأن الاسلام هو النظام الدينى للأمة العربية دون عموم الناس وأن الذين يذهبون الى أن الخطاب القرآنى باللغة العربية موجه الى عموم الناس والى البشرية جمعاء لا يدركون أبدا انهم يضعون المولى سبحانه وتعالى الموضع الذى لا يليق بالانسان العـــاقل الحكيم فضلا عن أنه لا يليق أبدا بذات المولى ســـبحانه ولا بصفاته من حيث انه المشرع العـــادل الحكيم الخبير البصير .

ويقول الأستاذ عبد الوهاب فايد : لا يتنـــافى مع الحكمة أن تكلف أمة تختلف لغات طوائفها بتكاليف تصاغ بلغة احداها ، خصوصا اذا كانت أعظم اللغات وأشرفها وصارت هى اللغة الرسمية ، ويطلب من الذين صيغت التكاليف بلغتهم أن يبذلوا كل جهد ويتخذوا كل وســـيلة لتبليغهـــا للآخرين ، كما يطلب من الآخرين أن يجتهدوا حسب وسعهم فى معرفة مضمون ما كلفوا به خصـــوصا اذا كان يرتبط بسعادتهم دنيا وآخرى .

وقد تحقق هذا أيام سلفنا الصالح فنقلوا الى الأمم الأخرى مضـــمون الشرائع بالترجمة وبالتطبيق العملى الذى أعطى للأمم صـــورة جميلة للاســـلام جذبتهم اليـــه وحملتهم على أن دانوا به وانقـــادوا له ، وحملهم هذا الشغف على أن عكفوا على لغة القرآن يدرسونها ويدونونها ويضعون لهـــا القواعد فى جميع فروع اللغة ويهتمون بكل علوم القرآن . قال ابن خلدون فى المقدمة حـ ٣ ص ١٢٥٧ (ومن الغريب الواقع أن حملة العـــلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم) ومن السهل أن ندرك هذا حين نعلم أن البخارى أعظم المحدثين كان من سلالة فارسية وكثير من الأعاجم أفنوا حيـــاتهم فى العلم وتعليم اللغة العربية ، بل كان لبعضهم فضل وضع قواعدها ، واهتمام الشعوب الاسلامية باللغة العربية يقوى دعائم الوحدة بينها .

فالعرب لهم الفضل فى حمل تعاليم الاسلام ثم نقلها الى جميع الأمم والعجم كان لهم الفضل فى الحفاظ على لغة القرآن وعلومه التى تخدمه وقد تولدت منه ونشأت عنه ، واذا أجلنـــا النظر فى الدول الـــكبرى فى عصرنا الحديث نجد أنها تتكون من اتحادات وولايات مختلفة . وحكامها المركزيون يصـــدرون قراراتهم بلغـــة الأكثرية ويعتبرونها اللغة الرسمية ثم تبلغ القرارات الى الآخرين بطريق الترجمة .

والقول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلغة قومه صـــحيح ، لكن هـــذا لا يمنع الترجمة للأمم الأخرى ، والقول بأن أســـلافنا الأوائل رفضوا ترجمة القرآن يعوزه الدقة ، فقد رفضوا الترجمة اللفظية ولم يرفضوا ترجمة المعانى والتصـــائد والمضمون . وفرق بينهما .

ولهذا انتشرت الكتب الاسلامية التى تبين عقـــائد الاســـلام وشرائعه وتعاليمه بجميع لغـــات البلاد التى افتتحها المسلمون مع احتفاظ القرآن بلغته وابقـــاء على تداسته ، واشعارا بأن اللغة العربية هى اللغة الرسمية

* * *

بقى الأمر الثانى وهو أن القرآن نزل بلغة العرب ونظامه الاسلامى خاص بهم وحدهم دون بقية الأمم .

أقول وقد سبق بهذا القول بعض النصارى ، اذ زعموا أن رســـالة النبى صلى الله عليه وســـلم خاصة بالعرب ، كما فى كتب العقائد :

وأقول فى ابطال هـــذا الزعم : انه لا توجـــد آية

واحـدة تقول : أيها العرب ، بل آياته تنطلـق بعموم الرسالة وامتنان الله على العرب بفضل القرآن ورسالة النبى صلى الله عليه وسـلم ، لا يعنى أنه لا أثر له فى غيرهم ، أن عموم الرسالة تشـهد له الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ووقائع التـاريخ وشاع وذاع بين المسـلمين حتى صار من المعلوم عندهم بالضرورة ومن مستلزمات الايمان :

قا لتعالى :

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) .

(وما هو الا ذكر للعالمين) .

(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) .

(قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا).

وقد فهم صاحب الرسالة نبينـا محمد صلى الله عليه وسلم هذا من كتاب الله العربى ، فهم أنه مرسـل الى العرب والعجم والناس أجمعين .

واذا كانت الرسالة العـامة قد ظهرت فى العرب فذلك لأن اللغـة العربية أقدر على التعبير من المعـانى الدينية من غيرها كما شـهد بهذا الأجانب الذين حاولوا ترجمة القرآن ، وأيضا لأن العرب كانوا قبـائل تتوزع بينهم معظم الأديان التى تروج فى المعمورة فالاعتناء بهم وابطال معتقـداتهم يعلمهم الحوار والجـدال بالتى هى أحسـن ، ويؤهلهم للانطلاق بالدعوة ونشر نور الله فى انحاء الأرض بالحجة والاقناع .

لقد فهم النبى صـلى الله عليه وسـلم من آيات القرآن السابقة أنه مرسل الى الناس عامة ، ويؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم :

ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها . أخرجه مسـلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة واحمد .

ويؤكد هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسـل الى حكام الدول الأخرى يدعوهم الى دينـه ويبشرهم وينذرهم ، ارسل الى كسرى وقيصر والنجـاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله تعالى .

وقد ارسـل خطابين الى قيصر وكسرى باللغـة العربية وقد اشـتمل كل منهما على حـديث وآية وقام ترجمان هرقل وترجمان كسرى بترجمة مضمون الخطابين كل ترجمة الى ملكه .

وما هى الا سنوات معدودة حتى دالت دولة كسرى ودولة قيصر وورثهما المسلمون وهم يرددون : الله اكبر الله اكبر .

وتحقق قول الله تبارك وتعالى : (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وتحقق قوله سبحانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليسـتخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهـم وليمكنن لهم دينهـم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

ثم وصل الاسلام الى مصر ، الى أجدادنا الأولين من المصريين ، جاء كتـاب النبى محمد صـلى الله عليه وسلم الى المقوقس ، ثم جاء الفتح ودخل المصريون فى دين الله افواجا واستجابوا عن طواعيةلعقائده وتشاريعه ولم تكن لغة القرآن لغة لهم ، ولكنهم عشقوها بوازع من دينهم ثم نبغوا فيها وتباروا فى خدمتها .

وتلك معجزة القرآن فى العصور الأولى ، لقد جذب الشعوب على اختلاف اديانهم ولغاتهم ، الى تعـاليمه ولغته ، نعم لقد شدهم الى لغته بدلا من أن يشدوه الى لغاتهم .

أيرى الدكتور أن النبى صـلى الله عليه وسـلم وأصحابه من بعده قد تجاوزوا الحدود حين طلبوا من غير العرب أن ينقـادوا الى القرآن العربى ويذعنوا لهـذا النظام الاسـلامى . وهل يستطيع الدكتور خلف الله أن يقول هذا بالنسبة للتوراه أو الانجيل وكلاهما نزل بلغة غير اللغات التى تسود أمم العالم المعاصر ، ومع هـذا يدينون بهما . (عبد الوهاب فايد)

* * *

(٢)

ان اطلاق القول بأن الاسـلام خطاب للعرب قبل غيرهم وانه تلبية للاحتياجات العربية والبـديل الالهى لمتغيراتها وأن الاسـلام ليس الا (جانب) من العروبة

وان العروبة هى الأصـل والاسلام مجرد فرع ، هـذا الكلام الخطير فى مضـمونه وتوقيته ، جدير بأن نتـابع أصله وفصله حتى نعرف من اين ينبع واين يصب . ومن الذى ابتدعه ومن الذى تبناه ومن الذى روج له .

يحضرنا على دعوة التقصى والتحقيق أكثر فاكثر ان نداءات تقليص الاسـلام وحبسه موضوعيا وجغرافيـا تطلق فى وقت تتنـافى فيه المشاعر الاسـلامية بقوة فى العالم الاسلامى كله من أندونيسيا الى نيجيريا مما اعتبر صحوة أصبحت تثير قلق عند كثيرين وذعرا عند آخرين.

قال الدكتور خلف الله (ان الاسلام جاء منذ اللحظة الأولى مرتبطا بالعروبة ، وأنه أصبح جانبا من العروبة، الجانب الأهم من حيث أنه الجـانب الالهى) ثم أردف قائلا : ان العروبة هى الأصل .

* * *

وفكرة أن الاسلام هو النظام الدينى للأمة العربية أولا وأن بمثـابة البدائل الالهيـة للمتغيرات العربية ، ليست جديدة على الدكتور خلف‌الله وقد أتيحت لى فرصة متابعة دعواه التى لم يمل من ترديدها خلال السـنوات العشر الأخيرة ، وهو من أجل احتكاكى الشخصى بهـذه الافكار وربمـا كان مفيدا أن نفتح الملف على اتسـاعه ونقوم بتحرير القضـية أولا لنتعرف على حقيقـة راى الكاتب فيما هو منشور ومعلن قبل أن نحـاول استجلاء ما قبل الكلام وما بعده .

ففى مسـتهل بحث قدمه ١٩٧٨ فى ندوة (العروبة والاسلام) فى بيروت ذكر أن القرآن الكريم هو الوثيقة التاريخية الأصيلة فى مثل هـذا الموضوع وأنه (النص المتواتر الذى وصل الينا سليما من غير تجريف أو تبديل وكان عنوان بحثه (عروبة الاسلام) فقد لفت النظر الى أن العنوان لا يستهدف القول بأن الاسلام خاص بالعرب وحدهم أو انه ديانة اقليمية أو قومية وليس ديانة عالمية لكن ما يهدف اليه هو اثبات أن الاسلام قد جرب أولا فى جزيرة العـرب وحين نجحت التجـربة خرج به الذين جربوه الى أمم أخرى غير العرب وقال : هل يجوز على الله أن يحاسـب الناس يوم القيـامة على أساس من شريعة لم تنزل بلغاتهم المختلفة ولم يفهموا ما جاء فيها وهو ما يعنى صراحة أن الرسالة ليسـت موجهة لغير العرب ثم أنه ليس صحيحا أن المسلمين خرجوا بالاسلام الى غير العرب بعد أن جربوه ونجحت التجربة ، وهو قول ينصب على الفتح ويسقط تماما التبليغ الذى تم فى حياة النبى وفى مرحلة الاستضعاف الأولى ، قبل الهجرة الى المـدينة حيث كانت التجـربة فى علم الغيب وكان نجاحها أمرا غير مذكور) .

مع ذلك فلنضع خطا تحت عبارة ان الاسلام جرب أولا فى جـزيرة العرب ولمـا نجح صـدر الى الخارج ولنحتفظ بالخـط ، لأن المعنى موصـول بمقولات أخرى سنقف عندها فيما بعد .

وفى اثباته لعروبة الاسلام ساق أدلة عديدة : منها أن الله سبحانه وتعـالى اتخذ له بيتا فى الأرض العربية (الكعبة) وأن العرب كانوا يحجون الى هذا البيت قبل المسلمين وأن الله هو اله يعرفه العرب ويدينون له .

وقد بنى الدكتور خلف الله على ذلك مقولة صاغها على النحو التالى :

الله معبود عربى ، وأول بيت له بنى بأرض العرب من قبل أن يكون الاسلام وهكذا نستطيع أن نذهب الى عروبة المرسـل للرسالة ، التى تعترف باسم الاسـلام (ندوة بيروت) .

والمرسل للرسالة المدعى عروبته ليس سوى الله سبحانه وتعالى .

ومن الأدلة التى ساقها أن النبى عربى وأن القرآن عربى وأن المشكلات التى تعرض لها القرآن فى حيـاة الناس كانت مشكلات المجتمع العربى . الأمر الذى يعنى أن العقيدة عربية .

وفى سنة ١٩٨٢ ألقى الدكتور خلف الله محاضرة فى رابطة الأدباء بالكويت حول موضوع العروبة والاسلام كنت أحد شهودها . وفى محاضرته تلك ذكر مقولته : ان الاسلام ليس الا النظام الدينى للأمة العربية أولا وقبل كل شىء ، النظام الذى نزل من السماء ليكون البديل عن الأنظمة الأخرى التى كانت الأمة العربية تمارس حيـاتها على أساس منها .

وقال : ان العرب فى كل مكان يرون الاسلام دينـا قوميا لهم قبل أن يكون دينا عالميا لكل الناس . وقد ألغى قومية الاسلام لاحقا وكرر فكرة أن الاسلام كنظام دينى لم يخرج مكانيا عن المحيط العربى فى شـبه الجزيرة الا بعد أن جرب ونجحت تجربته .

وذكر أن الآية (اليوم أكملت لكم دينكم) تقصـد بها العرب والعرب ليس غير .

وأعاد سرد أسانيده عن عروبة الاسلام وقوميته ، من اللغة الى الاشهر العربية الى جنسية النبى الى مشكلات العرب وهمومهم التى عالجها القرآن واضاف : الله حاضر فى ذهن الانسان العربى قبل أن يكون الاسلام ولكنه لم يكن وحده فى هذا الحضور ، وانما كان الى جانبه آلهة أخرى ، ومن هنا كان الشرك الذى يعنى تعدد الآلهة بوجود شركاء الله ، ثم قال : الله مرتبط بالعروبة فى الاسلام وفيما قبل الاسلام مرتبط وحده بالعروبة فى الاسلام ومرتبط مع غيره من الآلهة فى عروبة ما قبل الاسلام ، وارتباط الله وحده بالعروبة فى الاسلام لا يعنى الارتباط بالدين الاسلامى وانما يعنى الارتباط بالاسلام من حيث هو نظام دينى للأمة العربية ، نظام يسمح بحضور الله فى العروبة على أساس من الأديان السماوية لغير المسلمين أى لأهل الكتاب .

ومن الخلاصات التى انتهى اليها فى محاضرته ما يلى :

ــ ان العروبة هى الأصل وان الاسلام هو الفرع .

ــ ان حركة التعريب فى البلدان التى تعربت كمصر وبلاد الشام كانت أقوى وأوسع انتشارا من حركة الاسلام ، اذ تعرب جميع السكان لكن لم يدخل الجميع فى الاسلام .

ــ لم يكن الاسلام هو العامل الرئيسى فى التعريب والا تحقق التعريب فى كل بلد دخله الاسلام (أى أنه ليس للاسلام فضل فى شىء) .

ــ ان العروبة هى القاعدة والأساس وان الاسلام هو بعض أجزاء البناء المقام على هذه القاعدة .

ــ انه لا يمكن فصل الأسلام عن العروبة والا فقد الاسلام هويته .

ــ لقد خلق الله الاسلام كائنا عربيا وقدر له الخروج من جزيرة العرب الى أرض الله الواسعة لكن بشرط أن يظل حاملا معه هويته العربية . .

واخيرا طلع الدكتور خلف الله بمقاله الذى كرر فيه هذه الآراء .

والذين يتابعون ادبيات الفكر البعثى لا تفاجئهم أفكار الدكتور خلف الله وانما يعتبرون الكلام كله ــ من أوله الى آخره ــ ليس أكثر من شروح لمقولات المبشرين بهذا الفكر وأبرزهم ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث العربى .

استحضر هذا مع خطبة ألقاها عفلق فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الذى تصفه المطبوعات البعثية . بأنه البطل العربى حينا والرسول العربى حينا آخر .

قال عفلق عن النبى صلى الله عليه وسلم ما نصه :

انه رجل من العرب بلغ رسالة سماوية فراح يدعو اليها البشر ولم يكن البشر حوله الا عربا فملحمة الاسلام لا تنفصل عن مسرحها الطبيعى الذى هو أرض العرب وعن أبطالها والعاملين فيها وهم كل العرب . ان اختيار العرب لتبليغ رسالة الاسلام كان بسبب مزايا وفضائل أساسية فيهم وان اختيار العصر الذى ظهر منه الاسلام كان لأن العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول مثل هذه الرسالة وحملها الى البشر وان تأجيل ظفر الاسلام طوال تلك السنين كان يقصد أن يصل العرب الى الحقيقة بجهدهم الخاص .

فالاسلام اذن كان حركة عربية وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها فاللغة التى نزل بها كانت اللغة العربية وفهمه للأشياء كان بمنظار العقل العربى والفضائل التى عززها كانت فضائل عربية ، والعيوب التى حاربها كانت عيوبا عربية سائرة فى طريق الزوال . الخ . هل وجدت تشابها بين هذا الكلام وبين ماطلع به علينا الدكتور خلف الله وسمى اجتهادا . ان دفعت جيدا وغضضت الطرف مؤقتا عن جديته فى موضوع الألوهية الذى هو من قبيل التطرف والغلو ، فستجد أن الافكار واحدة وأن العلاقة بين الاثنين علاقة المتن بشروحه ، وان تأيد ذلك وتأكد ، فلننبه الى ان كلام ميشيل عفلق قيل فى الجامعة السورية بدمشق عام ١٩٤٣ بينما كلام خلف الله سمعناه فى آخر السبعينات وقرأناه فى مصر فى أواخر الثمانينات .

عروبة الاسلام وكونه طورا متقدما للحياة العربية أو بديلا الهيا لمتغيرات الواقع العربى هى معزوفة يرددها رموز البعث العربى فى مختلف اصداراتهم وادبياتهم ولا مجال لتتبع هذه الكتابات هنا فكلها شروح على مقولات مؤسس الحزب ولكننا ننقل عبارة واحدة لأحد أعضاء القيادة القومية للحزب ، هو شبلى العيسمى يقول فيها :

ان الاسلام هو من العروبة كالابن من أمه ، أن

الاسلام هو الامتداد الثورى المتطور للعروبة .ك (عروبة الاسلام وعالميته) وفى كتب الاستشراق نجد أصلا للكثير من الأفكار التى يرددها بعض المثقفين فى شأن الاسلام بوجه خاص ، ومن اكثر هذه الأفكار زيوعا — فى الموضوع الذى نحن بصدده — مقولتا — عروبة الاسلام وكون الله سبحانه وتعالى معبودا عربيا أو الها عربيا فى قول آخر وأنهم جميعا كانوا يعدون النبى زعيما أو بطلا عربيا كما يقول الآخرون تقرير مواقفه وخططه لا فى ضوء الوحى وبتوجيه من السماء ولكن طبقا لحسابات وظروف كل مرحلة مما يقدره أى زعيم محنك .

والطريف ان مستشرق منصفا مثل السير تومارس أرنولد تصدى منذ نصف قرن تقريبا لرد مقولة عروبة الاسلام مؤكدا عالميته فى كتابه الشهير : الدعوة الى الاسلام الذى ترجم الى العربية ١٩٤٧ .

وقد أبدى دهشته واستغرابه من انكار بعض زملائه لعالمية الرسالة ورد دعوتهم على أربع صفحات مستشهدا بآيات العالمية ونزولها فى مكة وبالرسائل التى وجهها النبى الى ملوك عصره فى السنة السادسة من الهجرة ، ومما قاله فى هذا الصدد :

ان الرسول صرح بكلوضوح وجلاء : أن الاسلام الاسلام ليس مقصورا على الجنس العربى قبل أن يدور بخلد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح والغزو بزمن طويل .

قارن ذلك بقول من قال : (ان الاسلام اتجه الى العالمية بعد نجاح تطبيقه على أرض العرب) .

أيا كان الأمر فالمقولة خطيرة وتفتح الباب لتجريح الاعتقاد وهو ما لا نتمناه لأحد حتى ولو كان من المتعبدين بالعروبة والمفتونين بها ولكن استمرار ترديدها يقوى من مؤشرات الاسترابة والشك ، وتضع الراغبين فى الدفاع عن سلامة اعتقاد هؤلاء فى موقف حرج وصعب للغاية .

والأمر كذلك ، فهل نستطيع أن تقبل بسهولة الادعاء بأن موضوع الحوار هو مجرد العلاقةبين العروبة والاسلام وأن ما يقال بصدده هو اجتهاد برىء لوجه الله والحقيقة . ثم ألا نقدر اذا ما اعتبرنا هذا الكلام نيلا من الاسلام ذهب الى ابعد مما ينبغى الأمر الذى يسوغ معه أن نرفع أصواتنا محذرين وقائلين : كفى لعبا بالنار .

(فهمى هويدى)

* * *

(٣)

فى الحوار حول القومية والدين أو بين القومية بالذات والاسلام ، فان محاولات التفضيل أو الاختيار سوف يكون مصيرها الفشل فالقومية العربية كما تبين فيما بعد نتاج اسلامى خالص وهى صياغة اسلامية فريدة لفكرة القومية ولكن ما يكتبه البعض وما يحاوله . فى أن يثبت أن الاسلام دين محلى لا يخلو من ميزات هو أمر مرفوض علميا على الرغم من ايراده لبعض آيات القرآن الكريم التى استدل منها استدلالا لا يخفى فساده على أحد فنزول القرآن الكريم باللغة العربية دليل فى رأى هذا البعض على أن المخاطب به هم العرب وحدهم، مع أنه لابد لكل كتاب منزل أن يكون بلغة من اللغات على تعددها واختلافها ولأراد لمشيته الله عز وجل ، ومن ناحية أخرى فلا نعرف دينا نزل بالبدائل للمتغيرات فى الحياة الانسانية فالأديان تنزل بالثوابت فى العقيدة والأخلاق وأصول الشرائع ، وهى لم تتغير فى الأديان فهى ثوابت مطلقة ومفروضة وليست مجرد بدائل نسبته فالتوحيد ليس بديلا عن الوثنية أو الشرك الذى كان سائدا فىبلاد العرب وهو ليس تصحيحا لعقيدة محلية منحرفة فى بلاد العرب فالقرآن فى آياته يحرر عقيدة التوحيد للبشر جميعا ولكل العصور فى آخر كتاب منزل ولن نطيل فى التدليل على ذلك فهو معلوم من الدين بالضرورة .

وحين دخل الاسلام الى العراق والشام كان سكانهما يخضعون للحكم الفارسى البيزنطى ، وكان لمصر كما هو معروف من الجنس واللغة ما يجعلها تنتمى الى العرق والجنس الذى ينتمى اليه العرب (العرق السامى) وذلك نتيجة للهجرات القديمة المتتالية من شبه الجزيرة العربية لمصر ، وعلى العكس من ذلك كانت بلاد ما وراء النهر — الفرس والساسانيون — وهؤلاء على الرغم من اعتناقهم الاسلام لم يكفوا عن الاعتزاز بقوميتهم المتمثلة فى العرق والجنس والتراث الحضارى الذى كان قائما لعناصره ، وظهرت الشعوبية التى كانت ترمى الى تحقير العرب ورفض سلطانهم الدنيوى حتى مع توحد الاعتقاد الدينى الى درجة انكار أنهم شعب ، بل قبائل متفرقة والى الحد المساس بالاسلام ذاته على يد غلاة الشعوبيين .

والثابت تاريخيا أنه لم يكن للعرب بشبه الجزيرة أو العراق والشام تراث حضارى خاص يعتزون به ولا عادات وتقاليد وقسمات مشتركة ، ولا كان الجنس والعرق بينهم يمثل عنصرا ظاهرا بل أن العرب فى شبه

الجــزيرة كانوا يعدون أنفســهم اقل شــأنا من الروم والفــرس الذين كانوا يتســلطون على بعض اطــراف الجزيرة ولا احد يستطيع القول بأنهم كانوا أمة لها كيانها الذاتى .

وظهر الاسلام ونزل القرآن بلسان عربى مبين ، ووردت كلمة (أمة) بمعانيها المتعددة واستطاع الكامل ان يزيح الناقص لغة وحضارة ، واصبح الاســلام هو الجامع لهذه الاقاليم ، وكلها تقدم البعث الدينى والخلقى والفكرى الذى أثاره القرآن الكريم بين هذه الشعوب فى العلوم والمعــارف والنظم والســلوك ، ضعفت امامه السمات والتقاليد والعادات المحلية فى العراق والشــام ومصر .

* * *

ومنذ أواخر القرن الأول وفى القرن التالى للاسلام كان الطابع الاسلامى لغة وحضارة وتقاليد وسمات هو السائد ، وبدأت الأمة العربية فى الظهور لأن احد معــانى الأمة فى القرآن الكريم هو الخصائص الدينية والأخلاقية والفكرية وذلك فى قوله تعالى :

(أن تكون أمة هى أربى من أمة) .

وفى قوله تعــالى (ان ابراهيم كان أمة قانتــا لله حنيفا وما كان من المشركين) .

وفى قوله تعالى (وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

وهــذه الخصائص فى المعنى القــرآنى والنظــر الاسلامى هى الحاســمة فى تكوين الأمة وليس العرق أو الجنس ، والأجنــاس والأعراق لا تجمع كل محاســن الصفات وحميد الأخلاق ولا تحتكر الميزات ، لأن هــذه الميزات يتقاسمها البشر كما يقول الجــاحظ فى رسائله

ولم يكن العــرب قبل الاســلام يذكرون عرقهم وجنسهم ، أو يعتزون به وكان ظهوره وذكره فى الدولة الأموية يخفى أوضاعا سياسية واجتماعية واقتصادية ظهرت فى ردود الفعل المضاد لاعلاء شأن العرب عرقيا ، فالعــروبة لم تظهــر قبل الاســلام كعرق أو جنس أو خصائص مشتركة أو حضارة أو تراث له كيانه وميزاته ، ويكفى لتأكيــد ذلك ان اســماعيل عليه الســلام وهو ابو العرب كان ينتمى الى العبرانيين وكان اعجميا وتعرب كما يقول الجاحظ فالاسلام هو الذى صاغ الأمة العربية من جديد صــياغة لا تستطيع أن تفلت منهــا والا ضاع معنى القومية العربية والأمة العربية .

وقامت الصياغة الاســلامية على أساس واقعى وأخلاقى معا ، ذلك انه مع تهافت فكرة الجنس والعرق والدم وعدم ظهورها وضرورة اثباتها فان القرآن أشار اليها باعتبارها واقعا وظاهرة اجتماعية ، فذكر القرآن اختلاف الألوان والألسنةالبشرية وأورد الحديث الشريف ذكر الأبيض والأسود والأحمر من بنى الانســان ولكنه اعتمد معيــارا جديدا للتفرقة هو (التقوى) أو العمل الصالح .

وبذلك وجدت القومية العربية بصياغة جديدة تقر بوجود الاختــلاف فى الجنس واللون وأن ذلك جانب من الرابطة الاجتماعية ولكنه لا يعبر عن الخصائص الدينية والأخلاقية والفكرية بمايتبعها من عادات وسمات وتقاليد مشتركة .

وهــذه الصياغة تتفق مع المفهوم القرآنى وتتميز بالواقعية والصدق وتوافر الميزات والخصائص المطلوبة للأمة والتى جعل القرآن الــكريم فى آياته عنــاصرها الدينية والخلقية والفكرية والنفســية فهوية العرب من لغــة القرآن وخصائصهم الدينية والخلقية والفــكرية والنفسية فى محتواه ومضمونه .

فالقومية العربية اذن هى نتــاج اسلامى خالص ، ولا حاجة بنا الى الغوص فى أعماق التاريخ لنكتشف أن قبــائل وشعوب المنطقة لم يكن يجمعهــا شىء وقد نزل القرآن باللغــة العربية وهى الهوية الحاسمة فى الأمة العربية ، وأكد ذلك النبى صلى الله عليه وسلم : (ليست العربية من احدكم بأب أو أم ، انما العربية اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى) فالأمة العربية تنتمى الى الكلمة المبينة قبل أن تنتمى الى عرق أو جنس .

ويقول أرنست رينان المؤرخ وعالم اللغات : انه من بين الظواهر التى اقترن بها الانبثاق غير المنتظر لوعى جديد فى الجنس البشرى ، وهو ظهور الاســلام ونزول القرآن باللغــة العربية ، كانت اللغة الظاهرة الأشــد غرابة ، فهذه اللغة المجهولة عالميا قبل ظهور الاســلام تبدو لنــا فجأة بكل كمالها ، فالعروبة منذ نزول القرآن باللغة العربية وبمحتواه الالهى أصبحت حضارة وولاء وسمات وتقاليد تؤلف وتجمع أولئك الذين يمنحون ولائهم لهذه الحضارة وتلك السمات بصرف النظر عن العرق أو الجنس أو الدين كما قال البعض بحق .

ونقول : بصرف النظر عن الدين لأن الاسلام أعاد صياغة الاختلاف الدينى على نحو جديد غير مسبوق فقرر وحدة الدين الالهى فى كافة الرسالات ويقول القرطبى : ان الله جعل التوراة لأهلها والانجيل لأهله والقرآن لأهله وهذا فى الشرائع والعبادات والأصل (التوحيد) لا خلاف فيه .

فتكاملت بذلك صياغة الاسلام للقومية العربية بالذات والعربى غير المسلم ينتمى الى نفس الحضارة والسمات والتقاليد ويمنح ولاءه لها ، فهو فى ذلك كالمسلم تماما بعد أن تحرر مبدأ الاختلاف الدينى فى الاسلام على نحو انسانى كامل . فقد استطاع الاسلام أن يطبع العرب جميعا بطابعه الفكرى والنفسى ، بينما لم تستطع المسيحية التى تقوم على الحب والرحمة والتسامح أن تطبع الحضارة الرومانية بطابعها النقى وتخلصها من ماديتها واهوائها وما زالت الكنيسة الشرقية هى كنيسة العرب حظيت بالتقدير والاحترام من الأمة العربية بوصفها ذلك وبقربها من الخصائص المشتركة للأمة العربية .

ولذلك فان من العبث الفكرى أن يحاول البعض تجريد الأمة العربية من انتمائها الى الكلمة المبينة فى لغة القرآن الكريم وحرمانها من خصائصها الدينية والفكرية والنفسية التى استمدتها من مضمون القرآن ومحتواه على مر العصور . والنتيجة المؤكدة لذلك أن تفقد الأمة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها أيضا وأن ترتد الى القبيلة والانقسام جغرافيا والى الجاهلية أخلاقيا وفكريا .. فالقومية العربية او العروبة هى صياغة اسلامية بل لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا انها صناعة اسلامية .

(جمال الدين محمود)

* * *

(٢)

يرى الدكتور محمد احمد خلف الله أن آيات الحكم بما انزل الله التى وردت فى سورة المائدة خاصة باليهود والنصارى وليست خاصة بالمسلمين .

(محاضرته فى المجمع الثقافى فى أبو ظبى — نوفمبر سنة ١٩٨٦) .

يقول الأستاذ ابراهيم أبو محمد فى التعليق على هذه الآراء .

يجب أن يضع القارىء الكريم فى اعتباره حقيقتين اثنتين :

* * *

الأولى : اننا حين نناقش المقال لا نضع المقال على بساط البحث العلمى فالمقال أقل من أن يناقش والمناقشة بطبيعتها لا تعنى اعترافا بصحة الموضوع فالجهل أو الجحود اذا تحدث به كبار الناس لا يتحول الى علم ، الجهل جهل والجحود جحود ، فالمناقشة هى نوع من النزول الى مستوى من التفكير المنحرف فى محاولة لتصحيحه وترشيده عملا بأمانة الكلمة وحفظا لعقول وشبابنا وقرائنا من سموم تهب عليهم بين الحين والحين باسم الوطنية والتقدمية وحرية الرأى .

الثانية : أن مهمة الكاتب لا تقف عند حدود جذب القارىء بأى ثمن وأى وسيلة ، وعلى حساب كل قيمة وكل حقيقة يقدر بهدف جليل وعظيم وهو الوصول بالقارىء الى الحقيقة المجردة والنتائج السليمة على أساس من الصدق والموضوعية الثابته .

يرى الدكتور خلف الله أن آيات الحكم بما أنزل الله والتى وردت فى سورة المائدة خاصة باليهود والنصارى وليست خاصة بالمسلمين وهذا الكلام مغلوط من عدة وجوه :

الأول : ان العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب كما يقول علماء الأصول .

الوجه الثانى : أن هذه المغالطة تنطوى على قدر كبير من التهجم على دين الله لأنها توحى الى القارىء بأن التوراة اتم واشمل واكمل من القرآن الكريم بدليل أن اليهودى الذى يحتكم لغير التوراة يكون كافرا وظالما وفاسقا لأن الآية فى نظر الدكتور خاصة باليهود والنصارى وليست المسلمين .

والوصف ذاته : الكفر والظلم والفسق يلحق النصرانى الذى يحتكم لغير الانجيل لأن الله يقول : (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون — الظالمون ، الفاسقون) اما المسلم الذى يحكم بغير ما أنزل الله فلا شىء عليه وبذلك تهمل كل الآيات التى تتناول جانب الحكم فى القرآن الكريم كقوله تعالى :

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) النساء .

وقوله تعالى فى سورة المائدة (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

وقوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) — الجاثية .

كل ذلك يهمل ويهمل معنى الحكم فى الآيات ومعنى الشريعة والأمر بالاتباع والتطبيق والنهى عن السير وراء منهج الذين لايعلمون ، كل ذلك يهمل ويلوى عنق الآيات لتخدم فكرته هو دون اعتبار للأصول العلمية فى التفسير والاستنباط وليحاكم اليهودى الى دينه والا فهو كافر وظالم وفاسق وليحتكم النصرانى الى انجيله والا فالوعيد له بالكفر والظلم والفسوق أما المسلم فليحاكم الى أى شىء وليأخذ من أى شىء ، ليأخذ من الوثنية أو من الماركسية أو من القانون الرومانى ، الا أن يأخذ من القرآن او يحتكم اليه ، ارأيتم مغالطة أجرأ من هذا ، ارأيتم تضليلا أشد من ذلك .

* * *

(٢)

يقول الدكتور خلف الله :

(والموقف هو اما أن نستغنى عن الحضارة العلمية الحديثة او نقبلها بكل قوانينها ونظمها التى قد يعجز عقلنا عن الالمام بها) .

ويقول : وأرى وأنتم ترون معى اننا قد اخترنا هذه الحضارة وسيلة من وسائل حياتنا واننا لا نستطيع الاستغناء عنها) هكذا لا أدرى متى فوض سيادته ليختار لنا وليختار نيابة عنا ، ومن الذى اختاره لهذا الغرض .

وتلك مغالطة أخرى لأنه يتصور القارىء من السذاجة بمكان والقارىء يدرك الفرق بين عالم الأشياء وعالم الأفكار .

وليس المحظور نقل الأشياء من هنالك الى هنا لأن الأشياء وسائل والوسائل محايدة خلقها الله هكذا ، فليس منها كفر أو ايمان وليس هناك مثلا طائرة مسلمة وأخرى كافرة أو كمبيوتر مسلم وآخر علمانى ، حتى نفاضل بينهما ، تلك وسائل والمطلوب نقل هذه الوسائل لتتقدم أمتنا ، أما الأفكار فهى شىء آخر : انها النظام والعادات وهى فلسفات ومذاهب يعتنقها القوم العام السائد هناك فى التربية والأخلاق والتقاليد ويطبقونها وهم الآن يعانون من شرورها ويستجيرون منها ويبحثون عن غيرها لما أحدثته فى المجتمع من اباحة وتحلل وفساد ، لكن السيد المحاضر الكاتب يخلط بشكل يوحى بالقصد وسبق الاصرار فى محاولة لقلب الحقائق وتضليل القارىء .

وبدلا من أن يتهم عقله هو بالسطحية فى فهم الاسلام وفهم شريعته بمقاصدها ومراميها ، بدلا من ذلك يطالبنا بابعاد هذه الشريعة بحجة أن الزمن تغير والأحوال استجدت وأوضحت أن هذه الشريعة لم تعد ملائمة للعصر وظروفه .

أما الحضارة العلمية الحديثة فعلينا أن نقبلها كلها بكل قوانينها ونظمها التى قد يعجز عقلنا عن الالمام بها هكذا اذا كان عقلنا يعجز عن الالمام بالحضارة الحديثة فيجب فى نظره أن نقبلها كلها بكل قوانينها ونظمها . وعقله هو لا يعجز عن فهم الشريعة وفهم الثوابت والمتغيرات فيها وفهم نظام الحكم فى الاسلام وطبيعته ولذا يجب أن نستبعد هذا النظام وتلك الشريعة .

ارأيتم حملة فى ضراوتها بمثل هذه الجرأة على شرع الله تعالى أن الجميع يعلم سر هذه الحملة لأن الشريعة بما احتوته من نصوص وأحكام تعوق حركة العلمانيين فى طرح البديل على الساحة العربية والاسلامية ولهذا يجب ازالتها والتشكيك فيها من كل فصائل الماركسيين والعلمانيين المخلصين التقدميين .

* * *

خطة لابعاد الاسلام

وهكذا يتم اغتيال الاسلام جزءا ويتم الكفرية على اقساط ، ويتم تفريغ المجتمع منه بمرور الأيام رويدا رويدا .. وليست تلك المحاولات بجديدة بل ليست وليدة اليوم، انما هى ترديد وتنفيذ لخطة الأسياد فى احتلال بلاد المسلمين فمنذ الحروب الصليبية وهم يعلمون جيدا ومن خلال تجارب التاريخ أن الاسلام هو الدافع القوى والوحيد فى حسم الصراع لصالح أمتنا اذا هى تمسكت به وعاشت فى كنفه وهم يعملون جاهدين على ابعاده عن مجالات الحياة المختلفة وخطتهم فى ذلك تعتمد على النقاط التالية :

أولا : يجب ابعاد الاسلام عن أن يكون رباطا عاما

بين أبنائه فى المشرق والمغرب وطول الأرض وعرضها ، فمن طريق احيـــاء النزعات القومية فى كل بلد على حده يمكن أن تموت المفاهيم والقيم الاسلامية من تلقاء نفسها.

وهذه الضربة النازلة بالاسلام كدين سماوى يجب أن تلحقها ضربات أخرى تنال منه كموجة فردى وجماعى من حيث السلوك والتطبيق .

ثانيا : فصل الدين عن الدولة وعن تقاليد الحيـــاة والمجتمع باستيراد أنماط من السلوك الغربى لتحل محله وتستقر بعد حين فى حس المسلم وشعوره ومن ثم تكون التبعية فى الفكر والحركة والسلوك .

ثالثـا : التشكيك الدائم والمســتمر فى صلاحية الشريعة الاســلامية للتطبيق بحجة تغير الزمان وتجدد حاجات النـــاس وضرورة أعمال العقل واللحـــاق بركب الحضارة الغربية .

رابعا : تجزئة الدين بفصل العقيدة عن الشريعة تحت دعـــوى أن الشريعة شيء والعقيـــدة شيء آخر . فالعقيدة هى حق الله على عباده ، فهو الذى يحددها كما وكيف ، أما الشريعة فموضوعها مصالح العباد ومصالح العباد تتغير بتغير الزمان والمكان فلا داعى لتوريط الدين فى مســـائل متغيرة ومن أراد أن يمارس دينه فالمســـجد مفتوح ولا بأس عند القوم أن ينحصر الاسلام فى المسجد مؤقتا ثم بعد ذلك ينزوى ويذبل وتخمد أنفاسه .

خامسا : بتر الشعور الاسلامى وشعور الأخوة بين المســلمين عموما والعرب خصـــوصا باعتبـــارهم رأس الاسلام وأهل بعثه التى يعلق بها كتاباتهم .

سادسا : زرع الفتن واشعال نار الحروب بينهم لتأكل ما قد يتنامى مع الزمن من قوتهم وليظلوا هكذا فى دائرة العجز والتبعية والتخلف .

* * *

تلك هى الخطوط العريضة منذ الحروب الصليبية وحتى الآن وهم يمارسونها معنـــا ويشيعونها بيننا عن طريق أناس من بنى جنسنا يتسمون بأسمائنا ويعيشون فى بلادنا ، ولكن قلوبهم هناك وعقولهم صنعت هنـــاك وولاءهم لكل فكرة تولد هناك وبعد أن عاد لويس التاسع الى بلاده بعد فشل حملته على مصر وأسره فى دار القاضى ابن لقمان كتب خلاصة تجربته لاحتلال بلاد المســلمين وكان فى مقدمة ما أوصى به النقاط التالية :

١ ـــ أن تســـبق الجيوش التبشرية الجيـــوش العسكرية .

٢ ـــ قطع الصـــلة بين المسلمين وبين المفـــاهيم الحقيقية لديهم لأنه مصـــدر قوتهم وجهدهم وصلابتهم فى المقاومة بدعوى النعيم الذى يعده للشهداء منهم فى جنة الخلد .

٣ ـــ تصوير الدين الاسلامى على أنه مصدر خطر على الولاة والسلاطين وتصوير المتدينين على أنهم أهل عنف وقلاقل واضـــطرادات ومن ثم يجب محـــاصرتهم وتحجيم نشاطهم .

* * *

٤ ـــ زرع جسم غريب يفصل بين المشرق والمغرب خصوصا بين الناطقين بالعربية لغة الكتاب وذلك ليتعذر بينهم فلا يجتمعون فى وحدة .

تلك هى خلاصة تصورات القائد لويس المهزوم فى مصر واذا فالكلام الذى تسمعه اليوم وتقرؤه ليس جديدا بل هو ترديد لمقولات ســـابقة وخطط دبرت هنـــاك فى عواصم العداء والحقد كشفت عنها الأيام السود والليالى المظلمة التى عاشتها بلاد المسلمين تحت الاحتلال وبعيدا عن مظلة الاسلام بشريعته العادلة .

والموقف واضح فى تلك الدعوات العلمـــانية التى تجرد الاســـلام من أخص خصائصه وأهم مزاياه وهى الشريعـــة التى تنظم المجتمع وتحـــكم الحياة وتســـعد الأحياء .

أنهم يريدون الفصـــل بين العقيـــدة والشريعـــة ليتساوى الأسلام والحالة هذه بالنظام الكنسى هنـــاك حيث ظلام الروح وضباب النفس وجدب الضمير وليخلوا لهم الجو فيطرحوا فى الساحة الاسلامية بدائلهم .

والعقل يتساءل أحيانا فى حيرة : لصالح من تروج هذه الدعوات .

الغريب فى العلمـــانيين أنهم يربطونهـــا بالتقـــدم والتطور والوطنية .

وأحيانا باسم الحرص على دين الاســـلام الحنيف حتى لا يتورط فى شامل الحياة المتغيرة .

وتحت هذه الدعوى تلغى الخلافة الاسلامية وتلوى عنق الآيات ليكون المقصود بآيات الحكم بما انزل الله : هم اليهود والنصارى وليس المسلمون .

* * *

فالدكتور محمد خلف الله يصور فى كتاباته التشريعات النبوية على أنها :

● اجتهاد بشر يخطىء ويصيب وليست ملزمة لنا .

● كما يهـــدر ما ورد فى القرآن الكريم والســـنة النبوية من أحكام بدعوى أنها غير ملائمة للعصر .

● يعطل آية الفيء والغنيمة على اساس أن الزمن تغير .

● يسمى بيـــان الرسول الكريم للقرآن الـــكريم والسنة المبينة بأنه اجتهاد بشر .

● يرى أن النصـــوص القرآنية غـــير قادرة على تحقيق المصالح العامة للمجتمع الاسلامى .

● يرى أن بعض احـــكام القـــرآن الواردة فى النصـــوص القطعية اصبحت غير صالحة للتطبيق وغير عادلة بسبب تغير الأزمان والأحوال .

● يدعو الى ترتيب جديد لسور المصحف الشريف غير الترتيب الذى عليه القرآن الآن وقد رد عليه كثير من العلماء .

والويل لمن يتخلى عن مسئوليته ويخون الأمانة .

* * *

(٤)

أربع قضـــايا هامة اثارها الدكتور محمـــد احمـــد خلف الله فى مقـــال له تحت عنوان (الاســـلام والتراث الاسلامى) العربى يناير ١٩٨٧ رد عليها الدكتور عجيل النشيمى (كلية الشريعة جامعة الكويت) .

القضية الأولى : الاســـلام شىء والتراث الاسلامى شىء آخر .

حيث يفرق الدكتور بين الاسلام والتراث الاسلامى بطريقة خاطئة من الناحية العلمية ، حيث يذكر الدعوى ثم يستدل على صحتها من نفس ما ادعاه ، فقد وضع هو عنوان (الاسلام والتراث الاسلامى) ثم قال : ان العطف بالواو يقتضى المغـــايرة فهما عنصران متغايران وهـــذه مصادرة على المطلوب ، لا يصح بحال أن تكون الدعوى أو جزء منها دليلا على نفس الدعوى ثم يعرف الاســـلام بالمعنى العام تعريفا سليما لكنه حين عرف التراث .

لم يصب اسلامه حين قال : (والتراث الاسلامى هو ما ورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم فى تفاعلها مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية) .

وهذا تعريف غير سليم فى جملته ، فان قيل ان كل ما خلفه فقهاؤنا وعلماؤنا وفلاسفتنا وكل ما خلفه غيرهم من علمائنا تراث فهذا صحيح ، لكن لا يصح وصف ذلك كله بأنه (نتـــاج عقولهم) وانمـــا يعبر عنه بمثل : فهم الفقهاء للنصوص فهو كذا أو اجتهاد الفقهاء فهو كذا ، لأن قول الفقيه لا يرجع فى حقيقة الى محض عقله وفـــكره ، بمعنى أن يكون من بنات أفكاره ، لأن النصوص الشرعية حاكمة على الفقيه وعقله وقد يوافق العقل ما يقتضـــيه الشرع وقد لا يوافقه بمعنى أن لا تظهـــر له الحكمة فيه ومع ذلك يسلم الفيه بمقتضى الشرع ويكون الحكم له ، فهـــل يقال لهذا أنه من نتاج عقـــولهم .ثم أراد الدكتور خلف الله أن يستدل على هذه التفرقة من جهة أن مصـــدر الاسلام يختلف عن مصـــدر التراث ، وقوة الالزام بينهما يختلف فقال : ان مصـــدر الاسلام هو المولى ســـبحانه وتعالى ومصدر التراث الاسلامى هو العقل البشرى الذى تفاعل مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية .

ونحن نقول : ان قوله بأن مصدر الاســـلام هو الله تبارك وتعـــالى حق لا يمارى فيه أحد ، ومن هنـــا كان التشريع ملزما ومقدسا .

لكن منـــاظرة ذلك ومقابلته بالدعوى الثـــانية غير مسلم به على اطلاقة ، **لأن قول الفقيه المجتهـــد اذا كان كاشفا لمدلول النصوفق قواعد الاستنباط واصوله يختلف** لا يختلف فيه الفقهـــاء المجتهدون ، فهو ملـــزم لأنه ليس تشريعا جديدا ، ولا رأيا من بنات افكار الفقهـــاء ، وانما هو فهم سليم لمراد النص .

ثم انتقل الدكتور خلف الله الى قضية الالزام فقال :

(الذى يملك قوة الالتزام الدينى هو ما يكون دينا ،

هو ما يكون مقدسا ، أما غير الدين فيملك قوة الزام اخرى هى الالزام الأدبى .

ونقول : ان قضية الالزام راجعة عند فقهاء المسلمين دون شذوذ من احد الى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كأدلة متفق عليها ويلحق بهما — كأدلة متفق عليها ايضا ، الاجماع والقياس ، ودور الفقهاء المجتهدين فى ذلك بيان المراد من النص ، أو تحقيق أن القضية مجمع عليها واثبات ذلك ، أو أن شروط القياس المعتبرة متحققة فى الفرع تحققها فى الأصل .

حتى فى دائرة الفروع الفقهية لم يقل احد أن الزامية الأحكام فيها الزام ادبى بل هو الزام شرعى ، وغاية ماهناك ان فيه سعة فى التخيير بين هذا الحكم عند هذا الفقيه المجتهد او الحكم عند مجتهد آخر ، تبعا لقوة دليل كل منهما .

القضية الثانية : ان الشريعة ملزمة والتشريع غير ملزم .

يميز الدكتور خلف الله بين الشريعة والتشريع ويفرق بينهما ، فيعتبر الشريعة هى ما كان من وحى الله وبيان النبى صلى الله عليه وسلم مما هو نص قطعى الدلالة ، أما التشريع فيكون فيما لا نص فيه ، وهو محل الاجتهاد العقلى المحض ، وهذه تفرقة لم نعرفها فى الفقه أو أصول الفقه الاسلامى ، بل أن المعروف عند الفقهاء الأقدمين والمحدثين أن المراد بالشريعة هو الأحكام التى سنها الله تعالى لعباده على لسان رسول من رسله وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى شاملة لما يدخل فى دائرة الأفعال والعقائد والأخلاق . واشتق من لفظ الشريعة كلمة (شرع) بمعنى انشأ الشريعة أو سن الشريعة ، واذا فهمنا كلمة الشريعة كما ذكر الدكتور خلف الله ، أى فيما هو نص صريح قطعى الدلالة فان قسما كبيرا من القرآن الكريم ليس كذلك ، اذ أن دلالة الفاظ القرآن قد تكون قطعية وقد تكون ظنية .

وقد اعتبر الدكتور الاجماع والقياس من قبيل (مالم يرد به نص) وبالتالى للعقل البشرى أن يرد من الاحكام ما كان مستنده ودليله الاجماع والقياس باعتباره نتاج عقول بشرية .

والصواب فى ذلك أن الاجماع والقياس دليلان مرجعهما الى اعتبار الكتاب والسنة ، واذا فهما باجماع الأصوليين من الأدلة المعتبرة ، وثبت بهما الأحكام الشرعية ، فما كان دليله الاجماع والقياس لايرد باعتباره نتاج عقول بشرية كما ذكر .

القضية الثالثة : تعديل النص والاجتهاد مطلق فى المعاملات .

ثم يتناول الدكتور خلف الله قضية دقيقة هامة وهى امكان تغيير ما ورد فيه نص قطعى من القرآن الكريم أو تبديله ، وقد استخدم لهذا الغرض عبارة (تعديل) وهو تعبير غير موفق ، لما يحمله من افتراض وجود خطأ أو عدم ملاءمة أو اعوجاج فى النص القرآنى القطعى ، وأن دور العقل حينئذ هو تعديل ذلك النص .

واذا امكن القول بهذا ، فانه لم يبق للنص مزية ولا حجية ولا قدسية ، وفى هذا نقض لأصل الأدلة الشرعية المعتبرة وهو القرآن الكريم .

يقول الدكتور خلف الله : (لا حق لنا فى ادخال اى تعديل على الحكم الذى ورد فيه نص صريح قطعى الدلالة وارد مورد التكليف وهذا هو الأصل التشريعى ، لكن هذا لن يحول بيننا وبين أن ندرس القضية على أساس آخر ، هو قدرة العقل البشرى فى ادخال التعديلات ، فهل يستطيع ذلك ؟

* * *

القضية الرابعة : اذا عارض النص المصلحة يؤخذ بالمصلحة ويقدم العقل على النقل .

وقد أخطأ الدكتور خلف الله فى هذه الدعوى فى ثلاث قضايا علمية :

١ — فى المراد بكلمة المصلحة فى الشريعة الاسلامية .

فمما لا شك فيه ولا خلاف ، أن الشريعة الاسلامية فى جميع احكامها الكلية والتفصيلية قد راعت تحقيق مصالح العباد فى أمور دنياهم وآخرتهم وهدفت الى ذلك ، الا أن ما ينبغى أن يعلم على وجه اليقين هو أن المصلحة ليست دليلا منفصلا ، أو مستقلا ، عن ادلة الشريعة الأخرى ، اذ لو كانت المصلحة دليلا مستقلا لكانت وحدها كافية فى بناء الأحكام الشرعية عليها ، ولكان العقل مستقلا بتشريع الأحكام . ولكى لا تكون المصلحة قضية عامة غير منضبطة فقد وضع لها الأصوليون الضوابط التالية :

١ — ألا تعارض المصلحة الكتاب الكريم او السنة المطهرة .

٢ — ألا تعارض المصلحة القياس .

٣ — ألا تفوت المصلحة مصلحة اهم منهـا او مساوية لها .

٢ — فى معنى تغير الأحكام بتغير الأزمان وبالتالى تغير المصالح .

أما هذا الموضوع فقد فهمه الدكتور خلف الله على غير المعنى العلمى المـراد منه ، فهم منـه أنه ما دامت الأحكام مربوطة بالمصالح ومنوطة بها والمصالح تتغير من زمن الى آخر ، ومن مكان الى آخر ، فان الأحكام تتغير حينئذ بتغير الزمن .

لقد تعد علماء أصول الفقه هذا الموضوع ووضعوا له قاعدة مستقلة براسـها : هى قاعدة (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان) .

وقد حدد الفقهاء وعلماء أصول الفقه الاطار العام لمـا تنطبق عليه هذه القـاعدة وهو القضايا الاجتهادية التى بنيت على أساس من القياس ، أو على أساس من المصلحة .

٣ — استناده الى رأى (الطوخى) فى تقديم العقل على النقل اذا عارضت المصلحة النص .

استند الدكتور خلف الله لتأييد رأيه فى أن المصلحة مقدمة على النص اذا تعارضا الى رأى نجم الدين سليمان ابن عبد القوى الطوخى .

وقد أجمع علمـاء الفقه والأصـول على أن رأى الطوخى شاذ خرق به اجماع الأئمة ، والشاذ لايبنى عليه رأى ، وقد ناقشه كثير من العلمـاء ، وردوا عليه وفندوا رأيه وأدلته وأصبح من المسـتقر عندهم أن قوله هـذا لا يعول عليه .

أما قضية أن العقل مقدم على النص فهذا قول من جنس سابقه ، والقول به يبطل الشريعة فى نصوصـها المحكمة قطعية الثبوت والدلالة ، وهذا مالا يقبل من أحد. يقول الامام الشاطبى : لو جاز للعقل تخطى مأخذ النقل لجاز ابطال الشريعة بالعقل وهذا مجال باطل .

ثم يذكر الدكتور خلف الله ثلاثة أمثلة للاسـتدلال على أن العقل يحكم ، بحكم الاستمساك بالنص ، قـد يكون فيه اضرار بالصالح العام ، ولذلك ينبغى أن يقدم حكم العقل ويبطل حكم النص .

المثال الأول : ما ورد بشأن توزيع الغنائم فى قوله تعالى :

(واعلمـوا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسـه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)

فيرى الدكتور أن نظام توزيع الغنائم نظام مناسب للزمن السابق حيث كان القتال تطوعا ، أما الآن فالدولة هى التى تنظم هذا الأمر فينبغى تعديل الآية لذلك) .

ونقـول ردا على ذلك : أنه لا يمكن أن تكـون النصوص القرآنية مصادمة لمصلحة حقيقية ، وحين يضع القرآن نظاما ما فانه لا يضعه لزمن دون زمن ولا لمـكان دون مكان .

وينبغى أن نعرف هنا ، أن الشارع الحكيم قد راعى من وراء نظـام توزيع الغنـائم تحقيق مصـالح فردية واجتماعية فجعل مصرف الخمس لمصلحة الدولة ، تنفقه فيما يعود عليها فى مرافقها أو جيشها بالاصلاح أو القوة والمنفعة ، وهـذا معنى (فان لله خمسه وللرسـول) فمـا كان لله ولرسـوله فمرجعه الى مصـالح الدولة الاسـلامية وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسـلم اجتمع رأى الصحابة على أن يجعلوا سـهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم أولى القربى فى الخيل والعدة فى سبيل الله .

واعطاء الغانمين من الغنيمة راجع الى أصل عظيم فى الاسـلام وهو أن الجهـاد فى سـبيل الله هو ذروة سنام الدين .

وهذا المعنى الايمانى انما يناسبه التجرد من الأجر المـادى فى الدنيا ، وليس طريقا للتكسب ، وانما هـو طريق للجهاد .

المثـال الثانى : ابطل الدكتور الآيات التى انزلت بشأن الرق بدعوى أن الرق لم يعد موجودا الآن ، وينبغى أن تعدل الآيات التى تعتبر الرق كفارة عن بعض الأمور ويترتب على قوله هذا ابطال الآيات الواردة فى سـورة النساء آية ٩٢ وفى المـائدة آية ٨٩ ، والمجادلة الآيتان رقمى : ٣ ، ٤ والبلد الآيتان ١٢ ، ١٣ .

ولا شك أن تعديل أو تعطيل هـذه الآيات دعوى لا يمكن أن تقبل من أى وجـه كان ، ذلك فى المقـاييس الاعتقادية الاسلامية .

والذى يثبته التـاريخ أن الاسلام حين أطل على البشرية كان الرق يملأ طبـاق الأرض فبدأ بعـلاج تلك البلوى العـالمية بطريقة تدريجية ناجحة ، فعمـل على تجفيف مصادر الرق وفى نفس الوقت وسع طريق تحرير الأرقاء وأكثرها .

والاسـلام حين عالج قضية الرق راعى فى علاجه وحكمه استمرار مطاردة الرق فى كل زمان ومكان ، لعلمه تبارك وتعالى أن الرق لا ينفك منه البشر ، وهو موجود فى كل زمان ، وأن انقطـع فى زمن ما — ولم ينقطع — فانه يعود فى زمن لاحق .

أما كون العتق كفارة من الكفارات فليس فى هـذا اشـكال مع عدم وجود الرق ، لأن العتق كـكفارة انما طلبه الشرع عند وجوده ، وجعل الأمر فيه راجعـا الى خيار من عليه الكفارة ، فان لم يوجد أو لم يختره انتقل الى غيره ، مماهو منصوص عليه فى الآيات الكريمة وليس هناك ما يستدعى تعديل أو تعطيـل الآية لمجرد تغير الزمان وندرة الرقيق أو انعدامه .

المثال الثـالث : بشأن الآيات الواردة فى عقـوبة جريمـة الزنا قال الدكتور خلف الله : أن جريمـة الزنا لا يمكن اثبـاتها اليوم عن طريق الشـهود الذين يرون العملية رأى العين ، ويترتب على قوله هذا ابطال الآية الثالثة من سورة النور فى عقوبة الجلد للزانى غير المحصن وعقوبة الرجم للزانى المحصن ، الواردة فى السنة .

لقد اعتبر الاسـلام جريمة الزنا من أكبر الجرائم وأخطرها ، لأنها تدخل فى دائرة الاعراض التى اعتبرها الاسلام احدى الضرورات الخمس وهى (الدين والنفس والمال والعرض والعقل) ولكن لمـا كانت هذه العقوبة شديدة ، ناسبها أن يتشدد الاسلام فى طريق اثباتها .

ولا يعنى تشديد الاسـلام فى وسائل الاثبات ترك الجريمة تستشرى فى المجتمع المسلم ، لكن اعتبر الجانب الوقائى فى قضايا الأعراض أهم من الجانب العقابى لأن جريمة الزنا والجرائم الخلقية فى جملتهـا جرائم خلقية ، لا تقع الا فى أماكن آمنة كالبيوت التى لا يمكن دخولهـا لغير أهلها ، ولو تساهل فى وسائل اثباتها — والحـال هذه — لتناول أناس أعراض آخرين ولشاع فحش القول فى المجتمع ، ولذا اهتم الاسلام بالجانب الوقائى الناجع فسد الذرائع والطرق المؤدية الى وقوع هذه الجريمة » .
ا . هـ

(٥)

(الدكتور خلف الله : لماذا هذه الحيرة والتقلب ؟)

الحقيقة اننـا نرثى للدكتور خلف الله بعد هـذا التاريخ الطويل الذى أمضاه مترددا على أبواب الهيئات والأحزاب من أجل الشـهرة وذهابه الى كل بلد عربى : الكويت ، أبو ظبى ، دمشق ، وغيرها من أجل اعلان آراء مثيرة تزعج السامعين ، وتكشف عن الكراهية الشديدة للاسلام سواء من حيث انتمائه الى الماركسية أو من حيث انتمائه الى البعث ومن حيث تفضيله البعث على الناصرية — وهما فى خصومة الاسلام سواء .

ولقد استهل الدكتور خلف الله حياته بتلك المكيدة الشديدة السـخرية بالاسلام وهى ادعاء أن القصـص القرآنى من عمل الرسول ، وأنه فن يجوز فيه الخيـال والكذب ،وكان لهذه الدعاوى رد فعل شديد ، حتى أن مجلس الجـامعة رفض منحه الدكتـوراه وكان الدكتور خلف الله قد نشأ فى محيط طه حسين وأمين الخولى من ناحية وساطع الحصرى وميشيل عفلق من ناحية أخرى فضلا عن اتصاله بالجناح اليسارى المـاركسى فى الوفد القديم ومن هذا الخليط العجيب تكونت ثقافته التى أريد لهـا أن تمثل من بعد ما يسمى اليسـار الجرىء على الاسلام بدعاواه التى لا تثبت كثيرا أمام المفاهيم الأصيلة والفقه الاسلامى الحقيقى على النحو الذى تكشفت عنه هذه المراجعات التى قام بها أعلام من الفكر الاسلامى ، وقد تطاولت هذه الجرأة حتى اعتبرت الاسلام (دين الله الخـالد الخاتم) جزءا من القـومية العربية فى دعاوى عريضة مضللة يقوم بها رجل مسلم مثل الدكتور خلف الله للحصول على اعجاب ورضاء مثل ميشـيل عفلق وغيره وعندما يقترن الفكر الماركسى بالفكر القومى عند مجموعه من الكتاب البارزين اليوم أمثال أحمد بهاء الدين وخلف الله وغيرهما فاننا لا نستغرب هـذا الهجوم الذى يجمع بين الشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامى ، فى وقت معا .

ولقـد عاش خلف الله على مفهومه المغلوط الذى كونته هـذه الصلات والثقافات يرى الاسلام (دينـا بمفهوم اللاهوت) ويراه أحـد روافد القومية وعنده أن الاسلام عقيدة وشريعة وليس نظاما للحكم .

وكان يقول بهذا ساطع الحصرى وطه حسـين وأمين الخولى وجميع زعماء الشعوبية فى العصر الحديث ولعل الدكتور خلف الله هو الذى كشـف أوراق ساطع الحصرى بعد أن عمل معه فى معهـد الدراسات العربية حيث يقول أن سـاطع الحصرى قال له . أنه لا يؤمن بالقومية العربية (الأهالى ١٩٨٥/١٠/٢٣) .



الفصل الثانى

دحض شبهات زكى نجيب محمود

١ ــ انكار الثوابت كلية .

٢ ــ افضلية الحاضر على الماضى .

٣ ــ التحول الحضارى .

كتب الرد (**الدكتور احمد عبد الرحمن**)

القضية الأولى : يقرر الدكتور زكى نجيب محمود ان القيم الاسلامية أو العربية ثابتة مطلقة مثل الحقائق الرياضية ، وتبعا لذلك لا تتغير مع تغير الزمان ، لكنه يستنكر الثبات لأنه يصطدم مع الفلسفة النسبية التى تطبع العصر بطابعها . والحق أن بعض القيم دون الكل يتصف بالثبات والاطلاق لكنه يعمم صفة الثبات والاطلاق لتشمل (المبادىء كلها) والقواعد كلها التى تهدى الانسان فى نشاطه ، كائنا ما كان ذلك النشاط من عبادة العابد الى فروسية الفارس ومن توقيعات الموسيقى الغناء الى تخيلات وتفعيلات الشاعر (ثقافتنا فى مواجهة العصر) .

انه يؤكد خضوع النشاط البشرى كائنا ما كان لحكمه ثم يعدد ضروب النشاط فاذا هى شاملة لكل شىء من عبادة العابد الى تفعيلات الشاعر .

وسر التطرف واضح فى هذا الحكم وضوحا ساطعا فالعقيدة توضع مع الموسيقى فى زمرة واحدة وينزل عليها الحكم بالبائر العنيف بالخضوع لمبادىء منزلة من السماء ثابتة مطلقة ، والدكتور زكى يبغى من وراء ذلك افزاع العقول وترويعها من هذه الثقافة الثابتة التى تكبل خلق الله بمبادئها دون تمييز بين عقيدة وأخلاق ونظم ومصالح وشعر وموسيقى ، ثم بعد ذلك يصف لها البديل الأوربى المعاصر وصفا شيقا يقويها على قبوله فيقع فى حكم آخر كلى بتار .

الثابتة فكرة قديمة اخذت بها عصور مضت وحكمه ينصب على كل فكرة وكل قيمة كائنة ما كانت .

ثم انه يعود الى توكيد هذا الحكم القاطع ويزيده احكاما ، فيقول : ان المذاهب المعاصرة (تكاد) كلها تجمع على تحليل كل شىء الى ظواهره المتغيرة دون أن تزعم وجودا لأى كائن ثابت وراء تلك الظواهر فهو يتحرز باستعمال (تكاد) لأنه يعلم يقينا أن المذاهب المعاصرة لم تجمع على (النسبية) لكنه يريد الايحاء الى القارىء بوجود الاجماع ولذلك يتبع لفظ (تجمع) بلفظ (كل) وهما عدة الأحكام الكلية ، لكن تكاد هذه لا ترفع بلاء ، بعد أن اصدر احكامه البتارة الكلية ، تلك التى جاءت فى العبارات السابقة التى اقتبسناها من كلامه بحروفها ، فمجمل كلامه فى القضية هو الحكم الكلى بأن المذاهب المعاصرة تقرر أن كل (القيم) كائنة ما كانت نسبية أو مجرد وجهات نظر فالعدل والحق والجمال والوفاء للصديق والمعاهد وبر الجار والشجاعة والصدق ، وكل ضروب البر والايثار ليست قيما ثابتة بل هى مجرد وجهات نظر قابلة للتغيير فى أى وقت .
ذلك أن القيم العصرية (على نقيض قيمنا العربية ــ الاسلامية) من صنع البشر ، اى من صنع أيدينا نحن وليست مفروضة علينا من اى جهة .

ويقول الدكتور زكى : أن وقفة العصر من القيم ، تحيل كل قيمه الى وجهة نظر ذاتية ، ويقول أن عصرنا هذا قد استدبر كل فكرة تأخذ بمطلق من المطلقات الكثيرة التى كانت تأخذ بها العصور الماضية ومنها القيم : أخلاقية كانت أو جمالية أو كائنة ما كانت .

ومعنى كلامه هنا أن الفلسفة المعاصرة لم تعد تعترف بشىء اسمه (القيم الثابتة) أو المطلقة ، فقد ثبت لها اذن أن القيم مجرد وجهات نظر تتباين وتتغير من عصر الى عصر بحسب الذوات التى تنظر فان فكرة القيم

والحقيقة التي يعرفها الدكتور زكى ويعرفها دارسو الفلسفة المعاصرة ، والحديثة : ان النسبية ونقيضها موجودان فى الفكر الحديث والمعاصر والثلاثة المعاصرون المشهورون الذين تبنوا المذهب المضاد للنسبية هم (ادموند هيرل ، وماكس شيلر ، ونيكولاى هارتمن) هذا فضلا عن كانت ويتلر وسيد حويك ومور فى الفلسفة الحديثة .

فنحن هنا بازاء جسارة فظيعة ومجازفة مروعة تتغافل الحقائق المعروفة للجميع من تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة فضلا عن تجافيها عن روح العصر والتدقيق اللذين يجب أن يلتزم بهما صغار الكتاب وكبارهم ، أليس هذا هو سر التطرف .

القضية الثانية : يحكم الدكتور زكى نجيب محمود على الماضى عامة بدون تحديد حكما كليا بأنه أقل صلاحية من الحاضر فيقول :

ومعنى ذلك فى عبارة صريحة : هو أن الماضى دائما — وفى كل الظروف أقل صلاحية من الحاضر (دائما وفى كل الظروف) .

فانظر الى توكيده القاطع الباب الذى لا يكفيه (كل) فيسبقها بـ (دائما) وعلام يحكم : على الماضى وما الماضى ، انه كتلة هائلة من العلوم والعقائد والشرائع والنظم والمذاهب الفلسفية والأخلاقية والآداب والفنون والحرف والعادات والتقاليد .. الخ .

هذا الماضى بتنوعاته الهائلة وتبايناته الواسعة ومضامينه الغزيرة يوضع كله تحت حكم واحد كلى ، وكذلك الحاضر ، بقنابله الذرية ، والهيدروجينية ، ومظالمه الاجتماعية وانحرافاته الأخلاقية وعلومه وصناعاته المتقدمة الرائعة ، كل هذا يوضع معا دون تمييز أو تصنيف ، ويطلق عليه حكم واحد صارم حاسم ، كأنه يوازن بين مقعد خشبى متهالك أضنى عليه الدهر وآخر من أحدث طراز فلا مجال للتردد فى الحكم والاختيار

ونحن نسلم بأن العلوم المادية والتكنولوجية افضل وأحسن وأعظم من نظائرها فى الماضى ، ولكننا ننكر ان يكون الالحاد المعاصر اكثر صلاحية من التوحيد (التقديم) بالمقاييس المادية الدنيوية وبالمقاييس الأخروية ونحن ننكر أن القيم الخلقية فيها قديم وجديد ونعتقد أن عصرنا هذا (خصوصا فى أوربا وامريكا) اقل التزاما بقيم العدل والوفاء والصدق وبر الجار والايثار من عصور اخرى مضت ويكفى أن نتذكر أنه العصر الذى أجاز زواج الرجل من الرجل قانونا ، وأنه عصر اللواط والايدز ، لكى نحكم (وأن لم نقطع ونعمم مثل الدكتور زكى) بأنه ليس اكبر صلاحية من عصور مضت من هذه الجهة بالذات .

واذا كانت أوربا ابتدعت قيما خلقية جديدة فاننا نرجو من أستاذنا أن يكشف لنا عنها وسوف نشكره على ذلك .

ولكى لا يختلط علينا الأمر عاد الدكتور زكى الى هذه المسألة وأعنى أفضلية (الحاضر على الماضى) ليقرر نتيجة مهمة ، وهى : استحالة أن يكون الماضى أكثر رشدا من الحاضر ، وأخصب فكرا وأهدى سبيلا فهو يؤكد على الامتياز فى النواحى الأخلاقية والدينية والفكرية والمعنوية ونحن نظن أن التفوق فى الرشد والهداية ليس صحيحا ، ويكفى أن نتذكر أن الحرب العالمية الثانية أبادت (٦٠ مليون انسان) والانفاق الجنونى بالملايين على التسليح ووجود بلايين الجياع فى العالم ليس دليلا على الرشاد والهداية ولا نحسب أن الاستعمار القديم والجديد — والديون هى آخر أشكاله — هو من قبيل الارشاد والهداية ، اللهم الا اذا كان لكل هذه الألفاظ معان خاصة عند الدكتور زكى نجيب محمود .

ونتيجة النظرة نفسها يصدر الدكتور زكى حكما يحرر فيه الحاضر من سلطة الماضى فيقول : لا حكم لماض على آت .

والبرهان عنده يمضى هكذا : (اننا فى تحول واذن فنحن فى تغير واذن فلا حكم لماض على آت) فهذا حكم كلى سالب .

والماضى والآتى ، كما قلنا ليسا مجرد جملة واحدة مكونة من مبتدأ وخبر ، حسب تعبير الأستاذ نفسه — بل مركب هائل من المتباينات ولكن الحكم يصدر باتا قاطعا دون اعتبار للحقيقة ليواجهنا (سر التطرف) مرة أخرى .

***

ويحرر الدكتور زكى أعمال المتكلمين والباطنية والفلاسفة الأقدمين والصوفية من كل قيمة منطلقا من نقدات الامام الغزالى لهذه الطوائف فيقول :

ان المسائل التى تشغل دنيا اليوم ليست هى مسائل المتكلمين والباطنية والفلاسفة الأقدمين والصوفية فكل ما قاله هؤلاء مجتمعين لا يغنى فتيلا (لا أقول فى دفع

صاروخ فى الفضاء) بل أقول أنه لا يغنى فتيلا فى اعداد المواطن المعاصر تجاه مواطنيهفى قومه وتجاه سائر الناس فى سائر الأقوام فهو هنا يقرر أن المسائل اليوم غيرها فى القرنين الرابع والخامس الهجريين وهذا غير صحيح على اطلاقه فثمة مسائل جديدة تماما ومسائل قديمة مستمرة ، مثل قضايا الوجود والانسان والألوهية والأخلاق والمسائل اللغوية والأدبية والباحث المعاصر يستفيد مما قالوه ، وقد استفاد الدكتور زكى نفسه فى هذه القضية من نقدات الغزالى لمعارضيه وقد استفاد الطلاب والدارسون والمؤلفون من مؤلفات القدماء ابتداء من هومير و (هزلود) الى سارتر وكارل ياسبرز فى بناء مذاهبهم الفلسفية والأدبية والاجتماعية لا فى كتابة الفكر الفلسفى فحسب .

* * *

ثم يتناول علم علمائنا وفقهائنا المعاصرين بحكم كلى قاطع ، يقرر أنه كله حفظ وروايتهم كلها حفظ ، كما قال التوحيدى فى علماء عصره مضروبا فى ألف .

وهذا هو سر التطرف ينكشف أمامنا فى أزهى صوره ، فعلماء الاسلام وفقهاؤه جميعا يوضعون فى علبة واحدة ، كأنهم أعواد لا اختلاف بينهم ولا تمايز (محمد عبده ، رشيد رضا ، مصطفى صادق الرافعى ، حسن البنا ، سيد قطب ، المودودى ، الندوى ، محمد الغزالى وآلاف غيرهم ، كلهم آلات (ريكورد) صماء لاتفهم ولاتعقل ولاتفكر ولاتستطيع تبعا لذلك أن تجتهد أو تبدع ولم يشبع هذا الحكم الباتر نهمة الأستاذ فى القطع فضربه فى ألف ، ولا معنى لذلك مطلقا الا اعطاء الانطباع بأنه لا يفكر بل يتشاجر فليس فى الفكر الموضوعى حكم كلى مضروب فى ألف ، موضوعه آلاف مؤلفة من علماء الأمة وفقهائها لهذا قلت وأقول : انه سر التطرف يتبدى فى أزهى صورة رسمها فيلسوف .

* * *

٣ ـ التحول الحضارى

وحين يتحدث عن التحول الحضارى فى بلادنا يحكم بأنه لا تحول الا اذا بدأناه من الجذور ، من المبادىء نقتلعها لنضع مكانها مبادىء أخرى فنستبدل مثلا عليا بمثل كانت عليا فى أوانها ولم تعد كذلك .

« لا تحول » هذا هو الحكم الكلى وشرط التحول عنده هو : الاحلال الثقافى الجذرى ، أعنى استبعاد قيمنا العليا واحلال القيم العصرية محلها ، وهذا هو ما يسمى (التغريب) أى صبغ ثقافتنا بالصبغة الغربية بعد عملية (غسيل ثقافى) شامل للأمة .

* * *

ثم يأتى حكمه الذى ينص على أنه (لا معرفة مما يصح أن تسمى علما الا اذا بدأت بتجربة الحواس : ويعرف دارسو الفلسفة أن كبار الفلاسفة يخالفون الدكتور زكى فى هذا الحكم الكلى السالب) .

ويعد كانت وبرجسون وهيرك وسارتر من أهم هؤلاء فهم يؤكدون وجود معرفة غير حسية ، وهى عندهم علم بل أن بعضهم يرى أنها وحدها العلم اليقينى الحق .

(٣)

الدكتور زكى نجيب محمود

رد الدكتور عبد المنعم النمر

لما كانت الثقافة حالة روحية او معنوية أو وجدانية تتكون من هذه العوامل ، فقد اختلفت الثقافات وكان لكل امة ثقافة ولكل ثقافة طابعها المميز لها ، وكان الخطر ينقل ثقافة أمة الى أمة تعتز بشخصيتها كما تنتقل ظواهر المدنية من علوم وصناعات وكان من اهدار الأمة لكيانها الخاص بها أن تقبل كل شىء ورد اليها من خصائص ثقافة أجنبية عنها وهو ما يسمى بالغزو الثقافى لهذا كان من خصائص ثقافتنا مثلا هذا التراحم الأسرى فان من الجناية عليها أن ينقل الينا هذا التقطع الأسرى عند غيرنا ونقول : الغرب أو الشرق يفعل هذا فلنفعله وهذا هو الذى نعنيه حين نناهض ونحارب الغزو الثقافى وليس معنى حفاظنا على ثقافتنا وشخصيتنا أن تهدر الجوانب العلمية او المادية ، بل لابد من رعايتها وتنميتها أقوى ما تكون الرعاية والتنمية على الا يكون هذا على حساب الجانب الروحى والثقافى لنا .

فالمجتمع الاسلامى كمايريد الاسلام يطير بجناحين : روحى ومادى ولابد من التناسق والتوازن بين حركة الجناحين كما يفعل الطائر حتى لا يسقط فنحافظ على الحالة الروحية أو المعنوية لنا وننطلق للحياة وما بها من علوم وصناعات .

لقد كان هذا ما اتفقنا عليه أنا والدكتور سليمان حزين والدكتور زكى نجيب محمود ، غير أن الدكتور زكى

نجيب قد عاب منذ نحو أسبوعين ما حرصت عليه التوصيات من تدعيم المعنى الروحى والدفاظ عليه من الغزو الثقافى وقال قولة غريبة بعيدة جدا عما قرره هو فى البحث المقدم منه قبل ذلك ، حيث اعترض وقال : كيف تحاربون الغزو الثقافى وقد سبقكم من غزاكم بالتليفزيون والاذاعة والكمبيوتر والطائرة الخ . فهل هذه الأدوات غزو ثقافى أم أنها من المبتكرات الصناعية الشائعة التى لا وطن لها ولا تدخل فى مفهوم الثقافة ومع ذلك لم أسمع أن احدا عقب عليه ، قلت له ليست هذه من الغزو الثقافى وانما هى علوم وأدوات لم تدخلها أنت فى معنى الثقافة الذى حددته من قبل وهى مشاعة بين أمم العالم لأن العلوم والصناعات لا وطن لها ، ومع ذلك فقد كتب بعد ذلك مقالا مطولا تحت عنوان (شبح اسمه الغزو الثقافى) واصر فى هذا المقال على ما قاله من قبل ، ونال ممن يحافظون على ثقافتهم وأصالتهم وقال عنهم : أنهم الجبناء وقد أسفت أن يخرج هذا من رجل مثله ، فالمعروف عنه أنه يحدد الفاظه ومعانيه وأسفت أن يحصل منه ما كنت أرجو الا يحصل ، سواء من محتوى المقال أو من الفاظ وردت فيه ، والتجنى على من يحافظون على ثقافتهم من الغزو الثقافى وهم يعرفون معنى الثقافة ويقفون على حدودها ويدفعون المغير عليها ويتحصنون بالعلوم والمبتكرات التى هى مشاع للجميع .

لقد كنت أرجو من الدكتور زكى الا يقع فى هذا التناقض بين بحثه فى الثقافة من نحو سنتين وبين ما قاله وما كتبه أخيرا ، والا يتصور أن الذين يحافظون على شخصية الأمة وثقافتها أناس مغلقون ، وهو المتفتح وأنهم يخشون على حياتهم من العلم ونوره ، وهم الذين يشاركون فيه ويدفعون الأمة اليه حتى تكون أسبق الأمم كما يدعوهم ويريد منهم دينهم ، وأن الذين عبوا من العلم قد أيدوا مفهومنا للثقافة وهم يرفضون تصوره هذا كل الرفض .

من هؤلاء الذين تعنيهم بالجبناء ، هل هم الذين يفهمون معنى الثقافة كما فهمتها أنت أولا ووقفوا يدافعون عنها بشجاعة أمام الغزو الثقافى ، هل هؤلاء هم الجبناء هدانى الله واياك الى اليقين .

***

(٢)

الدكتور زكى نجيب محمود

قال الدكتور زكى نجيب محمود : أنه لا وجود لما يسمى بعلم الاجتماع الاسلامى أو علم الاقتصاد الاسلامى وقال أن نهوض المجتمع لن يتم الا بالعلم وحده لأن الاسلام توقف عطاؤه عند عصره الأول ، كما قال أن هناك خلطا بين مفهوم العروبة والاسلام وقال أن مايصل اليه الباحثون فى مجال علم النفس والاجتماع لا علاقة له بالعقيدة وأخيرا دعانا ان نأخذ عن الغرب ثقافته وعلمه دون قيد أو شرط .

ويواجه هذه الأفكار الدكتور عمارة نجيب فيقول :

أولا : بالنسبة للعروبة والاسلام يرى الدكتور زكى نجيب محمود أنه مفهوم غامض ولو كان يريد الحقيقة لذاتها أو لهدف نبيل لابتغى معرفة الفرق بين المفهومين من اى كتاب من كتب اللغة والمعروف أن العروبة صلة لمن كان لسانه عربيا وفى الحديث الشريف (من تعلم العربية فهو عربى) ويعرف أن الاسلام صلة لمن كان مبدؤه الاسلام وبالتالى فالذى يطلب الانتماء الى الاسلامية يطلب المبدأ أو الهدف الذى يوحد بين مختلف الألسنة ، اما العروبة فهى صفة للغة واللسان وقد اختلف اهلها وتمايزت الثقافة بين الدول العربية رغم اشاركها فى الجوهر ، فهناك ثقافة مصرية أخرى تضم الهلال الخصيب ، وثالثة تضم بلاد الخليج ورابعة تشترك فيها بلاد المغرب العربى فماذا يضيرها لو اتخذت الاسلامية مبدأ وهدفا وغاية ، ان الاسلام هو النظام الوحيد فى العالم الذى يضمن الفرصة المتكافئة للبشر جميعا كى يظهروا مواهبهم ويجودوها . والاسلام هو النظام الذى يدفع العقل بكل قوة واخلاص للبحث والتجريب والاختراع ، والعلم الذى يظنه الكاتب وارد الثقافة الغربية وحدها ، وهو العلم الذىاحتضنه الاسلام ودعا اليه ، فمن استجاب لدعوته حقق ثمرته ومن غفل واستكان فقد الثمرة وهان وذل .

ثانيا : قال الدكتور زكى نجيب محمود : أن الاسلام محور عصره الأول وفكرته الكبرى .

والواقع أن الاسلام لكل العصور ولكل الأمكنة ونهضة هذا العصر لن تكون بالعلم فقط كما يزعم الدكتور زكى نجيب محمود ، بل على العكس : النهضة الحقيقية للأمة الاسلامية لن تكون الا بالاسلام والعلم معا ، لأنهما توأمان لا يفترقان ، فكلاهما أشار لأهمية التقاء الطاقات البشرية بالطاقات والنعم المتعددة فى الكون ، لقاء بحث واختيار وتجريب ينتهى الى اكتشاف يحمد الخالق عليه بالانسان وبالعمل ، وهذا يقتضى صيانة ما يكتشفه الانسان من نعم الله واحسان استخدام هذه النعم ، واستثمارها .

وهذا هو الفارق بين علم يدعيه البشر فيسمح

بتبديد واحتكار واسراف ، وبين علم يسميه الاســـلام ، يحرم تبديد الطاقات ويوجهها نحو الخير والحق والرشاد

ثالثا : اما انـــكار الدكتور زكى نجيب محمود لمـــا يسمى بعلم الاقتصاد الاسلامى وعلم الاجتماع الاسلامى وعلم النفس الاسلامى ، وزعمه أن هذه العلوم يجب أن تبحث بعيدا عن العقيدة وبعيدا عن المادة التى وردت فى كتب السالفين ، فهذا راى يستحق المراجعة .

اذ المفروض أن يكون علم النفس وعلم الاقتصـــاد وعلم الاجتماع علوما اسلامية يتوفر العالم الخبير المحيط بهذه المسائل بالنسبة للاسلام وهو الله سبحانه وتعالى ، فى حين لايوجد من البشر من يستطيع الاطلاع على النفس البشرية لمـــا تحويه من غيبيـــات ، وكل ما يحـــاوله من يسمون بعلماء النفس انما هى دراسات على السلوك ، وهذه الدراسات لايمكن أن تصل الى ما يسمى بالعلم لأن العلم معناه اليقين أو الجزم بحيث لا يختلف عليه اثنـــان فاذا اختلفا حسمت التجربة قول أحدهما . أما الدراسات الاسلامية التى تتصل بالنفس وعلم الاجتماع والاقتصاد فقد صدرت قواعدها من الله (تبارك وتعالى) العـــالم الخبير المحيط ، واقول للدكتور زكى نجيب محمود ، أن القواعد التى وضعها الاسلام لهـــذه العلوم ثابتة مجزوم بصحتها ، وتشبه تماما قانون (الحديد يتمدد بالحرارة) فقول الله سبحانه وتعالى بعد ذكر تجربة آدم مع ابليس (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فا ن له معيشة ضنكا) هذا قانون اجتماعى صدر من تجربة سلوكية متصلة بالنفس البشرية ، واذا اختلف عليها احد فالمطلوب منه ان يعيد التجربة ليتأكد من صحة القانون مثله مثل الذى ينكر أن الحديد يتمـــدد بالحرارة فما عليه الا ان يعيد اجراء التجربة .

ولقد أخطأ الدكتور زكى حين سمى هذه الدراسات الانسانية فى مجالات النفس والاقتصاد والاجتماع بالعلوم الانسانية لأنها ما زالت مجرد دراسات يختلف بشأنها بين الباحثين فيها .

أما قول الدكتور زكى نجيب محمود بأن مجال علم النفس والاجتماع لاعلاقة له بالعقيدة فاننى اتحدى الدكتور وكل علماء الاجتماع والنفس أن يتفقوا على قانون يخالف ما صدر عن الله حول المراهقة مثلا .

فالاسلام يقرر وجود الغريزة كدافع وظهورها لدى المراهق يزيد فى الرغبة ، ولكن سلوكه يتبع درجة تمسكه بالاسلام أو عدم تمسكه به ثم درجة بعده عن الدين ولكل من هذه الأصناف سلوك معين اشار اليه القرآن ونصت عليه السنة .

اما بالنسبة لعـــالم الاقتصاد فان صفة العلم غير واقعة بالنسبة لمن يتسمون بعلماء الاقتصـــاد لأنهم حتى الآن لا يزالون مختلفين فى نظرياتهم ولم يســـتطيعوا أن يصـــلوا الى علم يقال عن العـــامل به انه على الطريق المستقيم ، ويقال عن رافضه انه على الطريق الخطأ .

فى حين يقرر الخـــالق سبحانه وتعـــالى من خلال المبادىء الاقتصادية العامة التى هى أسس علم الاقتصاد الاسلامى قدرة كل شعب على حل مشكلاته الاقتصادية وعلى كل من يريد أن يصـــل الى علم بشـــأن الاجتماع والنفس والاقتصاد أن يتخذ من بين أدواته .

١ ـــ خبرات وتجارب الآخرين وخاصة ما رصـــده القرآن ورصدته السنة فى هذا الشأن . ٢ ـــ استخدام قوانين الله (تبارك وتعالى) كمسلمات ينطلق منها ليصل الى القوانين الجزئية التى يريد الحصـــول عليها ، ومن لا يفعل فهو كبـــاحث ذهب الى معمـــله ونسى المـــادة الأساسية لبحثه .

* * *

السؤال هـــو : ما الذى يهدف اليـــه الدكتور زكى نجيب محمود من وراء هذه الحملة على الاسلام :

انه يهدف الى ضرورة الاعتماد على الغرب واتباعه فى كل شىء حتى فى ميدان النفس والاجتماع والاقتصـــاد لنصل على يده الى التبعية الذليلة المستسلمة فى صـــغار وبلا ادنى مقاومة .

والمعروف أن الحضـــارة الغربية لم تعط لأحد ممن انحازوا اليها آخر ما وصلت اليه من تكنولوجيا وجعلته سرا من أسرارها الخاصة فى حين أنها فتحت الباب على مصراعيه ليأخذ الناس من الغرب الانحلال الخلقى وفنون الهدم المتعددة .

لقد تساءل الدكتور زكى نجيب من أين تبدأ عملية النهـــوض فى مجتمعنـــا ابتداء من البحـــث عن الله ثم فى الانســـان ثم فى الطبيعة وهذا تســـاؤل فى غير محله . فالاســـلام قد ثبت بالتجربة العملية صـــلاحه لكل زمان ومكان وبالتـــالى فهو فكرة العصر الكبرى التى يجب أن ننطلق منها نحو النهوض والتقدم .

اما كيـــف تتم عمليـــة تحديث الثقـــافة العربية

فالتحديث يتم عن طريق احياء أسباب اليقظة الاســلامية مرة أخرى والاسلام والعلم لا يمنعان من استثمار تجارب الآخرين فاذا ثبت من تجارب الآخرين نجاح بعضها وفشل بعضها فعلينا ان نأخذ بأسباب النجــاح والفوز لأنه علم مطلوب ، وحديث الرسول «اطلبوا العلم ولو فى الصين» يدلنا على أن اللقاء مع الثقــافات الأخرى مطلوب ولكن بشرط أن نتجنب كل ما يخالف الأسلام وعن طريق ذلك يتم تحديث الثقافة .

واذا كان العلمانيون متخوفين من تطبيق الحدود أو ســيطرة علماء الدين على الحــكم فنحن نقــول لهم أن الاســلام اشار الى أن تطبيق الحدود يتصل بالنــاحية الاقتصادية ويرتبط بها فتطبيقها يحمى الانســان ويحقق له الأمن المنشود لانطلاقة الى تحقيق أعلى معدلات الانتاج التى تطلب من مثله ، فالأمن هو مصدر اســعاد المجتمع ولعل هــذا ما يعنيه حديث رســول الله صلى الله عليه وسلم : (لحد يقــام فى الأرض خير أن تمطروا اربعين ليــلة) .

أما بخصوص حكم رجال الدين فان القــاعدة التى يعرفها كل مسلم أميا كان أو قارئا أن هدف ومقاصد الشريعة هو تحقيق مصالح العباد ، والمصالح حدودها واضحة ، وهى تسوس النفس من منطلق الحفــاظ على الطاقات المنتجة وتحقيق العدل والفرص المتكافئة لهــذه الطاقات وكلها أمور لا يختلف عليها اثنــان فلا مانع من أن يطبق هــذه القواعد المتمرسون بالسياسة والعــارفون بأمور دينهم .

(٤)

الى الدكتور زكى نجيب محمود

الحياة العربية التى تريدها هى العودة الى الجذور التى تتمثل الآن فى الصحوة الاسلامية فى كل مكان عربى وغير عربى وتتمثل أيضا فيما يتحمله اولئك القــابضون على الجمر فى المشرق والمغرب العربى وكل مكان تحتكره القومية .

ان المنظراتية فى فقه القومية يريدون القومية عقيدة يومية صباحية ومســائية انبثقت من الوطنية التعددية التى هى من الأساس وفى الأساس دواء القلوب خاليــة من العيوب .

هل فهمتم شيئا ، والى الدهاقنة أقول : لقد قرات كل كتبــكم واستوحيت مجمل تحليلاتــكم ، لم تخدعنى تفســيراتكم ولا تأويلاتكم ، فقد حصننى الاسلام ضــد جاهليتكم وأمراضــكم فأنتم عن جهل أو علم مع بقــايا الصليبيين ومن لف لفهم من المرتدين وسرطان الصهيونيين

أنتم الذين هدمتم صرح الدولة الاسلامية وبعثرتم قواها فانهارت وحدة أمة محمد صلى الله عليه وســلم وتشرذم المســلمون وأولهم العــرب وســلبت اراضيهم وخيراتهم .

هشام على حافظ

* * *

الفصل الثالث

دحض شبهات الدكتور فؤاد زكريا

كان السؤال الأكثر الحاحا فى « ندوة الاعتصام » تلك المقالات المسمومة التى كتبها فؤاد زكريا مهاجما الاسلام فى مفاهيمه وشريعته وعقيدته . وكان لابد من تجلية ذلك فنقول :

لو ان رجلا غربيا يهوديا او نصرانيا او شيوعيا اراد ان يسىء الى الاسلام ما استطاع ان يفعل بأسوأ مما فعل الدكتور « فؤاد زكريا » الذى كانت كلماته فى مقالاته الخمسة التى نشرها فى جريدة الأهرام تنضح بالحقد والكراهية والكيد لدين ينتسب اليه وراثيا على الأقل . وهذا يعطينا صورة لأبعاد الخطر الذى وقعت فيه امتنا حين احتوتها التيارات الوافدة فحملت ابناءها الى تغيير معتقدها وشعورها ووجدانها على هذا النحو حتى يصبح ابناء الاسلام حربا عليه فى سبيل الانتقام من شريعة الفطرة والعقل والعلم التى استطاعت ان تزيح عقائد وافدة ظل اصحابها يدافعون عنها بالباطل طويلا ، واتيحت لهم الفرصة يوما لتعلو موجتهم .. ولكن الى حين . وهم يحسون فى اعماق نفوسهم بالحسرة والندامة حين يرون كلمة الحق فى طريقها الى ان تعلو بالرغم من كل المحاولات التى تكتم انفاسها ، وتردها عن امتلاك ارادتها وقدرتها على الأقل . حتى فى مجال المساجلة والحوار مع الباطل الذى يمتلك ذرا أعلى المنابر واقوى الساحات .

واعجب للدكتور فؤاد زكريا المسلم وهو يتناول النصوص الاسلامية بازدراء شديد واستهانة كأنما يخشى ان تجرى على قلمه ، او كأنما هى جرائم يود أن يبتعد عنها . وهو فوق ذلك كما علمته نحلته التى آمن بها له تدرة على الجدل والمغالطة والمناورةوالتضليل ، والتمويه واختراق النصوص بغير وجه حق !!.

وهو اولا ليس دارسا للاسلام ونظمه وفقهه على نحو يمكنه من أن يخوض فيه . فضلا عن انه ليس كاتبا محايدا أو متجردا . بل له مفهومه الخاص المستمد من الفلسفة المادية ، والفكر الماركسى ، وانكار ماوراء الغيب والوحى والنبوات . فضلا عن ذلك فانه قد سجل على نفسه منذ وقت بعيد انه يقف علىالطرف الآخر ، وقضيته مع نصر رمضان معروفة وانكاره تأييد الله واصراره على أن النصر كان بالأسلحة وحدها . كل هذا يجعل الدكتور « فؤاد زكريا » ليس موضع ثقة من الغالبية المسلمة المؤمنة المحبة لشريعتها ووطنها . فان كل ما كتب ويكتب ليس الا قبض الريح وحصاد الهشيم .

واخطر ما يتعرض له الدكتور فؤاد زكريا انكاره استمرارية هذه الأمة فى العمل بالشريعة الاسلامية على مدى تاريخها ، وعنده جراة خطيرة فى هذا المجال لايستطيع معها أن يقدم الدليل التاريخى على ذلك . بينما كل صفحات تاريخ الاسلام التى لم يكتبها المستشرقون ومتعصبو اليهود والنصارى تؤكد أن الشريعة الاسلامية كانت قائمة فى هذا المجتمع حتى حصرها النفوذ الأجنبى ، وأن مطالعة كتاب (وصف مصر) الذى وضعه رجال الحملة الفرنسية وحده يؤكد كيف كان المجتمع الاسلامى فى مصر يعيش فى ظل النظام الاسلامى . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فانه منذ اليوم الأول الذى حجبت فيه الشريعة الاسلامية ، وغلب القانون الوضعى ، تعالت أصوات العلماء والكتاب والفقهاء تطالب بعودة الشريعة ، وتكشف زيف القانون الوضعى وفساده .. فليس صحيحا ما يقوله الدكتور فؤاد زكريا من أن هذه الدعوة محدثة وانها بنت هذا العقد من الزمان أو الذى قبله . وتاريخ العودة الى الشريعة الاسلامية مكتوب فى عشرات من المؤلفات والدراسات . بل أن الملتقى الاسلامى فى الجزائر عام ١٩٧٠ جمع مختلف علماء المسلمين واصدر مجلدين كبيرين يرسمان تاريخ هذه الحركة التى بدأتها الدولة العثمانية حين أصدرت (مجلة

الأحكام) وكيف كان موقف العلماء أيام اسماعيل وما قام به فقهاء مصر من تخريج للأحكام فى هـذا الوقت البعيد وماتوالى فى هذا المجال منذ ١٨٨٢ الى ١٩٨٥ من خطوات . فالقول بأن هـذه الدعوة محدثة قول باطـل وزور وضلال ، ولم تكن هذه الخطوات الحاسـمة فى العقود الأخيرة الا تطورا طبيعيا لمشاعر الشعب المسلم الظامىء الى نظامه الأصيل . ولقد كان لادخال مصطلح « الاسلام دين الدولة» منذ أكثر من ستين عاما ومصطلح «الشريعة الاسـلامية مصدر للقوانين » فى جميع دسـاتير البلاد العربية منذ أكثر من ثلاثين عاما هـو حد حاسم لم يعد بعده سبيل الى المزايدات والمناورات حول قبول التطبيق من عدمه . فلم تعد التضية أن يأتى الدكتور فؤاد زكريا أو عشرات غيره من خصوم الاسلام والحـاقدين عليه ليتحدثوا من جديد حول هذا الأمر الذى «قضى فيه الأمر» والذى نتحدث، اليوم فيه عن مرحلة جديدة مختلفة تـمـام الاختلاف . وهى ليس « هل نقبل أم لا نتبل » وانمـا هى « كيف نطبق ومتى » وماذا يضر الدكتور فؤاد زكريا من الاستشهاد بعمر بن الخطاب ، أو صـلاح الدين أو غيرهما . نحن المسـلمين نؤمن بأن التـاريخ لا يعود القهقرى ، وأننا لا نطالب بنموذج اسلامى من هذا النوع .. ولكننا نهتدى بضوء هذا العصر الخالد فى الطريق الى بناء المجتمع الاسلامى الجديد ، مع الفهم العميق لمتغيرات الزمان والبيئة ، ولقدرة الاسلام التى لا يضـاهيها قدرة من قانون وضعى أو أيديولوجية على التجاوب مع ما يجد فى العصـور والبيئات من قضـايا وأوضاع ، وما كان المسلمون يوما على هذا النحو الذى يريد أن يصورهم به وكأنهم جامدون ، أو يريدون الوقوف بالزمن . فالمسلم ابن عصره دون أن يخرج عن حدود الثوابت الأصـيلة الكبرى التى حددها له الاسلام .

ويتحدثون عن عبـارة الامام الشاطبى (عن تغير الأحكام بتغير العصور) وينسون أننا لم ندخل بعد مرحلة الثوابت التى لا يمكن التحدث عن المتغيرات الا بعد بنائها ودعمها. وكيف يمكن التحدث عن تغير الأحكام اذا كانت أصول الأحكام لم توضع موضع التنفيذ .

ان الدكتور فؤاد زكريا علىغزارة علمهوعلى براعة أسلوبه لا يستطيع أن يخوض فى هذه القضـية الكبرى ولا يصلح لقيادة تيار معارضة الشريعة الاسـلامية .. لأنه لم يدرس الا الفلسـفة الوضعية والماركسية ، وأنه يؤمن بالنظرية المادية التى تنكر تماما كل ما يتعلق بالدين والوحى والنبوة . ولذلك فانه لا يستطيع فى كل ما كتب أن يتحدث عن هذه المعانى ، أو يعرض لهـا . بل انه يذهب الى أسوأ من ذلك حين يتحدث عن (الاحسان) بمعنى الصدقة ، وينسى أن فى الاسلام معلما كالطود هو « الزكاة » وليس الاحسان الذى هو مفهوم لاهوتى يجرى على قلمه نتيجة تأثره بالخلاف الذى وقع بين الكنيسـة وبين العلم فى الغرب ، والذى يدفعهم الى المقـارنة بين الاسلام بوصفه دينا لاهوتيا كالمسيحية. بينما هو ليس دينا بمعنى (ريجن) الغربية بل بمعنى أنه منهج حيـاة ونظام مجتمع .

ان عجـز الدكتور فؤاد زكريا عن فهم الاسـلام ومحاولة تحاكمه الى علمانية الغرب ومناهجه يوقعه فى عديد من الأخطاء ، ويحول بينه وبين الرؤية الصـحيحة . بل لعل ما تهوى الأنفس وما تحمل من أحقاد الصراع بين هزيمة الماركسية وانتصار الاسلام هو الذى يدفعه ويدفع معـه تلك الطائفة من الحـاقدين على الانطلاق المسعور لمهاجمة الاسـلام . بينما لم يجد المسلمون من يسمح لهم بالرد فى نفس المكان . واذا كان الدكتور فؤاد زكريا قد عرض لبعض ما وصله من رسائل فانه قد انتقى ماوجد فيه تأييدا ظاهرا دون غيره من الكتابات والرسائل التى تدحض، وتحطم غروره ..

ان الدكتـور فؤاد زكـريا وقف فى مجال المـادية ولم يتمكن من أن يوسـع نطاق ثقافته ليفهم آفاق الفكر الاسلامى وسعته وسماحته . خاصة فى نطاقه السياسى ومنهجـه الاجتماعى . ليعـلم الدكتور فؤاد زكريا أن جموده على هذه المفـاهيم التى أصبح أهلهـا فى الغرب ينكرونها ، ويتخلون عنها لن تعنيه شيئا . وخير له اذا كان قادرا على المرونة واتساع الأفق والرؤية المستقبلية أن ينظر فى تجرد الىضوء الفجر الساطع الذى بدأ يخترق حجب الغيب والذى استجاب له من هم أساتذته أمثـال جارودى وبوكاى وغيرهما .

ولقد سقطتالتبعية للفكر الغربىبشقيهأو الحضارة المعاصرة وذابت أكاذيب دعاة التغريب من تحويل ولائنا عن أصالة فكرنا ومنابع عقيدتنا التى هى منطلقنا الأصيل والتى تؤكد لنا أنه ليس هناك اليوم غير طريق واحد هو طريق الاسلام الذى اهتدى اليه أعلام الغرب أنفسهم .

لقد سقطت الى الأبد نظرية التبعية ولن يستطيع الدكتور فؤاد زكريا أن يأخـذ مكان الدكتور زكى نجيب محمود فى زعامة معسكر التغريب .. لأنه لا يقبل له رأى أسـاسا لأن معسـكر زكى نجيب محمود قد تراجع الى الوراء فراسخ وأميالا .

* * *

(١)

دحض شبهات الدكتور فؤاد زكريا حول قيم الاسلام

اشار الدكتور فؤاد زكريا فى مقال له الى ما أسماه تناقض المتحمسين للدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية ، وقد استعان على تصوير هذا التناقض بمثل تخيله لراهب مسيحى صاح فى وجه الثقافة العربية ابان فتح الأندلس عام ٩٢ هـ ويريد الدكتور فؤاد أن يقول : لو اخذ رأى أنصار الثقافة العربية الاسلامية فى موقف هذا الراهب لقالوا انه متعصب وهم فى نفس الوقت يصيحون فى وجه الثقافة الأوربية المعاصرة ويصفونها بأنها غزو فكرى او ثقافى ومعنى هذا عند الدكتور فؤاد زكريا أن انصار الثقافة الاسلامية متناقضون لأنهم حكموا على الراهب بما لم يحكموا به على أنفسهم مع أنهم مثله تماما فى صيحات النكير والتحذير .

ويتصدى الدكتور عبد العظيم المطعنى لمقولة الدكتور فؤاد زكريا فيقول : هل ما يحذر منه دعاة الثقافة العربية الاسلامية من الفكر الأوربى المعاصر الذى يراد الترويج له فى المجتمع الاسلامى المصرى مثلا يرقى فى قيمته الى ما حمله المسلمون الى الأندلس بخاصة وأوربا بعامة ، او بعبارة ادق : هل البضاعة الأوربية التى نسميها غزوا فكريا بلغت درجة الجودة التى كانت تتمتع بها بضاعة المسلمين المصدرة الى أوربا .

ان الاجابة على هذا السؤال تتوقف عليها صحة ما ادعاه الدكتور فؤاد او بطلانه والاجابة الصحيحة بدورها تتوقف على عنصرين لا ثالث لهما :

أولهما : يتصل بحقائق التاريخ **والثانى** : يتصل بالمقارنة بين حقيقة القيم الاسلامية وبين طبيعة مانرفضه من ثقافة أوربا المعاصرة .

● حقائق التاريخ تقول باعتراف المؤرخين الأوربيين أنفسهم أن الأندلس حين فتحها المسلمون كانت فى غاية الفساد والظلم من جميع نواحيها وان حكام البلاد آن ذلك (القوط) بلغوا الذروة فى اضطهاد الشعب والتحكم فيه بكل قسوة ، يقول الأستاذ توماس ارنولد فى كتابه الدعوة الى الاسلام : ان الفتح الاسلامى لهذه البلاد كان خيرا وبركة على السواد الأعظم من الشعب الذين رحبوا بالمسلمين الفاتحين .

ويؤكد هذا ان من أسباب فتح المسلمين الأندلس ان حاكم مدينة سبته (لوليان) قد وجه دعوة الى طارق ابن زياد بهذا المعنى بعد فتح شمال افريقيا ولما عرض الأمر على خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك ابدى تخوفه من ان يكون فى الأمر خدعة واشار على قادة الفتح الاسلامى بأن يختبروا سريرة يوليان بارسال السرايا الصغيرة ولما اكد لهم صدقه عبروا المضيق الى الأندلس وتحقق الفتح الرائع الذى أطاح بعهود الجهل والظلم فى الأندلس وبفضل هذا الفتح صارت الأندلس هى الشمعة الوحيدة المضيئة فى اوربا ، ومنها انتقلت الى أوربا أنصع حضارة عرفتها الانسانية .

ان عصرا من التحرر والرقى حل بالأندلس مع الفتح الاسلامى وقد غزا الاسلام بعدله وسمو مبادئه القلوب قبل أن تغزو جيوشه القلاع والحصون ، وهذه حقيقة تكاد تعم كل البلدان التى حل بها الاسلام فى عصوره الزاهية ، وما تقوله حقائق التاريخ — وحده — تكفى للحكم على مدعيات الدكتور فؤاد كما ترى .

● أما المقارنة بين قيم الاسلام التى تخيل الدكتور فؤاد ان راهبا مسيحيا صاح فى وجهها وبين ما نرفضه نحن الآن من ثقافة أوربا الوافدة فيكفى فيه ان الدكتور نفسه قد ذكر نماذج من عطاء الاسلام لأوربا وهو فى الواقع أساس من أسس نهضتها الحديثة وهو الثورة الفرنسية التى فضلت حديث أوربا عن قديمها البالى ، كان من دواعيه ما اخذه الغرب عن الشرق الاسلامى من رفض الحجر على العقل والخضوع للكهانة والتحكم فى مصير الانسان حيا وميتا وشطر ولائه شطرين أحدهما لرجال الدين من حيث الروح ، وثانيهما لرءوس الاقطاع من حيث الجسد . هذا بعض ما تعلمته أوربا عن الشرق الاسلامى كما يرى صاحب كتاب اشعة خاصة بنور الاسلام (ايتان رينيه) فما الذى تحاول أوربا وعملاؤها ان يصدروه الينا نحن المسلمين ؟

انهم يحاولون أن يصدروا الينا ما يهدم كياننا على رءوسنا مثل نظريات داروين وفرويد ودور كيم وجيمس وروسو وميكافيلى وكنت وفصل الدين عن الدولة والحرية الشخصية التى تعنى الاباحية والحرية الدينية التى تعنى التحلل من اتباع الدين وتحرير المرأة الذى يعنى تبذلها وامتهانها ونظرية الفن للفن التى تعنى التملص من تسخير الطاقات الخلاقة المبدعة لخدمة الحياة .

وتصدر الينا أفلام العنف والتمرد التى تعنى تدمير شباب الأمة وصيرورته حربا عليها .

* * *

هذا بعض ما نرفضه يا سيادة الدكتور من ثقـــافة أوربا ودعك من الديســـكو وصحافة الاثارة الرخيصـــة فليست هذه ثقـــافة بل سخافة ونعود فنسألك ونسأل معك كل منصف .

هل ما نرفضه نحن الآن من ثقافة أوربا راق ونبيل مثل ما رفضه الراهب الخيالى من قيم الاسلام .

ان كانت اجابتك بنعم فأنت صادق فى دعواك ولكن صدقك عند نفســك فقط ، وان كانت الاجابة : لا فان انصار الثقافة الاسلامية ليســوا متعصبين مثل الراهب الأسطورى وليسوا متناقضين كما تزعم وهم اذ يرفضون ما أشرنا اليه من ثقافة أوربا يقبلون وبصدر مفتوح انماطا اخرى من ثقافتها ليس فيها ما يضر بالعقيدة أو الأخلاق والسلوك أو سلامة الأمة فى الداخل والخارج .

* * *

(٢)

موقف الدكتور فؤاد زكريا من الوحى

(رد الدكتور احمد عبد الرحمن)

أشار الدكتور فؤاد زكريا الى أن قضيته الأساسية هى : هل صحيح أن تطبيق الشريعة هو الحل ؟ .

ويقول الدكتور أحمـــد عبد الرحمن أنه قد اتخـــذ المذهب العقلى العلمى وســـيلته الى الاجابة على هـــذا السؤال . وانه قد اتخذ هذا المذهب منذ الخمسينات ولم يتحول عنه الى اليوم وكتاباته شرح لهذا المذهب ودفاع عنـــه ، ولقد ارتبط مذهبـــه العقلى العلمى التجـــريبى بالفلسفة المـــادية والفلسفة النسبية الجذرية الشاملة ، وكان لابد تبعا لهذا أن يصـــطدم بالمذاهب الفلســـفية والدينية التى تؤكد وجود مصادر أخرى للمعرفة كالوحى فى الأديان الســـماوية والعقل النظرى البحت عند بعض الفلاسفة مثل برجسون والصوفية المسلمين وغير المسلمين وكان لابد مرة ثانية من التصـــدى للمذهب المطلق الذى يقول : أن ثمة حقائق وقيما خلقية ثابتة مطلقة لا تتغير ولا تتبدل والاسلام عقيدة وشريعة تقوم على عقيدة ثابتة مطلقة وكثير من شرائعه ثابت مطلق جاء به القرآن الكريم عن طريق الوحى فكان التصادم معه ضربة لازب .

* * *

موقفه من الوحى

وقد اتجه الدكتور فؤاد زكريا الى الأصل ذاته فاذا أسقطه ســـقط البناء كله وأصل الشريعة هو الوحى او القرآن والسنة أو الأصل الثانى للاسلام (محمد رسول الله) وكما هو معلوم للكافة اسقاط هذا الأصل الثـــانى معناه اسقاط الدين كله عقيدة وشريعة .

ولكن هيهات فدونه وذلك خرط القتاد كما يقولون

قال الدكتور فؤاد زكريا : (لقد آثرت أن اتحـــدث عن الوحى الدينى بوصـــفه السلطة الحقيقية المقـــابلة للعقل وقال : أما القوة التى تمثل التضاد الحقيقى فهى الوحى الدينى بوصفه مصدرا للسلطة يرى الكثيرون انه يناقض العقل ويتفوق عليه لأن السلطة فى هذه الحـــالة الهية تعلو على صنف العقل الانسانى وقصوره) .

الفكر المعاصر (سبتمبر ١٩٧١ ـــ آراء نقدية)

اذن الوحى يقـــابل العقل ويضاده ويتفوق عليه عند الكثيرين) .

وقال : (ففى جميع مجالات الحيـــاة وفى النظام الاقطاعى) توجد سلطة نهائية يرجع اليها وتكون لهـــا الكلمة الأخيرة فى كل أمر يختلف فيه الناس ..

على أن نوع الشـــخص ـــ ماديا كان أو معنويا ـــ الذى يتخذ منه المجتمع سلطة لا يهمنا بقدر ما يهمنا مبدأ السلطة ذاته .

وهو يرى أن مجتمعنـــا مجتمع اقطاعى يخضع لمثل تلك السلطة النهائية ، والشخص المادى اذا احسنا الظن هو الاقطاعى ، هذا مع الاعتراف بأن وصفه لا يصـــدق على احد الاقطاعيين المصريين قبل الاصـــلاح الزراعى أو بعده .

ولكن ماذا يقصد بالشخص المعنوى الذى تتمثـــل فيه السلطة المقيدة للعقل ، ـــ طبقا لتعبيرات الأســـتاذ التى اقتبسناها توا ، لابد أن نجيب بأنه الوحى، هذا أيضا مع احسان الظن والعقل ـــ بحسب مذهب الأســـتاذ ـــ يتناقض مع هذه السلطة لأن العقل ينشد الحرية المطلقة (حتى ازاء مبادئه الأساسية وبديهياته المطلقة فلا مناص من رفض الوحى طبقا لمذهبه . ولم يحاول الدكتور فؤاد زكريا أن يوفق بين العقل والوحى ورفض مدرسة التوفيق نهـــائيا فى القديم والحديث وهو يوجه اللوم الى بعض

المفكرين المتنورين لانهم اشتركوا فى (لعبة النصوص) او رجعوا الى النصوص ، وهو يسمى الاستشهاد بالنصوص ارهابا فكريا وتخويفا . ولعل هذا التخويف هو السبب الذى حال بين الأستاذ وبين النقد المباشر الصريح للاسلام ذاته (عقيدة وشريعة) وهكذا لم يتعرض مباشرة لمسألة وجود الله أو صدق الوحى والاعجاز القرآنى وترتب على ذلك اللجوء الى التعسف والتحكم والرفض الانفعالى الغاضب للوحى).

ونحن نرجو مرة اخرى ان يتذكر الدكتور فؤاد وكل المهتمين بالتضية أن أصل المطالبة بتطبيق الشريعة هو الايمان بالله ورسوله وأن الرضا بعدم التطبيق أو رفضه يؤدى الى هدم هذين الأصلين ذاتهما .

فحقيقة التناقض اذن هى وضع المذهب العقلى التجريبى المادى فى مقابل الاسلام شريعة وعقيدة . وفى رد على ذلك اجاب الأستاذ عن السؤال : (هل الاسلام هو الحل) بالنفى فتطبيق الشريعة فى رأيه لا يحل مشكلاتنا بل يضاعفها وقال أن نقده ينصب على محاولات التطبيق والمنادين بها لا علىالشريعة ذاتها ، ولكننا نؤكد أنه هاجم الشريعة ذاتها وانتقد طبيعتها نفسها فى هذا المقال نفسه وكان ذلك تكرارا لما جاء فى المقالات التى نشرها فى الأهرام ثم أعاد نشرها فى الكتاب (الحقيقة والوهم فى الحركة الاسلامية المعاصرة) .

لقد قال أن الحاكم بالشريعة بشر فله مصالحه واهواؤه التى تتحكم فى اختياره للنصوص التى يستند اليها وفى طريقة تفسيره لها وهذه الآفة لا خلاص منها الا اذا جئنا بحكام (على مستوى التقوى والتنزه عن الأهواء) يقارب مستوى الأنبياء وهو أمر لا يمكن ضمانه ولا يصح الاعتماد عليه كأساس لسلامة الحكم .

ومعنى كلامه هذا ان العيب كامن فى طبيعة الشريعة وفى طبيعة النصوص القرآنية التى تسمح للأهواء بالعبث بها وتفسيرها حسب الشهوات اذ ليس لها نواة صلبة حسب تعبيره أى هى كتلة من الصلصال اللين الذى لا يستعصى على النزوات والأهواء ، فهل هذه هى حقا طبيعة الشريعة الاسلامية والنصوص القرآنية والحديثية التى تساندها .

هل هى حقا تفتقر الى وجود (نواة صلبة) بحيث يستطيع أى حاكم مغرض أن يختار بعض هذه النصوص وبعض التفسيرات لكى يفصل لنفسه اسلاما خاصا يلائم شهواته وأهوائه . اننا نقول ونؤكد أن كلامه فى هذه القضية ليس حقا أبدا ونقول أنه باطل ويتناقض مع كلام آخر له يحرص عليه أشد الحرص ويكرره دون ملل ولم يكن ليغيب عنه هذا التناقض أبدا لولا هذا الحماس وهذا الانفعال وهذا الاندفاع فى هجماته على الشريعة الاسلامية ظانا أنه انما يهاجم الداعين اليها والأمثلة والنصوص كثيرة وقد اخترنا أربعة أمثلة فقط .

١ ــ قوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) .

وقوله (الا تزر وازرة وزر اخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى).

وبهذا يتحدد أصل دستورى كبير يصبغ الشريعة الاسلامية بكل جزئياتها بصبغته ، هذا الأصل هو العدل وطبقا لهاتين الآيتين الكريمتين يتعين مفهوم العدل الأسمى على أنه حمل كل عامل ثمرة عمله وتبعة أخطائه كما يتعين معالم الظلم ايضا فهو سلب العامل ثمرة جهاده بالغصب او الاحتيال أو اى طريقة أخرى .

وليس بوسع احد ان يأتى بنصوص او تفسيرات تبيح الظلم او اكل اموال الناس بالباطل مهما جمحت بهم الأهواء والشهوات وليس بوسع احد ان يأتى بنصوص تحرم على العامل أن ينال ثمرة عمله فهذه النصوص هى السند العاصم الثابت الخالد ضد نزوات الحكام والطغاة والظلمة وهى المرجع المعنوى والدستورى لكل العاملين المنتجين وكفاحهم من أجل العدالة .

٢ ــ والمثال الآخر يتمثل فى النصوص التى تكفل حياة كريمة لائقة لغير العاملين من الشيوخ والضعاف والمتعدين من ذلك قوله تعالى :

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

وعلى هذه الآية وغيرها كثير صارت الزكاة فرضا بحكم القرآن الكريم دون خلاف بين أهل القبلة ، وليس بوسع أى طاغية أن يفسر الآيات والأحاديث النبوية على نحو يسقط فرض الزكاة وهىالعدل وضروب البر والايثار والبذل والتضحية هى التى تشكل الدستور الاسلامى للنظام الاجتماعى للأمة المؤمنة وتكفل له السعادة والأمن والكرامة فى الدنيا والآخرة .

* * *

ونحن الآن نواجه نقدا مريرا لقواعد شرعية ثابتة

خالدة ليس بوسع احد ان يعبث بها او يغيرها ، من ذلك مثلا شرعية الحجاب فهل استطاع فقيه او مفسر ان يفتى بحل السفور ، ومن ذلك مسألة ميراث الأنثى تطبيقا لقوله تعالى (وللذكر مثل حظ الأنثيين) هل يمكن العبث بهذه الأمة بحيث يكون للأنثى مثل حظ الذكر ، ومن ذلك قوامة الرجل على المرأة (الرجال قوامون على النساء) فهل بوسع مفسر او فقيه أن ينزع حق الرجل فى القوامة دون ان يفكر فى هذه الآية الكريمة .

وهناك نظام الزواج الاسلامى ونظام الطلاق وتعدد الزوجات هل بوسع مفسر او حاكم مهما عظمت اهواءه وشهواته وسلطانه ان يفتى بحل الأخت او العمة والخالة او زواج الرجل بالرجل كما حدث فى دول أوربا العلمانية دون أن ينتهك عشرات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

واحسب أن ما قلناه على ايجازه كفيل باقناع القارىء بأن الشريعة كما يزعم الدكتور فؤاد زكريا ليست كلها عموميات مائعة صلصالية تتيح لكل مستبد ان يعبث به اويشكلها حسب شهواته ،

(٣)

الدكتور فؤاد زكريا

طرح الدكتور فؤاد زكريا مقولتين باطلتين :

أما احداهما فهى مقولة : الدين أيا كان ظاهرة اجتماعية نسختها الأفكار البشرية . (الثانية) أن الفلسفة كالعلم حقيقة راسخة لا تبين أحكامها الا على ما يسميه المنطق الدقيق .

وتصدى لهذه المقولات الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى فقال :

الاسلام ليس ظاهرة اجتماعية نسختها الأفكار الانسانية بل هو حقيقة موضوعية ذات وجود مستقل عن الانسان وفكره يتمثل فى الوحى الالهى الذى لا يقبل العقل الانسانى بجلبه ورده ، وليس له نحوه اكثر من دور التلقى ثم الوعى والفهم .

أما الفلسفة فليست مجموعة حقائق قائمة على المنطق الدقيق بل هى فى أكثر ما انتهت اليه وحامت حوله معاناة فكرية أورثت أخيلة وتصورات تتعلق بمسائل غيبية لا يمكن لطبيعة العقل البشرى ان يستقبلهما فهى محاولة لاضفاء رصانة العلم وتدسيته على الفلسفة .

ولكن الفلسفة ستظل جملة محاولات للاقتحام بالعقل البشرى وراء المساحة المحدودة له حيث ظلام الغيب الخفى المتوارى وراء عمر الأزمنة والدهور أو وراء تلافيف المستقبل الغامض المجهول وخطأ الفلاسفة أنهم لا يقيمون (منهج المعرفة الانسانية) على قاعدته الأساسية ويكتفون بأن يقيموه على المعقول وحده ولابد للعقل ان يتعثر عندما يساق حرا ولابد من تراجع الباطل أمام الحق وفرق بين المكانة التى أحرزتها الفلسفة المثالية والسمعة السيئة التى اكتسبتها الفلسفة المادية وكذلك الوضعية .

ذلك لأن المثالية ترتبط فى أذهان الناس بالجوانب الروحية والمثل العليا فى حين أن المادية ترتبط بالسعى وراء الماديات . وهناك فلاسفة مثالين مثل (بركلى وهكسلى وكانت وهيجل) وفلاسفة مادين (ماركس وانجلز ويوكنز ولينين) .

والالحاد المادىليس اكثر سوءا من الالحاد المثالى.

وفكرة هيجل فى الاتحاد مع ما يسميه الوجود الأبدى الأقدس ، وقد وصل بها كيركجارد الى فكرة وجود الوجود .

فيتحدث فخته عن اسبقية الفكر على كل شيء ، وان منه ينبثق كل المادة وصورتها معا فان كان هؤلاء فى مقياس الديانات الغربية يجعلهم مؤمنين بالله ، فانهم فى معيار الحقائق الاسلامية ايمان وهمى أخرق ، ولون سخيف من الوان الالحاد .

ا نالحق فى كثير من الجزئيات التى اختلف فيها الماديون والمثاليون انما هو فى جانب الماديين ، وان كانوا يجحدون بالخالق .

وهناك فروق عديدة بين قانون الرؤية الاسلامية والرؤى الدينية الأخرى عند الغربيين .

انه ميرون أن الاسلام فقد أقتحم خارج حدوده فى الطبيعيات والكونيات وكان عليه أن يهتدى بهدىالفلسفة واهلها الذين اعترفوا بعجزهم عن الخوض فى تلك الميادين فوقفوا عندما يعرفون .

واصبح الاتهـام هنا تتجه الى القـرآن واحكامه التقريرية فى الكونيات كالسماء والأرض والأفلاك والبحار والرياح واللواقح والسـحب والأمطار واختزان الأرض للميـاه .

ان محاولة التفسير العلمى للقرآن تزعج أمثال فؤاد زكريا ازعاجا شديدا ومن ورائه لأنهم يرونهـا بابا الى ادخال الناس فى الاسلام فهو يطالب فقهـاء النصوص الدينية ان يقطعوا الصلة ما بين هذه النصوص ومعانيها الـكونية بأى لون من ألوان التـأويل أو التحوير حتى يوقفوا الدين عنـد حدوده ويبعـدوه عما لا يدخـل فى اختصاصه .

ومحـاولة الدعوة الى ابعـاد الدين عما ليس من اختصاصه تعنى أن القرآن انتـاج عقل بشرى ، وبذلك يصبح الاسلام فى مجموعه ابداعا انسـانيا وتراثا عربيا خاضعا لاحتمالات الخطأ والصواب .

ولا داعى للثورة عليه ، ولكن عليه أن يتخذ طريقه فى المجتمع الى جانب الأديان الأخرى — لكى يتم ابعاده عن السياسة والاقتصاد والعلم وأن يمتنع عن الخوض فيما ليس من شأنه .

٢ — فـكرة تحرير محل النزاع فى منهج الجـدل (المنهجية) وأنها المحور الذى يدور حوله النقاش .

ويقوم ذلك على الاعتقاد بأن الاسلام ديانة وضعية صـنعتها عقول بشرية فهى تخضـع لاحتمالات الخطأ والصـواب والمعرفة والجهل ونحن نجزم بأن الاسـلام حقيقة موضوعية ذات وجود مسـتقل عن فكر الانسان يتمثل فى الوحى الالهى المنزل على محمد صلى الله عليه وسـلم .

٣ — ان الدكتور فؤاد زكريا يرى الاسلام بمفهوم خاص قائم بذهنه هو . أنه يقول أن الفلسـفة ترفض اعتقـاد وجود معصـوم من الخطأ وأيا كان المعصوم شخصـا أو مذهبا أو كائنـا ما ، بصورة أن الاسـلام كالأديان الأخرى نسيج فكر انسانى وبأن الدنيا ليسـت الا حقلا للأفكار البشرية التى تخطىء وتصيب .

ولذلك فهو ينكر قوله تعالى عن القرآن الكريم :

(لا يأتيه الباطل من بين يديه ألا من خلفه)

وينكر اعطاء النص الدينى أى حاكميه أو سلطة فى شىء من ميادين الأحوال الشخصية أو السـياسية أو الاقتصـاد أو العلم أو الاجتماع ويرى أن قبول هـذه الحاكمية يناقض النزعة الانسانية فى التراث الفلسفى .

وهو هنا يخطىء مرتين :

أولا خطأ دعواه بأن الوحى لا يمكن أن ينزل الا على بشر من الناس واذا انسكب الوحى فى الذات الانسانية فانه يفقد ذاتيته ويندمج فى الكيان الانسانى بكل مايتصف به من قصور وضعف وأهواء فيفقد الوحى بذلك عصمته وصلاحه المطلقة . ولابد أن تقف عندئذ هيمنته وحاكمته واذا كان العجز قد بلغ بهذا الاله الى حيث أنه لايستطيع أن يبلغنا وحيه ويعلمنا مضمونه الا ممزوجا بشـوائب البشرية مستهلكا وسط كادرات الضعف والعجز الانسانى فأى قيمة تبقى اذن لألوهية هـذا الاله وما هو الموجب للتقيد بحكمه والخضوع لسلطانه » ا . هـ .

وفى هـذا المعنى سيحاذر الدكتور فؤاد زكريا كل ما يحق له كمفكر وباحث وانسان ومسلم أن يخوض منه ويصل الى خطأ شديد واثم كبير . وهذه هى الفلسفة المادية فى تجاوزاتها الخفية أمام دين الله الحق .

* * *

احمد بهجت والرد على مفتريات فؤاد زكريا

يلخص منطق الدكتور فؤاد زكريا منطق الرافضين عموما لتطبيق الشريعة ، أو منطق المتخوفين من التطبيق ويقوم هذا المنطق على النظر الى تطبيق الشريعة فى رأيه كجزئية منفصلة عن مشروع النهضة الاسلامية الشامل .

ومن هنا نراه يتوقف طويلا عند البشر والنصوص.

ان البشر هم الذين يوجهون النصوص وليسـت النصوص هى التى توجههم ، ومن ثم فان تطبيق الشريعة لن يكون هو طوق النجاة الذى ينقذنا وانمايتوقف تأثيرها على نوع البشر الذين يقومون بالتطبيق .

أنه ينظر مرة الى القضية فيرى الشريعة دون أن يرى الانسـان المسلم وينظر مرة أخرى فيرى الانسان المسـلم دون أن يرى الشريعـة وفى كل مـرة يمضى فى مناقشة القضية فى غياب أحد أطرافها وغياب العلاقات بين الأطراف ولهذا تجىء معظم أحكامه أو معظم تخوفاته على غير أساس أو على أساس خاطىء وليست هذه هى الدقة العلمية فى مناقشة القضايا الحيوية .

يقول الدكتور فؤاد زكريا أن الموجة الحالية برغم انتشارها الواســع ظاهرة جديدة ودخيلة على التدين المصرى .

وكلن ايكون العودة الى الأصول ظاهرة دخيلة .

بماذا اذن نسمى التوجه الى الغرب أو الشرق بدلا من التوجه الى الذات والتــاريخ ، وبماذا اذن نســمى الاعتمــاد على الغير بدلا من الاعتمــاد على الذات ، أن القضية تكمن فى خوف دعاة التعريب من سقوط الغرب فى قلوبنا نهائيــا ، وتبلور الصحوة التى نعود فيهــا الى الأصول والهوية ، وهى صحوة ليست وليدة اليوم وانما بدات منذ مائتى عام . ان دهشــة المندهشين أو تخوف المتخوفين من الصــحوة الاسلامية يرجع الى هــزيمتهم الروحية أمام الغرب ، أو عدم فهمهم الصحيح للاســلام أو الاثنين معا ، أن الصحوة الاســلامية مشروع متكامل هدفه انقاذ الانسان وبناء الحضارة والذين يحلمون بنهضة جديدة للاســلام لا يحلمون بجنة وردية يتفتح لهم فيهــا أسباب التقدم دون جهد منهم .

انهم يعرفون أن الدراســة والتخطيط والضمانات أمور بديهيــة ، كما أن يعرفون أن التضــحيات مسألة واردة .

٣ ـــ تمتجن النظــريات والأقطار عادة بالتطبيق ، ولا تظهر قيمة الفكرة الا بعد التطبيق ، اذا افترضنا أن فكرة ما كانت غــاية فى النيــل ـــ ولكنها لم تطبق قط ، أن هذا يعنى اننا لا نستطيع أن نحكم عليها بالصلاحية أم عدم الصلاحية .

اذا كانت هذه النظرية أو الفكرة قد طبقت ونجحت ولو لفترة محدودة . فان هــذا يعنى صلاحيتها للتطبيق فاذا تعثرت الفكرة بعد ذلك فهــذا يعنى أن الخلل يرجع لســوء التطبيق لا للفــكرة أن دعاة تطبيق الشريعــة يشهدون بعهد الخلفاء الراشدين وعصر عمر بن الخطاب موجه هذا وهذا عند الدكتور فؤاد زكريا دليل على أنهم لم يجدوا ما يســتشهدون به غير هذا العصر ، لمــاذا يرفضون فكرة قدمت آلاف النماذج التى يســتحيل تقديم غيرها لهم لقد كانت هناك عصور عادلة غير عصر الخلفاء الراشدين ، وكانت هناك عصور استبداد ، ومن الظلم والجهل بتاريخ الاسلام أن يقال أن عصور ما بعد الخلفاء الراشدين كان الحكم كله استبدادا وظلاما .

* * *

(٤)

حول كتاب الدكتور فؤاد زكريا
(الحقيقة والوهم فى الحركة الاسلامية المعاصرة)

عرض الدكتور ابراهيم عوض (أســتاذ الأدب العربى بجامعة عين شمس) لمجموعة الأفكار التى قدمها الدكتور فؤاد زكريا ومن هــذه القضايا مكانة العقــل ودوره فى بناء الحضارة الانســانية وهو يرى مع ذلك أن العقل البشرى قادر بلا شك وأن نظرياته وكشوفه كثيرة ما تتناقض أو يتضــح خطورتها بمضى الزمن ولكن عظمة هذا العقل يكون فى سعيه برغم ضعفه هــذا ، الى أن يتجاوز نفسه على الدوام وان من المؤكد انه نجح فى ذلك الى حد غير قليل بدليل انه نقلنا فى قرن واحــد من عصر الخيــول الى عصر الصــواريخ والطائرات الأسرع من الصوت ، ومن تكنولوجيا الحمام الزاجل الى تكنولوجيا الترانزستور والعقل الألكترونى والتلســتار ، وان كان يعترف مع ذلك أن عقلنا ما زال قاصرا وأنه ما زال يقف أمام ظواهر كثيرة .

هذا كله كلام جميل لا تجد فيه مطعنا ، الا أننــا لا نوافقه على أن الهجوم على العقل البشرى واتهــامه بالقصــور أصبح ســمة من السمات المميزة للدعــوات الاسلامية المعاصرة فان هذا الحكم تعميما مجحفا لا وقت فيه ولا تروى أو ليس كل من يدعو الى الاسلام فى عصرنا هذا يحقر من شأن العقل ويدعو الى تجاهله ويقول أنه رجس من عمل الشيطان .

والحقيقة أننى لا أدرى كيف وقع دكتور فؤاد زكريا فى مثل هذ االتعميم غير العلمى وذلك الحكم الظالم وهو استاذ الفلسفة التى كان تنبغى أن يقوده التبصــير والتروى قبل أن تحقق الأحكام ولكن يبدو أن البغضــاء تحجب العقل بحجاب كثيف يمنعه من تأدية عمله فتنطلق الانفعــالات من عقــالها وتضيع رؤية الــكاتب وفكرته وكلماته .

٢ ـــ يبحث الدكتور عند نفسه بصفته ممن يحترمون العقل الانسانى احتراما شــديدا ، مؤكدا أن العقل قــد توصل بعمله وبمشاهداته وخبراته الى أن الانسان كائن جوهره التغير وعلى القــائلين بفكرة صلاحية الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان بمعناها المبــاشر أن يعترفوا بحقيقة أخرى تتناقض مع قضيتهم هذه تناقضا صارخا وهى أن العقل الذى خلقه الله للبشر والعلم الذى خصهم عليه ودعاهم الى التزود به هو نفســه الذى كشف عن حقيقة التغير الأســاسية .

ويقول الدكتور ابراهيم عوض : اهذا كلام العقل ، هل كل شيء فى الانسان يتغير وكل شيء او هذه نظرية احادية خاطئة ترى جانبا واحدا ولا تستطيع أن تبصر الجانب الآخر ، ان تركيب الجسد الانسانى مازال هو هو ومازال الانسان عقل يميزه عن الكائنات الأخرى من حوله وما زالت غرائز البشر هى غرائز الطعام والشراب والجنس والرغبة فى التملك أم ترى هذا كله قد تغير ونحن لا ندرى ، وعرفه وحده من دون البشر جميعا الاستاذ الدكتور صحيح أن طراز الملابس والبيوت مثلا تتغير من عصر الى عصر ، وصحيح أن معلومات الانسان قد نمت واتسعت وعمقت ، وصحيح أن وسائل المواصلات قد اصبحت اسرع وافعل باختصار ، لقد تغير كثير من انماط الحضارة البشرية لكن القول بهذا شيء والزعيم بأن الانسان كائن جوهره التغير شيء آخر الم نقل ان البغضاء تعمى وتصم .

٣ ــ ويهدف الدكتور من زعمه هذا الى ان يقول ان احكام الشريعة الاسلامية التى كانت تصلح لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم تعد تصلح لانسان العصر الحديث لأن هذا الانسان تغير فيه كل شيء ، أن الشريعة الاسلامية مثلا توجب التراحم بين الناس ، وان يساعد غنيهم فقيرهم ، وتقويهم ضعيفهم ، وتأمر بالعدل والاحسان والمساواة ، وندعو الى العمل والجد وترى الذوق السليم واللياقة الاجتماعية من الأمور الأساسية التى يجب على المسلم مراعاتها وهى كذلك تحرم الزنا والخمر والقمار والقتل والظلم والسرقة والغيبة والنميمة، فما الذى تغير فى الانسان بحيث يستوجب تغيير هذه الواجبات والمحرمات ، بالعكس لقد اثبت العقل البشرى، ان هذه القيم الاسلامية هى أساس بناء الحضارة الانسانية وأن ما حذرت منه الشريعة الاسلامية وحرمته ما هو الا سوس ينخر فى هذا البناء ولا يتركه حتى ينهار.

والغريب ان الأستاذ الدكتور بعد هذا كله ينبه الى تعاليم الاسلام المتعلقة بالعمل والمساواة والتنديد باكتناز الثروة والبر بالفقراء والضعفاء بل يمجد ما تدعو اليه الأديان كلها ــ لا الاسلام وحده ــ من خير وعدل اى أن ما نقوله للأستاذ الدكتور من أن بعض المتدينين يهتمون بالشكل اهتماما مبالغا فيه وان ذلك يكون فى كثير من الأحيان على حساب المضمون ، لكن ليس كل المتدينين يقينا هكذا ، ثم أن هذا لا ينبغى أن يزهدنا فى مبادىء الشريعة الاسلامية وأحكامها ، بل بالعكس ينبغى أن يدفعنا الى ان نبين لهم خطأ فهمهم للدين وانهم غفلوا عما فيه من أساسيات وتمسكوا بالهوامش ، والتفاهات، ان هؤلاء ليسوا أصحاب الدين ولا ما يكتبه حتى نترك الدين لهم وننصرف عنه ، لقد جاء الدين لنا جميعا ومن خطل الراى أن نفرط فيه .

ان واجبنا أن نبسط وجهات نظرنا ونلح فى دعاء الآخرين اليها حتى يقتنعوا بها اقتناعا حرا كاملا ، اما رفض الدين جملة والادعاء بأن الحكم الالهى لا يمكن تطبيقه الا فى عهود الرسل والأنبياء (كما يقول الدكتور فؤاد زكريا)وبالتالى فلا داعى لمحاولة تطبيق الشريعة ، لأن الهدف الأصلى أن نسعى الى تحقيقه دعوة تطبيق الشريعة هو هدف يستحيل بلوغه فأصحاب هذه الدعوة الذين تتملكهم رغبة حقيقية فى الاصلاح يريدون أن يتخلصوا من ضعف البشر وتخبطهم بالالتجاء الى حكم الهى يسمو على كل ما يصل اليه البشر بالقانون ، ولكن المشكلة الكبرى هى أن ضعف البشر وتحيزهم بلوفسادهم وانحلالهم سيظل ملازما لنا حتى عندما نحتكم الى الشرع الالهى ، أن مثل هذا الادعاء دليل علىالهزيمة من الداخل وهى التهمة التى يرمى بها الدكتور فؤاد زكريا أصحاب هذه الدعوة واتباعهم .

٤ ــ أن الدكتور فؤاد زكريا كما نفهم من ظاهر كلامه يؤمن بالأديان والرسل ، وعلى هذا فانى احب أن يجيب على هذا السؤال :

لماذا أرسل الله هؤلاء الأنبياء والرسل بالشرائع للبشر ، الرسلهم بها ليطبقوها فى عهودهم فقط فاذا ماتوا ماتت معهم وكان شيئا لم يكن ام ارسلهم لها ليكون لتطبيقهم لها مثالا يحتذيه اتباعهم من بعدهم ، ان الاجابة على هذا السؤال فيما أتدر من شأنها ان تضعنى واياه وجها لوجه فاذا ما اتفقنا على نقطة انطلاق واحدة وأما افترقنا كل فى سبيل . اننى أساله هذا السؤال لأن ظاهر كلامه يوحى بانه يؤمن بالله ورسوله ومعناه أننى واياه تضمنا دائرة واحدة وهى دائرة الاسلام ولكن المشكلة هى : هل سنتفق أو سنختلف حول نقطة الانطلاق : لعله يرى أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لا تمنع من الانحراف وهذا صحيح ، مائة فى المائة ولكن صحيح مثله مائة فى المائة ان ذلك غير مقصور على نصوص القرآن الحديث بل يمتد لشمل كل نص وقد قال هو نفسه آن أسمى المبادىء الدستورية لا تحول دون قيام حاكم طاغية باضطهاد رعيته ونشر الرعب والظلم بينهم ، فلماذا لم يرتب على هذه المقدمة أن يهمل الناس الدساتير وأن يكفوا عن محاولة تطبيقها ، ويرتب على المقدمة السابقة أن يكف المسلمون عن المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية اليس هذا موقفا متحيزا .

* * *

وهو يرى أن مبادىء الاســـلام وشريعته لم تطبق على مدى التاريخ الاســـلامى وهو يتخذ هـــذا ذريعة للانصراف عن هذه المحاولة المقضى عليها فى نظره ســـلفا بالفشل ، وليس هذا فى الحقيقة موقف الانصاف ، وانما الانصاف والمنطق يقتضينا أن نعرف أن كانت هذه المبادىء جديرة بمحاولة استلهامها وتطبيقهـــا أم لا ، وهل هى بطبيعتها قابلة للتطبيق أم أن فى أصـــل تركيبها ما يجعل هذا التطبيق مستحيلا . لقد قلت أن كلام الدكتور يومىء الى أنه يؤمن بآلهية المصـــدر الذى نبعت منه الشريعة الاسلامية فكيف يمكن التوفيـــق بين هذا الايمان والحكم المسبق بالفشل على كل محاولة لتطبيق الشريعة ، أليس معنى هذا أننا نرى فى ارسال الرسل وتطبيقهم للمبادىء العظيمة التى جاءوا بها عبثا غير مفهوم ، وتضييعا لوقت الانسانية فى أمر لن يؤدى بهم بعد انتهائه الى شىء لأنه غير قابل للتطبيق الا مرة واحدة فى أضيق نطاق طبعا من الناحية الجغرافية والعمرانية وهو نطاق المدنية أو على أوسع تقدير نطاق الجزيرة العربية كلها .

* * *

رد عبد الكريم عبد الله نيازى

(مكة المكرمة)

الأستاذ فؤاد زكريا أصبح الآن يشكل ظاهرة عجيبة فى وطننا العربى .. فهو لون من المثقفين .. لا لون له .. ولا طعم .. ولا رائحة .. ولكنه دائم التسلل الى ساحة الأفكار الوافدة المخربة يقننها ويؤصل لها وينشرها فى وطننا العربى وهذا الرجل ليس له اى قيمة علمية عندى .. ولا قيمة اخلاقية .. لانه التقط بعض العبارات التى ناقشته فيها من قبل وحولها الى شىء كريه وبغيض جرح شعورى الدينى .. ولا ينسى القراء مقالته — البترو اسلام — التى كتبها والتى رد عليها اخونا الأكبر الأستاذ العطار محللا ومفندا فى جريدة — المدينة — هذا الرجل كتب مقالا فى مجلة العربى العدد رقم « ٣١٦ » بعنوان (وهم الأصالة والمعاصرة) وقد هالنى ما فيه من فهاهة عقلية .. وسذاجة فكرية .. وتحلل من كل علم وموضوعية .. وكيف يكتب رجل مثل هذا الكلام الذى يسىء الى سمعته العلمية .. ومناصبه الكبيرة التى يتربع عليها .

* واتهمت نفسى بالتحامل لما دار بنى وبين الدكتور فؤاد زكريا فقررت ان اعرض المشكلة على الأستاذ الأديب الدكتور عبد العزيز الدسوقى وانا اعرف ان هذا الصديق قد ظل يصك وجه الدكتور فؤاد زكريا .. ويذبه بعنف فى متابعاته التى كان ينشرها فى مجلة الثقافة على امتداد عشر سنوات من عام ١٩٧٣ م — ١٩٨٢ م — وكان هدفى الأول أن أثر المقال على الصديق — عبد العزيز الدسوقى .. لأستثيره مرة اخرى ثم أختفى انا واتركه — مع فؤاد زكريا — يصفعه بالأدلة العلمية .. ولكن وجدت الأمر مخالفا كل الاختلاف .. فقد رد على بشكل حاسم — ان الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا .. يستفيد من هذه الحدة .. ولذلك أعتقد انك تفيد الفكر العربى والاسلامى اذا رددت عليه بشكل هادىء وعلمى ..

فقلت للدكتور الدسوقى .. ولكن هذا شىء خطير .. ان يقول عن قيمنا الأصيلة أنها وهم وخرافة .. فرد على قائلا .. يا اخى ان هذا المقال الذى كتبه — فؤاد زكريا — يرد على نفسه بنفسه — ثم هو لا يشكل تناولا علميا للقضية التى يتناولها .. ولهذا يصعب أن تناقشه مناقشة علمية لأن الحيثيات التى يقدمها بين يدى افكاره متناقضة اولا ثم هى بعد ذلك متهافتة فكيف ترد على هذا ..

فقلت له ولكن الرجل يثير افكارا كثيرة أعتقد انه يخفى خلفها هدفا خبيثا لا يستطيع أن يفصح عنه .. فقال لى مثل ماذا ؟ ؟ .

قلت له .. مثلا .. البدل الذى اقترحه بدل — الأصالة — والمعاصرة — هو — الاتباع — والابداع ..

فقال لى مبتسما .. المقال — مجموعة من الكلمات المتناقضة الواهنة .. فلا تجعل لها باطنا خلاف ظاهرها .. لأن ظاهرها غير متماسك أصلا ..

والا فكيف نفسر موقف رجل يأتى الى قضية حقيقية تمثل أعمق مشكلاتنا الحضارية .. فينكرها .. ويقول عنها انها وهم .. وان الصياغة لها باسم الأصالة والمعاصرة — حولها الى مجرد الفاظ متباينة لا تعبر عن شىء .. ثم تفلسف وقال .. ان القضية كانت مطروحة على شكل الاختيار بين ثلاثة بدائل .. أعنى اختيار الأصالة .. او المعاصرة او محاولة التوفيق بينهما ..

* * *

* ومع أن تشخيص هذه القضية يدل على أنه لم يفهمها جيدا وراح يطلق بعض التعليمات غير المحدودة ويزعم أن هناك اناسا يقولون بالأصالة .. وهناك اناس يقولون بالمعاصرة .. وهناك اناس يحاولون التوفيق بين هذين القطبين المتنافرين .. ومع أن هذا التشخيص خطأ كما سنعرف فانه قرر فى ايقان وحزم أن هذه الصيغة فى طرح المشكلة مسؤولة عن قدر كبير من التخبط الفكرى الذى تتسع به معالجاتنا لهذا الموضوع بل ان هذه الصيغة لابد أن تؤدى الى استمرار المناقشات حول الأصالة والمعاصرة الى مالا نهاية دون أن يتقدم تحليلنا للمشكلة .. وفهمنا لأبعادها خطوة واحدة الى الامام ..

فقلت للدكتور الدسوقى .. ولكن ما رأيك فى هذه الأفكار فرد على ! ! او تسمى هذه افكارا لو تأملت جيدا هذا التشخيص للدكتور فؤاد زكريا على ضوء قراءة مقاله كله لوجدته يصطنع شيئا من عنده لا يتعلق تماما بهذه القضية .. ويرتب على ذلك نتائج .. تنتهى الى الذين يناقشون حول الأصالة والمعاصرة يطرحون بدائل ثلاثة على حد تعبيره .. التمسك بالأصالة .. او السير فى

طريق المعاصرة .. أو القيام بمحـاولة توفيقية للجمع بين الاثنين ..

واعتقد أنك يا اخى تتذكر أننا تناقشنا حول هـذه القضية اكثر من مرة .. وأنك كتبت أنت ترد على كلام الدكتور عبد القـادر القط .. ولهذا احتكم اليـك أنت لتعرف أن الدكتور فؤاد زكريا لم يفهم القضية على وجهها الصحيح .

فقلت للدكتور — الدسوقى — هـذا صحيح .. واعتقد أنك قرأت ملخص ما دار بينى وبين الدكتور زكى نجيب محمود .. عندما قلت له أن أول من حـدد فكرة الأصالة والمعاصرة على هذا النحو الدقيق هو الدكتور الدسوقى ووافقنى الرجل على ذلك .. واعترف فى منزل الأستاذ عبد المقصود خوجه أنه أخذ هذه الفكرة لأنهـا اعجبته ولا يرى ضيرا أن يعترف بهذا على ملأ من رواد — الاثنينية .

* وقلت — أن الدكتور الدسـوقى حدد هـذه القضية بعمق وأبدى فيها رأيا متماسـكا يكاد يشـكل نظرية أصيلة فى حياتنا الثقافية والفكرية .

فالرجل يرى أن المفكر .. والفنـان .. والأديب العربى الذى يعيش فى هـذه المنطقة تمتد فى وجـدانه وروحه كل القيم الفكرية والأدبية والأخلاقية التى تتمثل فى تراث هذه الأمة منذ اقدم العصور ثم هو يقرأ ما يدور فى الحـاضر .. ويتأثر بما يتفق مع فـكره وثقافته .. وتحدث بعد ذلك عملية المزج اللاشعورية بين أجمل ما فى الماضى .. وأجمل ما فى الحاضر .. ويتكون من هـذا — المزج اللاشعورى — المركب الجديد .. الذى يختلف عن الماضى والحاضر لأنه مزاج منهما له خصائص المركب وهى خصائص جديدة لا توجد على حده فى كل أفراد هذا المركب ..

وقال لى الدكتور عبد العزيز الدسوقى .. يا اخى أشكرك على هذا .. وأقر لك أنك حـددت ما أعنى من فكرة الأصالة والمعاصرة .. ولا تنسى أن هـذه الفكرة عندما بدأت أرأس تحرير مجلة الثقافة فى سنة ١٩٧٣ م جعلتها شعارا لهذه المجلة تحت آسمها واضفت اليهـا محورا ثالثا فأصبح الشعار على النحو التالى :

(الحرية — الأصالة — المعاصرة)

واعتقد أن اضافة الحرية الى هذه الفكرة تشـكل محور النظـرية كما رأيت أنت لأننا يمكن بهـذا المركب الجديد أن نحـارب من خلاله معركة الثقـافة العربية بالوضوح بعيدا عن هذا الابتذال الذى يحاول أن يجرنا اليه الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا ..الذى لو فهم القضية لـما كتب هذا المقال أصلا — ولما قدم فكرة — الاتباع — والابتداع — فهى الفكرة الوهمية .. لا فكرة الأصالة.. والمعـاصرة .. أنه يتصـور أن الذين يقولون بالأصالة يقولون بفـكرة العيش فى المـاضى .. والذين يقولون بالمعاصرة .. يقولون بفكرة العيش فى الحاضر .. وقـد سبق أن فندت هذا وقلت أن هذا الأمر مستحيل للطرفين لأن الذى يعيش فى الحـاضر يفكر باللغة وهى من آثار الماضى .. ويمتلىء وجدانه بالقيم الروحية وهى من قيم الماضى .. ولا يستطيع أن ينفصل عن هذا الماضى الذى يحل فيه بطريقة لا شعورية وكذلك الانسان الذى يؤمن بالأصالة يعيش بصورة يومية على مبتكرات الحاضر .. فهـو يذهب الى الجـامعة راكبا سيارته ويحـاضر فى الميكرفون ويسـتخدم الآلة الحاسـبة .. فلو أراد أن ينفصل عن الحاضر ليعيش فى الماضى لـما استطاع .. لأن كل هذه المبتكرات الحديثة تشكل باللاشعور ذوقه.. وطريقـة تفكيره .. اذن الذى يحدث أن المـاضى يحل باستمرار فى الحاضر .. ويتأثر فى الناس سـواء أكانوا أدباء أم فلاسفة أم مفكرين ..

كما أن الحـاضر يعدل الماضى الذى ينتقل الينـا ويحل فينا باستمرار ..

* هى عملية مركبة معقدة لاشعورية تمزج أجمل ما فى الماضى بأجمل ما فى الحاضر ليتكون من هذا المزيج المركب الجديد .. الذى يطور الثقافة العربية باستمرار .

وقاطعت الدكتور الدسـوقى .. قائلا .. ولكن ما رأيك فى فكرة الاتباع والابتداع .. فرد على قائلا .. يا أخى .

هذه ليسـت فكرة على الاطلاق .. فبعد أن يقرأ الدكتور فؤاد زكريا هذا الكلام سـيرى أن كل المقومات التى بنى عليهـا هذا الوهم .. وهم الفـكرة البديلة . لا أساس له من الواقع .. والا فليقل لنا أسماء من قالوا بالعيش فى المـاضى وأسـماء من قالوا .. بالعيش فى الحاضر وأسماء من وفقوا بين الماضى والحاضر .

بطبيعة الحال لن يسـتطيع الرد على ذلك وهذا مربط الفـرس أن الدكتور فـؤاد زكريا يريد أن يصفى حساباته معنا فله مشكلة مع الدكتور زكى نجيب محمود

وله معى هذا التاريخ الطويل من الهجوم عليك .. وله معك معارك ادبية كبيرة ..

ان فكرة — الاتباع — والابتداع — هى التى تثير كل المشكلات لأن الاتباع والابتداع — بناه أساسا على ان هناك تناقضا بين العيش فى الماضى .. والعيش فى الحاضر .. وهذا التناقض الموهوم الذى لا يوجد الا فى ذهن الدكتور فؤاد زكريا هو الذى جعله يتصور أن هذه الصيغة الجديدة — الاتباع — والابتداع — هى التى تدل المشكلة — مع أن الأمر غير هذا تماما لأننا بفكرة المركب الجديد حللنا كل المشكلات فليس هناك أطراف يتصارعون حول الماضى والحاضر .. ولكن هنا عملية دنياميكية مستمرة تمزج اجمل ما فى الماضى بأجمل ما فى الحاضر فيخرج هذا المركب الجديد متألقا باهرا وهذا المركب يختلف من فرد لآخر بحسب مفردات الماضى والحاضر .. التى يمتلىء بها عقله ووجدانه .. أما قضية الاتباع او الابتداع فهى القضية المشكلة فنحن جميعا سواء أكنا مجددين ام سلفيين لابد لنا من اتباع مجموعة من القيم الفكرية والروحية التى جاء بها ديننا .. كل الغيبيات مثلا لابد أن نؤمن بها .. ونتبع الرسول الذى جاء بها وهذه عملية الايمان .. وقد أكون مؤمنا عالى الايمان .. ناصع العقيدة .. ومع ذلك فأنا شاعر مبدع .. ورحم الله الشاعر على محمود طه الذى وصف الشاعر بقوله :

هبط الأرض كالشعاع السنى
بعصا ساحر وقلب نبى

※ فالشاعر — على محمود طه هو صورة من الايمان والابداع .. ولهذا اعتقد أن الابداع لا يصلح «قسيما» للاتباع ومن هنا تنهار فكرة فؤاد زكريا المنطبق الكبير .. انه يتوهم مشكلة من فكرة الأصالة والمعاصرة فيحاول أن يحلها فتتعقد الأمور بين يديه .. وتتهافت الأفكار .. ان فكرة الاتباع والابتداع لاتصلح بديلا للأصالة والمعاصرة لأنها قد تكون بشقيها فى فكرة الأصالة وتكون بشقيها أيضا وفى بعض الأحايين فى فكرة المعاصرة .. اما اذا قلنا الأصالة فلا تعنى ابدا المعاصرة واذا قلنا المعاصرة فلا تعنى أبدا الأصالة .. فهما قسيمان موجودان فى الواقع يمتزجان فيكونان مركبا جديدا .. وتلك هى الفكرة .. اما الاتباع والابتداع فلا يرى لهما وجها الا فى ذهن الدكتور فؤاد زكريا .. فالأستاذ / أحمد حسن الزيات — عندما حاول أن يطلق كلمة عربية على — الكلاسيكية — اطلق عليها كلمة اتباع .. وعندما اراد ان يطلق كلمة على الرومانتيكية — اطلق عليها كلمة — الابتداع — ولم يعش هذا الاطلاق .. ولم يشتهر لأن المصطلحين غامضان . فهل يأتى — فؤاد زكريا — بعد خمسين عاما ليطلقها على أخطر قضايا حضارتنا العربية .. وهى الأصالة والمعاصرة فهذا شىء مضحك ..

※ كنت اتصور — أيها القراء الأعزاء .. أننى عندما أتصدى للانحرافات التى بدأت تهب علينا من كل جانب .. وكنت أتصور أننى عندما أواجه الأفكار الشاذة بالنقد الصريح والتفنيد الدامغ .. كنت اتصور أننى أقف على ثغر من ثغور هذا الوطن أرد عنه كيد الكائدين .. وازود افكار المنحرفين والضالين — كنت اتصور أننى بهذا الصنيع سأنال تقديرا من الرجال الأحرار الذين يدافعون عن قيمنا الاسلامية .. وتقاليدنا الحضارية الأصيلة .. مهما كانت الحدة التى أواجه بها عناصر الانحراف .. فيشهد الله انها حدة مبعثها الغيرة على مستقبل هذا الجيل من شباب وطننا الغالى الذى يعيش فى وطن فيه أغلى المقدسات وأغلى الحرمات .. هذا الوطن الذى يتميز بأنه يحمل راية الاسلام عالية خفاقة ويعمل فى سبيل الله لابد أن نحصن شبابه من كل التيارات العادية التى تحاول أن تقتلع هذه الأمة من جذورها .

※ كانت رسالة — أيها القراء الأعزاء — اعمل لها واضحى فى سبيلها بكل شىء .. كنت احتمل الهجمات العنيفة التى تأتينى ممن يسمون أنفسهم الحداثيين أو المجددين أو غيرهم .. وكان هذا الهجوم يسعدنى ويجعلنى اعتقد اننى أسير فى الطريق السليم ولكن الذى اثار حزنى واعتصر قلبى وملأنى بالشجن ما أحسسته اخيرا من أن بعض الذين كنت أنتظر منهم أن يدعم موقفى تحولوا الى حرب على .. وانا لا احزن أيها الأعزاء من الحرب والنضال .. فمنذ وهبت نفسى للعمل العام وانا اخوض المعارك بكل قوة وضراوة .. لا أهاب شيئا الا الله .. وكان يمكن ان أتصدى لهؤلاء فى ساحة معركة شريفة متكافئة واضحة وضوح الشمس .. ولكن أقول : والأسف يملأ نفسى ان هؤلاء جميعا آثروا أن يكونوا كالخفافيش .. يعملون لحربى فى الظلام ويفحون كالأفاعى ويدسون الدسائس .. ويدبرون المكايد .. والله يشهد انهم لكاذبون . تلك هى القضية التى أحببت أن أشير اليها فى حلقة اليوم فى ضوء الحرية .. لا أريد أن أقول انها مأساة الحرية .. فما أكثر ما تحمل المجاهدون فى سبيل الله من كيد الكائدين .. ودس الدساسين .. وصنيع خفافيش الظلام .. التى لا تستطيع أن تعمل فى النور ..

※ أيها القراء الأعزاء .. بقيت كلمة واحدة ..

وعهد .. هذه الكلمة هى أننى سأفوض أمرى الى الله .

وأما العهد .. الذى اخذه على نفسى أننى سأظل كما كنت دائما أخطب واكتب فى الصحف .. وأؤلف الكتب .. وأواجه كل الأخطاء .. والانحرافات بنفس القوة .. ولن أكف مهما كانت العقبات.. لأتمكن من ايصال صوتى اليهم ولن أكل أو أمل أو أتخـــاذل مهما طال الطريق .. والله غالب على أمره .. والى اللقاء ان شاء الله .

* * *

الفصل الرابع

دحض شبهات الدكتور لويس عوض
قيم الإسلام : القيم المظلمة

وصف الدكتور لويس عوض قيم الاسلام بأنها قيم مظلمة وجامدة تشـوه نفوس النشء ، وأنها قيم مزيفة تعـادى للتقـدم والحضارة وهى قيم ناسفـة للحـرية ومهدرة لحقوق الانسـان وهى قيم مهدرة لكل شـعور بالأخوة الوطنية والانسانية .

وقد واجه الدكتور أحمد عبد الرحمن ابراهيم هذه الحملة الشعواء فقال :

اطلق الـكاتب هذا السيل الجـارف من الأوصاف المقذعة دون أن يتفضل ببيان القيم (الجامدة المظلمة) التى كان لها هذا القدر الموفى من القدح الذميم ، ومن جهة اخرى أورد اشـارات سريعة مبهجة للقيم المسـتنيرة العصرية ، لا تفيد علما ولا تنور طريقا ولا تشـكل فكرا يمكن أن يهتدى به تطوير التعليم ، وليس هذا من المنهج العلمى الموضوعى فى شىء ، فالعلم تحديد دقيق ومنطق محكم ، وبرهان مقنع ، ولا مكان فيه للابهام والمراوغة والغمز واللمز .

ونحن نجد عذرا لكاتبنا الكبير الشهير فهد قد جرب مرة المنهج العلمى الدقيق فتصدى له فتيان أكفاء زيفوا له كل قول وافحموا له كل رأى ، وفكر كاتبنا الشهير وقدر ثم همز ولمز ولف ودار ، ثم أطلق عبارته الأخيرة الزاعقة محملة بكل ما تنوء به نفسه من مشاعر الكراهية لقيمنا العليا (الجامدة المظلمة) .

ونحن لا ننتظر منـه أن يعلمنا قيمنـا ونحن كذلك لا ننتظر ان يفيدنا بشىء صحيح عن قيم العصر (النيرة المرنة) وانما كنـا نتمنى أن يصرح ويحدد حتى نواجه الصراحة بمثلها ونقارع التجديد بتجديدات .

كنا نتمنى أن يفتح نقاشا واسعا حول هـذا الموضوع الخطير أو الأخطر ، ولكنه ـ بكل اسف ـ أن يتعاطى الفـكر والعلم ولجأ الى الالتواء والتهويم .

ونقول له : لقد دعينا ما تريد على الرغم من ذلك .

وهذه يا سيدى بعض قيمنا (المظلمة الجـامدة) نعرضها عليك ونرجوك أن تشغب عليها وتكشف للناس من ظلامها وظلمتها وجمودها وتحجرها :

١ ـ واول قيمنا (الجامدة المظلمة) العدل الذى أرسل الله رسله وانزل كتبه من أجل اقامته بين النـاس فلكل انسـان ثمرة عمله وعليه تبعة أخطائه (من عمل صالحا لنفسه ومن اساء فعليها) هذه هى القيمة العليا التى تضـبط كل تشريع وتقنين وتنظيم فى أمتنـا وهى لا تعرف تفرقة عنصرية ولا ثقافية ، تنزل آيات القرآن يوما لتحرر يهوديا من الظـلم فى المدينة المنـورة وتدين مسلما من الأنصار كان هو المعتدى على الحقيقة ، ونحن لا نعرف أن القيم العصرية (النيرة المرنة) تضاد قيمنـا العليـا هذه ، بل نعلم يقينـا أن العـالم كله والأمم المستضعفة على وجه الخصوص تنشد هذه القيمة العليا وتشخص بأبصارها فى كل أفق ، بحثا عنها ، فلا تجد من الدول العصرية ـ المنيرة المرنة ـ سوى العدوان والنهب والسلب والاسـتغلال والعربدة الحربية فى البر والبحر والجـو .

ونحن لا نعتزم التخلى عن قيمنـا هذه الجـامدة المظلمة ، ونرى أنها عزنا وفخرنا وسعادتنا ولسـوف نسعى يوما لغرسها فى النشء من أولادنا ولسوف نقدمها الى كل شعب مظلوم فى حب وثقة بانتصارها فى نهـاية المطـاف .

٢ ـ والحرية : عندنا تتجسد فى طاعة ربنا ، لا فى التمرد عليه ومعصية دينه وهى واحدة من القيم العليـا (الجامدة المظلمة) التى نعتز بها أنها جزء لا يتجزأ من كياننا الروحى ، وهى التى أثارت أمتنا ضد القهر الداخلى والعدوان الخارجى ، هى التى اشعلت ثورات القاهرة ضد بونابرت وهى التى اشعلت ثورة ١٩١٩ وهى التى

أوقدت ثورة الجزائر وهى التى ستوقد كل ثورة فى بلادنا ضد الاستبداد والطغيان والجور .

وهـذه القيمة العليـا هى التى مهـدت الأرض للديمقراطية الليبرالية وهى التى اهلكت انصار الفاشية والنازية وجعلتهم نسيا منسيا على الرغم من كل الكتب والخطب والمقالات والدعاوى التى روجت لهـا سنوات طوال فى طول البلاد وعرضها وكنت أنت للأسـف واحدا من اعلامها وقبضـت منها الراتب الكبير ونلت فى ظلهـا المنصب الرفيع .

٣ ــ والعفة عندنا قيمة عالية رفيعة وهى التى صانت أمتنا العريقة من شرور الفحشاء وضمنت حقوق الأزواج والأولاد ووطدت أركان الأسرة والمجتمع كله من بعـد ذلك ، وهى التى طهرت ترابنا ومـدننا من امتهان البغـاء على شاكله (المادامز) التى تنشر مواجيزها فى روما وباريس ونيويورك وحمت شـبابنا من اللواط وكل ما يجره من ويلات الايدز والزهرى والسـيلان ، فضلا عن انتهـاك قيمة الانسان ولولا هـذه القيمة (المظلمة الجامدة) لأفلح نابليون فى تعميم البغاء فى بلادنا ، وهو الذى جلب معه (٤٠٠ بغى) أطلقهن فى شوارع القاهرة لنشر القيم العصرية (النيرة المرنة) بين المصريات .

لكن العفة ضاربة بجذورها فى تربة مصر ويسقيها ضميرها بعصارة نقية من حضارتها العريقة التالدة .

٤ ــ والسلام عندنا من القيم العليا واسم ربنـا (السلام) وتحيتنا السلام وقرآننا يدين العدوان والحرب والتدمير ويحثنا على البر بكل ما يسالمنا ويجاورنا والوفاء لكل من يعاهدنا ويعاقدنا ، ولذلك نحن لا نسيغ النفاق الأوربى المعاصر ، الذى يتشدق بألفاظ السلام وفى الوقت نفسه يمعن فى العدوان التدمير والتخريب ويجند من أجل ذلك شياطين الجن والانس الذين يطلق علهم العلمـاء والخبراء زورا وبهتانا .

* * *

٥ ــ والأخوة الانسانية قيمة عليا عندنا وقد كان حول رسولنا صلى الله عليه وسـلم الحبشى والرومى والفـارسى الى جانب العربى القرشى ، وتاريخ امتنـا يشـهد بأننا لا نجتمع على عرق أو قبيلة أو لون ، بل على عقيدة وديانة وفكرة ، كانت امتنا دائما بوتقة تصهر الأجناس المتباينة فى كيان واحد لا رابطة بين عنـاصره سوى الأخوة الاسلامية وبذلك سـبقنا العصر الحديث الذى عرف هذه الحقيقة مؤخرا فطبقها الروس ليشكلوا الاتحاد السوفييتى وطبقها الأمريكيون ليشكلوا (العالم الحر) .

ونحن مأمورون من ربنـا بأن نبر بأهل الكتـاب ونحبهم ما لم يخرجـونا من ديانتنا أو يعتـدوا علينـا ونحن نتمنى أن ينشر التدين المسيحى واليهودى ويطغى على الالحـاد الذى يروج له نفر ينتسـبون زورا الى اليهودية والمسيحية .

هذا هو فى ايجـاز معنى الأخوة الانسانية عندنا وهو كما ترى جزء من ديننا لا مجرد رأى لكاتب أو سياسى أو صحافى .

٦ ــ والايمـان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، قيمة من القيم عندنا وقد عرفنا ما عرفنا من علوم العصر وفلسفاته مما وجدنا فيها ما يخدش من توحيدنا شيئا ، ولقد بدأ بعض المشتغلين بالفلسفة يزينون للناس الالحاد وينفرونهم من التوحيد فنفر الناس منهم وهجروهم حتى ماتوا غيظا وكمدا .

هذه بعض قيمنا (المظلمة الجامدة) التى يطالبنـا الكاتب الشهير بأن ننبذها لكى نشـخص بأبصارنا نحو لندن وباريس وموسكو ونيويورك نلتمس القيم العصرية النيرة المرنة من عبقريتها .

ولا احسب أن احدا من القائمين على تطوير التعليم فى بلادنا يمكن أن يلتفت الى مثل هذا الشباب المقنع ضد قيمنا العليا والأمة كلها من ورائهم يقظة متحفزة ، تطالب فى اصرار باحترام قيمها العليـا وتريد أن تراها ماثلة فى كل درس وكل كتاب وكل قصيدة شعر .

اباطيل واسمار .

يقول لويس عوض كلاما فى تفسير القرآن دون أن ينظر فى مراجع التفسـير الكبرى فيكذب ، فتصويره للورود السماوية وهى مريم العذراء ، (روزا مستيكا) يوحى بأن له صلة بما جاء فى سورة الرحمن (فانشقت السماء فـكانت ورده كالدهان) وقد اتخـذ دانتى من ورده الفردوس رمزا لمريم العذراء ووصف الوردة بأن أوراقها من الملائكة .

وهكذا سقط لويس عوض فظن أن وردة ليسـت عبارة عن اللون فجعلها (روزا مستيكا) .

هاجم شاكر اتجاهه هذه المعانى عند اديبنا بآيات

عذاب يوم القـــيامة لمجرد اشتراك فى اللفـــظ بين الاسم والصفة ثم يعود الى تضية سقط الزند التى اخـــذ منها بيتا من خلال ابيات يذكر فيها شيخ المعره الابل ويصف ما لاقته نهارا فى البيداء من هجير وظمأ وما رعت ليلا من (صليان) وهو نبات له جذور ضخمة ، فلم ير فى الكلمة غير الصلبان جمع صليب وينشرها بحروف كثيرة (تغص بالصلبان) وتغص أى تشرق بالصلبان النبات .

يسمى لويس عوض الأوراق التى استغلها وثائق وهى تقارير جواسيس وملفات مباحث ضمت تقارير مخبر من انجلـــترا وهى المراجع الجديدة التى استعد لهـــا فى دراســـته والتى وضـــعتها الادارة الانجليزية فى حجره ليضعها على اعظم الباحثين فى شأن الرجل .

وهكذا اعتمـــد لويس عـــوض على وثائق وزارة الخارجيـــة الانجليزية فى شأن الرجـــل القبطى اللعـــين يعقوب الذى كون جيشا من أرازل القبط . وشـــن بهم حربا على ناس سبت لحساب الحملة الفرنســـية نجعلة خبرا لا يكتب وثيقة استقلال مصر وهو فى حالة هذيان من حمى الموت على السفينة التى تقله الى فرنسا .

عبد العظيم باسم

* * *

الفصل الخامس

دحض شبهات محمود أمين العالم

نريد ان نحيا بحضارة الاسلام

رد : دكتور احمد عبد الرحمن

اول ما نأخذه عليه اصدار الأحكام العامة على الفكر الدينى الأصولى السلفى فى حين أن هذا الفكر يتمثل فى تيار عريض متنوع متباين ، وتجدد الخلافات بين أهله الى الأصول نفسها وتبعا لذلك ليس من الانصاف ان تصدر عليه حكما واحدا شاملا كما فعل الأستاذ العالم حين نسب اليه مساندة السياسات والممارسات الرسمية .

ان عقيدتنا فى مصر كما يعلم الجميع سلفية مع ميل الى الأشعرية لدى البعض والقسمةالكبرى بين المصريين اليوم تضعهم فى صنفين : الأول يصر على الاسلام الشامل كنظام حياة لا مجرد عقائد وعبادات . والثانى : رضى بالاسلام الجزئى الذى يقنع بالعبادات والعقائد والأحوال الشخصية والجميع سلفى فليس فى مصر شيعة ولا خوارج ولا مرجئه ولا معتزلة . وربما يصدق على الراضين بالاسلام الجزئى أنهم ساندوا ويساندون السياسات والممارسات الرسمية فى مجال الفكر والعمل، اما انصار الاسلام الشامل فلا يمكن أن يصدق عليهم ذلك بحال ، ولقد ذاقوا من الحكام فى عهد عبد الناصر بالذات الوانا من العسف والتنكيل على حين عاش الآخرون فى سلام وادع وهذا كله معروف للناس .

٢ — اعتبر الأستاذ العالم أن الفكر القومى الناصرى ثقافة غير رسمية . وأظن أن القومية مجرد جزء من الثقافة العلمانية ، اريد له أن يقف فى وجه الخلافة الاسلامية فى الصدام الشامل بين الثقافتين الأوربية والاسلامية ولا يمكن أن توضع الناصرية الى جانب السلفية والماركسية بوصفها تيارا ثقافيا .

٣ — عاب الأستاذ العالم على الفكر الاسلامى أنه لا يقدم اجابات لأسئلة الواقع — يعنى لا يقدم حلولا لمشكلات الديون والاسكان والمرافق ، الخ وأظن أن من الاجحاف أن تطالب السلفيين بحل المشكلات الموروثة للناصرية وهم لا يزالون مطاردين خارج الحقل السياسى وتضن الدولة عليهم بتنظيم يجمعهم أو حتى مجلة تعبر عنهم ، ويضطر بعضهم فرارا من الحضارة الى التحالف مع حزبى العمل والأحرار ، ويبقى البعض الآخر صامتا محاصرا .

ويعلم الأستاذ العالم أن السلفيين من أنصار الاسلام الشامل لا يسعهم تقديم أى حلول لمشكلات تنشأ فى المجتمع بسبب التطبيق الجزئى للاسلام ، ومتى نجح نظام ما فى تحقيق نتائج ايجابية ملموسة فى الوقت الذى تستبعد منه أهم آلياته الاجتماعية والسياسية .

ان الفكر القومى الناصرى المشبع بالماركسية هو الذى أبرز لنا الديون والنكسات وأزمات الأزمات والمرافق وغيرها .

وما أظنه يستطيع ان نتخلص منها ومن التبعية المترتبة عليها ونحن لا نزال نستدين دون توقف .

٤ — ويقول فى وصفه ازمة الفكر العربى المعاصر .

أن هذا الفكر يحتقر نفسه ويرى أن أمته أمة عقيم بلهاء مفلسة وتبعا لذلك يقعد كل أمل فى اصوله وامكاناته ويفتح فى كل جامعة مكتبا للاستيراد الثقافى بين امريكا أو روسيا ويقذف كل من تسول له نفسه أن يعكف على الأصول أو ينمى الجذور باتهامات الرجعية والتخلف والتعصب والظلام .

هذه هى الجرثومة الثقافية والمنهجية لأزمة الفكر العربى وهو لن يتعافى الا بالخلاص منها فتعود النقطة المفقودة وتذهب عقده الدونية .

ويتصل بهذا ما ارتابته من وجود حضارة معاصرة

واحدة وليس لنا اذن حضارة مستمدة مستقلة . ثم انك أدنت النموذج الغربى منها ، الاستعمارى الاستغلالى ماديا وثقافيا ، ولكن أليس النموذج الشرقى : استعمارى استغلالى ايضا الم يلتهم الاتحاد السوفييتى سبعين مليونا من المسلمين فى القوقاز وغيره ألم يرسل أسلحته العصرية الى أفغانستان لكى يفرض عليها الشيوعية كرها ، وهل نسينا ما فعله الروس فى المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولنده أخيرا .

أما فى المجال الاقتصادى فالنموذج الشرقى — الذى تنتسب اليه ثقافيا ويشكل النصف فى الحضارة الوحيدة فان جورباتشوف يراجع الأوراق كلها وهو يشطب الكثير من كتابات ماركس ولينين ويقول بعضهم : أن اتمام الاصلاح لن يتحقق الا بتمام القضاء على الماركسية .

فالحضارة الوحيدة فى رأيك هى روسيا وأمريكا أو العالم الشرقى والعالم الرأسمالى وأنتم تنكرون حضارة الغرب والغرب ينكرون حضارتكم الشمولية أما نحن فنظن والله أعلم أن لدينا حضارة متميزة حضارة مبادىء وقيم لا حضارة مصالح مادية نفعية ، فردية أو طبقية أو قومية ، وهى لست حاكمة اليوم ولكنها موجودة وفعالة وعالم عريض هو العالم الاسلامى ولذلك فنحن نختلف معكم فى النظر الى أصولنا فأنت ترى أن نستلهمها فقط ونحن نرى أن نحياها ولا نحييها لأنها لم تمت أبدا ، نريد أن نحيا على التوحيد ونطرد الالحاد ، ونريد الا يثار ونبرأ من الأنانية ونطبق العدل ونحارب الظلم .

* * *

الفصل السادس

كمال الملاخ
وإحياء نظرية الفرعونية الباطلة

كان الحديث فى ندوة الاحتصـــام عن دعاوى كمال الملاخ بمناسبة وفاته ولقد أفضى الأستاذ كمال الملاخ الى ما قدم وانتهى بذلك شوط طويل امتد أكثر من ثلاثين عاما كان يعمل خلاله يوما بعد يوم على تغذيه نظرية خاطئة فى محاولة جبـــارة متصلة على صفحات كبرى الصـــحف العربية ليجعل من فكرة وثنية قديمة جاءت المســيحية المنزلة بعدها لتدحضها وتكشف زيفها وتزيل آثارها ثم جاء القرآن الـــكريم ليكشف زيف فرعـــون وفرعونيته وادعائه الألوهية وتكذيبه لنبوة موسى عليه السلام وتدمير هذه المحاولة التى كانت ترمى الى تألية الحاكم المستبدذلك أن الفكر الاسلامى لا يرد (تاريخ مصر الفرعونية) ولكنـــه يضـــعه فى مكانه الصحيح فى عصور ما قبل الاســـلام ، ايمانا بالدور الذى قام به الأنبياء عليهم الســـلام جميعا قبل بعثه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويذكر لهم الايمان بالبعث والحساب ، وهو يعتبر هذه المرحلة جزءا من تاريخ مصر اختلطت فيه ملامح الايمان بالبعث والجزاء بالوثنية على النحو الذى صوره نبى الله يوسف حين قال (أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) .

ولكن الفـــكر الاســـلامى يقف موقف واضـــحا من المؤامرة التى قام بها النفوذ الأجنبى فى ثلاثينات القرن الميلادى من أجل اعادة لون مصر الفرعونى باحياء تراث الفرعونية الوثنى واحلال الصبغة الفرعونية فى المبـــانى والملابس والأغانى والفن (وخاصة فى رموز الجـــامعة وبنك مصر من كليوباترة الى الكاتب الجالس القرفصاء) محل الطابع الاسلامى وهى محاولة لم يستطع المتصدرون لها الا أن يعلنوا هزيمتهم المبكرة وفشلهم السريع بعد أن فتحت لها أبواب الصحف وقامت جماعات تدعو لها ، لأمر بسيط يسير هو أن الفرعونية لم تخلف تراثا تاريخيا أوثقافيا (من فلكلور أو شعر أو اغانى) يمكن ان يمثل أدبا أو تراثا أو شيئا من ذلك ومع سقوط المحاولة فان هناك من كان حريصا على اشاعة هذه الروح الفرعونية واحيـــاء هذا التراث والاذاعة به وفى ظل تشجيع السياحة تعالت الصـــيحة فى هذا الاتجاه وجرت محاولات كثيرة لجعله مقابلا للاسلام أو بديلا له فى اخلاقيات المجتمع وتقاليده .

وقد اســـتخف كمال الملاخ قومه فاندفع فى هـــذا الاتجاه اندفاعا شـــديدا وكانت هناك قوى تحـــاول أن تفرض هذا التيار فقد استخدموه فى بعث تاريخ الفراعنة وفتحوا له الأبواب وأعطوه الهدايا والنياشين والدرجات العلمية ونسبوا اليه اكتشاف مراكب الشمس على الرغم من الشبهات المحيطة بدوره فى هذا الأمر ، وكان يظن أنه بهذا الطريق الذى يسلكه يخدم ثقافة ما أو عقيدة ما ، ولكنـــه لم يكن يعرف أنه يزيف تاريخـــا ناصعا مشرقا متصل بألف مليون من المســلمين ، وأن هدفه يرمى الى تمزيق ثقـــافة الأمة التى تنتسب كلهـــا الى تراث الفكر الاسلامى الذى استصفى كل تراث الأديان السماوية وفكرها وفلسفاتها باعتراف عشرات من الباحثين المتصفين من غير المسلمين .

كان هدفه احيـــاء فـــكر وثنى قام على الأصـــنام والتماثيل وانحرف عن عبـــادة الله الواحد الأحد وما كان يمكن ان يكون هذا التراث الزائف مرتبط بالدين المنزل ، نعم كان موسوعة فى هذا الركام من الزيف وحصاد الهشيم وقبض الريح ، فى محاولة لاحيـــاء عصر وفكر وعقـــائد جاءت الأديان المنزلة لكشف زيفها ، وحمـــاية العقل البشرى من فسادها واضطرابها وكان كمال الملاخ الذى أفضى الى ما قدم يتعامل مع الناس من خلال مفهوم عابد فى معابد الأصنام التى أزالتها الديانة المسيحية ولم يستطع أن يحرر نفسه من الولاء الوثنى فى عناد وتعصب شديدين وكان يردد هذه الكلمات التى دفنها التاريخ من الفكر الوثنى القديم ومن ذلك دعواه الباطلة فى مقال له فى الأهرام ١٩٨٧/٥/٦ بأن ١٦٢ كلمة أجنبية دخلت القرآن الكريم من بينها كلمة فرعون فى دعاوى عريضة لتأصيلها من أيام البطالمة وقبلها وكذلك ادعائه أن عددا من الألفاظ المتداولة فى اللغة العربية قد انحدرت من اللغة المصرية القديمة وقد دحض مقولته الدكتور أحمد حسين الصاوى الذى قال أنه لمن المؤسف أن الأســـتاذ الملاخ قد جانبه

التوفيق فى حكمه ولعل هذا راجع الى فرط تحمسه لكل ما هو مصرى قديم وقلة احتفاله بما هو عربى أصيل وقد اختار الدكتور الصاوى عددا من الالفـاظ التى أوردها فكشف عن أنها من الألفاظ العربية العريقة منها كلمـات (لقمة ، خبز ، الرقاق ، كال ، واحـد ، اثنتان . دمس) .

ونبه الدكتور الصـاوى الى من زعموا أن اسـم القاهرة الذى أطلقه المعز لدين الله على هذه المدينة ليس فى الحقيقـة من اللغة المصرية القـديمة وأن كثيرا من الكلمات موجودة فى اللغات الارامية والسريانية والعبرية فهل يجيز ذلك أن نقول أن تلك الألفاظ اشتقت من اللغة المصرية القديمة ؟ وقال الدكتور الصاوى فى دحض مقولة الملاخ .

(ان العنصر العربى الخـالص متمثلا فى بعـض موجات الهجرة من قبائل شبه الجزيرة العربية ، كان من الروافد التى كونت شعب مصر القديمة ، وكان من نتائج ذلك التأثير الحضارى لذلك دخول بعض الألفاظ العربية الى اللغة المصرية القديمة وليس العكس) . ا . هـ

ومن ناحية أخرى نقول أن مسألةالكلمات الأعجمية التى ادعى البعض أنها دخلت الى القرآن ، قد ناقشـها عشرات الباحثين وانتهوا الى حقيقة لا يداخلهـا الشك بأن كلمات القرآن كانت عربية أصلا ، ومن الجائز أنهـا استعملت فى لغات أخرى ولكنها من اللغة العربية القديمة التى هى أساس كل هذه اللغات التى ظهرت من بعد وأن القرآن الـكريم برىء تماما من الألفـاظ الأعجمية وهو ما تقول به . ولكن كمال الملاخ كان يرمى الى غمز هـذه الثقافة الاسلامية .

ونحن نتساءل لمـاذا هذا التوسـع فى تاريخ مصر القديمة وبمفاهيم الفرعونية والوثنية والادعاء بأنها دخلت كل ميادين الثقافة والتاريخ والطب والأطعمة مع أن هذه المرحلة مرتبطـة بعصر طفولة البشرية وصراع المـلوك والفراعنة التى كان كل من يجىء بعد الآخر يمحو اسمه ويثبت الاسم الجديد . وما يهللون به عن توحيد اخناتون الذى وحد عبادة الفراعنة من الأصنام الى عبـادة قرص الشمس وسمى هـذا توحيـدا وتتردد دعاوى هـذه الصراعات دون أن ترتفع اعلاء الأنبيـاء الذى دعوا الى التوحيد الخـالص ادريس وابراهيم ويوسـف وموسى عليهم السلام .

وكفى فى هذا المجال أن نردد ما كتبه المؤرخ العالمى ارنولد توينبى : عبثا بحثت فى الحضـارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة ، وأعلن أن الحضارة الفرعونية قـد ماتت من قديم وهذه حقيقة يجب أن تكون موضـع نظر الخادعين والمخدوعين على السواء فليست الفرعونية الا تلك التماثيل المكدسة فى المتاحف أو المعلقة على سـفوح الجبال أما فى الوادى فقد انقرضت كما يقول دكتور جمال حمدان كما انقرضت من قبل تماسيح النيل فى النهر وأن انتقال مصر الى الاسـلام بعد أن مرت بها الدعوة الابراهيمية الحنيفيـة ودين موسى ودين عيسى ليعطى الصـورة النهائية لحضارة كونها الاسلام ولثقافة بنـاها القرآن واللغة العربية ويمثل وضـعها هذا انقطاعا طبيعيـا لا سبيل الى اسـتعادته مع العصور الحديثة والديانات القـديمة ولم تكن العروبة والعربية حـديثة على مصر بدخول الاسـلام بل كانت موجات متواليـة خرجت من الجزيرة العربية قبل آلاف السنين ووسدت هذه المنطقة واعدتها للنقلة الى المرحلة الأخيرة .

* * *

وهذا الكلام الذى يردده الملاخ يقال لجماعة من الكارهين للاسلام الذين يحاولون أن يصوروا وقد تشكلت تقاليدها من خارج عطاء الدين الحـق ، ويدعون أن مصر هى التى شكلت وجودها الذى أعطاها طابعها القـائم من القدرة على المقاومة وحماية ذاتيتها ونحن نقول لذلك أن هـذا التشـكل انما تم فى ظل العقيـدة التى جاء بها ابراهيم وادريس ويوسف وموسى (وهى دين التوحيد الخالص) وعـن كل ماكان فى عصـور ما قبل الاسلام من معـالم الايمـان أو الثبـات أو الخلق الـكريم فهو من الحنيفية السمحاء التى استكملت وجودها بالاسلام ، هـذا هو العطاء الحقيقى الذى صنع لمصر كيانها القوى القـادر على حماية وجودها فهى بالاسـلام واللغة العربية قد أقامت هذا الصرح العظيم وكل تفسير غير هذا فهو من أضاليل الشعوبية وأهواء الشعوب .

ومن ناحية أخرى فان ما ادعاه طه حسين وغيره من أن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ، هذا القول قد كذبته أبحاث العلمـاء وحفريات الآثار وقيـام قاعدة (الانقطاع الحضارى) التى أشار اليها علماء الجغرافيا والآثار تدحض دعاوى الشعوبيين أعداء الاسـلام ولعل هذا هو سر ذلك الولاء العجيب الذى كان قائما بين الملاخ وطه حسين .

هذا وتقول أحدث النظريات وأقواها أن الفراعنة موجة من موجات الجزيرة العربية التى هاجرت وأنه توجد

روابط سلالية بين العرب والفراعنة ترجع الى يربو عن خمسة آلاف ســـنة مضت ، وان هنـــاك آثار باقية حتى يومنا ، هذا يدل على ان مصر كانت متصلة ببلاد العرب الجنوبية ، هذه حقائقيقتضينا الانصاف ان نسجلها ولقد كان هدف دعاة الفرعونية ادخال مفاهيم الوثنية المرتبطة باليوثنية اليونانية وتجديد عبـــادة البشر بعـــد ان حطم الاســـلام هذه العبودية واعلى من شان الله وحده جـــل شانه .

وتؤكد ابحاث دقيقة ان الامتداد الفرعونى قد انقطع تماما قبل الف سنة من دخول الاسلام .

ولقد كان من الضرورى تصفية هذه القضية فى هذه المناسبة .. وبالله التوفيق .

***

الفصل السابع
نقص شبهات عبد الرحمن الشرقاوى

كان السؤال الهام فى الندوة عن الدور الذى قام به (عبد الرحمن الشرقاوى) فى تزييف التاريخ بين كتبه الثلاث : « محمد رسول الحرية » ، «على امام المتقين» و « الفاروق عمر بن الخطاب » الخ وما لاحظه الباحثون علىهذه الكتابات من تحريف ، وتزييف ، وتصرف ، تحت اسم الفن ، والكتابة القصصية التى يحاولون أن يعطوا صاحبها الحق فى أن يغير الوقائع .. ولقد شهد عبد الرحمن الشرقاوى على نفسه فى كتابات كثيرة أنه يسارى الوجهة ، وأنه ينظر الى الاسلام على انه دعوة الى تحرير العبيد ، ومقاومة الأثرياء .. وقد استغل « أبا ذر الغفارى » فى هذا الصدد استغلالا كبيرا فى محاولة لجعله « اشتراكيا » ومنطلقا للذين يريدون أن يأخذوا من تاريخ الاسلام وتراثه مدخلا لغايات أبعد .. وكذلك كان الأمر بالنسبة للامام الحسين .. فقد أراد له الشرقاوى أن يكون شبيها بجيفارا ، أو بديلا له .. وتلك رغبة الماركسيين فى استغلال تاريخ الشعوب وتراثها فى كل أمة ولغة لادخال مفاهيمهم ، وابراز دعوتهم من وراء قلوب وعقول ونفوس طامحة ذات أهواء وآمال فى التبريز والظهور والصدارة .

ولقد كان عبد الرحمن الشرقاوى على هذا النحو ، ومن هذا القبيل .. وربما كانت البيئة نفسها ، وما يتصل بالاقطاع فى العصر الفائت ، وما جرى من مظالم الأمراء والسراة فى القرى المصرية وتصورهم وحشمهم وسلطانهم كان بعيد الأثر فى نفوس هؤلاء الكتاب الذين أرادوا أن يصوروا ذلك من خلال قصص تحت أسماء براقة خادعة تحت اسم « الأدب الواقعى » واستغلال مصطلحات براقة .. كالحرية والعدل ! ! .

هؤلاء الذين ظهروا فى مرحلة الأربعينات تحت « عباءة الوفد » بقيادة « الدكتور محمد مندور » الذى اتخذ من جريدة صوت الأمة مركزا لتجمعهم من أمثال أحمد بهاء الدين ، نعمان عاشور ، عزيز فهمى ، عبد الرحمن الشرقاوى .

ولقد كانت هناك محاولة للاستفادة من الوسائل الفنية الحديثة .. كالشعر ، والمسرح ، والرواية استغلها أمثال عبد الرحمن الشرقاوى ، وصلاح عبد الصبور ، ونعمان عاشور .. وقد ترددت بين الماركسيين دعوة لينين الى تفسير الاسلام وتاريخه تفسيرا ماركسيا من خلال التفسير المادى للتاريخ .. وهى المحاولة التى حاولها بالكتابة أحمد عباس صالح حين اصطنع فكرة اليمين واليسار فى الاسلام ، وجرى وراءها حسن حنفى وغيره .. بينما ذهب عبد الرحمن الشرقاوى ليكمل الطريق (الثغرة) التى شقها الدكتور طه حسين فى تاريخ الاسلام وتصوير كبار الصحابة على انهم جماعة من محترفى السياسة .. وقد خاض عبد الرحمن الشرقاوى هذه الثغرة بجراة بالغة ، واستطاع ان يجمع كل ما جاء فى كتب الرواة والباطنية والشعوبية ، واتكأ على مصدر مرفوض تماما هو (كتاب الأغانى) الذى ألفه رجل زنديق فاسق شعوبى هو « أبو الفرج الأصفهانى » الذى كان باطنيا مجوسى الفكر، وجعله مصدرا لكثير من رواياته عن الصحابة .. وكان الدكتور طه حسين هو دعا طلبته بكلية الآداب الى اتخاذه مصدرا ومرجعا ، واعتمد عليه هو فيما كتب فى كتابه «حديث الأربعاء» عن الزنادقة أمثال «أبو نواس» و « بشار بن برد » و «الضحاك» و « حماد عجرد » .

ولقد كان وراء هذا الاتجاه فى العصر الحديث قوى تغريبية قوية راغبة فى ترويج هذه المفاهيم .. وجاءت رغبة الماركسيين الى استغلال تاريخ الاسلام اضافة جديدة .

ولو كان عبد الرحمن الشرقاوى قد درس الاسلام باخلاص كما يدعى رفاقه الذين تكاثروا على الدفاع عنه بعد موته لرجع الى مصادر الاسلام الأصيلة ، ولصحح الشبهات التى أخذت على كتابه « محمد رسول الحرية » الذى كشف فساد وجهته الامام محمد أبو زهرة ، أو

صحيح مفاهيم كتابه « على امام المتقين » الذى كشف الشيخ محمد الغزالى اخطاءه وكان هو قد اعطى عهدا بتصحيح ما راجعه فيه العلماء .. ولكنه كان يضمر فى نفسه الوجهة والهدف التى توسع فيها من بعد فى كتابه عن « الفاروق عمر » .. ولم يكن هذا لحساب الاسلام .. بل على حسابه .. لأنه كان يميز بطل كتابه بصورة عالية ثم يحول كل من حوله الى لصوص ، وأفاقين ، وطامعين ، فى محاولة لتصوير المجتمع الاسلامى فى عهد الراشدين بصورة فاسدة شديدة الفساد .. ولم يكن الاسلام على هذا النحو دينا نزل من اجل حرب الاغنياء ، او ثورة الفقراء .. ولكنه جاء بمنهج جامع يشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع . وليس العدل الاجتماعى الا فرعا من فروع هذه العقيدة . وليست حرية الانسان فى المجتمع الا حرية منضبطة .. وهو فى منطلق وجهته يسير على نحو أصيل ربانى جامع ، يجمع بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، ويقيم المسئولية الفردية ، والجزاء الأخروى ، ويرسم أصول العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة ، والميزان الدقيق للتعامل فى مجال التجارة والزراعة والصناعة .. وهو منهج يختلف عن تلك المطروحات المضللة الخادعة التى طرحها فلاسفة الفكر البشرى من قادة الفكر الراسمالى والماركسى والوجودى والبرجماتى الخ .

وقد قرض هؤلاء الشعر ، وكتبوا المسرحية ، واستغلوا فنون الأدب الغربى المستحدثة فى سبيل اشاعة هذه المفاهيم المضطربة تحت اسم الدفاع عن « الجماهير الكادحة والفلاحين » ، وانطلقوا من هذا الى ضرب مفهوم البلاغة العربية ، والبيان العربى ، فدعوا الى التحرر من الالتزام بالوزن فى الشعر ، وترك القافية ، والروى فى محاولة اتسع نطاقها من بعد حتى سميت بالشعر الحر ، وترك القوافى فى سبيل هدم قاعدة أساسية ، ثم فتحت أبواب الدعوة الى الحداثة بمفهوم هدم البيان العربى ، وتحطيم النموذج البلاغى القرآنى تحطيما فى دعوة عريضة الى التحرر الكامل من ضوابط الشعر .. وكان هذا أحد أهداف الدعوات المنطلقة على أقلام هذه الطبقة التى جاءت ووزعت الأدوار بينها حول التراث ، وتاريخ الاسلام ، والبيان العربى ، والقيم الاسلامية الأساسية .. وهكذا حاول عبد الرحمن الشرقاوى اضفاء طابع ماركسى على تاريخ الخلفاء فيما رسمه من صور عن حياة أبى بكر ، وعمر ، وعلى (رضى الله عنهم) فى محاولة لتصوير الحياة الاجتماعية الاسلامية فى مرحلة الراشدين على أنها صراع اجتماعى ، وصراع طبقى .. فهو ينحى شخصية الخليفة ، ويضرب كل من حوله من الشخصيات على نحو تبدو فيه الصورة كريهة مضطربة ، فاذا ذهبت ترجعها الى النصوص والى المصادر وجدت التجاوز فى عرض الروايات الباطلة ، والأقاصيص الزائفة واضحا ، ووجدت من ورائها تلك الفكرة المسمومة التى تقول بأن الروائى أن ينصرف ويتجاوز وقائع التاريخ من أجل العقدة الفنية ، والحبكة الروائية .. وهذه هى مصيبة ما يسمى بالدراما .. وقد ظن الداعون الى هذا ، والراغبون فيه أنه سيرضى بعض النحل المحاربة لأهل السنة والجماعة ، أو أنه سيسحب « البساط » من تحت اقدام التاريخ الاسلامى ، أو يزيل من نفوس الشباب المسلم ايمانهم العميق بتاريخهم ، وبالاعجاز الواضح فى انتصاراتهم ، والتى قامت أساسا على الايمان والتضحية والاستشهاد وتحقيق وعد الله عز وجل بالنصر للفئة المؤمنة القليلة على الفئة الباغية الكبيرة .

ولقد حقق عبد الرحمن الشرقاوى مطمح « لينين » فى وصيته بتفسير التاريخ الاسلامى تفسيرا ماركسيا وماديا على النحو الذى اتجه أصحاب المذاهب المادية والماركسية اليه باتخاذ التاريخ الاسلامى مادة لدس أفكارهم فى أمثال : « الفتى مهران » و «مصرع الحسين» لعبد الرحمن الشرقاوى حيث تتيح المسرحية لهم أن يقولوا ما لا يستطيعون أن يقولوه فى الكتابة العامة .. ولذلك فالتاريخ عندهم ليس أكثر من اطار للحركة ، وهم لايحترمون وقائعه ولأحداثه ويستهينون بطابع البطولة فيها فيفرغونه من مضمونه ، ويصبون عليه من السخرية والتهكم ما جعله موضع استخفاف قارئه وسامعه ، ويرون مع ذلك أن مواقف الاسلام مضت وانتهت ولا قيمة لها ! !

ولا ريب أن اخضاع تاريخ الاسلام للتفسير المادى للتاريخ ، أو التفسير القومى للتاريخ من شأنه أن يحجب نور التاريخ ويطفىء وهج البطولة ، ويحيل الى أوضاع مادية جافة .. فضلا عن تجاهله التام لمفاهيم الألوهية ، والنبوة ، والغيب ، والبعث ، وهى قيم أساسية فى التصور الاسلامى .. وهم يصدرون من منطلق القاعدة الحسية التى ترى أن كل ما لا يمكن ادراكه بالحس فهو لا يدخل دائرة الموجود .. وهى نظرية باطلة تماما وظالمة للتاريخ الاسلامى .

ولا ريب أن أخطر ما ارتكبه عبد الرحمن الشرقاوى هو تصويره للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو خاتم المسلين . وصاحب الرسالة الخاتمة ، والقرآن العظيم المهيمن على كل الكتب السماوية السابقة بجزئية منه أنه رسول الحرية او أنه بشر لاقتطاع الآية القرآنية **(قل انما أنا بشر مثلكم)** والوقوف عندها دون تكملتها **(يوحى الى)** وكان هذا هو منطلق محاولة الشرقاوى الجريئة على الله والحق التى هاجم فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراسة وانتقص من أقدارهم ، وحولهم الى سياسيين محترفين ! !

الماركية وتوظيف التاريخ لخدمة المذهبيات الطارئة
(الدكتورة : بنت الشاطىء)

وظف الماركسيون التاريخ الاسلامى لخدمة (ايديولوجيتهم) فخرجت فى المرحلة الماضية كتب جامعية اعطت الصحابى الجليل (أبا ذر الغفارى) رضى الله عنه لقب (زعيم المعارضة والداعية الأول الى الاشتراكية) وفسرت حركة الخوارج بتمرد مبكر على الأوضاع التقليدية ، أسقط هيبة الخلافة وارخص دماء الصحابة رضى الله عنهم ، فدية للتغيير وضريبة للتطور .

واعتسفت توجيها ايديولوجيا بالغ الغرابة والفحش لحركات المغامرين السفاحين الذين خرجوا على الدين والأمة فى العصر العباسى وعاشوا فى الأرض فسادا .

فى القرن الثالث للهجرة ظهر فى البصرة مغامر ادعى النسب الى العلويين فجمع من فيها من الدف والزنج والسودان واختار لهم شعارا (انكم قد بليتم بقبح فنظر فاعينوه بقبح مخبر ، اجعلوا كل عامر فقرا وكل دار قبرا فوطئوا البصرة وقتلوا فى يوم واحد اربعة وعشرين ألفا من اهلها ، واندفعوا كاعصار جامح يخربون ويذبحون وطالت بهم المحنة خمسة عشر سنة (٢٥٥ — ٢٧٠ هـ).

حركة الزنج هذه تفسيرها الأيدلوجى : ثورة على الوضع الطبقى الأوتوقراطى ، قامت على أهاجة الفتن والحروب بين الطبقات قبل الثورة الشيوعية بأكثر من عشرة قرون .

بعدها فى أواخر القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع عاثوا فى الأرض فسادا وقطعوا طريق الحاج وقتلوا وسبوا وما القوا ممكنا بلفظ مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى .

وادعى ابو طاهر الجنابى القرمطى الألوهية ، وهاجم مكة فقتل الوفا واستملك النساء والعلماء من ضاق بهم الفضاء كثرة وانتزع الحجر الأسود وحمله الى عاصمة ملكه وزعم انه مغناطيس القلوب ثم اعادة بعد سنتين وقد ساومه عليه احد امراء المسلمين بخمسين الف دينار ذهبا . هذه الحركة تفسيرها الأيدلوجى لأحد الجامعيين : حركة تقدمية رائدة لتحرير الناس من أفيون الشعوب .

الظاهرة ليست جديدة فمن قديم كانت الطوائف والأحزاب والعصبيات تسخر الدين والأدب لخدمتها ولكن ليس على هذا النمط اليائس من خدمة متغيرات متلاحقة ومذهبيات طارئة ، بسقوط مصطلحاتها على تاريخ مضى من قبل أن تسمع الدنيا بلفظ واحد مما يقولون ثم أن الناس فيما مضى كانوا يعرفون لكل حزب مقاصده ومنابره وأرانا اليوم نتلقى بضاعة الفكر والأدب مختلطة يدور فيها المفتون والكتاب والأدباء مع الريح ويتمركسون ويتأمركون فيما بين يوم وآخر أشبه ما يكون بعارضة أزياء ليس بين ظهورها على المسرح فى زى وآخر الا دقائق معدودات لتبديل ما تعرضه اكثر الدائرين مع الريح ، يحتالون على تغطية تلونهم المقوت ونفاقهم البغيض الى الناس بأقنعة التمويه بطلاسم الرموز المحتملة للشىء ونقيضه .

* * *

الفصل الثامن

الدكتور محمد نور فرحات
والفلسفة النسبية

الثبات فى العقيدة الاسلامية قضـيـة أساسية ويحاول خصوم الاسلام أن يحولوا الاســلام الى متغيرات خاضعة لظروف الزمن

اكتشف ذلك الدكتور احمد عبد الرحمن فى كتابات الدكتور محمد نور فرحات حول الشريعة الاســلامية ، ويرى أن الفلسفة النسبية ، هى الســند الفكرى الأخير والمرجع النهائى لكل التيارات المناوئة لمبدأ (الثبــات) الاسلامى فى العقيدة والشريعة والأخلاق والنظم ، سواء كانت وضــعية منطقية او ماركســية او وجــودية او براجمانية .

فالنسبية تزعم أن الحقائق العلمية والقيم الخلقية والمبادىء التشريعية والنظم الاجتماعية والسياسية كلها تتبدل وتتغير بتغيير الزمان والمكان .

لا فرق فى ذلك بين قانون وضعى وشريعة دينيــة وبهــذا التصور الشامل للفلسفة النسبية يقــرر أنصار التجديد أن الشعر المقفى واللغة الفصحى والعمــارة الاسلامية والشريعة الاسلامية والعقيدة الاســلامية ، كانت صالحة لعصر النبوة والراشدين ولكنها لا يمكن أن تصلح لنا اليوم ولا مفر أمامنا من أحد أمرين : اما نقل نظائرها الأوربيــة العصرية واما التخلــف عن العصر والفناء تبعا لذلك .

هــذه هى الحقيقة التى أطلت علينا على استحياء من كلام الدكتــور نور الدين فرحات والتى تبرز بقــوة ووضوح فى كتابات أنصار التجديد على اختلاف مشاربهم وكان الأستاذ طارق البشرى على حق حين أبدى تخوفه من امتدادات النسبية الى ثوابت الاسلام واصوله .

لقد ولدت النسبية فى حجر السوفسطائيين الذين صاغوها فى العبارة المشهورة : الانسان معيار كل شىء بمعنى أنه هو الذى يحدد الحقائق العلمية والقيم الخلقية وبوسعه أن يعد لها أو يلغيها أو يستبدل بها غيرها وقد تصدى لهم سقراط مدافعا عن موضوعية الحقيقة والقيمة واســتقلالها عن ارادة الانســان وشهواته وقد ماتت النسبية دهــرا طويلا ، ثم بدأت من جــديد وشاعت فى الفكر الفلسفى الأوربى الحديث ولعل (نيتشه) هو أبرز من عبر عنها بأسلوبه الخطابى الزاعق وتبنتها المذاهب الفلسفية المادية الأوربية .

وفى الشرق الاسلامى لقيت النســبية ترحيبا حارا من أنصار التجديد الذين نشطوا فى الترويج لها بوصفها البوابة ةالفكرية الواسعة للنقل من أوربا والتف حــول النسبية كبار الكتاب من أمثال السيد ســيد احمد خان (الهند) وضياء كوك الب (تركيا) واســماعيل مظهر (مصر) وســلامة موسى والدكتور زكى نجيب محمود والدكتور لويس عوض وكثير غيرهم .

يقول الدكتور زكى نجيب محمود فى وصفه للفلسفة النسبية : (ان المذاهب الفلسفية المعاصرة تكاد كلهــا تجمع على تحليل كل شىء الى ظواهره المتغيرة دون أن تزعم وجودا لأى كائن ثابت وراء تلك الظواهر (ثقافتنا فى مواجهة العصر) .

فهى فلسفة العصر وتبعا لذلك فهى شرط المعاصرة ولا مهرب لنا من الأخذ بها والتضحية بكل ما يتطلبه هذا الأخذ مهما كان عزيزا علينا والحق أن الفلسفة المعاصرة والحديثة والوسيطة والقديمة لم تجمع كلهــا على شىء أبدا والا ما كانت لتسمى فلسفة .

فالتباين والتنوع يطبع تاريخ الفلسفة كله ويميزها على غيرها من العلوم والمعارف وفضلا عن هذا فان آخر صيحة فى الفلسفة الأوربية المعاصرة هى (مذهب الثبات) التى تبناه كل من (هرل وماكس شيد ونيكولاى هاريمن) وهؤلاء أعلام كبــار فى عالم الفكر والفلسفة المعــاصرة ومذهب الثبات أو المذهب المطلق عند هؤلاء هو المذهب

المناقض للنسبية فهو يؤكد أن الحقيقة العلمية والقيمة الخلقية ثابتة مطلقة ، لا تخضع للبعد التاريخى ولا للبعد المكانى وانما الذى يتغير هو معرفة الناس بالحقيقة والقيمة وتبعا لهذا يمكن القول بدون مبالغة : ان الفلسفة النسبية الجذرية الشاملة قد سقطت نهائيا وأصبحت كغيرها من الأفكار الفلسفية مجرد تاريخ .

غير أن انصار النقل من أوربا مضوا فى الخط القديم بهمة ونشاط على الرغم من انقطاع قوة الدفع عبر البحار وكان المنتظر ان يتريثوا قليلا ويفكروا ويحوروا من مواقفهم لكن شيئا من ذلك لم يحدث وبدأ للمراقب المحايد أن الأهواء والمصالح والأحكام المسبقة قد هيمنت على الفكر الحر المتفتح الموضوعى .

ان الاعتراف بمذهب الثبات أو المذهب المطلق يعنى الكثير بالنسبة لهم ، أنه يعنى التراجع عن أفكار أساسية افنوا اعمارهم فى الترويج لها وبنوا أمجادهم الفكرية استنادا اليها وهو سند فكرى قوى للسلفيين يأتى من عالم ملحد لا يهمه من أمر هؤلاء وأولئك شيئا فهذا واحد من طلائعهم يتبنى المذهب النسبى الشامل على أطول الخط يورطه بعض القراء الأذكياء فى حوار هادىء فاذا به يقرر أن العدل قيمة ثابتة ويثب القارىء فزعا ويكتب اليه مذكرا بأنه تخلى عن النسبية (الحبيبة) فلايستطيع المجدد الكبير أن يثبت أن العدل قيمة نسبية وبدلا من ذلك يجذب القارىء الى مسألة مفتعلة كل الافتعال ، بعيدة كل البعد ، فيقول أن مضمون العدل نسبى فقد كان القاضى فى القديم يعدل فى قضايا تتعلق بالخيل والشعير والعدس وهو اليوم يعدل فى مسائل تتعلق بالسيارات والآلات والمعدات .

* * *

فلماذا هذا الاصرار وهذا العناد ازاء حقيقة تفرض نفسها فرضا على عقولهم لا شىء غير المصالح والأهواء والأحكام المسبقة والعداء الدفين لكل ما من شأنه أن يدعم موقف الاسلاميين فى مطالبتهم الدعوية بالعودة الى الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ونظاما شاملا الحياة .

ان العدل هو القيمة الكبرى الحاكمة فى التشريع الاسلامى فكل تشريع عادل ولو لم يستند الى كتاب أو سنة هو تشريع اسلامى مشروع وكل تشريع ظالم فالاسلام برىء منه .

ونحن نسأل أنصار النسبية :

هل ترون أن النسبية تشمل هذا التصور الاسلامى للعدل .

اذا اثبتم ذلك بصرف النظر عن تطبيق الشريعة فى التاريخ كان لكم أن تطالبوا بتجاوزها وأن عجزتم — وأنتم عاجزون لا محالة — فليس لكم سند فى أيه مطالبات من هذا القبيل .

والحق أن القضية لا تنحسم بالتعميم ولابد من البحث فى الجزئيات .

ولا شك أن الاسلاميين يعلمون ما يجوز عليه التغير ، وما لا يجوز عليه ، لأن الأصوليين انضجوا هذه المسائل عبر العصور ، أما أنصار النسبية فيميلون الى التعميم ورسم المخططات، وقلما يبحثون فى الجزئيات لأن ذلك يقودهم حتى الى انكار آيات قرآنية قطعية الدلالة مثل آيات الميراث والقوامة والتعدد والحجاب وتبعا لذلك يحكم عليهم القارىء المسلم بالتنصل من الاسلام ويعاملهم على هذا الأساس ، وهم لايحبون ذلك بطبيعة الحال ، وعلى الاسلاميين أن ينهجوا النهج المضاد ويركزوا على الجزئيات فيبنوا تصادم الآراء المناوئة مع آيات الكتاب والسنةويدعوا الأمر للأمة لتحكم بين الفريقين .

ومن الواجبات المهمة للطرف الاسلامى ايضا أن يتصدى للتهويل الزائف من جانب أنصار التجديد فهم قد دابوا على تصور الشريعة على أنها تحكم بالتحجر والجمود والموت على كل نواحى الحياة من عبادة العابد الى غرفة العازف .

ومن اليسر القيام بهذا الواجب لأن الثبات فى الاسلام ليس له هذه الامتدادات الخرافية الرافضة الزائفة .

أن النصوص تصنف الى نصوص قطعية الدلالة وأخرى ظنية وهذه الأخيرة تسمح بقدر من الاجتهاد والتغيير تبعا لذلك فى مجالات التشريع والتنظيم .

ولكن النصوص لا تشمل كل شىء فى الحياة ، وهناك مجال واسع جدا يسميه الأصوليون (ما لا نص فيه) وهو المجال الذى يتسع للتغيير والتبديل والتطوير اعمالا لمبدأ المصلحة وبشرط أن يأخذ المجتهد فى اعتباره

مقاصـــد الشرعة العليـــا ولا يخالف نصـــا من كتـــاب ولا سنة .

وهنا يتعرض الموقف الاســـلامى للعبث ، اذ نجد انصار التجديد يستندون الى مبدأ المصلحة لا كما عرفه الأصـــوليون وكما شرطوا له بل بوصـــفه حاكمـــا على النصوص مهددا لها وهذه جريمة دينية وعلمية تكررت ولا تزال تتكرر الى اليوم . ان الاســـلام يتبنى الثبـــات الجزئى الذى يســـمح بالتغيير والتطور فيما لا تحكمـــه النصوص وانصار التجديد يريدونها نسبية شاملة لاتبقى ولا تذر ومن المؤسف أنهم جرجروا بعض الأقلام الاسلامية لدعم هذه الفلسفة النسبية وهدفهم النهائى هو الاحلال الثقافى الكامل . الفلسفة تحل محل العقيدة ، والقانون الوضعى محل الشريعة ، والأخلاق النفعية محل الايثار ، والقومية محل الأخوة الاسلامية والربا محل المضـــاربة والمشاركة والاباحية محل العفة والفاشية محل الشورى والحروف اللاتينية محل العربية ، وبصـــفة عامة ، كل ما هو أوربى أن يحل كل ما هو اسلامى .

***

هذا هو موقف فلاسفة التجديد ، ولا نتجنى على أحد فقد أوضحوا هذا الموقف تماما استنادا الى النسبية الشاملة واعترضوا على عقيدة القدر وعلى قوامه الزوج وعلى تعدد الزوجات واعتبروا الحجاب رده على الرغم من النصـــوص القرآنية والحديثية القطيعة ولعل هـــذا وغيره يكشف عن تغلغل النســـبية فى معظم مشـــكلاتنا الثقافية .

يقول طارق البشرى : أن الموقف الاســـلامى من الثبات يستند الى العقيدة وأن أسس التشريع الاسلامى تستمد فى النهاية من الأساس العقدى الخاص بالايمان بالغيب والايمان بالربوبية وبالرسالة المحمدية كما أنها تستمد من أساس تاريخى حضارى .

وهذا حق دون ريب ، ولكنا نخشى أن يساء فهمه فربما توهم البعض أن الثبات فى الاسلام لا ســـند له من العقل وأنه مجرد نتيجة للايمان بالغيب ولا يمكن الدفاع عنه فى مواجهة الفلسفة النسبية التى تتشدق بمصطلحات العلم الحديث وتنتسب اليه فلابد أن نشير فى ايجاز الى السند العقلى ، والسند الاجتماعى الذى يدعم تصـــور الاسلام للثبات .

فقد بينا أن الفلسفة المعـــاصرة تتجه بقوة الى نبذ النسبية واحتضان المذهب المطلق ، على الرغم من أنهـــا لا تصدر فى ذلك عن وحى أو دين ، وفضلا عن هذا فان الأصلين الأساسيين للاسلام (لا اله الا الله محمد رسول الله) يســـتندان الى براهين عقلية محكمة ، فالتوحيد الاسلامى موقف عقلانى واختيار فكرى ، يلفظ الالحـــاد والأثنية والتثليث والشرك اســـتنادا الى منطق العقل ، والقرآن الكريم حافل بالأدلة العقلية ، وكذلك الأصـــل الثانى للاسلام قائم على قناعة عقلية بصدق الرســـول صلى الله عليه وسلم وعلى من يريد التفاصيل أن يطلبها فى مظانها .

وهناك السند الاجتماعى التطبيقى الذى يتمثل فى الاخفاق الذريع للمجتمعات التى طبقت النسبية وتخلت عن القيم الخلقية الصحيحة ، فى أمريكا وأوربا فقد ضاع من الأمريكيين والأوربيين الأمن والسعادة على الرغم من الوفرة المادية وأطبقت عليهم الجريمة السوداء ، كل هذا يشهد بأن الفلسفة النسبية مهلكة وأن الثبات على القيم الصحيحة منجاة وهى طريقنا واختيارنا بصرف النظر عن مدى تطبيق الشريعة عبر التاريخ . ا . هـ

* * *

الفصل التاسع

دحض شبهات أدونيس

كان السؤال عن زيارة ادونيس (على احمد سعيد اسبر) للقاهرة ، والضجة التى أحدثها بوصفه — كما وصف نفسه — شعوبيا رافضيا ، عدوا لدودا للتراث الاسلامى ، داعية الى المذاهب الباطنية والطائفية ، منكرا لدور أصحاب مذهب اهل السنة والجماعة ، نشأ فى احضان الارساليات التبشيرية فى بيروت ، واعد كما اعد غيره كثيرون من اصحاب الأسماء التى لمعت وخدعت لتقوم بمهمة اختراق حركة اليقظة ، وتثبيت دعائم الدعوة الباطلة الزائفة الى هدم وحدة الأمة الاسلامية ، وضرب العروبة من خلال حركة «الحزب السورى القومى» الذى اقامه انطون سعادة . وهو حزب فاشى عنصرى معاد اشد العداوة للعروبة والاسلام . وكان انطون سعادة هو الذى اختار (على احمد سعيد) ليكون « شاعر القافلة » وهو الذى أطلق عليه اسم ادونيس (الذى هو اله قديم من آلهة البابليين) وادونيس فى الأسطورة ثمرة علاقة آثمة نشأت بين الملك القديم « نيساس » وابنته « ميرها » وقد تحولت ميرها عقابا لها على خطيئتها مع ابيها الى شجرة ومن جوف هذه الشجرة خرج ادونيس رمزا للحياة الجديدة الخالية من الاثم والرذيلة . وكان انطون سعادة ولوعا باحياء هذه الأساطير القديمةارتباطا بمشروع « سوريا الكبرى » وقد أعدم انطون سعادة لخيانته . وبقى ادونيس يردد أوهامه وخطاياه ايمانا بتلك الأخطار التى تجاوزها الزمن ، وتخطاها التاريخ بعد أن مكن الله تبارك وتعالى فى الأرض لدعوة الحق ، وجاءت الصحوة الاسلامية لتطمس كل آمال ومطامح هذه المدرسة التى تولاها القس يوسف الخال ، والتى شغلت الناس طويلا من خلال « هدم عامود الشعر » و «الحرب على بلاغة القرآن » و « التنكر للخليل بن احمد ومنهجه على النحو الذى عرف من بعد فى شعر التفعيلة » فى خطة جانحة شاملة لهدم التراث الاسلامى ، ورفض الماضى والانقطاع عنه ، والحملة علىالتاريخ الاسلامى والادعاء بانه متناقض ، والتنكر للقوالب الشعرية ، ووصفها بأنها قوالب سلفية مرتبطة بالرجعية . ولقد اطلق على ادونيس فى الأخير «قائد حركة اليسار فى الشعر الحديث» وهذه واحدة من جيوب الغزو الفكرى وحركة التغريب التى تتمثل اليوم فى عديد من الجيوب ، والتى تواجه الاسلام وفكره ومفاهيمه بحرب كاسرة بعد أن استجيب للاسلام ، وعلت راياته ، وتشكلت له قاعدة فكرية رصينة .

ومنذ عقد الستينات اللعين وأدونيس — ومعه جماعة من الباطنية — يسبح ضد التيار فى حقد شديد بعد أن فقد كل أحلامه ولم يعد يجد الا خلفاء « يوسف الخال » الذين صنعوه وباعوه ، وحاولوا أن يتوجوه أميرا للشعر المستمد من تراتيل التوراة والانجيل . فليكن أميرا على هذه الظاهرة التى سوف يسجل لها التاريخ حكم الخزى والعار ! ! .

ان ادونيس لم يجد فى تراثنا الا تلك الصفحات المسمومة التى كتبها الباطنية والملاحدة وأهل التصوف الفلسفى. هؤلاء الذين أولاهم اهتمامه من قبل عبدالرحمن بدوى فى كتابه (شخصيات قلقة) وغيرهم ممن اعتبر هؤلاء الزنادقة قادة لتيار العدل الاجتماعى المتمثل فى القرامطة والزنج والمزدكية وغيرها فهم كما قيل بحق « الزنادقة الجدد » .

انعيب ادونيس انه اخذ (موقفا) براقا طموحا ثم تجاوزته الأيام والأحداث . فما يزال قلبه يغلى بالأحقاد من حيث بارت تجارته ، وضاعت عبقريته (ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .

* فقد خرج عن عقيدته أولا حين احتفل باعتناق النصرانية .

* ثم خرج عن عروبته ثانيا ، ثم خرج عن الأصالة فى المرحلة التى عادت فيها الروح الى الأمة الاسلامية ، وتعالت صيحة الصحوة ، وعرف الناس وآمنوا أن هذا والذى يتآمر به خلفاء « القس يوسف الخال » والذى امتد الى كثيرين من أمثال عبد الوهاب البياتى ، وصلاح عبد الصبور ، والسياب ، والمسمى « أمل دنقل » انما هو باطل وهو قبض الريح ! ! .

كلمة .. للتـــاريخ :

وكلمة للتـــاريخ فان (أدونيس) سيظل رمزا على هذه المرحلة المضطربة التى تحاول أن توقف تيار الصحوة وتطفىء نورها .

وليعلم هو وجماعته الصفوة أنهم يسبحون ضــد التيار ، وأنهم يمثلون مرحلة التراجع المضلل ، والرفض المنقوص ، الذى ربما يستطيع أن يكشــف بعض الذين باعوا أقلامهم وأوطانهم وعقائدهم تجار الكلمة فى كل قطر الذين يفسحون لهذه الأفكار المسمومة من صحف ومجلات هم لا يملكونها . ولكنهم يشرفون عليها بالأمانةلهذه الأمة فيخونون هذه الأمانة ! ! .

ومع ذلك . ولأنهم على البــاطل مهما كان الورق صــقيلا فان هــذه الصيحة ســتذهب ادراج الرياح ، وسيحتاجها الزمن ويســفى عليها من رمال الصــحراء ما يركمها ويردمها .

وبعــد .. فما رايك فى رجل مســلم يستطيع أن ينسلخ من تراثه وعقيدته فيكون جريا عليهـــا ، وعونا صادقا وسابقا فى حماس الآخرين من أمثال لويس عوض ويوسف الخال وعتاة الكلية الكاثوليكية فى بيروت الذين منحوه الدكتوراه . لقد خدمه (أنطون سعادة) تحت تأثير الشـــهرة والتبريز فخرج على أمته وعقيدته ، وخسرته دوائر الفكر والأدب الأصيل حين حمل لواء نظرية زائفة باطــلة أراد بها هدم مقررات الأدب العربى ، والفــكر الاسلامى حين جعل مرجعه تلك النصوص المليئة بالصلب والخطيئة والأيقونات ، ونأى عن أنوار الروح ، وشفافية الوحى ، وصدق النبوة ؟ ! !

ربما يظن أدونيس أن القاء هذه الطقوس المسمومة فى بحر الأدب العربى والشعر العربى يستطيع أن يحقق مطمحه ومطمح القوى التى تسانده فى هدم أصالة الأدب العربى الذى يستمد وجوده الحقيقى من القرآن الكريم . وربما رأى فى بعض هؤلاء الأقزام الذين تابعوه مدرسة أو شبه مدرسة يمكن أن تسمى مدرســـة أو دعوة . ولكنه واهم وسوف تكشف له الأيام القريبة القــادمة حقيقة الموقف الغامض ،، وسوف تهزمه الأصالة هزيمة منكرة تمزقه وتدفن فكره فى رمال الصحراء الى الأبد ! !

وسوف يعود الشعر العربى الى أصالته بالرغم من هذه المرحــلة المظلمة التى أعانت عليهـــا بعض القوى اليسارية والماركسية التى تسلطت فترة على الصـــحافة والاعلام والنشر فى مصر والوطن العربى .

ان أدونيس بمداخله الغربية والعلمانية ، المعادية للاصلاح والروح الاســـلامى تماما لا يستطيع أن يجــد طريقه الى نظرية أصيلة يتقبلها المثقف المسلم الذى يتميز اليوم بالوعى والفهــم ، والذى لن يخــدع تحت بريق المغــريات . كما أنه لايستطيع أن يضـــع قوانين لفهم التراث الاســـلامى . لأنه يحتقر هذا التراث ، ويكرهه ، ويعمل على تدميره . وقد أعانه على ذلك قوم آخرون . فهو مرفوض أساسا لهويته السياسية القديمة ، ولهويته التغريبية المستحدثة . فليعلم هذا وليوفر على نفســـه الجهد الفكرى والدعم المادى ! ! .

وليقل لنـــا أدونيس : ما هى المعـــانى الجديدة والمبتكرة والمبدعة التى يقدمها الشاعر الذى يؤمن بفكرته والكافر بكل قيم العقائد والوطن والخلق ، والذى يعيش حيــاة التحلل والضياع ، متحررا من كل قيم الاســـلام الأصيلة التىيسميها السلفية والماضىوالرجعية والتقليد ماذا سيقول اذا لم تكن له أى قضية حقيقية يدافع عنها الا قضية واحدة لا تحتاج الى دفاع ؟.

***

ان أدونيس يعيش عيشـــة من ترك عقيدته وترك وطنه . فأى انتماء له يمكن أن يصدر عنه ، أو أى منطلق جديد يشكل له وجهة ، ويقرر له زعامة يمكن أن يجتمع حولها الحواريون الا زعامة واحدة هو يعرفها فى هــذا العصر ، ويعرفها الذين يحيطون به ؟ ! ! .

ان الذين شاهدوا أدونيس فى القاهرة قد عجبوا لهذا التحول الذى وصل اليه ، وهذه السحنة الشاحبة الضامرة ، والعيون الزائغة ، والنظرة الحائرة الى الأفق المجهول . وهو فى وطن تعلو فيه « كلمة الله » وتشـــكل الذوق والعقل والوجدان . انه يتماســـك وهو منهار من الداخل تمـــاما . ومـــا الذين احتفلوا به لا الذين كانوا يسخرون منه . لقد دمرته سنوات السياحة ضد التيار . ضد الفطرة . ضــد الأصالة . ان أدونيس يجهـــل أنه يحاول أن يصعد على أكتاف تراث أصيل . تراث قرآنى المصـــدر حفظه من غواشى الزمن أربعـــة عشر قرنا . ولا يزال قادرا على الحفظ ، تحوطه قلوب وعقول مليئة بالايمان والصدق ، والقدرة على المقاومة . وهى فى نفس الوقت موقنة بأن الأصالة تنبعث من داخلها ، وأن المنابع تستعيد أهلها .

فليقتصر ادونيس امله على اليأس من أن يصل الى شيء مما يريد هو ومن وراءه مهما كانت وسائل الاغراء المضللة او بريق الكلمة الخادعة ، أو تغطية الاعلام الكاذبة ! ! .

* * *

ونحن اذا ذهبنا ندرس هويته من خلال كتاباته ووجهته فلن نجده الا ماركسيا . أو باطنيا . أو علمانيا على احسن الأحوال . منكرا للعقيدة التى ولد بها .مهدما فى العقيدة التى تحول اليها ، حائرا زائغ البصر تغشى حياته ازمة فى الأعماق ! ! .

وربما أفاق فى ساعاته الأخيرة . ولكن هل سيكون ذلك بعد فوات الأوان ؟ ! ! .

* * *

الفصل العاشر
دحض شبهات توفيق الحكيم

كان الحديث فى ندوة الاعتصام عن توفيق الحكيم الذى مضى الى ربه ، وافضى الى ما قدم بعد أن اثار حوله زوابع كثيرة ، وتراجع عن افكار كثيرة ، وحاول أن يفرض مفاهيم الفكر الغربى الوافدة من خلال « المسرح والقصة والحوار » الى ابعد حد ممكن .

أولا : اعتمد فى كتاباته عن « نبى الله سليمان » وعن اهل الكهف على مفهوم التوراة والكتب القديمة ، ولم يعتمد مفهوم القرآن الكريم الذى جاء مصححا لكل ما أوردته الكتب السابقة .

ثانيا : دعا الى لبس القبعة ، وطالب بالخروج عن الشرق ، والانتساب الى الغرب ، واعلى من شأن الكتب التى كانت مقررة فى كلية الآداب على عهد طه حسين وفيها اساءة الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : اجرى حوارا متخيلا مع الله عز وجل على نحو لا يقره مفهوم الاسلام . وبالرغم مما وجه اليه من انتقادات العلماء ، فقد أصر على وجهة نظره ، وكان يرمى الى كسر قيد من قيود قدسية النص ، والخروج عن مفهوم الاسلام القاصر على المناجاة ، بمحاولة كتابة حوار يخترعه ينسب فيه الى الحق تبارك وتعالى اجابات وهمية خيالية ! تعالى الله علوا كبيرا .

وفى عديد من الكتابات يبدو واضحا موقفه العلمانى والمادى من مفهوم النبوة والوحى والغيب .. وأخطر مواقفه فى هذا الصدد هى دعوته الى تطوير الشريعة .. وهى دعوة مسمومة ترمى الى قبول مفاهيم الحضارة العصرية ، وفى مقدمتها الربا ، وحرية الأخلاق .

يقول توفيق الحكيم :

« الخطأ كل الخطأ أن نجعل آثار الماضى تكبلنا بأغلالها علينا دائما ان نضع كل تحفة قديمة فى موضعها من الزمان والمكان .. وهذه غلطة شباب الأيام الذين ينظرون الى الأفكار والآثار السابقة منفصلة عن الوقت والظروف والملابسات التى نشأت فيها .. وحين تجدون هذه الأفكار لا تساير عصركم رميتم بها وراء ظهوركم . فى حين أنها كانت فى وقتها وبيئتها خطوات متقدمة بالنسبة الى ما سبقها » ..

وهذه هى سموم فكر (أوجستكونت) زعيم الدعوة الى انكار دور الأديان فى تشكيل حياة الناس والادعاء بأن الأديان قامت بدور فى الماضى ، وأن هذا الدور قد انتهى وانه يجب أن ينظر اليها على أنها جزء من التاريخ الذى مضى وانقضى .. ولا ريب أن هذا المعنى يتعارض تماما مع مفهوم الاسلام : دين الانسانية الخالد الباقى على الزمن ،. والذى لا يناله ما ينال أديانا ودعوات وافكارا أخرى من تجاوز الزمن له . وتلك دعوى كانت منشورة عندما كان توفيق الحكيم بين ايدى صانعيه فى الغرب من أجل أن يضعوه على رأس الصفوة المفكرة فى البلاد العربية .. وهو الذى صارع طه حسين وقال له : انه قرأ فى الفلسفات الغربية أكثر مما قرأ ، وأنه لا يقبل وصايته عليه .. وصمت طه حسين واستسلم .. فقد عرف اتجاه الريح !.

يقول توفيق الحكيم فى ندوة نشرت فى مجلة صباح الخير ١٩٧٤/٦/١٢ :

« الزواج فى رأيى قيد على حرية الرجل ويجب أن نبحث عن وسيلة أخرى للارتباط بين الرجل والمرأة غير الزواج » .

ويرد نجيب محفوظ فى هذه الندوة قائلا :

(أنا لا مانع عندى فى أن يكون للفتاة صديق من الجنس الآخر حتى ولو خالف ذلك رغبة الأهل) .

ولا ريب أن هذه الآراء هى بمثابة دعوة الى الفسق والفجور ، ومعارضة النظام الاجتماعى الاسلامى القائم

على العلاقة الزوجية ، ودعوة الى الاباحية الجنسية ، ومهاجمة الطليعة المسلمة من الفتيات !!

ومن العجيب أن هؤلاء القوم يدعون الناس الى هذه الأفكار ، ثم يعتصمون تماما وراء حياة خاصة لها طابع الانفصال عن المجتمع .. وكيف يتفق هذا مع الدعوة الى فتح أبواب الشبهات أمام فتيات المجتمع ، واثارة الكراهية للدين والنظام الاجتماعى ، ثم يقفون موقف المعارضة لما يدعون اليه فى حياتهم الخاصة !!

يقول توفيق الحكيم :

« ان علماء الدين يريدون ان يكون لهم وحدهم حق تشكيل عقلية الأمة على أساس العلم الدينى الذى درسوه فىالكتب المعتمدة عندهم طبقا للنصوص التى قرأوها على طريقتهم وأقروها وحدها دون أن يقبلوا تطورا فى أصولها أو فى أى شىء من المعارف التى تتصل بتفكيرهم فى الحياة على النحو الذى يعيش عليه الجزويت » .

ولا ريب أن هذه المقولة تكشف فى جراة عن الهدف الذى يسعى اليه رجال التغريب ، ودعاة الحداثة ، وحملة الوية العلمانية والاباحية .. وهى الحد من دور الاسلام فى المجتمع تحت مظلة الهجوم على علماء الدين، والادعاء بأنهم هم الذين لهم حق تشكيل عقلية الأمة .. والحقيقة أن كل المسلمين علماء دين بفهمهم للاسلام الفهم الصحيح الجامع من حيث هو منهج حياة ونظام مجتمع .. ومن هنا فان هذا المفهوم هو وحده القادر على تشكيل عقلية الأمة من أن تغير عقيدة الأمة أو أعرافها بتلك الدعوات الباطلة الى الحرية الأخلاقية ، والاباحية ، واغراء المراة بأهواء المجتمعات ، ودفعها الىترك أبنائها وأسرتها لتحقيق المطامع المادية التى لا تلبث أن تكون وبالاً عليها .. ولا شك أن تجارب كثير من هؤلاء العصريين الذين خدعتهم الحضارة الغربية قد كشفت عن المآسى التى وقعوا فيها ، وتحطمت على صخرتها حياتهم لو كانوا قادرين على تدبر عبرة الأحداث !!

ان هذه العبارات تكشف عن أن هؤلاء التغريبيين يعملون على السيطرة على عقلية الأمة ، ومحاولة توجيهها الى احتقار قيم الاسلام والحط من شأنها تحت عنوان كاذب مضلل هو ما يسمونه « النصوص الدينية التى فى الكتب القديمة » بدعوى أنها لاتقبل التطور فى أصولها .. وقد كانت دعوى توفيق الحكيم المسيطرة على نفسه هى العمل على تجاوز أصول النصوص وتطويرها .. وهو يعلم تماما أنه انما يطالب بأمر خطير .. ذلك أن الاسلام قابل للمرونة والتجاوب مع العصور والبيئات فى الفروع وفى المتغيرات (عن طريق اجتهاد الفقهاء) ولكنه لا تطوير للثوابت التى جاءت بها الشريعة الاسلامية الغراء .

فان كان توفيق الحكيم يسمى هذا جمودا فهو حر فى رأيه .. ولكن هذا ليس فى الحقيقة جمودا .. ولكنه أصالة .. أما نظرية تطوير الدين ليتقبل الحياة الاجتماعية المنحرفة المعاصرة ، فتلك دعوى من دعاوى الماسونية والفكر العلمانى الذى كان توفيق الحكيم يغلفه فى ذكاء ومكر بكلمات تحت اسم الدين أو الاسلام أو غيرهما مما حاول الكتاب الذين رثوه أن يتصيدوه ليدفعوا عنه مقولة الانحراف عن مفهوم الاسلام .. وذلكأمر بينهوبين اللهتبارك وتعالى ولكنا نحاول أنندفع عن شبابنا مظنة الثقة فى هذه الكلمات المسمومة التى يحاول أن يهاجم بها تقبل عقلية الأمة لمفهوم الاسلام فى هذا العصر ، والخروج عن كل تلك المقولات الباطلة التى عاش توفيق الحكيم سنوات عمره يبثها فى كتبه ومسرحياته فى محاولة لتضليل الشباب المسلم وافساده واخراجه من مفهوم الاسلام الصحيح .

* * *

الفصل الحادى عشر

نجيب محفوظ

لماذا أعطيت جائزة نوبل لنجيب محفوظ
هل هى ثمن بضاعة الغرب التى رُدَّت إليه ؟

كان السؤال الاهم يدور حول جائزة نوبل التى اعطيت لأول مره الى اديب عربى يحيا وراء الاسباب والظروف .

ولقد قيل فى شرح هذه الاسباب الظروف الكثير وكان اهمه :

أولا : ان القصة التى رجحت كفة الروائى العربى تشكل مفهومها عقديا قريبا من المفاهم التى تحملها كتب الغرب وكتب المستشرقين ، على النحو الذى عرف عن قصة (أولاد حارتنا) وتصويرها لله تبارك وتعالى وللأنبياء والمرسلين بصورة ساخرة .

وقد قيل فى هذا انه كان مطلوبا ان تنشر قصة تمهد لذلك التيار الذى اقتحم آفاق الفكر الاسلامى فى ذلك الوقت بقوة وهو الشيوعية أو الماركسية فقد اعطيت هذه الرواية التمهيد لهذه الأفكار التى تتردد من ان الشيوعية قادرة على القضاء على الأديان واحلال دين جديد ، ومن هنا كانت السخرية بالأديان جميعا .

وفى هذا المجال تحدث نجيب محفوظ عن أوليته فذكرطه حسين والعقاد ولم يذكرسلامه موسى الذى كان قد التقى به قبل هؤلاء ، ولعله هو الذى وجهه لدخول قسم الفلسفة وافسح له فى (المجلة الجديدة) فكان اول ما كتب فى (اكتوبر ١٩٣٠) مقاله الخطير (احتضار معتقدات وتولد معتقدات) .

ومن يطالع هذا المقال يجد أن قصة (أولاد حارتنا) بعد عقدين من الزمن هى تفسير هذا المقال الذى يقول فى صراحة أن الأديان قد عجزت عن العطاء وأن الاشتراكية هى التى تعمل الآن على أن تحل بديلا من الأديان .

ثانيا : ما يقال من أن اتجاه نجيب محفوظ القصصى نحو التفسير الجنسى للمجتمعات والعلاقات بين الرجل والمرأة على النحو الذى أرساه (فرويد) هو الذى أعطى قصص نجيب محفوظ هذا أيضا الذى يعمل على تحويل بعض الصور العارضة الى ظاهرة عامة واخطر ما فى ذلك صورة المرأة فى ادبه ، فهى امراة لا تعرف الدين ولا الخلق ويتبع عرضا رخيصا فى سبيل التمتع — لا بلقمة العيش — بل بالمتاع الوفير والترف .

وهذه الصورة اذا كانت موجودة فهى نادرة ولا يمكن أن تمثل ظاهرة ، فالمجتمع المصرى مسلم فى أعماقه لا أثر أبدا هذا التصور ومفهومنا نحن المسلمين للشرف والعرض والكرامة كما رسمه الاسلام قائم وحقيقى ويدمغ محاولة التغريب والماسونية .

ثالثا : رغبة الغرب فى أن يقدر القصة العربية القائمة على مفاهيمه الاباحية وقيمه الملحدة فى محاولة الاعجاب بأى صورة فردية لمجتمعنا توحى بأنه قد خلع تماما لباس القيم الاسلامية وأصبح مقربا متحررا مندفعا وراء الأهواء الى ابعد مدى ، وهذا هو الفن القصصى العالمى الذى يتطلع اليه المستشرقون من وراء البحر ، وهو ما يطمعون فيه وما يعدونه املا كبيرا (وهذه هى رسالة الأدب العالمى والانفتاح .

فالغرب ينتظر الى قصص نجيب محفوظ ويقول : هذه على الثقافات التى دعا اليها أخيرا نجيب محفوظ بعد الجائزة بضاعتنا ردت الينا .

رابعا : ما قيل من ان القوى المتحكمة فى جائزة نوبل

هى قوى صهيونية بالدرجة الأولى وهم يعتبرون أن نجيب محفوظ قد حمل لواء قيادة الدعوة الى كامب ديفيد ، وأن اعطائه الجائزة سيفتح الباب واسعا أمام احتواء القوى الصهيونية للفكر العربى الاسلامى ويغرى الكثيرين بكتابة الأدب المكشوف والاباحى للحصول على الجائزة .

خامسا : كذبت دعاوى القائلين بأن الاستشراق العالمى قد ترجم أمثال هذه القصص لأنه وجدها جديرة بالعالمية أو الاصالة بل لأنها مغربة تحمل أهوائه ومزاجه، فان الذين ترجموا هذه الآثار هم المستشرقون الذين يفاخرون بأن منهجهم فى الكتابة قد نقل الى العربية وفرضه على المسلمين فرضا وأن نصوصا غربية فى الأسلوب وفى المضمون قد دخلت اللغة العربية ، وأخطر من ذلك أن منهج (الدراما) المسموم الذى رفضه المسلمون فى القرن الثالث الهجرى وأنكروه ، قد فرض عليهم اليوم ودخل الى الأدب العربى وكتبت به مسرحيات من خلال مضمون غربى ووافد ، فتوفيق الحكيم لم يعتمد فى كتاباته الا على مضامين الفكر الغربى المستمد من الفكر اليونانى الوثنى (فكر طفولة البشرية وعلم الأصنام) وأهمه ما نقله من التوراة المكتوبة — لا المنزلة — عن أهل الكهف وسليمان الحكيم ، وقد تجاهل تماما وجهة نظر القرآن الكريم فى هذين الموضوعين واعتمد مقولة التوراة وأعمال كتاب الغرب ووجهة نظرهم ، ومن هنا فقد كان لاعجاب بآثاره بالغا قدره وقد ترجموه ليقولوا : أن بضاعتهم ردت اليهم وأن كتاب العرب والمسلمين وباللغة العربية قد قبلوا مفاهيم علم الأصنام فى الأدب اليونانى وكل ما تختلف مع القرآن الكريم الذى هداهم الى المفاهيم الأصيلة ، وهو التحول الذى يطمعون فيه والذى لن يتحقق لهم أبدا .

وكذلك الأمر فى كتابات نجيب محفوظ التى فرضت أسلوب قصاصى اباحى الغرب ومنهج فرويد وسارتر فى بحثه النفس والاخلاق وقدمت المرأة العربية بمفهوم المرأة الغربية التى تبيع جسدها من أجل الطعام مع أن المثل العربى يقول :

(تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها) وهو يستمد هذا الاتجاه من المفهوم الماركسى للمجتمعات فهو يخلط الفكر الليبرالى بالفكر الوثنى القديم ، بالفكر الماركسى ، ولا يجعل لمفاهيم الاسلام أى مكان فى مسرحياته وتصاعده مع الموجات يجعله عاجزا عن تقديم تصور أصيل للمجتمع الذى يعيش فيه .

سادسا : ان اخطر ما تمثله هذه الجائزة هى فرض مفهوم القصة الغربى الوافد على اللغة العربية وتقبل البناء الدرامى الغربى للرواية بما فيه من مساوىء ومخالفة لطبيعة الاسلام الذى يرفض مفهوم الصراع والفن للفن من ناحية ومفهوم تغيير الحقائق الاجتماعية والتاريخية من أجل حرية الفن بما يتفق مع أهواء كاتب القصة أو الغاية التى رسمت لها ويكشف ذلك محاذير العمل القصصى كله كمخدر يقدم للناس ليحولهم عن ما يجرى فى مجتمعاتهم أو ما يجب أن يقصدوا اليه .

سابعا : أن أخطر ما فى العمل القصصى انه لايملك قيما ثابته فهو اداة فى يد من يملك التوجيه لفرض قيم معينة أو هدم قيم معينة على النحو الذى كتبت به (أولاد حارتنا) فى ظل تحول اشتراكى مضلل بهدف أن توجد مجالا فكريا للمفاهيم الماركسية وما يسمى (موت الاله) على النحو الذى رسمته الغايات المقصودة من الماسونية والعلمانية والفكر الوثنى الاباحى والالحادى الذى يسمونه الأدب العالمى ويطمعون أن يصهروننا فى بوتقته نحن المسلمين .

فاذا أضفنا الى هذا عدم التزام القصة بالتاريخ والواقع من أجل ما يسمى فن صياغة القصة كان لنا أن ننظر الى فن القصة الغربى الوافد نظرة تضعه مكانه الصحيح .

* * *

يبقى بعد هذا القول بأن أى مصرى هو ابن حضارتين : الفرعونية والاسلامية ، هو قول مردود وليس دقيقا ، فان الذين درسوا التاريخ القديم والمعاصر قد تأكد لهم (**الانقطاع الحضارى**) بين عصر الاسلام وما قبله وقد أعلن كبير مؤرخى العصر (أرنولد توينبى) بعد دراسة واسعة بالبحث عن الحضارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة قال : أن الحضارة الفرعونية قد ماتت منذ قديم .

وقال الدكتور جمال حمدان فى كتابه الضخم : لم تعد مصر الفرعونية موجودة الا فى المتاحف أما فى الوادى فقد انقرضت كما انقرضت تماسيح النيل فى النهر » .

والواقع أن الذين أهملوا دعوة الفرعونية فى العصر الذى كتب فيه نجيب محفوظ قصصه الفرعونية الثلاث لم يجدوا أى تراث حقيقى يمكن الاعتماد عليه فى دعواهم هذا وبالله التوفيق .

* * *

قصة أولاد حارتنا (موت الاله)

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا . (الاسراء)

كان السؤال الأهم فى ندوة الاعتصام عن قصة اولاد حارتنا التى اطلق عليها فى الترجمة الانجليزية (موت الآله) وكان موضع الدهشة أن يقول سكرتير الأكاديمية السويدية التى قررت اختيار الأستاذ نجيب محفوظ لجائزة نوبل أن (أولاد حارتنا) هى العمل الذى رجح كفه الفوز وقالت اللجنة انها تصور الأنبياء والأديان وقال ستورى اليد السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية هى البحث الأزلى للانسان عن القيم الروحية (وقد قسمه الرواية الى فصول بقد سور القرآن الكريم أى ١١٤ فصلا كما وصفها (مترجمها الى اللغة الانجليزية) فيليب ستيوارت :

بأنها تتناول بجراة المفهوم الحديث لموت الآله وأنها تمثل رؤية لوجهة نظر مسلم معاصر عن موسى وعيسى ومحمد .

ويمكن النظر فى هذه الرواية من خلال منطلقات اربع :

اولا : منطلق الفكر الحر الذى صنعه الملاحده تلاميذ مدرسة التنوير وكتاب الموسوعة وبناة الفكر الماسونى ، هؤلاء الذين وصفوا المسيحية الغربية (لا المنزلة) بمختلف صفات الخصوم ، وكان الفيلسوف نيتشه هو الذى ابتدع عبارة (موت الآله) وهى عبارة لم يكن يقصد بها الا مفهوم الآلهة الذى كان موجودا فى الفكر الغربى ونيتشه فيلسوف مضطرب العقل ، كانت حياته مليئة بالتعاسة وكان الحزن والعزلة يضربان عليه حصارا قويا انتهى به الى الجنون ومات وهو يعانى من اشد حالات مرض السلفس وقد ظلت آثاره أكثر من خمسين سنة منكره مهملة حتى جاءت جماعة التنوير التى حملت لواء الالحاد فأحيت هذا الفكر من جديد ، ثم تلقفت الفكرة جماعات غربية معادية للمسيحية وقد جمعت الأفكار التى روجها اليهود ضد السيد المسيح ودينه .

وقد طرحت مجلة (تايم) أوسع المجلات السياسية انتشارا فى الغرب هذا الموضوع من جديد وابرزته على غلاف عددها الذى صدر بمناسبة عيد الفصح وانطلقت هذه الفكرة من جمعية أمريكية تضم بعض علماء الدين بعد ان بشرت بها المجالس العلمية واختارت لنفسها اسما مناسبا تماما (جمعية موت الآله) وقد انضم اليهم عشرات المثقفين يعبدون الى الوجود فى نسخة أمريكية جديدة العبارة التى قالها رزادشت الشيخ العجوز فى بداية كتاب نيتشه (هكذا تكلم زرادشت) هل هذا معقول : ان هذا الشيخ العجوز لا يعلم بعد ان (الآله) قد مات والفكرة الرئيسية التى يدور حولها اجتهادات جمعية (موت الآله) هى أن الانسانية تطورت واصبحت ناضجة ولم تعد بحاجة الى الدين لتفسير وشرح الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية فى العالم ، ان الله لم يعد يتدخل فى سير التاريخ والطقوس والشعارات الدينية فقدت جميع معانيها والعلم الذى كشف غوامض واسرار العالم قد نجح فى تغيير مكان الله فى نفوس البشر » ..

هذا منطلق ..

ومنطلق آخر هو منطلق جماعة التجديد . وفى مقدمتها طرح نظرية (الشك الفلسفى) التى حمل لوائها الدكتور طه حسين حين فتح الباب امام دعوة شباب الجامعات الى نقد القرآن الكريم بوصفه كتاب أدبى ودعا الى ان ينظر الى القرآن كما ينظر الغربيون الى الكتب المقدسة بوصفها نصا بشريا ، وما دعا اليه سلامة موسى من ان الأديان القديمة قد عجزت عن العطاء وأن دين البشرية هو القادر على أن يحقق للبشر سعادتهم ، واحتضن كلا منهما عددا من الشباب المسلم وكان نجيب محفوظ من أولياء وجهة سلامة موسى وقد كتب عن الاشتراكية بوصفها الدين الجديد القادر على العطاء .

وهكذا نجد وراء كتابه هذه القصة خلفية عريضة

من الفكر المادى والوثنى الذى نشر فى مصر خلال السنوات فيما بين الحربين العالميتين من خلال الماسونية، والاشتراكية ، والعلمانية .

وقد وجدت هذه البيئة فى طموح نجيب محفوظ الى البتريز والظهور منطلقا فى مرحلة ارتفاع المد الماركسى والمادى الذى كان فى حاجة الى بعض الأعمال الفنية التى تخدم وجهة نظره وتمضى الخطة التغريبية مرحلة بعد مرحلة من الشعر الجاهلى لطه حسين الى الاسلام واصول الحكم لعلى عبد الرازق الى الفن القصصى لخلف الله الى اولاد حارتنا لتكون قمة هذا الاتجاه كله لقد كان التركيز اساسا على الذين لهدمه من نفوس الشباب ، وكان هدم الاسلام هو المرحلة التالية ، فالدين بكل ما فيه يدخل فى باب الأسطورة حيث لا يعترف العلم الا بالمحسوس ، وجاء دور كتاب الغرب للنظر فى القرآن الكريم من وجهة نظرهم الى التوراة على أنه نتاج بشرى يمكن نقده وتقويمه حسبما رسم لهم الدكتور طه حسين من قبل ثم كان للفكر الماركسى مداخل اخرى جديدة على الفلسفة المادية الغربية .

وهكذا جاءت (أولاد حارتنا) كمرحلة تالية وطبيعية للفكر الحر الذى رسمته نظرية الشك الفلسفى .

ونحن حين ننظر الى (أولاد حارتنا) نجد الملاحظات التالية :

اولا : لقد وصف الرواية عدد من الباحثين (فى مقدمتهم الأستاذ مصطفى عدنان الذى جمع أطراف ماكتب عنها) بانها فكر مضلل من الأدب المحرم شرعا واساءة بالغة للمقدسات الدينية وفكر خاطىء ضار يعبث بالقيم ويلوث العقل وينشر الزيف والباطل ومثل حرية العبث والهدم والتخريف ويسخر من الله تبارك وتعالى وانبيائه وتعد كفرا بواحا صريحا لا يجب نشره على الاطلاق لأنها تشوه العقيدة وتغيير للحقائق .

ثانيا : أخطر ما فى قضية (أولاد حارتنا) أنها تقوم على مقولة واحدة أساسية تخدمها : هى التركيز على مقولة ماركس :

* * *

(الدين افيون الشعوب)

فيجرى تصوير الأنبياء كلهم فى غرز حشيش .

(والمؤلف له خبرة واسعة فى هذا الفن فقد كتب فى رسائله الى صديقه فلأن يتحدث عن تجربته مع الحشيش) ولا يتوقف الأمر عند الحشيش ، بل تجد فى هذه الصور (شراب البوظة ، الغرزة – كودية زار) الخ .

(يقول : جرت البوظة أنهارا وانعقدت فى سماء الحجرات سحب الحشيش) .

ثالثا : حاربت الرواية مختلف القيم والمبادىء الاسلامية وعملت على ترويج مفهوم مختلف واعلاء فشل جميع الديانات المنزلة وأن الحل الأمثل الذى ننتظره الشعوب الآن هو استيلاء الشيوعى الملحد على مقاليد الأمور لاصلاح العالم .

رابعا : اذاعة مفاهيم اليهود فى المسيحية وفى غيرها .

فقد كانت محاربة الدين هى ابرز أهداف الفلسفة المادية التى صنعها اليهود ووضعوا قوانينها فى فلسفة الماسونية ونظموا مخططها فى البروتوكولات من خلال مخطط يقوم على تصدر ماركس .

وفى القصة نرى تأثير المصالح اليهودية ضد المسيحية والاسلام حيث يرى الكاتب أنه لو سلمت مقاليد تنظيم العالم لآل جبل (اليهود) لما استمرت المظالم .

خامسا : الطعن فى ذات الله ورسله وأنبيائه واتهام شرائعه بأنها وهم للمساطيل وأنها فاشلة ، والسخرية من المؤمن بها وباليوم الآخر والطعن فى أصول العقيدة والشرائع المنزلة بأقذع الأوصاف والاتهامات المنافية لحقائق التاريخ والاستهذاء بالكتب المقدسة .

القاسم المشترك الأعظم على الرواية كلها (المسطول) فهو يرمز للدين بالحشيش . ويصور الأنبياء بأنهم حواه ، أو مساطيل ، أو معهم جوزة حشيش ، أما الملائكة فهم يلعبون القمار فوق سطح البيت (السماء) .

ويصف السيدة مريم بأوصاف كريهة تردد ما يقوله اليهود ضد المسيح عليه السلام .

وابرز ظواهر العمل الفنى هو التشكيك فى وجود الله تبارك وتعالى وابرز ما يتصل بالأنبياء السخرية من مهمتهم ، والخيانة .

سادسا : يسمى المسلمين اصحاب النبى صلى الله عليه وسـلم بالجرابيع وتمتد سخريته الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته .

ولا نريد أن نطيل فى تصوير هذا العمل الذى ينتهى بقتل الشيوعى للآله .

ويقول مصـطفى عدنان : بعد فحص النص الذى امامنـا (لأولاد حارتنـا) نجد أنه حين كتبه كان يكتبه خدمة للشـيوعية فقد انتصر الشيوعى الملحد الذى قتل الآله وفى الحلقة الخاتمة للرواية يتضح فيها جليا الهدف من الرواية وينكشف حيث يقول نجيب محفوظ :

ان هذا الشيوعى الملحد الذى قتل الآله هو المصلح الاخير للبشرية وهو الأمل الذى سيقود العالم الى يوم الخلاص ، لأنه زعم فشل شرائع السماء المنزلة للأبد على يدى هذا الملحد أن يكون للظلم من آخر .

＊＊＊

وهكذا يتضح أن قصة (أولاد حارتنا) التى أطلق عليهـا (موت الآله)قد حققت مقـولة ماركس : الدين أفيون الشـعوب فرسم صورة جميع أنبيـاء الله وهم يتعاطون المخدرات والمسكرات .

وهذا يحقق هدف البرتوكول الرابع لحكماء صهيون الذى يقول :

يتحتم علينـا أن ننتزع فكرة الله وعندها يصـبح المجتمع منحلا ومبغضا من الدين) .

ويبدو اعلاء نجيب محفـوظ لليهوددة فى الحلقـة (١٩٥٩/١٠/٢٥) الآله بأنها القادرة على تنظيم حيـاة الشعوب دون شرائع الديانات السماوية ويحاول نجيب محفوظ أن يدافع عن (حرية الفن) ويردد كلمات قديمة طالما لاكها طه حسين وتوفيق الحكيم عن أكذوبة (قداسة الفن واهدافه السامية وأن معارضة ذلك جريمة ترتكب ضد الحضارة) .

اى حضارة : حضارة الفساد والاباحة والانهيـار الخلقى .

ونحن نسـال معهصطفى عدنان : كيف تجرد ذات الله من كل صفة حسنة فى رواياتك وتجرد من اصطفاهم ربنا من رسله وأنبيائه من كل القيم وتلحق بهم كل المثالب التى لا تستطيع أن تلحقهـا بأى شخصية عامة دون أن يطولك سيف القانون وبعد فنحن نؤمن بأن هذه المحاولة قد فشلت ولن تحقق هدف الماكرين أعداء الدين وأعداء الاسلام والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لايعلمون.

＊＊＊

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الباب الخامس

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى - قصر العينى -
ت: ٣٥٥١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٩/٢٠٢٣٠